

الآءب العربى فى شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين

تأليف
الدكتور / أحمد إدريس

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EÍN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهواري

د. شوقي عبد القوى حبيب

د. علی السیّد علی

د. قاسم عبيد قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفي

تصميم الغلاف : منى العيسوي

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٦ شارع يوسف فهمي - اسبانتس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

- شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

إهداء . . .

إلى أمي وأبي

مقدمة

وددت لو أن ألفاً أو نصف ألف من الباحثين العرب قسموا أنفسهم بين مكتبات شبه القارة التي تضم الهند وباكستان وبنغلاديش، ونفضوا التراب عن ألوف الكتب العربية التي كتبها أبناء هذه الدول وقت أن كانوا دولة واحدة، يحكمها ملوك باسم الإسلام، وينشر الإسلام فيها علماء أجلاء ذابت أجسادهم تحت الثرى، وبقيت لنا كتبهم، أو بعض كتبهم، لتعلن أن اللغة العربية توجد في كل مكان وصلت إليه أشعه نور القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذي لولاه لربما انطوت لغة العرب في قبور الأجداد بموتهم.

ذلك أن ما كتبه أهل هذه المنطقة من مؤلفات مطبوعة ومخطوطة، بل ما بقى منه بعد أن امتدت أصابع الإحراق والإتلاف عمداً أو سهواً فأضاعت منه الكثير، يفوق خيال كل عربى، وينحنى له الباحث إجلالاً وتقديراً لوفرتة وتنوعه وجودته.

هذا التقدير والاحترام يضم تحت جناحيه أيضاً أصحاب المطابع الهندوس الذين نشروا أكثر المطبوعات من المصنفات العربية والإسلامية، ولو كان الدافع تجارياً خالصاً، فقد تجشموا - بلا ريب - كثيراً من المصاعب فى زمن كانت الطباعة فيه أمراً شاقاً، والآلات آنذاك بدائية لا تعين، فساهموا فى نشر العلوم العربية والإسلامية بما لا ينكره أهل النزاهة والإنصاف.

وهذا الكتاب عجالة خاطفة شاءت الظروف أن يكون كذلك، لم نخرج فيه عن جدران مكتبة واحدة فى مدينة جديدة هى مكتبة مجمع البحوث الإسلامية فى إسلام آباد وهى

مكتبة صغيرة فما بالك لو تجولنا فى مكتبات لاهور وملتان وكراتشى وبيشاور وغيرها من مدن باكستان أو فى مكتبات رامبور ودلهى ولكنو وكلكتة وحيدر آباد وعشرات غيرها فى مدن الهند التى حكمها المسلمون ما يربو على سبعة قرون ؟

مادة الكتاب إذن مفروضة فرضاً، فالكتب التى وجدت بين أيدينا هى التى حددت هذه المادة وأملت علينا اختيار النماذج دون كبير رأى منا واختيار، وقد اعتبرنا ذلك كافياً إذ كان الغرض من الكتاب مجرد التعريف بما يوجد من صنوف الأدب العربى فى منطقتنا وتركنا مهمة التلذذ بطعم كل نوع على حدة لمن اشتها ذلك.

غير أنى - كأى باحث - حاولت أن استخلص من النتف المجتمعة قواعد أدبية وأصل إلى ظواهر فنية قدر الإمكان سعيّاً للتعرف على خصائص هذا الأدب - نشره وشعره - ورسم صورة لقسمات وجهه بالقلم الرصاص قد تشبه الأصل، لكننى أدرك تمام الإدراك أن المحفوظ فى عشرات المكتبات على الأرفف يعلوه التراب الكثيف قد يرسم صورة أخرى أقرب إلى الأصل من التى رسمتها إذا ما نفّض التراب عنه باحثون غيرى وأبانوا لنا ملامحه، فما توصلت إليه لا أزعم أنه ثابت مؤكد بل هو قابل فى أى وقت للنقض كما هو قابل للتأكيد.

أسأل الله العون والسرور

د. أحمد إدريس

إسلام آباد : ١٩ / ٣ / ١٤١٤ هـ

٩ / ٩ / ١٩٩٣ م

تمهيد

١ - تحديدات

ما المقصود بالأدب العربى فى هذا الكتاب ؟

الحقيقة أن الباحث فى هذا المجال لا يستطيع أن يحصر المؤلفات العربية فى شبه القارة إذا اعتبر الأدب العربى - كما فعل كثير من الباحثين قديماً وحديثاً وشرقاً وغرباً - هو كل ما كتب باللغة العربية، ذلك أنه سيواجه تلاماً من المصنفات فى الحديث وعلومه، وفى التفسير والفقه والتصوف والفلسفة والحكمة والكلام والمنطق والمناظرات والعقيدة وعلوم القرآن والرجال والجغرافيه والطب والطبقات واللغة والإنشاء والرسائل والشعر والعروض والبلاغة والمعاجم والنحو وغير ذلك مما يحتاج إثباته إلى أسفار وموسوعات لن تخرج فى النهاية عن كونها مجرد قيد وتدوين لهذه المؤلفات ومؤلفيها دون فحص لمحتويات هذا الأدب لمعرفة ما له وما عليه. فأمير مثل النواب صديق حسن القنوجى المتوفى فى ١٣٠٧ هـ له ستة وخمسون كتاباً باللغة العربية وللشيخ أحمد رضا البريلوى المتوفى ١٣٤٠ هـ ثلاثمائة مصنف كما للشيخ عبد الحى بن عبد الحليم اللكنوى المتوفى فى ١٣٠٤ هـ ستة وثمانون، وللشيخ أشرف على التهانوى المتوفى فى سنة ١٣٦٢ هـ ثلاثة عشر كتاباً، فكيف يمكن الحديث بإنصاف - إذن - عن الأدب العربى فى شبه القارة التى أنجبت خلال ما يزيد على سبعة قرون من غلبة المسلمين عليها ألوفاً من العلماء والأدباء إذا أدخلنا فى نطاق الأدب العربى كل ما كتب باللغة العربية ؟ فضلاً عن أن هذا المفهوم الواسع يجعل الأدب العربى مرادفاً للثقافة الإسلامية التى يحتاج تدوينها ونقدها إلى أعمار قد لا تتاح لفرد واحد.

لذلك أخرجنا من نطاق بحثنا ما يتعلق بالدارسات الإسلامية والطبقات والترجمات، وقصرناه على الشعر وما يتصل من النشر بفنون اللغة العربية بسبيل كالتحو والصرف وعلم اللغة والمعاجم والإنشاء والبلاغة والمقامات والأمثال، فتحدد معنى الأدب فى كتابنا بهذا الذى ذكرناه.

ومع ذلك فقد أدخلنا فيه نموذجاً واحداً من التفاسير العربية وهو تفسير سواطع الإلهام لأبى الفيض الفيضى المتوفى عام ١٠٠٤ هـ لكونه يمثل صنعة لغوية هى الكتابة غير المنقوطة بصرف النظر عما فيه من تفسير، فالكتاب تفسير للقرآن كله من قبل أعجمى باللغة العربية ليس فيه لفظ منقوط، ومن ثم ارتبط بموضوعنا.

وكما أن مفهوم الأدب العربى فى شبه القارة يضيق ويتسع، كذلك فإن مفهوم شبه القارة يكبر ويصغر. فالهند فى عصورها الإسلامية لم تثبت عند حدود جغرافية بعينها، وإنما أخضعها للمد والجزر رغبة سلاطينها، وبصيرتهم الإدارية، ووضعهم السياسى، وعلاقاتهم بالدول المجاورة حبا وبغضا، وأحيانا طمعهم فى الثروات، فكانت تضيق حيناً وتتسع أحياناً، فإن اتسعت دخل فى زمرة أدبائها جهابذة مثل بديع الزمان والبيرونى والخوارزمى والزوزنى وغيرهم ممن ارتبطوا بمراكز الثقافة العربية فى هراة وغزنة وغيرها، وإن انكمشت خرجوا.

ونحن فى تحديدنا للمقصود بشبه القارة جغرافياً اقتصرنا على الهند وباكستان - كما هما اليوم - فصار المراد بشبه القارة هو شبه القارة الهندية الباكستانية.

ونتج عن تحديدنا لشبه القارة تحديد آخر لمن يخرج من زمرة أدبائنا فى هذا البحث ومن يدخل فيها، فأخرجنا قوماً وأدخلنا آخرين.

أخرجنا من هاجر آباؤهم إلى ديار العرب وولدوا هم بها، وتربوا فى أهلها، ونشأوا على ترابها كابن الأعرابى، وأبى الغراف السلمى وأعشى همدان والمنتجع بن نبهان وكشاجم محمود بن الحسن^(١) وكثير آخرين، لكننا أدخلنا من هؤلاء أبا عطاء

١- راجع سيرة هؤلاء تحت أسمائهم فى رجال السند والهند إلى القرن السابع للقاضى أبى المعالى أظهر المياركبرى، مصر ١٣٩٨ هـ

السندی لأنه يمثل ظاهرة تفسر بحثنا، إذ رغم ولادته ونشأته في ديار العرب، بقي على عجمته في النثر، لكنه اشتهر بشعره كما سيأتيك بيان.

وأخرجنا أيضاً من ارتبط ببلاط سلطان من سلاطين الهند وكان من قوم آخرين، وهؤلاء جمع غفير.

كذلك أخرجنا من جاء من العرب إلى هذا السلطان أو ذاك طمعاً في البذل والعطاء فألف له كتاباً في فن يعجبه، ثم بقي في الهند آخر حياته كمحمد بن أبي بكر بن عمر الدماميني المصري الذي اتصل في أواخر عمره ببلاط أحمد شاه أحد سلاطين الكجرات (٨١٤ - ٨٤٦ هـ) وكتب له كتابه المعروف بتعليق الفرائد، وهو شرح لتحصيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو لابن مالك.

واستثنينا من هؤلاء أبا بكر بن محسن باعبود صاحب المقامة الهندية لأنه هاجر من اليمن في سن مبكرة وعاش ومات بها، وفسدت لغته العربية وغلبت عليها هندیته في مواقع كثيرة.

وأخرجنا من عاش في الهند من شعراء وأدباء العرب حيناً طال أم قصر، طوعاً كان عيشه فيها أم كرهاً. كالبحتري وذی الرمة ومنصور بن حاتم النحوي وابن المهلهل البغدادي ومطيع بن اياس وابن عنين ويزيد بن مفرغ وأحمد بن أبي نعيم وغيرهم^(١).

ثم قصرنا بحثنا - بعد ذلك - على من كانت أرومته هندية نقية، وولد ونشأ في شبه القارة - بالتخديد الذي ذكرناه - ولو تنقل من بعد في ديار العرب، واختلط بأهلها كالصغاني ومرتضى الزبيدي وآخرين.

وأنت ترى أن الإخراج والإدخال خضع لأسباب فنية جلية، إذ المراد من بحثنا التعرف على الأدب العربي الذي كتبته أبناء شبه القارة، لا من عداهم. وكنا في ذلك كله مقيدین - كما أسلفنا - بما توفّر في أيدينا من مادة قليلة يوجد أفضل وأغزر منها في مكتبات آخر.

١ - راجع سير هؤلاء تحت أسمائهم في المصدر السابق.

وراعينا - مع ذلك - أن تغطي هذه المادة قدر المستطاع دهرأ طويلاً امتد من العصر
الأموى إلى القرن العشرين الميلادى، ولم نضرب صفحاً عن هذا أو ذاك من الأدباء
لحاجة فى نفوسنا بل لأن إنتاجه لم يصل إلى أيدينا أو لم تصل أيدينا إليه. كما أن كل
عالم دين من مفسر أو محدث أو فقيه فى شبه القارة - تقريباً - قرض الشعرأ وكتب
الرسائل ، وترك ديواناً - صغر أم كبر - أو مجموعة رسائل أو كتاباً فى فن من
الفنون، طبع أم زال مخطوطاً ، والوقوف على كل هذا التراث أمر - كما تعلم -
عسير. فما تيسر لنا تناولناه بالشرح والتعليق. وما صعب علينا تركناه دون تحمل عناء
السفر إلى البلدان، ونفض التراب عما فى مكتباتها.

٢- خصائص الأدب العربى فى شبه القارة

لكل أدب - بلا ريب - خصائص عامة ترسم سماته الرئيسية، وهذا ما نتناوله هنا تناولاً خفيفاً عاماً، تاركين التفاصيل الفنية لكل ضرب من فنونه إلى ما بعد، حين نفحص كل فن منها على حدة.

فأول ما نراه من خصائص لهذا الأدب العربى : أنه أدب لم يساهم العرب فيه مباشرة كما لم يأخذه الهنود عن أصحاب اللغة وأهلها بلا واسطة، وإنما أخذوه عن عجم آخرين مثلهم فكان أدباً عربياً أنتجة الهنود وهم ليسوا عرباً، بعد أن تعلموا العربية على يد الفرس وهم عجم هكذا كان فى أغلبه. فالذين نشروا الإسلام ولغته وعلومه فى شبه القارة كانوا عجماً ولم يكونوا عرباً، وهذه نقطة هامة سنرى آثارها على هذا الأدب ونحن نبحث فى تفاصيله.

وتحقيق ذلك أن غزوات العرب فى بلاد السند لم يكن لها الأثر الذى بالغ بعض المؤرخين فى ذكره وتصويره. كما أن الصلات بين العرب والهنود وإن تعاظمت قبل الإسلام إلا أن مؤرخينا أهملوا العصر الجاهلى، ثم لما أعادوا صياغته اعتبروه شراً كله وكفراً وفسوقاً فضاعت حقيقة تاريخ هذا الدور. ومن هنا لم نقف على شئ من التأثير والتأثر على نحو أدبى واضح باستثناء نتف متناثره هنا وهناك. (١)

١- لمزيد من التوضيح انظر تاريخ العرب القديم ، د . توفيق برز ، ص ١٦ وما بعدها ، دمشق ١٩٨٤ والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، د . جواد على ٢٤٠/٧ وما بعدها ، بيروت ١٩٨٠ .

وكما بالغ مؤرخونا فى تشويهه وطمس كل ما كان فى عصور ما قبل الإسلام بين العرب وغيرهم بل وما كان فى البيئة العربية ذاتها، بالغوا أيضاً فى صياغة الحروب والغزوات ومنها غزوة محمد بن قاسم فنسبوا إليه نشر الإسلام ولغته فى الهند، وما فى قولهم شئ من الإنصاف. ^(١) فالهجاج الذى سفك دماء مئات الألوف من المسلمين فى دار الإسلام، ولم يأبه بشرع أو دين ما كان ليهمه أمر نشر الدين فى خارجها. ^(٢) وسلوك محمد بن القاسم فى بلاد الهند لم يكن سلوك داعية ينشر الإسلام ويحرص عليه فحين وصل إلى الديبل مثلاً مكث يقتل فى أهلها ثلاثة أيام ^(٣) وقتل من أهل برهمناباد ستة وعشرين ألفاً وتركها خراباً ^(٤) حتى إذا وصل إلى ملتان وانهزم أهلها بعد حصار شديد قتل منهم محمد بن قاسم المقاتلة وسبى الذرية ^(٥) وليس هذا شأن الدعاة وخاصة إذا أخذنا بالروايات التى تقول إن دافع حملة الهجاج على بلاد السند لم يكن نشر الإسلام ولغته بل كان ملاحقة المعارضين لاستبداده من بنى هاشم بعد أن فروا من ظلمه إلى الهند. ^(٦) كذلك لم تكن سياسة الدولة الأموية وتفضيلها العرب على غيرهم وتعصبها فى ذلك سياسة تجذب إليها قلوب العجم بل نفرتهم فى الداخل والخارج، والدليل على أن الهجاج وابن أخيه لم يبتغيا بسفك دماء الهنود نشر دين الله السمح أن خبر الفتح حين بلغه قال متشفياً: شقيننا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستمين ألف ألف درهم (علاوة على نفقات الغزوة) ورأس داهر. ^(٧) ولو كان فيما فعله ابن القاسم فى

١- انظر مثلاً تاريخ الإسلام فى الهند لعبد المتعم النمر ص ٧٤ مصر ١٩٥٩ ، تاريخ العالم الإسلامى د . محمد الطيب النجار ١٨٥- ١٨٧ ، جدة ١٩٨٥ وفتوح البلدان للبلاذرى ٤٣٥-٤٤١ ليدن ١٨٦٦ وحركة التأليف باللغة العربية د . جميل احمد ص ٥ ، كراتشي بدون تاريخ . ومؤلفات أظهر المباركورى .

٢- للاطلاع على أحوال الهجاج انظر البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ١ - ١٣٩ بيروت ١٩٨٨ .

٣- فتوح البلدان ص ٤٤٠ ، الكامل لابن الأثير ٤ / ٢٢١ مطبعة السعادة مصر بدون تاريخ .

٤- فتوح البلدان ٤٣٧ .

٥- نفس المصدر .

٦- تاريخ المسلمين فى شبه القارة ، د . أحمد الساداتى ، ١ / ٥٧ ، مصر ١٩٥٧ ، تاريخ الإسلام فى الهند ص ٧٣ - ٧٤ .

٧- فتوح البلدان ، البلاذرى ٤٤٠ ، الكامل لابن الأثير ٤ / ٢٢٠ .

الهند خير للدولة ما أمر بعزله سليمان بن عبد الملك بعد وفاة الوليد وما حبسه فى سجن واسط بالعراق واشتد فى تعذيبه حتى مات فلم يكن أهله يرونه كما رآه مؤرخونا بل كان عندهم سفاحاً يستحق القتل.

نعم أسفرت حملته عن استقرار بعض الأسر العربية فى السند كالمهانيه فى سنجان (١٩٨ - ٢٢٧ هـ) والهبارية فى المنصورة (٢٤٧ - ٤١٦ هـ) والسامية فى ملتان (٢٨٠ - ٣٦٠ هـ) والمعدانية فى مكران (٤٣٠ - ٤٧١ هـ) والمتغلبية فى قصدار على ما ذكر بعض المؤرخين^(١) إلا أن هذه الأسر بقيت فى أماكنها فى الجزء الشمالى الغربى فى مقاطعة السند «فلم يكن فتح العرب للسند إلا احتلالاً لولاية واحدة فى أقصى الغرب، لا هى بالواسعة الرقعة ولا بذات الموارد الغنية والأرض الخصبة».^(٢) لأن المسلمين خرجوا بعد قليل عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم، وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصّة فلم ير للمسلمين ملجأً يلجأون إليه إلى أن وجهت إليها حملات فى العصر العباسى.^(٣)

والواقع أن انتشار الإسلام وماتبع ذلك من إنتشار لغته فى شبه القارة الهندية كانت وراءه عوامل أخرى أقلها التأثير العربى. منها أن بعض حكام الهنود مثل الملك زامورين فى ساحل مالابار فى القرن التاسع الميلادى أراد التودد الى المسلمين ودولتهم القوية سياسياً واقتصادياً حفاظاً على مصالحه، فأصدر أمراً يفرض على كل أسرة من السماسكين فى دولته أن تبنى واحداً أو اثنين من أبنائها على الديانة الإسلامية^(٤) وهذا نموذج لعله تكرر فى ولايات ومملكات هندية أخرى تماماً كما تفعل الدول الصغرى فى عصرنا مع القوى العظمى بمختلف الأساليب.

١- هندوستان مين عربون كي حكومتين ، القاضى أبر المعالى أطهر المباركپورى، كراتشى ١٩٦٧ ، ص ٢٢
٢- تاريخ المسلمين فى شبه القارة : ١ / ٨١ .
٣- فتح البلدان ٤٤٣ - ٤٤٤ .
٤- تاريخ الاسلام فى الهند ، ص ٦٧ .

ومنها أن المجتمع الهندي فى زمان ازدهار الدولة الإسلامية ساهى الضعف السياسى بسبب الصراع الدامى بين الديانات الهندوسية والبوذية والجينية ومن تبع كلا منها من الملوك فكانت الهند مشغولة بانقساماتها، مستاءة من دياناتها، تتوق إلى جديد وتشتاق إلى معرفة دين تلك الدولة العظمى التى يفصلها عنها بحر يعبره تجارها ويحملون معهم أخبارها^(١)

غير أن أهم عاملين فى نشر الإسلام ولغته العربية هما :

الأول : هجرة العلماء على نحو واسع من أكناف الدولة الإسلامية فى فارس وما وراء النهر بسبب القلاقل السياسية بحثاً عن ملجأ آمن يستقرون فيه سواء فى عصر اضمحلال الدولة العباسية وما صحبه من نشوء دويلات مختلفة فى بلاد فارس، أو بعد سقوط الخلافة العباسية واجتياح المغول لها، وإحراقهم وتدميرهم للمكتبات ودور الثقافة الإسلامية ومراكزها، ولم يكن أمام العلماء إلا الاتجاه من الشمال إلى الجنوب طلباً للأمن والدعة عند ملوك الدول التى نشأت فى الهند من القرن الحادى عشر حتى القرن الثامن عشر الميلادى ومن بينها دول فتية شجع سلاطينها العلم والعلماء، كالدولة الغزنوية والغورية والمغولية. هؤلاء العلماء أسسوا مدارس تحولت إلى مراكز إشعاع، انخرط فيها الطلاب.

الثانى : أقطاب العرفان الذين ساحوا فى شبه القارة منذ أيام الغزنوى فى القرن الخامس وظلوا يقدون إلى الهند من بلاد فارس حتى القرن الرابع عشر كالشيخ الهجويزى والشيخ اسماعيل البخارى وفريد الدين العطار ومعين الدين الجشتى وجلال الدين التبريزى وجلال الدين البخارى وبابا فريد شكركنج وعبد الكريم الجيلى تلميذ ابن عربى ومير شاه الجيلانى وبهاء الدين زكريا وقطب الدين بختياركاكى وجلال الدين سرخ بوش وغيرهم.^(٢)

١- تمدن هند بر اسلامى اثرات ، د . تاراجند ، الترجمة الأردية ، لاهور ١٩٦٤ ، ص ٥٩ وانتشار الاسلام فى العالم ، د . عبد الله الطرازى : ١ / ٤١ ، جده ١٩٨٥ .

٢- تمدن هند پر اسلامى اثرات ، ص ٧٩ وما بعدها .

أما التأثير العربي المباشر فى الأدب العربى فى شبه القارة فكان فى ساحل مليبار أو مالابار بجنوب الهند بعد أن استقرت به بعض الأسر الفارة من اضطهاد الحجاج ثم تلتها قوافل التجار خاصة فى العصر العباسى ولكن ما يؤسف له أن مصادر هذا التأثير لم يصل إلى أيدينا منها إلا قليل كما سيأتى بيانه وإن كان هذا لا يعنى عدم وجود مصادر وافية بلغات هذه المنطقة وفى مكتباتها وتحتاج إلى من يكشف عنها من الباحثين. وما ينبغى ذكره هنا هو أن الأدب العربى فى ساحل مليبار الذى يقطنه الشافعية من المسلمين الهنود - وهو ما سندرس نماذج منه - يعتبر نموذجاً للتأثير العربى المباشر فى شكل جماعى يمكن دراسته كظاهرة أدبية على عكس الحال فى شمال شبه القارة الذى تأثر الأدب العربى فيه فى أغلبه بالثقافة الفارسية. ومع ذلك فإن التأثير العربى المباشر فى شمال شبه القارة لمسناه فى شكل حالات فردية انصبت فى معظمها على الفرص التى أتاحت لهذا أو ذاك من الأدباء فى الاتصال بالبيئة العربية والاستفادة منها فاختلف أسلوبه عن أساليب الآخرين كما سنرى فى باب النشر وعند الحديث عن أعمال رضى الدين الصفانى ومرضى الزبيدى وعبد العزيز الميمنى، لكن هذا التأثير بقى كما قلنا رهن ظروف كل فرد على حدة ، فكان التأثير الفارسى ساد أغلب إنتاج الأدباء فى الشمال، بينما ساد التأثير العربى معظم إنتاج أدباء العربية فى الجنوب.

وقصدنا من هذا كله باختصار أن الإسلام واللغة العربية زحفا على أغلب الهند عبر فارس يشهد بذلك أهل الهند نفسها كما يشهد به أهل الغرب.

يقول الدكتور عبد الله مبشر الطرازى إن أول حملة بحرية للعرب على سواحل الهند كانت عام ١٥ هجرية فى عهد عمر بن الخطاب بقيادة عثمان بن أبى العاص واليه على البحرين دون أمر الخليفة الذى غضب عليه وهدده وتوعده ثم وافق بعد ذلك على فتح الهند «ولكنه اشترط أن تكون الحملة حملة برية عن طريق بلاد فارس»^(١)، بل إن حملة ابن القاسم ثم حملة الخراسانى فى العصر العباسى تمت عن طريق فارس^(٢).

١- انتشار الإسلام فى العالم : ١ / ٤٦

٢- فتوح البلدان ٤٣٧ .

ويقول عبد الحى الحسنى اللكنوى : «اعلم أن الإسلام ورد الهند من جهة خراسان وما وراء النهر فانعكست أشعة العلم على الهند من قبل تلك البلاد»^(١).

ويقول جوستاف لويون : «فغزاة المسلمين الأولون كانوا من الأفغان والترك وغزاة المسلمين الآخرون كانوا من المغول مع شئ من التمازج، وأما العرب الذين هم من أتباع محمد السابقين فلم يقيموا مستعمرات مهمه فى الهند وإن كانوا يجيئون إليها فى الغالب من بلادهم مجاوزين بحر عمان للتجارة فينشئون المستودعات ويستولون عنوة على أملاك فى السواحل الغربية نحو مصب نهر السند : (٢)

«فمسلمو الهند لم يدخلوا إلى الهند فى الحقيقة سوى حضارة العرب بعد أن تحولت بعض التحول فى بلاد فارس بفعل الأزمنة والأمكنة والاختلاط بالشعوب المغلوبة وذلك على درجات مختلفة ومع دوامها على التحول، وأدخل المسلمون معهم الى الهند نظم الدول العربية القديمة السياسية أيضاً وكانت هذه النظم السياسية تحمل فى تضاعيفها المحاسن التى أدت الى ازدهار الدول العربية فى ما مضى والمساوى التى أوجبت انحطاطها»^(٣).

هذا الاستطراد التاريخى اضطررنا إليه اضطراراً لأن السائد بين الدارسين أن ابن القاسم هو صاحب الفضل فى نشر اللغة العربية والدين الحنيف فى شبه القارة، وليس هذا بصحيح فإن اللغة العربية انتشرت بانتشار الإسلام على أيدي العجم وكان أكثرهم من أهل فارس، وإنما أردنا تأكيد هذه الحقيقة ونحن بصدد الحديث عن خصائص الأدب العربى فى شبه القارة لنعرف مكانة هذا الأدب وما عمل فيه من مؤثرات، ولننظر إليه نظرة تقدير لكونه أدباً عربياً أنتجة عجم خلص دون أن يكون للعرب فيه أكبر يد.

١- الثقافة الإسلامية ، دمشق ١٩٨٣ ، ص ٩

٢- حضارة الهند ، الترجمة العربية . مصر ١٩٤٨ ، ص ٤١٨ .

٣- نفس المصدر ص ٤٢٢ .

ومن أراد الاطلاع على حقيقة أن العرب ما اهتموا بنشر اللغة العربية وكتبها في شبه القارة كما اهتم بذلك المستشرقون والهندوس حتى أن منشئ نولكشور الهندوسى نشر أربعة آلاف كتاب معظمها من الكتب العربية والفارسية، فليراجع مقال الدكتور أحمد خان عن إسهام علماء شبه القارة في نشر الكتاب العربى، وهو مقال تناول بالتفصيل تاريخ دخول الطباعة في شبه القارة ودور المستشرقين والإدارات العامة والخاصة والمؤسسات العلمية في الهند وباكستان في نشر الثقافة العربية، والمقال قرىء في الموسم الثقافى الدولى بالكويت في نوفمبر عام ١٩٩٣م^(١).

ومن الأدباء من صرح بكون الفارسية وسيطاً له من النفوذ والأثر مثل محمد زمان خان (ت ١٢٩٢ هـ) في كتابه سفينة البلاغة في صناعة الانشاء والرسائل حيث قال في مقدمته :

« . . . غير أنى غيرت ترتيب الكلام حيثما اقتضاه المقام، واختصرت بعض التراكيب أخذاً للمرام، وحين نقلت بعض المآرب من الكتب الفارسية صرت ترجماناً بين العجم وأهل العربية»^(٢)

ومنهم من خلط الفارسية بالعربية في نظمه مثل محمد عباس التستري (ت ١٣٠٦ هـ) في منظومته أجناس الجناس، وأحمد الرسولبورى (ت ١٣٥٩ هـ) ومنهم من نقل المحسنات والبدايع الفارسية وتأثر بها حتى صار شعره العربى بعيداً عن مزاج اللغة وأهلها مثل غلام على آزاد البلكرامى (ت ١٢٠٠ هـ) وكل هذا سنراه سويماً بالتفصيل في فصول الكتاب .

وقد عقدت في إسلام آباد ندوة دولية في سبتمبر عام ١٩٩٣ م عن الروابط الثقافية بين إيران وشبه القارة ثم طبعت أبحاث المشاركين فيها في مجلدين

١- أطلعنى الدكتور أحمد خان رئيس قسم إحياء التراث الإسلامى بالجامعة الإسلامية الدولية بإسلام آباد على هذا المقال قبل سفره الى المؤتمر .

٢- سفينة البلاغة : ص ١٢ - ١٣ ، الهند ١٣١١ هـ .

يمكن لمن أراد المزيد مراجعتها ففيها كثير من الجوانب الهامة التي يضيق المجال لذكرها هنا ونشير إلى مقال الدكتور ساجد الله تفهيمي ومقال على جنتي ومقال الدكتور غلام سرور ففي هذه المقالات مادة كثيرة تؤيد ما نريد قوله هنا. (١)

ولنا أن نتخيل مدى تأثير الفارسية على بيئه الثقافة والأدب في شبه القارة من كتاب الأستاذ أحمد كلجين معاني المسمى بـ (كاروان هند) أي قافلة الهند والذي يقع في مجلدين عظيمين حيث أعد فيه قائمة بالشعراء الفرس الذين هاجروا إلى شبه القارة في العهد الصفوي فقط بسبب عدم تشجيع الصفويين للأدب وبسبب الأوضاع السياسية في إيران آنذاك، وقد بلغ عدد هؤلاء ما يقرب من ثمانمائة شاعر. (٢)

والذي لا شك فيه أن هجرات العلماء والأدباء من فارس إلى شبه القارة كان لها أكبر الأثر في نشر الأدب والدين واللغة العربية في شبه القارة وهو ما لم يتيسر للعلماء و الأدباء العرب الذين بقوا مقطوعى الصلة عن منطقتنا في أغلب الأحوال فلم يكن لهم تأثير يذكر.

ومن خصائص الأدب العربى في شبه القارة - ثانياً - أنه أدب نشأ حول الدراسات الإسلامية وفي أحضان المدارس الدينية، فلا عجب أن نرى فيه كثيراً من الشروح للكتب التي أدخلها العلماء في مقررات الدرس في مجال الأدب كالمعلقات وديوان المتنبي ومقامات الحريري والمطول والكافية والشاقية و ديوان الحماسة وقصائد البردة ويانت سعاد وألفية ابن مالك.

ومع أن أديباً كبديع الزمان الهمداني جاء إلى الهند واشتهر أمره فيها زمان السلطان محمود الغزنوى واشتهرت مقاماته ورسائله بين أدبائها وعلمائها وتوفى

١- مجموعة سخنرانيهای نخستین سمينار بيوستکيهاي فرهنگي ايران وشبه قاره ، ج ١ / ٢٠٨ -

٢١٤ / ١٠ - ٢٠ / ١٠ ، ٣٣ - طبع پاکستان ١٩٩٣ م .

٢- كاروان هند ، أحمد كلجين معاني ، ايران ١٣٦٩ هـ ش .

فى ٣٩٨ هـ بينما توفى الحريرى فى ٥١٦ هـ، إلا أن شيئاً من مقاماته أو شعره أو رسائله لم ينل حظه من اهتمام أدباء العربية فى الهند رغم رقة مقاماته وجودة رسائله وعذوية شعره. فلم أعثر إلا على شرح واحد لمقاماته ذكره عبد الحى الحسنى فى الثقافة الإسلامية بعنوان الياقوت الرمانى شرح مقامات الهمدانى لوكيل أحمد السكندربورى^(١) وليس ذلك إلا لأن كتب الهمدانى لم تكن داخلية فى مناهج المدارس الدينية، وقد ذكر الحسنى فى كتابه مناهج هذه المدارس فى أدوارها المختلفة وما أدخله علماء ايران فيها من كتب ذكرها مفصلاً فليرجع إليه من يشاء. (٢)

ولأنه أدب نشأ حول الدارسات الإسلامية نجد أدباءه إذا صنفوا فى فنون الأدب المحضنة أصروا فى مقدمات كتبهم على أن هذا خدمة للدين ولغته، أو ربطوا بين موضوع الكتاب وبين الدين بشكل أو بآخر، فصديق حسن القنوجى (ت ١٣٠٧ هـ) يقول فى مقدمة كتابه «نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان» :

«نحمد من زين رياض الوجوه بنرجس اللحاظ وورد الخدود وثمر أغصان القدود برمان النهود حمد من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وشبب بذكر محبوبه إن كان تهاميا فى حجاز أو شامياً فى توى. ونصلى ونسلم على من حث على تهذيب النفس الأبية عن الرذائل الدنية سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين يحبهم ويحبونه، ويقفون عندما أمرهم ولا يتعدونه، ما ذر شارق وهام عاشق ويعد، هذا بيان العشق والعشاق والمعشوقات من النسوان وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمان (٣)

١- الثقافة الإسلامية : ص ٥٤ .

٢- نفس المصدر : ص ٩ وما بعدها.

٣- نشوة السكران : ص ٢ ، الهند ١٢٩٤ هـ

وفى مقدمة ديوان أحمد الرسوليورى : « لا يخفى أن علم العربية من العلوم الدينية الإسلامية كما لا يخفى أن مسلمى الهند من أقدم العصور بذلوا سعيهم فى سبيل تعليم اللغة العربية ونشر المعارف الأدبية وكيف لا وبين الإسلام وبين علم اللغة العربية علاقة لا يستغنى عنها كل من أراد علم الدين والشرعة »^(١).

ومن خصائص الأدب العربى فى شبه القارة - ثالثاً - أنه أدب سلطانى تمحور حول الأبلطة، ورعاه السلاطين والأمراء والأغنياء، ومن ثم فهو أدب مبتور الصلة بالواقع، يمدح السلطان لأنه يبسط يده بالنعيم والعطايا، ويرثيه إذا مات، أو مات له قريب، أما البؤساء والفقراء والمجتمع بصورته الحقيقية فلا ذكر له فى هذا الأدب ذلك لأنه يدور مع السلطان حيث داء، حتى المناهج التعليمية فى المدارس الدينية وضعت تحت إشراف الأمراء والسلاطين والأغنياء^(٢).

وتحركات الحركة الأدبية وفق حركة السلاطين وأمراء الدويلات فى مختلف المدن الهندية فلما صارت ملتان مدينة العلم نهض منها كثير من العلماء، ثم لما صارت مدينة لاهور قاعدة الملك أيام الغزنوية صارت مركزاً للعلوم والفنون، ثم لما افتتح الغورى مدينة دلهى وجعلوها عاصمة البلاد المفتوحة من الهند صارت مرجعاً ومأرباً للعلماء إلى آخر الدولة التيمورية^(٣) وكذلك حدث فى كجرات والدكن وجونبور ولكنواوده بمدنها مثل بكرام وهركام وجائس وكاكورى وخير آباد وغيرها.

ونظراً لأن السلطان - أى سلطان - لا يحب العلماء المعارضين لتصرفاته ونزواته المخالفة للدين الذى يحكم الناس باسمه، انقسم العلماء إلى قسمين : أولهما : لا يعارض، وهؤلاء عاشوا منعمين مترفين، وثانيهما : يقول كلمة الحق

١- ديوان أحمد : ص ١ ، الهند ١٩٥٨ م

٢- المسلمون فى الهند ، أبو الحسن الندوي ، ص ٨٤ ، الهند ١٩٨٧ م وانظر حركة التأليف باللغة

العربية فى الاقليم الشمالى الهندى ، د . جميل أحمد : ص ٥٤ ، كراتشى بدون تاريخ.

٣- الثقافة الإسلامية : ص ١٠ .

ويلقى فى سبيلها الهوان والاضهاد، ذلك أن ممارسات وسياسات أغلب سلاطين الهند لم يكن للإسلام فيها كبير اهتمام بل خالفوا الشرع فى أكثر أمور حياتهم. (١)

جاء فى مذكرات الملك جهانكير ابن الملك أكبر : « علمت وأنا فى دلهى أن فتنة اشتعلت فى قنوج فأرسلت كتائب لإطفائها فقتل ثلاثون ألفاً من العصاة، وأرسل عشرة آلاف رأس مقطوع الى دلهى، وصلت عشرة آلاف جثة صلباً معكوساً فى سوق الشجر المغروس على جوانب الطرق العامة، وعلى ما ترى من المذابح لم تفتأ الفتن تنشب فى الهندوستان ولا تجدد ولاية من ولايات الدولة لم يذبح فيها خمسمائة ألف شخص فى عهدى وعهد أبى». (٢)

ولعل رسائل الشيخ أحمد السرهندى إلى أتباعه تصور لنا شيئاً من واقع المجتمع وسياسة من حكموا باسم الدين، يقول فى رسالة له : « واحزنناه، واحسرتناه، وامصيبتناه . . إن أتباع محمد ﷺ هو محبوب رب العالمين غرباء مهانون فى بلادهم، وأعداء مكرمون. إن الباطل بارز منصور، وإن الحق مخذول مستور» ويقول فى رسالة أخرى : «لقد أتى على الانسان والمسلمين حين من الدهر فى هذه الديار إذا عمل مسلم بحكم شرعى يسجن ويعاقب ويهان ويعذب، والديانات كلها حرة متمتعة بكل حق، لقد شمت بالمسلمين الأعداء، وسخروا منهم، وأصبحوا هدفا لكل تجريح وإهانة». (٣)

لكن شيئاً من هذا كله لم يحرك قرائح الأدباء والعلماء، فلم نجد عنه حرفاً فى ما أثر عنهم من نشر أو شعر عربى، لأن هذا الأدب سلطانى ولأن السلطان كان يعرف كيف يرضى الأدباء، فقد وزن الملك شاهجهان الملا عبد الحكيم السيالكوتى بالفضة مرتين

١- انظر تفاصيل ذلك فى حضارة الهند ص ٤٢٩ وما بعدها.

٢- نقلاً عن حضارة الهند ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

٣- الدعوة الإسلامية فى الهند، أبو الحسن الندوي ص ١٦، الهند ١٣٧٨ هـ

كما وزن القاضي محمد أسلم الهروی مرة بالذهب ^(١) وكانت هذه طريقة السلاطين مع أدباء وعلماء البلاط، وكانوا يعطونهم هذه الأموال. وقد وقعت في عهد شاهجهان هذا مجاعات حتى ذبح الناس أولادهم وأكلوهم بفتوى من العلماء ^(٢) وفي عهده تغلغل البرتغاليون، وسيطر تجارهم على الدولة وتعاضم خطر المبشرين. ^(٣) ولم يحرك شئ من هذا مشاعر أدبائنا، فبقى أدبهم حبيس أسوار البلاط، لا يرى ما في خارجها في أغلب الأحوال، وإذا رآه لم ينفع له، وسنمر على ذلك مرة أخرى حين نتحدث عن الأدب السياسي.

وفي مقابل هؤلاء العلماء أحباء السلاطين، كان هناك أقطاب التصوف وأهل العرفان الذين شكلوا في الهند دولة داخل الدولة خلال جميع العصور الإسلامية تقريباً. لكن السلاطين كان لهم معهم أسلوب آخر. حكى الاستاذ أبو الحسن الندوی يقول: «كان السيد آدم البنوری دفين البقيع يأكل على مائدته كل يوم ألف رجل، ويمشي في ركابه ألوف من الرجال ومئات من العلماء. ولما دخل السيد في لاهور عام ١٠٥٣ هـ كان في معيته عشرة آلاف من الأشراف والمشايخ وغيرهم حتى توجس شاهجهان ملك الهند منه خيفة فأرسل إليه بمبلغ من المال ثم قال له قد فرض الله عليك الحج فعليك بالحجاز، فعرف إيعاز الملك وسافر إلى الحرمين حيث مات». ^(٤)

وتاريخ الهند ملئ بما فعله السلاطين مع من لم يخضع لهم من العلماء، ومن الطريف أن أحد الباحثين هو الأستاذ السيد صباح الدين عبد الرحمن ألف كتاباً ممتعاً عن العلاقة بين سلاطين الهند المسلمين وبين العلماء والمشايخ، وكيف كان سلوك السلاطين مع المعارضين معهم وسلوكهم مع العلماء الدواجن، وقسم العلماء والمشايخ

١- المسلمون في الهند : ص ١٣٦ .

٢- هندوستان کی سلاطين ، علما اور مشائخ کی تعلقات برائیک نظر ، سید صباح الدین عبد الرحمن ،

ص ١١ - ٣٤ ، الهند ١٩٦٤ م .

٣- الثقافة الإسلامية : ص ٥٤ .

٤- المسلمون في الهند ، أبو الحسن الندوی ص ١٠٦ .

الى أقسام كأصحاب الفطرة الطاهرة النقية، والمشغولين بالتدريس والمدارس، ومعاوني السلاطين والحكام، والعلماء النفعيين، والشجعان الجاهرين بالحق، والناقدين للسلاطين وما إلى ذلك، فمن أراد المزيد فليرجع إليه. ^(١)

والأدب العربي في شبه القارة - رابعاً - لم يعكس العمق الحضاري الذي تيسر له بعد أن التقت على تراب أرضه حضارة فارس العريضة بحضارة الهند الخصيبة. وكان بوسع أدبائه الاستفادة من الأدب الفارسي وأخيلته وتنوع موضوعاته شعراً ونثراً، وتلقيحه بالآداب الهندية وأخيلتها، وانتاجها العريض المنظوم والمنثور، فتلد لنا قرائحهم بنات أفكار أدبية شكلاً وموضوعاً غاية في الحسن وآية في الجمال، خاصة وأنهم جميعاً عرفوا الفارسية وكتبوا بها، وتزاجوا بها وعاشوها ومارسوها بكل أبعادها ونظموا فيها، ولذلك اختفت - تقريباً - القصة والرواية نثراً وشعراً من هذا الأدب، وكان بوسعهم الاستفادة من فن المثنوى في نظم الروايات التاريخية أو قصص العشق التي امتلأت بها بيئة الهند وراجت في الأدب الفارسي رواجاً كبيراً.

كذلك اختفت القصة على لسان الحيوان وهو فن راج في الأدبين الهندي والفارسي. ولم أعثر إلا على نظم واحد في هذا المجال لكليلة ودمنة ذكره عبد الحى الحسنى في الثقافة الإسلامية ^(٢) مجرد ذكر ولا أظنه موجوداً في المكتبات إذ لم يذكر مؤلفه بل قال لبعض علماء البواهر أى طائفة البهرة.

واختص الأدب العربي في شبه القارة - خامساً - بتقليدية الموضوعات في أغلبه فمدح الرسول والأصدقاء والأمراء ورثاء الأحبة وأبناء الأمراء والسلاطين والزهد والعرفان هي الموضوعات الأساسية التي شكلت العمود الفقري للشعر العربي في شبه القارة، اللهم الا عند بعض الشعراء المتأخرين مثل فيض الحسن السهارنبوري في القرن العشرين حيث هجا مدينة لم تعجبه، وكتب مشاعره حين دخل اللصوص بيته

١- نزهة الخواطر، عبد الحى الحسنى اللكنوي: ٥ / ٣٠، الهند ١٩٧٦ م.

٢- تاريخ المسلمين في الهند: ١ / ٢٤ - ٢٥.

وسرقوا متاعه، ووصف حاله وبعض جوانب مجتمعه كما سنقف على ذلك ونحن نتحدث عن ديوانه.

وتقليدية الموضوعات استلزمت عدم التجديد إلا فى قليل. أما الشكل فقد وقفنا على محاولات عند شعراء كالمفتى محمد عباس التستري الذى استفاد من المثنوى (المزدوج) فى منظومته أجناس الجناس، وآزاد البلكرامى الذى حاول ادخال الغزل - وهو قالب من قوالب النظم الفارسى والأردى - ليستوعب معانى عربية، وكذلك نظمه فى المستزاد والترجيع بند وهى قوالب تشبه المخمسات والمسدسات والمسمطات التى اشتهرت فى عصور اضمحلال الشعر العربى فى البيئه العربيه، ومثل الرباعيات على الأوزان الفارسيه التى نظمها محمد أفضل فقير أو محاولة النظم الحر الحديث عند الدكتور خورشيد رضى وكلاهما شاعر معاصر.

غير أن هذه المحاولات فى مجملها لم يكتب لها الاشتهار لأنها اختارت قوالب هندية أو فارسيه خالصه لم يعرفها العرب، باستثناء محاولة الدكتور رضى. وقد ناقشنا ذلك كله بارتياح فى الفصل الذى عقدناه لمحاولات التجديد. وبالجملة فإن الأدب العربى فى شبه القارة لم يجدد أصحابه فى الموضوعات بقدر ما حاولوا ذلك فى القوالب والأشكال.

والخصوصية السادسة للأدب العربى فى شبه القارة أنه أدب ارتبط بحقبه تاريخية معينة كانت للمسلمين فيها السيطرة على مقاليد الحكم حتى وإن كانت سيطرة ضعيفة، فلما زال حكمهم واحتل الانجليز الهند اضمحل الأدب العربى فلما استقلت الهند انتهى الأدب العربى، وبقي تعليم اللغة العربية فى المدارس الدينية والجامعات سيفاً خشبياً لا يفيد فى شئ، وأصبح تعلم اللغة للبحث عن عمل فى دول العرب الثرية، لا لما فيها من أدب ولا لينتج الدارسون فيها أدباً. ذلك لأن الانجليزية أصبحت لغة الحضارة فقضت على الفارسيه والعربية وما ارتبط بهما من لغات وثقافة وأدب. أضف إلى ذلك ضعف المناهج فى مراكز تعليم اللغة العربية فى الجامعات والمعاهد والمدارس الدينية، وانقراض الأساتذة وقحط العلماء.

والخاصة السابعة لهذا الأدب أن نضجه لم يخضع لدورة الحياة الطبيعية فى الآداب بحيث نستطيع تمييز أدواره ومميزات كل دور منها كما هو الحال عند الحديث عن الآداب الأخرى، فنشوء الآداب وارتقاؤها يقتضى أن تسير الحركة الأدبية سيراً طبيعياً فتنشأ ضعيفه ، ثم يشتد ساقها وتورق ثم تثمر الى أن تشيخ وتذبل ، لكن هذا لم يحدث فى الأدب العربى فى شبه القارة ، فالإغراق فى الصنعة اللفظية مثلاً عند أبى الفيض بن المبارك المتوفى عام ١٠٠٤ هـ نجده أيضاً عند عباس التسترى فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ونجده بعينه عند فضل الحق الخير آبادى المتوفى ١٢٧٨ هـ أى فى القرن الثالث عشر الهجرى. فأبو الفيض بن المبارك يقول فى وصف كتابه سواطع الإلهام : (١)

صراح لأصل الأصل طرس مطهر	سواء لكل الكل علس مطهم
امام همام للكلام مؤول	صلاح سديد للسلام مسلم
مدار مراد للمدارك مطرح	ملاك كلام للمعلم معلم

ويقول المفتى محمد عباس التسترى : (٢)

لطفنا لنا وأنزلت الكتابا	وتغفر إن يكن ذو الشرك تابا
هو المولى ونحن له عباد	ومن سلكوا خلاف الشرع بادوا
يكرم بالعطايا من أتاه	ومن يجحد بنعمته فتاهوا

ويقول فضل الحق الخير آبادى : (٣)

فؤادى هائم والدمع هامى	وسهدى دائم والجفن دامى
وقلب ما فتى بجوى ولوع	ولوع فى اضطراب واضطرام

١- نفس المصدر: ١ / ١٩٢ .

٢- الثقافة الإسلامية : ص ٤٩ .

فأنت ترى فى هذه الأمثلة أن الصنعة اللفظية هى ما يشغل قائلها على تباعد السنين والأعوام بينهم . كذلك لا نستطيع التفريق بين سهولة نشر عبد الحكيم السيالكوتى المتوفى ١٠٦٧ هـ وبين أسلوب الصغانى المتوفى ٦٥٠ هـ أو عبد الرحيم الصفى بورى المتوفى ١٢٦٧ هـ، على أساس التقسيم الزمنى إلى حقب وأدوار.

وهذه الخاصة فى اعتقادنا تعود إلى أن الأدب العربى فى شبه القارة رغم عظمتها قد غرس فى بيئة غير بيئته فلما نمواً غير طبيعى، فنحن إن جئنا ببذور أشجار وغرسناها فى غير بيئتها قد تصح منها فرادى، ويموت ويذبل كثير، وينشأ بعضها أعرج السوق أو مريض الأغصان أو مر الثمار، فتبقى صحة النشأة مرتبطة بجودة البذرة، وحسن الغرس والتعهد لكل شجرة على حدة. وهكذا الأمر فى ما وصل إلى أيدينا من إنتاج أدبى بعد فحصه ودرسه، فكل أديب من أدباء العربية فى شبه القارة اعتمد إنتاجه على مدى صلاحية قريحته ومزاجه وحسه الأدبى وأستاذه وظروف تربيته وتعليمه وربما أصله، دون أن يكون للدور الزمنى فى رسم سمات إنتاجه دخل.

ويرى الدكتور ظهور أحمد أظهر أن بعض هذه الخصائص كان له دخل فى اضمحلال هذا الأدب علاوة على عوامل أخرى، ففى مقال عن بواكير الشعر العربى فى شبه القارة عدد هذه الأسباب كما يلى :

١- القوة السياسية العربية كانت قد انتهت ولم تعد تمد الحكم العربى فى السند وملتان وما إليهما من المناطق، تلك القوة السياسية التى تعول عليها اللغة دائماً فى السيادة والنفوذ التى كانت قد جعلت من العربية لغة البلاط الحكومى والديوان فى السند الغابر كما جعلت منها لغة التخاطب والسوق وقد انتهت هذه القوة السياسية بسبب ضعف الخلافة العباسية وانحطاطها ولم يعد الحكام والولاة يستمدون قوتهم واستنادهم من الخليفة فى بغداد وإنما كان الحكم لمن غلب وقهر غيره خلال الجو الفوضى الذى سبق الحكم الغزنوى فى هذه المناطق التى تتكون منها باكستان اليوم.

٢- وقد كان من الطبيعي أن تنقطع الصلات الثقافية المباشرة بين بلاد العرب وعواصمها الأدبية والثقافية وبين بلاد شبه القارة وذلك بعد نهايته الحكم العربى واستقلال المتغلبين من الحكام وحين سدت الطرق فى وجوه المتوافدين من جهتين وانقطع التبادل الثقافى المباشر ولم يتصل بعد ذلك حتى يومنا هذا.

٣- وقد كان من بين العقبات التى حالت دون العربية وآدابها فى جنوب آسيا هو ذلك الأسلوب الأدبى المتكلف المتصنع من السجع والقافية والكلمات الوحشية الغربية ذلك الأسلوب الذى اختاره بديع الزمان الهمذانى وأبو القاسم الحريرى وأضرابهما فقد كان أسلوباً ثقيلاً عقيماً وعقبة خطيرة هائلة فى سبيل العربية بل كان هذا الأسلوب المتكلف العقيم جناية كبرى على العربية وعلى مستقبلها الزاهر كلغة وحيدة للعالم الإسلامى كله فقد عرقل هذا الأسلوب سيرها وأثقلها على الألسنة فلولا هذه الجناية الكبرى على العربية لما كانت الفارسية السهلة السلسة الحلوة التى حلت محل العربية، ولولا الفارسية حلت محل العربية فى إيران وما إليها من البلاد لكانت العربية هى اللغة الوحيدة للموكب الإسلامى الحضارى أينما كان وحيثما حل.

٤- وأما القائمون بخدمة اللغة العربية وآدابها فى شبه القارة فقد ضلوا هم الآخرون طريقهم وغاب كل شئ عن نواظرهم غير الأسلوب المتكلف العقيم من السجع والقافية فراحوا يتلاعبون بالألفاظ دون المعانى واكتفوا بما وصل إليهم من لعبة الألفاظ وشعوذتها فعكفوا عليها يتلاعبون بها وحين لم يعد من مقدرتهم أن يتلاعبوا بها وقفوا حائرين مندهشين أمام ذلك الأسلوب المتكلف العقيم ولا يزالون كذلك حتى اليوم.

٥- ثم جاءت أخطر مرحلة من تاريخ العربية وآدابها فى شبه القارة وذلك حين لم يقدروا على التعبير أو قل على التكلف والتصنع فقرروا أن يتعلموا العربية ويعلموها كلغة ميتة لا تفهم ولا تكتب كالسينسكرىتية والإغريقية واللاتينية من

اللغات القديمة العتيقة الميته واكتفى المدرسون بأن يقرأوا النص العربى للطلاب
ثم يترجموها لهم إلى لغة محلية فقط وهذه هى الحال التى نحن عليها فى
باكستان اليوم ^(١) .

وقد لا يختلف الحال فى الهند عنه فى باكستان كثيراً، مع كون أدباء العربية فى
باكستان فى وضع أفضل، يشجع على تعلم العربية ودراستها وتدريسها والكتابة بها .
وهذه هى خصائص الأدب العربى فى شبه القارة أوجزناها هنا باختصار وإجمال
تاركين التفاصيل الى حين نتحدث عن سمات كل فن من فنون هذا الأدب مستقلاً
برأسه .

١ - مجلة المجمع العربى الباكستانى ، لاهور ، العدد الثانى ، نوفمبر ١٩٩٣ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

٣- محاولات التجديد

هذا العنوان أطلقناه - متساهلين - على جميع محاولات الأدباء والشعراء الذين حاولوا إدخال معان أو قوالب شعرية لا يعرفها العرب العاربة، حتى وإن لم يقصد أصحابها التجديد.

فهى محاولات جديرة بالدراسة عند نقاد الأدب العربى فى شبه القارة ، لا يستطيعون أن يَمروا عليها مر الكرام ، لكن هذه المحاولات لم تقع فى فنون النثر كلها بل فى فن البلاغة وحده، مع ظهورها فى الشعر بكثرة.

وفارس هذا الميدان هو غلام على آزاد البلكرامى الذى عرف بكثرة إنتاجه مما اقتضى تأمل جهوده بعنايه بغية استكناه المقصود منها. وإن كنا لا نعدم وجود محاولات أخرى تشبهها من قريب أو بعيد.

يقول آزاد فى كتابه الشهير سبحة المرجان فى آثار هندوستان أثناء حديثه عن فنون البديع :

«وأما الأهاند فهم مبدعون فنونهم، وما هصروا إلا غصونهم . . . ثم إن قدماءهم الذين كانوا قبل زمان الإسلام استخرجوا من الكلام بدائع وافية، واستنبطوا من رشحات الأقلام صنائع شافية منها مشتركة بين العرب وبينهم كالتورية وحسن التعليل وتجاهل العارف والمراجعة والاستعارة والتشبيه والجناس والسجع وغيرها. ومنها مختصة بالعرب كاستخدام المضمهر وحسن التخلص والتاريخ على قاعدة الجمل وغيرها، ومنها مختصة بالهند، وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية الى العربية، فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند، وبعضها يقبل النقل فنقلت عنها نبذة وجدتها

فائقة وألحقت بفن الأدب جملة رائقة، وأرجو من العرب العرياء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراند، ولما شمرت ذيل الجهد فى هذه الميادين، وعمدت على استخراج الأمثلة عن المجاميع والدواوين سخت لى نبذة من الأنواع وظفرت بأقراط ثمينة للأسماع، فاخترت من الأنواع الهندية ثلاثاً وعشرين وسميتها فى العربية بأسماء مناسبة بمسمياتها...»^(١)

فأنت ترى فى هذا الكلام أمرين أولهما إثباته السبق فى فنون البديع لفصحاء الهند، وثانيهما أنه نظر فى أنواع البديع عند قدماء الهنود ثم استخرج من شعر العرب ما ينطبق عليها وسماها بأسماء من عنده تناسب حالها وفحواها، وادعى بعد ذلك أنه أول من اخترع كذا وكذا من هذه الفنون ..

ونسوق هنا مثالاً لما فعل، يقول : «التنزيه ، هذا النوع استخرجه بعض الأهاند فى مقابلة التشبيه، وهو أن يبرئ المتكلم شيئاً عن أن يماثله شئ آخر كقوله تعالى ليس كمثله شئ وقوله تعالى إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد، وقول حسان فى مدح النبى (ﷺ) :

وأحسن منك لم تر قط عيني	وأحسن منك لم تلد النساء (كذا)
خلقت مبساً من كل عيب	كأنك قد خلقت كما تشاء

..... وقول ابن الفارض :

فلم أر مثلى عاشقاً ذا صباية	ولا مثلها معشوقة ذات بهجة
وقولى من قصيدة نبوية :	

فرد جليل لا يشاهد مثله	من ثم رؤيته شفاء الأجل
------------------------	------------------------

١ - ٢ : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ . الهند ١٩٨٠ .

ويسوق سبعة أمثلة أخرى من نظمه . (١)

وفات آزاد أن ألوان البديع قدر مشترك بين آداب العالم كله ، يزيد البعض فيها ألواناً هنا ، وينقص آخرون بعضها هناك ، ولا يعنى وجود نوع أو أنواع منها عند قوم وفى أدب لغة ما أن لهؤلاء القوم سبقاً على الآخرين ، فالهنود تصالحوا على أنواع تناسب أدبهم وخصائصه ، والعرب وضعوا لأنفسهم منها ما يناسب مزاجهم وأدبهم وكذلك فعل اليونان والفرنسيون وغيرهم من الأمم ، لأن هذا الضرب من الفنون ينمو نمواً طبيعياً مع اللغة ووفق معايير بيئتها ، ومحاولة فرض البديع العربى على البديع الانجليزى مثلاً عبث وهراء لا يستفاد منه بشئ ولو أن آزاد قارن بين هذه المحسنات فى اللغات التى يعرفها أى العربية والهندية والفارسية ، وقدم لنا بحثاً شيقاً حول هذا لكان إمام عصره وعصرنا فى هذا المجال ، ولاستفاد من جهده طلاب الأدب فى اللغات الثلاث.

ثم ان آزاد قال فى عبارته السابقة : « وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراند » فهذا قياس نظنه فى غير محله لأن الفنون الأدبية لا تقاس بحال على المصنوعات المادية التى تباع فى الأسواق وتشتري ، لأنها لا تشبهها فى شئ ، نعم هناك بضائع مستوردة عبر التاريخ فى كل البلاد لكنها أيضاً تخضع للذوق فى كل بلد على حدة ، وما سمعنا بفنون بلاغية ومحسنات بدعية استوردها قوم وأدخلوها فى أدبهم ادخالاً ، لأن هذه الأشياء مربوطة بحس كل قوم وذوقه ومزاج لغته وطبيعة نشأتها وأدبها وخيالها الذى نما وتشربته أنسجتها عبر قرون ، وشكلتها عناصر النشأة الطبيعية مثلها فى ذلك مثل أى لغة ، وليس من الممكن ولا من المعقول إدخال شئ فيها بطلب من أحد.

ومحاولات التجديد التى أثنى هو عليها وأثنى عليها بعض الباحثين (٢) واعتبروا صاحبنا قد امتاز بها على العرب والعجم فى مجال الأخيلة ، مبنية فى

١ - سبحة المرجان ٣ : ٤٢ الى ٤٥ .

٢ - انظر حركة التأليف ، ص ١٣٧ .

أصلها على سوء فهم. خذ لذلك مثلاً إدخاله بعض ما يتعلق ببيئة الهند في الشعر العربي كقوله :

تعالوا واسمعوا ملح الأغاني عن الورقساء ثم الكوئلاء^(١)

فطائر الكوئلاء طائر مغرد في شبه القارة يعرفه أهلها ، ويطربون لصوته ، ولن يطرب له العرب أو يدركوا ما في شعر آزاد من صورة ومعنى يتعلق بهذا الطائر ، ولو نظم آزاد فيه وفي حسنه ألف بيت ذلك أنه طائر غريب الاسم والصفات عن بيئة العرب.

وكقوله مثلاً عن الغراب :

سمعت غراب الهند يضحى مبشراً بعود حبيب ياله من مبشر
ألا يا غراب النجد أنت شقيقه فمالك تؤذى هائماً بالتطير^(٢)

فأهل شبه القارة يتفاءلون بالغراب والعرب تتشام به ، ولن يتركوا ذلك بمدح آزاد للغراب لأنه مرتبط بتاريخ اجتماعي عريق لا يمكن تغييره ، وسيبقى الغراب أولاً لوصل الأجابة في شبه القارة كما سيبقى رمز نحس وفراق عند العرب لا يغير ذلك قول الشعراء. وليت آزاد عامل الغراب في الشعر العربي وفق أحاسيس العرب كما فعل غيره من شعراء العربية في شبه القارة حين قال :^(٣)

قصدي لقاء سليمي قصد مفتقد عندى النوى وغراب البين قد نعقا

نظم آزاد بالعربية في قالب الغزل وهو قالب معروف في الشعرين الفارسي والأردى ينظم الشاعر فيه أبياتاً لا تزيد عن اثني عشر ، ومن سماته أن كل بيت فيه وحدة قائمة برأسها وأنه ينتهى بالتخلص وهو الاسم الذي يختاره الشاعر لنفسه. وكأنه يمهر به قصيدته في النهاية، لكن شاعرنا لم يحافظ على مواصفات الغزل كما هي في الأردية والفارسية بل خرج عن الحد العددي في كل ما نظم من هذا النوع، يقول مثلاً :

١- حركة التأليف ص ١٣٧.

٢- نفس المصدر ١٣٨.

٣- هو محمد بن هادي الحسيني الكالبوي ، الثقافة الإسلامية ص ٥٢.

أتعلم فى مودتها رباحى	فقدت عقيق قلبى بالبطاح
فيا للفوز إن وجدته سلمى	وتجعله نظيماً فى الوشاح
لقد سفكت دمي بأبى قبيس	وما ائمتى سوى عدم الجناح
ولم أك راجياً من سوحها ان	توشح عساتقى بدم الذباح
فيا المذاق من حليت دماء	وأدركت المرارة فى السمباح
ذوات الحسن يقتلن البرايا	ولا يخشين تلويث الصفاح
لواظهن سافكة وليست	يلوثها دم ياللسلاح
وألحاظ الخرائد حين تجفو	مريضات بهن قوى الصحاح
رأيت مطوقاً يبكى حزيناً	على فقد الشقائق والأقاحى

ويستمر على هذا النهج فى قصيدة تصل الى سبعة وعشرين بيتاً الى أن يقول :

تعالى الله أحيانى نسيم	أتانى من سليمى فى الرواح
أروم الاستقامة منه عندى	وأين الاستقامة فى الرياح
أطال النصح توام جهول	وقانا الله عن هذا النباح
أما يدرى صرط مستقيم	رضا الانسان بالقدر المتاح
شرينا من مودتها رحيقا	وفرنا منه بالكأس الصراح
ترقرق فى طلوع السكر دمعى	وقلبى ضاحك فليبك صاحى
سعى آزادنا سعياً جميلاً	فألفى العشق من سبل النجاح ^(١)

١- مختار ديوان آزاد ص ٢٩ - ٣٠ ، الهند ١٣٢٨ هـ .

ولا يخفى عليك ما فى «وقانا الله عن هذا النباح» من مخالفة فإن وقى لا يحتاج إلى حرف جر وإن كان لا بد منه فهو من وليس عن. وما أردنا هنا الا التمثيل لنهجه فى النظم العربى على قوالب الغزل الفارسى والأردى. وقد شاركه فى هذا النهج غيره دون مراعاة لخصائص الغزل مثل طلا محمد (ت ۱۳۱۰ هـ) وهو شاعر آخر طويل النفس فى النظم، ففى تشطيره للقصيد العينية لابن الفارض وهو ما جاء فى مائة وستة وعشرين بيتاً أنهاء بالتخلص كما ينهى الغزل فقال :

وأيد بنور كى يقسول له طلا أبدر بدا من جانب الغور لامع ؟ (۱)
وكذلك فعل فى قصيدة أخرى فى مدح أهل الحديث طولها سبعة وثلاثون بيتاً،
وأخرى طولها ستة وأربعون بيتاً. (۲)

كذلك أدخل آزاد الترديف وهو من خصائص الشعرين الفارسى والأردى وهو أن يلزم الشاعر كلمة واحدة أو أكثر يكررها فى المطلع وفى نهاية كل بيت بعد القافية. قال صديق حسن فى كتابه غصن البان يقارن بين خصائص الشعر العربى والفارسى والهندي :

« ... والأوزان الفارسية أكثرها فى غاية المطبوعية بخلاف العربية والهندية، والنظماء من الفرس أو ممن يتقلدهم كأهل الهند ينظمون الشعر من غير علم بالعروض الفارسية ومع هذا لا يخرجون عن الوزن لأن الأوزان الفارسية يعرفها من له أدنى سليقة لما فيها من غاية المطبوعية، وأما العجمى الراغب فى الشعر العربى فعليه أن يتعلم العروض العربية وألا تزل قدمه عن جادة الوزن، نعم قد خرج عن الوزن جماعة من فحول الشعراء من العرب فكيف الأعاجم ؟ ومنهم المتنبي فى قوله :

تفكره علم ومنطقه حكم ويا طنه دين وظاهره ظرف

۱- طلا محمد خان كے احوال و آثار ، بحث مقدم من الطالب محمد أشرف للحصول على درجة الدكتوراه فى اللغة العربية من جامعة البنجاب ، باكستان عام ۱۹۸۸ م ، ص ۱۳۰ إلى ۱۳۵ .
۲- طلا محمد خان كے نفس المصدر ۱۶۵ و ص ۱۶۹ .

وحال الشعر الهندي أيضاً كذلك لا يعرف أكثر أوزانه إلا بعد تعلم العروض الهندية. ولشعراء الفرس الرديف وهو عبارة عن كلمة مستقلة فصاعداً تتكرر بعد الروى ويسمى الشعر المشتمل عليه مردفاً من الترديف وهو يزيد الشعر جمالاً ويلبس بنات الأفكار خلخالاً، وبه يتنوع النظم الفارسي على أنواع لا تحصى وأقسام لا تستقصى، ولا رديف فى شعر العرب وإن تكلف أحد بالتدريف لا تظهر له جلوة مثلما تظهر فى شعر الفرس ولا موجب له إلا خصوصية اللسان. وفى ديوان الشيخ عبد العزيز اللبباني قصيدة مردفة وكذلك فى ديوان الزمخشري ولأزاد البلكرامى ديوان مردف» (١)

يقول آزاد :

عين الصواب جناية الحسناء	قتل المحب عناية الحسناء
ترجيم قبرى بعد دفن الجسم من	رجم الغوير رعاية الحسناء
نبكى على قتل النساء ترحماً	شتم القتييل رثاية الحسناء
تعدو على العشاق غزلان الحمى	هذا الجفاء بناية الحسناء
جور الظالم فى الأباطح شائع	سند لهن بداية الحسناء (٢)

إلى آخر القصيدة . وأنت ترى أن همه فى هذا توفيق الكلمات ولو كانت بلا معنى، وقد نظم قبله مسعود سعد سلمان (ت بعد ٥١٥ هـ) شعرا يشبه المردف بشكل أو آخر مما يسمى بذى القافيتين قال فيه :

يا ليلة أظلمت علينا	ليلاء قارية الدجنة
قد ركضت فى الدجى علينا	دهماء خدارية الأعنة
فبت أقتاسها فكانت	حبلى نهارية الأجنة (٣)

١- ص ٥ ، ٦ ، القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .

٢- ديوان آزاد ص ٧٨ .

٣- سبحة المرجان : ١ / ٦٩ .

غير أن أجود محاولة للنظم المردف فى الأدب العربى فى شبه القارة حتى الآن هى ما قام بها محمد حسين اقبال استاذ اللغة العربية بالكلية الحكومية فى مدينة فيصل آباد الباكستانية وهى فى مدح الرئيس العراقى صدام حسين خلال أزمة الكويت عام ١٩٩١ م قال فيها :

ويظنة أهل البلاد حبيبهم	فعلى قرار فؤاد حيران سلام
ملك سديد القول عن حرية	فعلى مقطع قيد إنسان سلام
أضحى مثالا للبطولة فى الورى	فعلى مبيد جنود شيطان سلام
لم ينس فى الهيجا عبادة ربه	فعلى محافظ حصن إيمان سلام
هو ينتمى لسلالة علوية	فعلى مريد ولى جيلان سلام
متمسك بالحق متبع الهدى	فعلى التعبير برمز قرآن سلام
وعلى رشيق القد صدام سلام	وعلى عظيم الجند صدام سلام
وعلى وحيد العصر صدام سلام	وعلى فريد الدهر صدام سلام ^(١)

ويبدو أن الشاعر حذف من أولها أبياتاً لحاجة فى نفسه ، ومع ذلك فقد خرج على التريديف فى آخر بيتين - هذا القالب الشعرى لا يبدو فى الجمال والفن الذى نراه فيه حين يأتى فى إطار قالب الغزل فى الشعرين الفارسى والأردى وذلك لأنه قالب دخيل على العربية أصلاً وربما لم يوافق مزاج شعرها ومن ثم لم يشتهر .

ولم يخرج عن الاهتمام بالشكل والقالب غير فيض الحسن السهارنبورى لأنه اهتم أكثر بالتجديد فى موضوعات الشعر فنظم به كما ينظم شعراء العرب أحاسيسهم فيقول مثلاً :

عبثن يصب كان بالبيض عابثا	ولم يك ممن ينكث العهد ناكثا
حلفت ولما لم أجد عنك سلوة	حنثت ولولا أنت ما كنت حانثا
لعمرك لا أنسى غداة لقيتها	وما كان فيها ما سوى الله ثالثا

١- ديوان حديث النفس لمحمد حسين اقبال القادري ص ١٩٧٦ ، طبع المجمع العربى الباكستاني ، لاهور ١٩٩٥ م .

ومما ليلة طلق ألد من التى
ولولا العدى لا بارك الله فى العدى
عهدت بها فيها فبت محادثا
لكننت لديها سائر اليوم لابتسا (١)

ويقول حين سرق متاعه :

كمثلنى إذا السراق راحوا بمنفسى
جلست كأنى لم تصبنى مصيبة
أتانى رجال من محب ومبغض
فميزت بين الغش والنصح منهما
وغودرت كالبيير التى هى نازح
وما كاد يبدو ما تكن الجوانح
يعزوننى والصدق كالكذب واضح
وهل يستوى فى الطعم عذب ومالح (٢)

فكان السهارنپورى أول من خرج بالشعر عن تقليدية الموضوعات ، وسنرى ذلك عند الحديث عن ديوانه . وكما نظم آزاد بالعربية فى قالب الغزل نظم كذلك فى قوالب أخرى كالترجيع وهو تسعة أبيات يتكرر بينها فاصل بعينه ، وقد نظم فيه الفرس كثيراً ، ويشبه المسمط الذى شاع فى عصور الضعف فى الشعر العربى ، يقول آزاد :

مولاي حزننت فى هواكا
ألفيتك فى الضياء شمساً
والله لقد أهنت ضيفاً
يزداد ضنأى كل آن
هل تقبل فى كراى ليلاً
شكراً لك أن رفعت قدري
لو لم تك ساكناً بقلبي
أهلاً بك سيدي وسهلاً
أقبلت على مستعداً
من يكشف غممتى سواكا
يذرى العبران من يراكا
من ينزل بعده حمأكا
حتام أذوب فى نواكا
أو تطلبنى إلى كراكا
ما لى شركاء فى جفاكا
أنأ لجعلته فداكا
أهديت لمقلتى سناكا
أن تفرق فى دمي ظهاكا

إن ذقت الموت لا أبال

حياك الله ذو الجلال (٣)

١- ديوان الفيض ص ٨ ، الهند ١٣٣٤ هـ . ٢- نفس المصدر ص ١٤ ،

٣- ديوان آزاد ص ١٤ .

ويكرر البيت الأخير بين المقاطع . وقد نقل في هذا النظم الطويل بعض الأ.
عن شعراء الأردية كقوله :

لا تعسرف في الهوى مكاني والعاشق شاهر الحسان
وقوله في بيت آخر :

أنس لك بالكتساب لكن لا تقرأ غير لن ترانى ..
فى شتمك للمحب عز يشريه بقيمة الجمان^١

فهذه أخيلة ترددت فى الشعر الأردى كثيراً .

كذلك نظم آزاد فى شكل آخر فارسى أيضاً هو المستزاد فقال :

وقفنا على طرة المنحنى بإيمانها وما كان علم لنا ههنا بإيذا
ورت فى فزادى نار الجوى بإيراتها فمن لى من أهل وادى القرى بإطف
أيا من يسائل عن حالتى فقدت فزادى أمام الربى بجر
فياليتنى أحتظى بالردى إلام أقاسى صنوف الأذى بشه

وهكذا إلى أن يقول :

همت أدمعى يوم لقيانها فعطفنا على هيمان الندى بص
أذاب الأطباء أبرأونا فباليت سلمى تزيل الضنا بإبرا
آزاد يرغب فى دولة إذا لم يكن فـئـائـزاً باغنا

ولقد كان من الممكن أن يشتهر آزاد عند العرب لو أنه نظم فى هذه القـ
معانى صافية سهلة يتغنى بها الناس ، ويلحنها الملحنون كما لحنوا الموشحات ،

١- ديوان آزاد ص ١٠٠ .

٢- نفس المصدر ص ٨٨ - ٨٩ .

اشتغل بحشو القوالب بكلمات توافق الوزن بصرف النظر عن معانيها ، لأنه اهتم بالقالب والشكل ولم يهتم بالمعنى والمضمون ، ولذلك لم يوفق ولم يشتهر وأخفقت محاولاته ومحاولات من حاول مثله وقد استخدم آزاد فى آخر بيت كلمة دولت بمعناها فى اللغة الأردية أى ثروة بعد أن ربط التاء فصار الكلام غير مفهوم البتة. والشعراء بعد آزاد لم يستفيدوا من التجارب رغم مرور سنوات طويلة فصلت بينهم وبين تجاربه ، بل كرروا نفس المحاولة ، فهذا محمد أفضل فقير وهو شاعر معاصر ينظم فى قوالب الرباعى الفارسى بأوزانه الأربعة والعشرين فيقول مثلاً :

محبوب المولى ساد الأسلاف كالخير حوى جزاؤه أضعافا
بالنعت لمن والاه استكram قد كان الرحمن له وصافا

× × × × ×

شمت نفحات لطفه الأقطار قرت بضياء حسنه الأبصار
قد شرفنا به إله الخلق من فى بدء الخلائق المختار

× × × × ×

أخلاق حبيب الكونين الاعجاز تبشير التيسير وللدهر طراز
تعظيم المصطفى القلوب ادخرت ذاك التقوى له العلى والإعزاز^(١)

× × × × ×

فأنت ترى أن هذه المحاولة تكاد تقترب من النثر لكنه نشر غير مفهوم لأن صاحبها اهتم بملء القالب الفارسى بألفاظ عربية ونسى أن أوزان الشعر ما وضعت فى أى لغة اعتباطاً ، وإنما وضعت على نحو يناسب أداءها للمعاني وحملها لألفاظ تلك اللغة ، فما يصلح للفارسية لا يصح بالضرورة للعربية إذ لكل لغة خصائصها.

١- شأبيب الرحمة ، الحافظ محمد أفضل فقير ، لاهور ١٤١٣ هـ ، ص ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٤ .

وهناك صنعة أخرى حاول انشاء ها أبو الفيض بن المبارك وهي صنعة الإهمال وقد برع فيها في النشر فألف تفسيراً كاملاً للقرآن بها ليس فيه حرف منقوط، كما أنه نظم بها أيضاً فقال مثلاً يصف تفسيره هذا :

سبواطع إلهام مكارم سؤدد	مراحم إرسال هو الله أرحم
عواطل أعراس حلاها دلالها	ملاح لها سدلا سدوس مسهم
وها كل لوح سطره مكرما	ركام ودأماء السواطع أكرم
ومدلولها المعهود مما أراده	لكسر لهام الوهم طراً عرمم
ولو طار ملاك الكلام مطاره	لرد وما كل الأعاور أعصم ^(١)

وقد عثرت على قصيدة كتبها الشاعر المعاصر الدكتور خورشيد رضوى أستاذ اللغة العربية بالكلية الحكومية بمدينة لاهور وعنوانها «الجمال المنسى» يقول فيها :

نجمة في الأفق كالزئبق ترنو
عبر أعصر

عين من في هذه النجمة تحلو

لست أذكر

نجمة أخرى كمثل القرط في أذن السماء

تتألق

جيد من ، من تحت هذا القرط في رجب الفضاء

يتفرق

وجبين البدر كالدينار من خلف التلال

يتطلع

وجه من في الحلم في ستر الخيال

يتقنع

إنما الليل حبيب حل فينا

فاتن حلو الشمائل

١- نزهة الخواطر ٥ : ١٣ .

فى بهاء وجمال قد نسينا
فهو منبث المخايل (٢)

وأنت ترى أن الشاعر وهو شاعر عمودى، يظل قلمه فى هذه المحاولة الشعر التقليدية وذلك لانقطاع الصلة بينه وبين الشعر العربى الحديث ودواوينه، ومع هذا فهو شاعر مطبوع من الممكن أن تلد لنا قريحته بنات شعر حديث لا تقل عن بنات العرب الخالص إذا ما توفر له رباط يربطه بالثقافة العربية المعاصرة، أفنلقى باللوم هنا على العرب الذين لم يهتموا بما كتب فى لغتهم خارج المنطقة العربية أم على قلة اهتمام الشعراء المعاصرين فى شبه القارة بالثقافة العربية الحديثة ؟

هذه المحاولات ، خاصة القديمة منها ، لم تؤت ثمارها لأسباب نوجزها فيما يلى :

الأول : انقطاع الصلة بين أدباء العربية فى شبه القارة وبين إخوانهم العرب الخالص مما أدى إلى فقدان الأنظمة العربية الجيدة التى يستفيد منها هؤلاء الأدباء فى مراحل المحاكاة والتقليد التى يمر بها الكتاب والشعراء إلى أن ترسخ فى نفوسهم ملكة التعبير بحرية بعد الاطلاع على الصور الحديثة وتعبيرات العصر الحاضر، وأساليبه وقوالب الفنون الأدبية المختلفة. ومن أسف أن هذا الانقطاع مازال يحول بين الطرفين رغم تقدم وسائل الاتصال والطباعة.

الثانى : أن محاولات التجديد عند آزاد مثلاً انصبت على القالب والشكل دون المعنى - وكذلك عند غيره - مما أعاق رواج هذه القوالب فى الشعر العربى، لأن المعنى إن لم يجذب العرب فلا وزن للقالب. وإنما أخفق آزاد لأنه - فوق هذا - حاول أن يهتد العربية لا أن يعرب عربيته، ولم يستفد بما أتيح له من فطرة شاعرة لا شك فيها، وثقافة شعرية أيضاً لا ريب فيها، فى الإتيان بشعر يفصح عمقه عن هذه الخلفية التى ربما لم تتوفر لشاعر عربى أصيل.

وأظن ظناً أن سبب إخفاق آزاد الرئيسى سبب نفسى، ذلك أنه اغتر بنفسه ووطن أنه بنظمه الشعر العربى فى قوالب فارسية وهندية قد سبق كل أحد،

٢- بحث بها إلى فى رسالة.

وأنه بتلفيق أبيات عربية لتبرير ألوان البديع الهندية أو التمثيل لها قد ولد ما لم يلبده أحد. والفاحص لشعره ونثره يستطيع أن يضع يده على عقدته فهو مغال في حب بلده حتى قال :

إن تبستغوا ماء الحياة فإنه في الهند لا في موضع الظلمات (١)

ولا نعيب عليه هذا فحبه لبلده أمر فطري ، وهو حر في قلبه يحب به ما شاء ومن شاء ، وقد نخطئ أيضاً في حقه إذا نقدنا منهجه في كتابه سبحة المرجان الذي خصص جزأه الأول للحديث عن الهند في الكتاب والسنة وجمعه روايات المحدثين في هذا الشأن مما لا يعلم حاله إلا الله والراسخون في العلم ، حتى اعتبرها مهبط الرسائل ومنزل الأنبياء والملائكة إلى حد يجعلك تخشى - وأنت تقرأ كلامه - أن يدعى أن الرسالة المحمدية كانت ستنزل في الهند. هذا كله نغض عنه أعيننا لكن أن يكتب أجزاء الكتاب الأخرى ليمدح نفسه ويقول خلف كل بيت أو فن هذا لم يقله في العربية غيري ، وأنا أول من قاله محاولاً بالتصريح والتلميح إثبات فضل الهنود على العرب في لغتهم العربية وهم أصحابها فهذا ما يشير إلى أسباب نفسية لا بد وأنها تحكمتم في أفعاله وانفعالاته. (٢)

ومع هذا كله فقد جدد آزاد بلا ريب في موضوعات الأدب العربي في شبه القارة حين أدخل الوصف، فوصف أعضاء المعشوقة في قصيدة طويلة بعنوان مرآة الجمال، وقد استعار هذا الفن من الأدب الفارسي، هاك بعضها :

أضفيرتان على بياض خدودها	أو في كتاب الحسن سلسلتان
أو ليلتا العيدين أقبلتا معا	أو من قصائدهم معلقتان
لله جبهته المضيئة في الدجى	وهب إله له علو مكان
هي نصف بدر كامل لكنها	تربى على القمرين في اللمعان

١- حركة التأليف ص ١٢٨.

٢- انظر نماذج هذه الأقوال في سبحة المرجان المجلد الثاني كله ، وغصن البان ص ٦.

أبصر حواجبها وأدرك كنهها غصنان منحنيان وسط البان
أو كافران يشاوران ليوقعا آمالنا في موقع الحرمان
طرفا الحبيبة ماكران قمارضا وتغافلا عن رؤية الجيران
أو نرجسان على غصين واحد وهما بماء مسكر نضران^(١)

ويواصل الوصف المادى لجسم المعشوقة من أعلى إلى أسفل مخصصاً بيتين لكل عضو، وما يلفت النظر فى هذه القصيدة أنه بدأ وصف أول عضو وهو الجبهة بصيغة المذكر، لكن القصيدة كلها تصف أعضاء معشوقة، وفى صيغة المؤنث. وينتهيها كعادته فى مدح نفسه بقوله :

ما إن سمعنا مثلها عن شاعر آزاد للطرز المنشط بانى

هكذا رأينا كيف حاول آزاد تهنيد العربية ، وطالب أدباء العرب باستحسان محاولته، ورأينا كيف انصبت هذه المحاولة. كما ارتكزت محاولات غيره ،على الشكل لا المعنى، ولذلك بقى الأدب العربى فى شبه القارة مجهولاً لدى العرب لم يستحوذ على أذواقهم، ولم يثر انتباههم، فظل حبيس قوالبه دون أن يؤثر فى أدب اللغة العربية بشئ، وكان فى مقدور أصحابه أن يصلوا به إلى رتبة لا يعلوها أى أدب عربى آخر خارج ديار العرب. يقول الدكتور شوقى ضيف :

« ومهما يكن فإن تأثير الثقافتين الفارسية والهندية فى الشعر العربى غير واضح المعالم ، وحقاً أنهما لعبتا دوراً واسعاً فى الشعر الشيعى والصوفى، ولكن ليس هذا من التأثير العام فى الشعر العربى إنما هو جانب خاص يعنى به من يبحثون فى الشعر الشيعى والصوفى وأصولهما، أما الذين يبحثون فى الشعر العربى العام فسيجدون تأثير هاتين الثقافتين محدوداً على عكس الثقافة اليونانية التى يظهر تأثيرها فى وضوح ». ^(٢)

١- نشرة السكران : ص ٧٨.

٢- الفن ومذاهب فى الشعر العربى ، ص ١٠٢، لبنان ١٩٥٦.

ونحن لم نتعسف نقد آزاد ، ولم نظلمه بنقده لشعره فهكذا نراه وهكذا رآه
أيضاً أهل العلم من أبناء بلده . يقول المؤرخ والناقد والأديب الأستاذ شبلى النعماني
رحمه الله :

«إن قصائد آزاد العربية تتصف بالأفكار والأساليب الفارسية والهندية إلى حد
أنه لمن المشكل أن تدعى قصائد عربية، وفي الحقيقة كان آزاد يفتخر بأنه قد نجح
في إدخال التشبيهات والأفكار الهندية في الأدب العربي، وأياً كان الأمر فإن علماء
الأدب يعلمون أن هذا الجانب من شاعريته يبدو وصمة عيب لا ونسب شرف
وامتياز»^(١)

كذلك انتقد شعر آزاد الفارسي انتقاداً شديداً وارسته السيالكوتي في تذكرة
الشعراء وباقر بن مرتضى في كتابه «جهار صد ایراد بر كلام آزاد» حيث سجل فيه
أربعمئة غلطة استخرجها من شعره وهذا الكتاب مخطوط واسمه الآخر عشرات
آزاديه. ^(٢)

وسيمر بك نقد المفتي محمد عباس التستري لشعر آزاد في منظومته أجناس
الجناس حيث قال :

وقد ذقنا كلام البلجرامى فما ثمراته غير الجرامى
ترى أنفاسه مسكاً ذكية وفيها بعد نتن الهندكية

إلى آخر ما قال . ^(٣)

أما اعتبار تهديد آزاد للعربية إضافة جديدة في الأدب العربي والزعم بأن أدباء العرب
أثنوا عليه كما قال بعض الباحثين ^(٤) فقول يحتاج إلى دليل، ولا يعنى لقاء آزاد بأحد
المشايخ في بلد ما وتشجيع الشيخ له كأعجى يتكلم العربية أن أدباء العرب مدحوا
شعر آزاد فالحقيقة أنهم لا يعرفون آزاد وشعره ولو عرفوه لاشتدوا في نقده.

١- نقلاً عن مقال تطور الشعر العربي في الهند لحمد أسلم اصلاحي ، الثقافة الهندية مجلد ٣٨ عدد ٢
ص ١٦ ، وانظر مقالات شبلى النعماني : ٥ / ١٢٩ ، الهند ١٩٣٦ .

٢- فقهاى هند ، محمد اسحق بهتى : ج ٥ القسم الثاني ص ٢٨٨ ، وما بعدها باكستان ١٩٧٩ م .

٣- أجناس الجناس : ص ٤١ - ٤٣ ، الهند ١٣٠٦ هـ .

٤- حركة التأليف ص ٣٧ ، ومقال محمد أسلم اصلاحي السابق ذكره فى الحاشية رقم (١) .

٤- الأدب السياسى

الأدب السياسى فى أدبنا العربى فى شبه القارة - بخصائصه العامة التى ذكرناها فى صدر البحث - ظاهره تسترعى الانتباه، وتجعلنا نبحث لها عن أسباب وعلل، تفسر وجودها، وتكشف غموضها، فما كان لأدبنا ونشأ فى غير مجتمعه أن يلمس موضوعات سياسية وينفعل بها، فما هى الأسباب وماهى قيمة هذا الأدب السياسى ؟

فى تقديرنا أن هذا النوع من الأدب لم ينشأ إلا بعد تحرر الأدب العربى فى شبه القارة من قبضة الأبلطة والسلطين، فتحررت الأقلام والقرائح، واتجهت إلى الكتابة فى موضوعات كانت فى القديم شجرة محرمة ممنوعة.

ودليلنا على هذا أن أغلب ما فى أيدينا من هذا الأدب أنتجه أدباء عاشوا فى القرنين التاسع عشر والعشرين بعد زوال سلطان المسلمين فى شبه القارة، وهذا ملمح أساسى من ملامح الأدب السياسى العربى فى شبه القارة.

والملمح الثانى أن هذا الأدب لم يهتم بقضايا السياسة الداخلية فى شبه القارة إلا فى القليل بينما اهتم ببعض قضايا الأوضاع الدولية بشكل أوضح، فسقوط دولة المسلمين فى الهند، وإحتلال البريطانى لها، وثورة المسلمين فيها ضد الإحتلال سنة ١٨٥٧م، وتقسيم الهند وقيام باكستان وحروب الدولتين وغير ذلك من أحداث هامة وقعت فى التاريخ الحديث لشبه القارة. لم يلمسها الأدباء من قريب أو بعيد. فزعيم سياسى معروف مثل بهادرىار جنك (ت ١٩٤١م / ١٣٦١ هـ) وهو من قادة حركة باكستان عاش حياة سياسية ثرية بالأحداث ورافق مؤسس باكستان محمد على جناح وله مؤلفات سياسية باللغات الأخرى لكنه حين كتب بالعربية. كتب لنا شرح معلقة

امرى القيس، وشاعر عظيم مثل الطاف حسين حالى يكتب لنا ملحمة الأمة الإسلامية باللغة الأردنية والمعروفة باسم «مسدس حالى» لكنه لم يكتب لنا شيئاً من هذا فى العربية، وليته كتب مسدسه بها.

وقضايا الأمة الإسلامية، أو المسائل الدولية الساخنة كسقوط الخلافة العثمانية وحركة تأييدها التى أسسها العلماء والساسة فى شبه القارة، والحرب العالمية الأولى والثانية ومشكلة فلسطين وحركة الوحدة الإسلامية التى دعا إليها جمال الدين الأفغانى، وما وقع فى إيران وأفغانستان المجاورتى .. كل هذا لم تنفعل به قرائح أدبائنا فى كثير.

والملمح الثالث أن الموضوعات التى تطرق إليها بعض الأدباء مما يتعلق بقضايا السياسة الداخلية أو الخارجية لم يتعامل معها أدباؤنا تعاملأ مباشراً بل جاء ذكرهم لها فى ثنايا أغراض أخرى. فالحرب بين العثمانيين وروسيا مثلاً نجد ذكرها فى قصائد المدح التى كتبها السهارةنبورى وذوالفقار على (ت ١٣٢٢ هـ) للسلطان عبد الحميد، والحديث عن مؤتمر القمة الإسلامية الذى عقد فى لاهور سنة ١٩٧٤ يذكره الدكتور صوفى ضياء الحق (ت ١٩٨٩ م) ضمن مدح للملك فيصل بن عبد العزيز، كذلك تأسيس باكستان نجده فى قصيدة له فى رثاء محمد على جناح، والاحتلال الروسى لأفغانستان يذكره الدكتور خورشيد رضى فى قصيدة له فى مدح المجاهدين.

والملمح الرابع أن هذا الأدب قليل جداً إذا ما قارناه بأحداث الخضم الهائل الذى اجتتاح شبه القارة والعالم الإسلامى فى القرن التاسع عشر والعشرين، فقد كان ينبغى أن تهز هذه الأحداث العظيمة وجدان أدبائنا فيصغوها شعراً ونشراً. ومع هذا فالقليل الذى وصلنا متنوع فى موضوعاته إلى حد يجعلنا نعتقد أن الأدب العربى فى شبه القارة لو أتيحت له الحرية فى القرون السالفة لأنتج الشئ الكثير مما له صلة بالمجتمع وإنما أقسد السلاطين عليه وعلى أصحابه الجو، فانعزل وتقلص.

والملمح الخامس أن تناول الأدباء للموضوعات التى شغلتهم تناول بسيط ساذج خلا من الفكر وبعد عن عمق النظرة وجودة التحليل، فهذه الموضوعات تطرق لها كثير من

أدباء العربية فى ديار العرب وفى ايران مثلاً فكانت كتاباتهم أعمق، وتناولهم أجود، ولعل السبب فى هذا أن الأدب العربى فى شبه القارة حين التفت إلى هذه الموضوعات كان قد تحرر لتوه من سطوة السلاطين، فكان طفلاً فى تفكره وتدبره لأنه خرج من بطون القصور المظلمة إلى شارع الحياة ومعركتها يجرى حبواً، وليس من الإنصاف أن يقارن وليد جديد بفتى يافع فى بلاد العرب أو غيرها.

ولعل من أسباب ضعف هذا الأدب - وهو ما يشكل الملمح السادس أيضاً - أنه ما كاد يولد وقت تحرره من السلاطين .. إلا وقضى عليه بانتقال السلطة إلى المستعمر البريطانى ووقوع تطورات وتغيرات كبيرة فى البيئة السياسية والجغرافية لشبه القارة انتهى بها - تقريباً - انتشار اللغة العربية كوسيلة أدب وعلم وتحولت إلى ذريعة كسب وارتزاق.

والملمح السابع أن هذا الأدب يعكس لنا الفصام الذى بينه وبين المجتمع الأدبى فى ديار العرب فى أجلى صوره، إذ رغم تحرره لم يحتك بالتيارات الأدبية فى الدول العربية ولا بالحركات الاجتماعية والسياسية بل لا نجد فيه ذكراً لشاعر كشوقى مثلاً وكان أقرب فى مزاجه الإسلامى إلى أدباء العربية فى شبه القارة.

ونحن فى هذا الفصل نعرض نماذج من هذا الأدب نظنها - مع كل ما قلناه - نماذج متنوعة فى النثر والشعر، وقد حرصنا على تناولها وفق الترتيب الزمنى لأصحابها مقدمين النثر على الشعر.

بين أيدينا تجربة سياسية لقائد من قادة ثورة المسلمين ضد الاحتلال الإنجليزى لشبه القارة عام ١٨٥٧ م وكان قد فر بعد قمع الثورة فأصدرت ملكة بريطانيا عفواً عاماً فلما عاد مطمئناً اعتقلته شرطتها وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ثم نفوه إلى جزيرة أندومان إلى أن وافته المنية فى منفاه عام ١٢٧٨ هـ، ومن حسن حظنا أنه كتب فى منفاه كتاباً وشعراً باللغة العربية سجل فيه خواطره حول أزمته .. يقول فى كتابه (الثورة الهندية) :

« هذا ولما ابتلاني النصارى بالحبس بما اختلقوا من الخدع واللبس، نقلوني من سجن إلى سجن ومن حزن إلى حزن، وزادوني شجناً على شجن، وحزناً على حزن وسلبوني النعال واللباس، ولبسوا على كسى الكساء والكرباس، وأخذوا منى فراشاً ليناً حسناً، ومهدوا لى وطاء مؤلماً خشناً، كأنه شوك قتاد، أو جمر وقاد ولم يتركوا عندى ابريقاً ولا قعباً ولا آنية، وأطعموني ضناً زناً، وسقوني مياها آنية، فعوضت من حميم دان بحميم آن، ولبيت مع مالى من كبر وتوان بصغار وهوان فى كل آن، ثم قذفنى شط الخضم الكالح إلى شط الخضم المالح إلى جبل مستويل رأس اسمه رأس لا تزال الشمس فيه على سمت الرأس. فى شعاب صعاب وعقاب فيها عقاب، وفجاج تغشاها أمواج من بحر لجى ماؤه أجاج، نسيمه أحر من السموم، ونعيمه أضر من السموم، غذاؤه أمر من طعوم العلاقم، وماؤه أضر من سموم الأراقم، سماؤه غمام يمطر الغيوم، وسحابه الهموم يفيض الهموم، وأرضه كالجدري والحصبة حصباء، وريحه من النكبة نكباء، كل بيت فيه من الحشائش والقصب مملوء من الرصب والنصب لا يزال سقفه يكف، قطره كدمع عينى لا يقف لا يزال يتعفن فيه الهراء فجمت فيه الأدوية، وهان الدوى وعز الدواء، وشاعت فيه الأوباء، وعم فيه الجرب والقوباء. ما فيه التثام لكليم، ولا سلامة لسليم، ولا علاج لسقيم، من يداوى فيه يداوى ومن يداوى فيه يودى، ومن آسى أساء وزاد فى الأسى ومن أسى لا يوسى عليه ولا يواسى، وما من كرب فى الدنيا يقاس على كرب ههنا يقاسى، ما فيه سقام إلا وهو داء عقام، فالحمى فى مقدمة الحمام، وعموم علة السرسام، والبرسام علة تامة للسام وكم فيه من مرض وسقم لا يوجد منه اسم ورسم من كتب الطب فى رقم، والساعور يسعر حشا المرضى كالساعور والنطيس لا يحمى المريض ولكن يحمى عليه قبة الوطيس، فهو لا يعرف مرضاً، ويسقى المريض ما يصير به حرصاً. وإذا مات فيه أحد من الناس جر رجله أحد من الأنجاس الأدناس وهو كناس كأنه شيطان خناس أو نسناس فيواريه بعد نزع ماله من اللباس فى كثيب من رمل بلا تكفين وغسل، فلا يحفر له لحد ولا يصلى عليه أحد، هذا ولولا للميت فيه هذه الحالة الدنية لكانت فيه المنية هى الأمنية، وكانت فجأة الأجل هى الأمل الأجل، وكان المنى أقصى المنى ولو لم يكن قتل المرء نفسه فى الدين محظوراً، وعذاب يوم الدين فيه محظوراً لم يرهق من جيئ به ههنا مأسوراً معسوراً، وكان النجاء ممن ابتلى به ميسوراً.

هذا وقد ابتليت فيه بأعراض عديدة وأمراض شديدة وقد عيل بها صبرى، وضاق بها صدرى، وامتحن بدرى وهان قدرى، وكيف الخلاص والمناص عما شجاسى فاعتاص، لا أدرى وبلت مع ما أقاسى من الكرب بشدة القوياء والجرب، أغدوا وأروح وجثمانى كله مصاب بقروح تريو على كلوم وجروح مع مالى من أوجاع تحلل الروح تكاد تفضى بى البثور إلى الثبور والبور بعد ما عشت عمرى فى عافية وجبور ورفاهة وجبور، قد كنت قبل مبتوراً والآن صرت مبثوراً بل مبثوراً وكنت زمناً سليماً فرحاناً واليوم صرت زمناً كليماً قرحاناً، أعانى شدائد مصائباً وأكافح من صعائب عصائباً.

حملنا من الأيام ما لا نطبقه كما حمل العظم الكسير العصائب

ومع ذلك كله أحمد الله سبحانه، وأشكره على منه وفضله فانى أرى غيرى من الأسرى مثقلاً بأغلال مبتلى بأغلال يساق فى أقياد ويقاد ويققاد بقياد، يسوقه ويقوده غليظ شديد حديد فى قيود من حديد يسومه كل مهنة ومحنة، ويبدى له كل حقد واحتنة، ويزيده أوجاعاً على أوجاع، ولا يرثى له إذا عطش أو جاع، فأحمد الله ربى على المعافاة من هذه الآفات، وأشكره على ماله من المنن وصيانتته إياى من هذه المحن.

وإنى وإن استيأست نظراً إلى ظاهر الأسباب من نجائى وقطعت رجائى فان أعدائى يجدون فى إيذائى ويبغون بما يبغون إيذائى، و أودائى لا يستطيعون مداواة دائى، وقد رسخت فى قلوب العدى منى أضغان وحقائد كما ترسخ فى القلوب من الأديان عقائد، وقد شحنت صدورهم الوخيمة بالشحناء والسخيمة لكنى أرجو رحمة ربى العزيز الرحيم، البر الرؤوف الكريم الذى ينجى الضعفاء العاجزين...» ^(١) ويذكر ما أصاب الأنبياء وكيف فرج الله عنهم ثم يخلص إلى الدعاء لنفسه.

والنص كما تراه أغفل القضية الأساسية وهى الاحتلال الإنجليزى لبلاده، وركز على وصف المنفى فى عبارات اعتمدت على السجع القصير والتلاعب بالكلمات والمفارقات اللفظية من قبل رجل كان مكرماً وعز عليه أن يهان.

١٠ - باغى هندوستان ، عبد الشاهد خان شروانى ، ص ٢٩٠ - ٢٩٦ ، باكستان ١٩٧٤

ومن الموضوعات التي تناولها بعض الأدباء في نشرهم العربي في شبه القارة حركة التجديد التي قادها الدكتور السير السيد أحمد خان والتي شابته وعاصرت حركة التجديد التي دعا إليها الشيخ محمد عبده في مصر، وقد كتب حالي مقالاً في مآثر السير السيد أحمد خان يصور بذاته معالم حركته وسماء «جملة صالحة» يقول فيه:

«في مآثر ناصح الملة، وموقفهم من نوم الغفلة، الذاب عنهم في كل فتنة، والناصر لهم عند كل ملمة، الذي جعل همته مقصورة على إصلاحهم، ورأى لذة حياته في نجاحهم وفلاحهم، بهيم لهم في كل واد كصب هائم ولا يخاف فيهم لومة لائم، أعنى الدكتور سيد أحمد خان ابن السيد متقى ابن السيد هادي الحسيني نسباً، والمدنى ثم الهروي محتداً، والدهلوى مولداً.

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق إلى غاية من يستدرها يقدم

فاعلم أيها المخاطب الجليل أن هذا الشيخ الأجل الأمجد الهمام، والسيد الصنديد السميع القمقام هو أول من تصدى لإصلاح حال مسلمي الهند في أواخر المائة الثالثة من الألف الثاني، وأفنى عمره كما أفنى ماله في نصحتهم والرفقة بهم والشفقة عليهم والمجاهدة فيهم، وأول من ذب عن الإسلام وسافر لأجل ذلك إلى أوروبا، ونشر هناك محاسن الإسلام بين المسيحيين، وطهر ذيله عما افتروا عليه ونسبوا إليه من المثالب والمساوي (تعالى عن ذلك علواً كبيراً) وأثبت فضله على أديان أخرى بدلائل بينة، وبراهين متقنة سلك فيها طريق استدلالهم، ونسج على منوالهم، وهو أول من ادعى أن ديناً من الأديان لم يفك رقاب الجوارى والغلمان عن ذل العبودية إلا الإسلام واستدل على دعواه بآيات من كتاب الملك العزيز العلام وأحاديث متصلة مرفوعة صحت عن النبي خير الأنام. وهو أول من عزم على التوفيق بين ما جاء به القرآن وبين ما شهدت به الحكمة الجديدة، وعلى رفع ما يتبادر إلى الأذهان من الاختلاف بينهما كما فعل علماؤنا المتكلمون في صدر الإسلام لما شاعت الحكمة اليونانية بين المسلمين وخافوا عليهم أن يقعوا في شبهات الملاحدة والزنادقة.

ولنذكر ههنا شيئاً يسيراً من مساعيه الجميلة التي كانت مستمره مسلسلّة في نصرة الإسلام والمسلمين من سنة ١٨٥٧ ميلادية إلى زمان رحلته التي وقعت في أوائل سنة ١٨٩٨ ميلادية :

منها أنه لما اضطرمت نار البغى والعدوان فى أقطار الهند من قبل العساكر الهندية سنة ١٨٥٧ ميلادية وكان مسلمو الهند إذ ذاك مظنة لخلاف الدولة الإنكليزية لما كانوا قبل استيلاء الدولة : فى نوع من العز والمكنة والسلطان فى ممالك الهند، بادر الشيخ إلى تأليف كتاب فى بيان أسباب البغى التى كان مرجع أكثرها إلى غفلة أركان الدولة وسوء تدبيرهم فى الأمور السياسية، وكان الزمان زمان الأخذ والبطش والانتقام بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، ويؤسرون، ويسجنون ويقتلون ويصلبون، فلم يسكت هناك عن كلمة الحق، وألقى بنفسه إلى التهلكة ليزيل كل شبهة تختلج فى صدور أعيان الدولة من قبل المسلمين ويبرئ ساحتهم من كل سوء ويظهر ذيلهم عن كل رجس». (١)

ويستمر حالى فى عد جهود السيد أحمد خان الإصلاحية فى مجالات التعليم والترجمة والسياسة والصحافة فتتضح ملامح حركة أحمد خان من خلال هذا المقال النثرى الذى لم يرد به حالى الحديث عن الحركة الإصلاحية بقدر ما أراد ذكر مناقب زعيم أعجب به ووافق فكره.

فاذا انتقلنا إلى الشعر وجدناه أكثر كماً وكيفاً فالخير أبادى الذى مر بك نشره وهو يصف حاله يبدو أن النثر لم يشبعه ولم يشف ما فى صدره، فنظم حاله فى قصيدتين قال فى الأولى بعد أن حكى غدر ملكة بريطانيا به، ووصف نفيه ومنفاه :

الأسر أنأى أسرتى وأقاربى	ما من حميم فيه إلا الماء
عميت على الأبناء أنبأى كما	عميت علينا منهم الأنبياء
أبكى لبعد أقاربى وأحبتى	ولهم على فقدى أسى وبكاء
حق البكاء لهم على إذ الردى	والعيش فى الحبس الردى سواء
أسكنت وحشاً لا يرى فيه سوى	الشينين : الغربان والغرباء

١ - ضميمه اردو كليات نظم حالى ، محمد يعقوب مجددى ، ص ١٣٤ - ١٤٤ ، الهند ١٣٣٢ هـ

مستويلاً وخماً فما بطعامه
فالماء آن ما به رى كما الـ
ما فيه من عذب يسوغ ولا به
زادت على كرى عوارض جثتى
وجدى لعافية عفت وعفت لى الـ
كانت لفضل الحق فضل مثالة
ووجاهة بين الوجوه وجاهة
وبراعة ورفاعة ورفاهة
وجد وجد مسعد مع جدة
وقام عافية وعرض زاده
كم نعمة زالت وكم من نعمة
الله أقنانى علومما يقتنى
حال النوى بينى وبين أحبتى
هجم الشرور وفاجأت فتن بها
قد سلط الأنصار فى أمصارنا
لم يعلموا أن لا وفاء لهم ولا
من قبل ولاهم عليها من لها
والآن إذ نصر النصارى أفرطوا
أقوى ديار كن أهلة كما
فتفرقوا أيدي سبا واداركت

شبع ولا فى مائه إرواء
ماكول زن ما له استمراء
طعم يلذ ولا هناك فضاء
الفتق والقولنج والقوياء
نكبات فيه وريحه نكباء
منها على الأمثال لى استعلاء
تعنوها الأعيان والرؤساء
ونزاهة ونباهة وعلاء
لم تبلهها بلوى ولا بلواء
عرض يزيد وعزة وقعاء
حالت وحل الضر والضراء
منها علوماً جمعة علماء
حالا وحال الحال والنعماء
ذهب السرور وولت السراء
أن صار أنصاراً لهم سفهاء
أن لا لهم مندوحة ووقاء
إذ صده عنها غنى وغناء
فى الظلم فاخترم الضعاف جفاء
أقوى الألى أقوا وهم أمراء
فرقاً كثيراً أخذة وسباء

عال الغنى وذل ذو عز كما	هان الخطير وصغير الكبراء
قتلوا وغالوا جل من أخذوا وهم	مما ادعوا من جرمهم براء
غالوا براياهم برايا غيلة	فجرت كما انفجر العيون دماء
كم خربوا بلداً ولم يدروا به	بلداً فصار كأنه بيداء
هدوا المساجد والقصور كأنها	لم تبين لم يك ثم قط بناء
بخست بخستهم زورع الأرض من	شؤم فلا ريع لها وغاء
قدروا على الناس المعاش فقدرهم	أن لا غداء عندهم وعشاء
فظهـورهم ثقلت بأوزار بما	شخت بطون صدورهم شحنا
أفهل لعدوان تعدى حده	حد وهل للمعتدين جزاء؟
لم أقترف ذنباً سوى أن ليس لى	مع هؤلاء مودة وولاء
فولاؤهم كفر بنص محكم	ما فيه للمرء المحق مرء
كيف الرلاء وهم أعداى من له	خلق السما والأرض والإنشاء (١)

ويتحول بهذا البيت إلى مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يتوسل به وبآله وأصحابه كى يفرج الله عنه كربه ويفك أسرهم، ويهزم الظالمين وينصر المظلومين، ولعلك ترى أنه كرر نفس المعانى التى ذكرها فى نشره، وتلاعب بالألفاظ، وأغرق فى المحسنات من جناس بأنواعه وطباق وتورية ولم يزد فى قصيدته الثانية ومطلعها :

عودى فعردى مريضاً دواؤه عادى أشفى على الحين حتى عادته العادى

١- باغى هندوستان: ٣٠٥ الى ٣٠٩ .

عن نفس المعانى بل استخدم نفس الألفاظ واتبع ذات المنهج والأسلوب، ونحن ننقل لك جزءاً منها يقص فيه حاله وما جرى له ويصف منفاه، يقول :

حبست فى السجن منجوداً ولم يذروا	عندى رفيقاً كخباز ونجاد
وقد كسونى كساء بعد ما سلبوا الـ	كساء وانتزعوا لبسى وأزوادى
أعطوا وطاء غليظاً شائكاً خشناً	لنوم لين يلين القرش معتاد
سقوا أجاجاً حميماً إن شكوت صدى	وأعتدوا لى غذاء غير معتاد
لم يقنعوا باحتباسى بل أضيف إلى	حبسى جلاتى وتغريبى وإبعادى
فأركبونى وأسرى آخرين على	فلك يمحور بموج البحر مباد
وأنزلونى مع الأسرى على جبل	قاص تنسى دونه أوهام قصاد
شط المزار بنا إذ شط حابسنا	بشط بحر له مد يد بإزباد
أرواحه تنزع الأرواح من خبث	كصرصر أرسلت قبلاً على عاد
خاب المنى والمنى قد عم فيه وما	لميت فسيه من دفن وإلحاد
يفيض فيه هموماً جمّة أبداً	غيم هموم ففسار رائح غاد
فلا يرى فيه يوماً ضوء شمس ضحى	ولا سنا نير بالليل وقاد
يومى كليلى وليلى سرمد تقف الـ	نجوم فيه كأن شدت بأوتاد
كانت كأيامنا بيضاً دياجرنا	وكان أيامنا أيام أعياد
كيف احتيالى لإلاقى وقد ضربت	على أرضى أقلتنى بأسداد
كيف الخلاص وخصمى ظالم شكس	ويلاه من كافر بالله كناد
أغرى النصارى بتعذيبى زنادقة	يلونهم وتولوهم لإلحاد
غاظوا وجدوا ولجوا فى معاقبتى	عادوا وبادوا بأضغان وأحقاد
أيست من أملى إذ قطعت حيلى	وصرت كالطير فى أحبول صباد

كالظبي في جرة أمسى يناوصها وقد يسالمها من خوف مصطاد
رجوت ناساً رجاء من أملوا سحبا قد أقلعت بعد إبراق وإرعاد
قطعت عما سوى الله الرجاء فما من سواء رجاء رفسد وإرفاد
فلا أومل إلا رحمة الملك الـ عدل الذي ذكره حرزى وأورادى^(١)

وينتقل الشاعر من هنا إلى الدعاء إلى الله والتوسل بالنبي الكريم لينقذه مما هو فيه ويفك قيده. وواضح أن القضايا السياسية العميقة مما يتعلق بالاحتلال الإنجليزى وزوال ملك المسلمين فى الهند لم تجد لها مكاناً بين أبيات شاعرنا، وإن كانت القصيدتان تصوران ما يمكن تسميته بانتهاكات حقوق الإنسان وسوء حاله السجون، كما تشير إلى المظالم التى كان يرتكبها الإنجليز ضد العلماء والمعارضين لسلطانهم الظالم على الهند.

ولقد كانت الحرب بين روسيا والعثمانيين سنة ١٢٩٤ هـ من القضايا الدولية التى جذبت التفات شعراء العربية فى شبه القارة، ولكن لم يشحذ قرائحهم أسباب هذه الحرب ولا آثارها على الدولة العثمانية وما أدت إليه من نتائج على العالم الإسلامى إنما انزعجوا لكون الحرب ضد السلطان عبد الحميد رمز الدين وبقية السوء الإسلامى، ولم تشغل أصحابنا الحرب العالمية الثانية وقنابلها النووية وابتلاع فلسطين وتأسيس إسرائيل على أرضها لأن السلطان عبد الحميد أو غيره من سلاطين المسلمين لم يكن موجوداً آنذاك، وربما وجدوا صعوبة فى الإنفعال بهذه الأحداث لعدم وجود من يستحق المدح أو الرثاء لأن أفكارهم حول هذه المفاهيم الدولية، عادة ما عبروا عنها تحت مظلة المدح أو الرثاء.

١- باغى هندوستان : ص ٣٢٢ - ٣٢٤ .

وبين أيدينا قصيدتان طويلتان الأولى لفيض الحسن السهاري (ت ١٣٠٤هـ) والثانية لذي الفقار علي الديوبندي (ت ١٣٢٢ هـ) كلاهما يمدح السلطان العثماني عبد الحميد ويتعرض لحربه مع روسيا .

يقول السهاري :

مالي بذى الأرض من وال ولا واق	ولا طيب ولا آس ولا راق
ولا حميم ولا جار ولا سكن	ولا نديم ولا كأس ولا ساق
أبكي على بكاء غير منقطع	فلينظر الناس أجفاني وآماقي
حولي كثير من الأعداء همهم	قتلى ومالي دون الله من واق
قوم غلاظ شداد شيط من دمهم	شراسة وعتوا في سوء أخلاق
جفت نفوسهم قست قلوبهم	فلا تميل بشئ من تملاقي
إنى أخاف على نفسي تألبهم	على أشفق منهم كل إشفاق
فسوف آوى إلى جلد أخى ثقة	ذمر كمي إلى التقتال مشتاق
حامى الذمار حمى الأنف ذى أنف	طلق اليدين طويل الباع سواق
عاد إلى قتل قتل غير مكترث	إذ تكشف الحرب للأبطال عن ساق
شاكى السلاح إلى الرايات مبتدراً	صدق المقام إلى الغايات سباق
عن آل عثمان سامى الطرف مبتسم	إلى الطعان شديد البأس مشتاق
قوم إذا ما غزوا فازوا ببغيتهم	ولا يعودون في شيء باخفاق
فتيان صدق أولو بأس ذرو كرم	لا يجلسون لدى قوم باطراق
هينون لينون لا يرمون في خلق	بسوء وتراهم حسن أخلاق
بيض كرام لهم مجد ومكرمة	غراء يثنى عليهم كل ملاق
لا يرغبون إذا نالوا منالهم	في المال والخيل والأحمال والناق

إن سيم أصغرهم خسفاً ومظلمة	يغضب إلى السيف فرداً غير مفتاق
لا يصبرون إلى ما لا يليق بهم	وإن تمالي عليهم جمع فساق
يسقون عذباً فراتاً طاب مورده	لا يشربون بغسلين وغساق
يوفون بالعهد إن يرموا بمنقصة	فلا يخاف لديهم نقض ميثاق
لا يبخلون على من جاء يسألهم	وما لأبوابهم عهد بإغلاق
جادوا بأموالهم جادوا بأنفسهم	ولا يزالون في جود وإنفاق
نثنى عليهم وما نثنى وقد كبروا	عن الشناء بتبليغ وإغراق

.... إلى آخر القصيدة (١)

يكرر ذو الفقار على الديوندى نفس المعانى فى قصيدة من نفس البحر ليس فيها
من شئون الحرب كما فيها من المدح للسلطان عبد الحميد، يقول:

يا قاسى القلب يا من لج فى عدلى	إليك عنى فانى عنك فى شغل
وكيف تعرف حال المستهام أيا	من لم تصبه سهام الأعين النجل
نام الخليون فى خفض وفى دعة	وقد أرقى بدمع سائل همل
قد صادنى عرضاً روسية غنيت	بحسنها عن جمال الحلى والحلل
سفاكة وحياة العاشقين بها	فتاكة وهى مع ذا مرهم العلل
هيفاء ضامرة لمساء غادرة	بيضاء ساحرة بالغنج والكحل
كالشمس تبدو جهازاً غير خافية	ولا تستر بالأستار والكلل
رنت إلى بعينى جوذر فغدا	قلبي جريحاً بجرح غير مندمل
فيا بنى الأصفر التزوير شيمتكم	تلقيكم خودكم فى الشر والغيل

١- ديوان الفيض : ص ٤٨ - ٥٠ ، ونزهة الخواطر : ٨ / ٣٦٧ - ٣٦٩ ، كراتشى ١٩٧٦ .

قولوا لها الآن إن شئتم فلا حكم
 إن لم تتب من جفاها قد عزمت على
 عبد الحميد أمان الخائفين مبيد
 كهف الأنام مغيث المستضام له
 العادل الباذل المرهوب سطوته
 غوث الورى خادم الحرمين معتصم الـ
 شهم همام أمير المؤمنين وسلـ
 رأس الكمأة إمام للغزاة ومقد
 غشمشم ندس قرم أخى ثقة
 لله جيشك أبطال النزال ومن
 أبناء حرب قتال العليج بغيتهم
 الخائضون غمار الموت من طرب
 قضوا حقوق المعالى بالسلام والـ
 عبد الكريم عظيم الجيش يقدمهم
 النصر يقدمه والفتح يخدمه
 يا آل عثمان يا فخر الكرام ويا
 إلى آخر القصيدة (١)

ولعلك ترى فى وضوح تأثر الشاعر إلى حد كبير بالمتنبى حتى فى انتقاء الألفاظ
 وذلك لأنه كتب شرحاً باللغة الأردية لديوان المتنبى الذى كان جزءاً من مقررات الدرس
 فى المدارس الدينية فى شبه القارة.

- نزهة الخواطر : ٨ / ١٤١ - ١٤٣.

وحروب العثمانيين كانت هما لأنور الكشميري (ت ١٣٥٢ هـ) فقال أيضا :

أو ماترى لما عدت عن طورها
حتى غدوا لا يؤمنون لربهم
فازداد شر في البسيطة منهم
أو ما ترقرق عينهم أو قلبهم
وأثروا بما لم يلف في سلف المدى
وهناك يبدو فرق من عبد الهوى
اجيال كفر قد عدوا حتى رأت
فاستدرجوا حتى تفارط أمرهم
حتى تدارك رحمة من ربنا
المصطفى الغازی الكمال فهدهم
من جهبذ ماضى العزيمة صارم
وأشدهم بأساً على أعدائه
والهمهمة ماجد متمنع
والرأس يرجى في المدى للممة
والسيف أشفى للصدر من العدى
وبليلة ظلماء يفتقد الورى
والجذب يشكر غوره ونجاده
ولربما دهم الزمان بأزمة
والملك يأتى فى بنى قنطورة

غدارة اليونان والبرطاني
وتنصلوا من خلقة الإنسان
ما كان يحكى منذ جنكيز خان
من رحمة الصبيان والنسوان
ويضيق منه نطاق كل بيان
ممن تجاه الرب فى إحسان
عينان ما لم تسمع الأذان
فى الغى والطغيان والعدوان
من دوله الإسلام من عثمان
صرعى وهلكى هل ترى من غان
حامى الحقيقة فارغ مزدان
وأسسد رأياً فى نزال عبوان
كالجن سيرة عاجز متوان
ما كان منها للرعاء يدان
والعزم أمضى منه فى الميدان
بدر الدجى لهداية الحيران
ديم الندى للعارض الهتان
ولها انفراج فى مدى الابان
فحوى حديث أخرج الطبرانى

وهم كما فى نص تورا أتى

من ولد إبراهيم من مديان^(١)

١- المنتخب من الشعر العربى نشرة قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة ، ص ٢٥١- ٢٥٢ ، الهند ، ١٩٩٠ .

ويبدو أن انفراط عقد الخلافة العثمانية وتردى أوضاع المسلمين، وزوال سلطانهم وتقطع امبراطوريتهم وما حل بهم من ضعف أثار عاطفة بعض الأدباء فانفعلوا به ونظموه شعراً، فهذا هو العلامة وحيد الدين العالى الحيدرابادى (ت ١٣٤٤ هـ) ينظم ملحمة فى رثاء الأمة الإسلامية طولها مائة وسبعة عشر بيتاً على غرار مرثية الأندلس التى نظمها صالح بن رندى، ومن أسف أننا لم نعثر على مرثيته كاملة، وما وصل إلينا منها غير ثلاثين بيتاً يقول فيها :

هل من سبيل إلى وصل الألى بانوا	ببنى وبينهم بيد وقيعان
أو للزمان رجوع ، بالوصال إذا	كانت له كالرحى فى الدور أحيان
أو للدموع وقود وهى جارية	تدمى شئون أراقتها وأجفان
أو عن هموم أقاسيها بحبهم	لقلبي الهائم الولهان سلوان
أنى خمود، لنار فى الغرام بها	ما فى الجوانح والأحشاء لهبان
من لى بشوقهم هاد يدل إلى	أرض بها لى أوطار ، وأوطان
أين السروب التى سارت بها ظعن	لى إثرها كان إعوال ، وإزنان
بيض كواعب مذ شدت ركائبها	قلبي إليهن مشتهاق وحنان
إذا النسيم بأنفاس لهن سرت	تفوح كالمسك أنقاء وكثبان
لم تخل دورهم لكن بها سكنت	بعد الخرائب آرام وغزلان
لولا تذكر أيام لهن مضت	وشوق ريع أقامت فيه جيران
لما ذكا تحت صدرى ما يحرقه	ولم يذب لى قلب وهو هيمان
أخشى زفيراً وإعوالاً ينازعنى	ألا يبوح بسر الحب إعلان
عيني تفيض على صدر به حرق	حبا لتجمع أمواه ، ونيران
وفتية عذلونى حين هيئ لى	نوح الطيور بكاء فيه أشجان
تقول مالك تبكى فى اشتياقهم	لكل طير لها فى الأيك ألحان

فقلت ويحكم مهلاً لأنى بى
لما مضوا طفتت تعفو ديارهم
حتى غدت بمرور الدهر طامسة
فقد وقفت بها ذا وحشة وأسى
قلبى به ألم ، كالنار مضطرم
أدور أشم تريباً فى محلهم
ياراكب الخيل قد طارت به عجباً
طول ادكارى لهم ليلى يطول به
مالى أرى زمناً بالشر يحزننى
أين الألى ادركوا بالسعى من رتب
أين الألى ملكوا شرقاً كما ملكوا
أين الألى طلعت شهب العلوم بهم
أين الألى رتقوا فتق الورى وحموا
أين الألى نور الأرجا سراجهم
هزن تسعره كالنار أحزان
كأنها مصحف تمحوه أزمان
تزعزعت سقف منها وجدران
إذ أقفرت وبها أدم ووحشان
والدمع منسجم والجفن ملآن
كأننى فيه ذو الأشواق نشوان
بلغ سلامى صحبى أينما كانوا
وإن يكن منهم للصب نسيان
وظل يلقف قومى وهو ثعبان
ما لا يسامته بدر ، وكيوان
غريباً وسادوا الورى حتى لهم دانوا
حتى استنارت بها فى الأرض بلدان
دينأ به نسخت فى الناس أديان
وزال عنها بهم كفر وطغيان^(١)

ومن القضايا التى شغلت كثيراً من الأدباء فى العالم الإسلامى فى القرن العشرين ومازالت تشغلهم أنشطة التبشير، والأدب العربى الحديث خاصة خلال النصف الأول من القرن العشرين فيه نماذج غير قليلة من قطع شعريه ونشربة عاجلت هذه الظاهرة ، أو تحدثت عنها بشكل أو بآخر لم يكن شبه القارة غير مسرح من المسارح التى شهدت أنشطة مكشفة للمبشرين المسيحيين إبان الاحتلال البريطانى وبعده فلا غرو أن تشير

١- المنتخب من الشعر العربى، نشرة يصدرها قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة ، الهند ١٩٩٠
ص ٣٤٧- ٣٤٨ .

هذه الأنشطة مشاعر الأدباء يم يقول مولانا أصغر على روحى المتوفى سنة ١٩٥٤ م فى قصيدة له يخاطب فيها مبشرى النصارى :

أعبداد المسيح لنا سؤال	نريد جوابه ممن وعساه
إذا مات الإله بصنع قوم	أماتوه فما هذا الإله
وهل أرضاه مانالوه منه	فبشراهم إذا نالوا رضاه
وإن سخط الذى فعلوه فيه	فقوتهم إذن أوهت قواه
وهل بقى الوجود بلا إله	سميع يستجيب لمن دعاه
وهل خلت الطباق السبع لما	ثوى تحت التراب وقد غلاه
وهل خلت العسوالم من إله	يدبرها وقد سمرت يداه
وكيف تخلت الأملاك عنه	بنصرهم وقد سمعوا بكاه
وكيف أطاقت الخشبات حمل الـ	إله الحق شد على قفاه
وكيف دنا الحديد إليه حتى	يخالطه ويلحقه أذاه
وكيف تمكنت أيدي عداه	وطالت حيث قد صفعوا قفاه
وهل عاد المسيح إلى حياة	أم المحيى له رب سواه
ويا عجباً لقبر ضم رباً	وأعجب منه بطن قد حواه
أقام هناك تسعاً من شهور	لدى الظلمات من حيض غذاه
وشق الفرج مولوداً صغيراً	ضعيفاً فاتحاً للشدى فاه
ويأكل ثم يشرب ثم يأتى	بلازم ذاك هل هذا إله ؟
تعالى الله عن إفك النصارى	سيسأل كلهم عما افتراه
أعبداد الصليب لأى معنى	يعظم أو يقبح من رمياه
وهل تقضى العقول بغير كسر	وإحراق له ولمن نعباه

إذا ركب الإله عليه كرهاً وقد شددت لتسمير يداه
فذاك المركب الملعون حقاً فـدسـه ، لا تبسه إذا تراه
يهان عليه رب الخلق طراً وتعبدته فإنك من عباده
فإن عظمتـه من أجل أن قد حوى رب العباد وقد علاه
وقد فقد الصليب فإن رأينا له شكلاً تذكـرنا سناه
فهلا للقبور سجدت طراً بضم القبر ربك فى حشاه
فيا عبد المسيح، أفق فهذا بدايته وهذا منتهاه (١)

ولعلك ترى أن الشاعر لم يمس أنشطة التبشير فى ذاتها وما يكمن وراءها من مخططات ودعم وسلطات، فجاء شعره أشبه بمناقشة لعقائد النصرى وتفنيدها، ونحن لا نتوقع، ولا ينبغى لنا أن نتوقع من شاعر أن يناقش هذه الأمور كما يناقشها رجل السياسة، إلا أن سطحية التناول واضحة بلا ريب.

ولقد كان تقسيم الهند وتأسيس باكستان أهم حدث فى القرن العشرين فى شبه القارة، ولا بد أن هذه الحدث أسعد أناساً كما ألم آخرين، لكن الحدث نفسه لم يهز مشاعر من انفعل به كما هزها موت البطل المؤسس محمد على جناح فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٨ وبعد تأسيس الدولة بعام كامل ولقد كان من الطبيعى أن تحرك قرائح الشعراء تلك المذابح التى وقعت ضد المسلمين أثناء التقسيم، وهجرة الهندوس إلى مناطق أكثرهم فى الهند وترك المسلمين دورهم ومتاعهم فى الهند ورحلتهم إلى باكستان ليقيموا فى مخيمات ويبدأوا حياة جديدة ولقد كان من الطبيعى أن تثير نشوة النصر بتأسيس دولة للمسلمين نفوس الأدباء فيسجلوها لنا شعراً ونثراً، لكن هذا كله لم يحدث لأن الأدب العربى فى شبه القارة ليس أدباً طبيعياً يخاطب

١- مولانا أصغر على روى، بحث مقدم من ذو الفقار على رانا لنيل الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة البنجاب، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

أهل مجتمعه كما ذكرنا من قبل، ومع هذا فقد وجدنا ذكر شئ من هذه الوقائع عند الدكتور صوفى محمد ضياء الحق المتوفى عام ١٩٨٩م وان كان هذا الأثر مذكوراً ضمن قصيدة فى رثاء مؤسس باكستان محمد على جناح رحمه الله، يقول الدكتور صوفى :

يعقوتنا غراب البين صاحبا	أصاب الموت قائدنا الجناح
إذ الناعى نعاه لنا صباحا	علا صوت الجميع بوا صباحا
رمى الحدثان قوم المسلمينا	فلم يجدوا من القدر البراحا
وما من مسلم فى الدهر إلا	عليه بقلبه بكى وناحا
أخو ثقة وذو رأى شديد	غيبور حازم حاز الرياحا
وفى صادق قولاً وفِعلاً	فعرف وفاته كالمسك فاحا
طويل الباع ذو ظرف وسيع	رحيب صدره نال انشراحا
له تدبير ذى حنك حكيم	خبير ماهر طلب اقتراحا
ولوح فى ضغويات خروج	حوالى له العقبان لاحا
أهيل الهند لم يألوا فساداً	فسخرهم وإن كانوا سراحا
مسلمة سياسته لديهم	فإن الله أعطاه الكفاحا
تبصر فى أمور الملك حيناً	وفكر فى المقاصد واستلاحا
فطالبهم على حدة نصيبا	من الملكوت كى نحمد النجاحا
سعى لمصول باكستان سعياً	وكان له من الميثاق تاحا
وأعمل رأيه لمصول هذا	وصبر عقله الصافى سلاحا
وحالت دون مقصده العزيز	عوائق كلها لكن أزاحا
برغم الأنف منهم صار ملكاً	وأخرج عن رؤوسهم المراحا
فما لم يخضع الأعداء قسراً	ولم ينل المقاصد ما استراحا

فلما أن تحصل واستقرت	قسواعده فلم يلبث وراحا
وسلمنا إلى المولى الجليل	لعل الله يرزقنا الصلاحا
وخلف عبء تشييد المباني	على أبناء ملتته لقاحا
وحملنا جساما من أمور	وقلدنا من الذمم الوشاحا
سبيل الحق والرشدى هدانا	فبان طريق منزلنا ولاحا
بتأسيس الحكومة مستقلاً	حصون المجد للقوم استباحا
فنرفع رأسنا شرفاً وعزاً	وباهى كلنا فخراً وماحا
ونحن القائمون بما علينا	بفضل الله لا نخشى وقاحا
ونشكر ربنا ذا الطول والمن	على هذا غدواً أو رواحا
فصبراً أهل باكستان صبراً	فأهل الصبر يؤتون الفلاحا
وربكم اسألوا الغفران وادعوا	تجاوز عن جرائمه سماحا
مؤرخ موته قال ارتجالاً	«بدار الخلد قد على المراحا» ^(١)

والشاعر هنا سجل تاريخ وفاة جناح في آخر مصرع من قصيدته بحساب الجمل وهو فن راج في الشعر العربى والفارسى والأردى قبل حين ويأتى فيه الشاعر بجملته تكون أحرفها - ولكل حرف عدد رمزى - تاريخ المناسبة التى يذكرها. والتكلف - كما ترى - ظاهر على القصيدة من أولها إلى آخرها.

وكما انفعّل الدكتور صوفى بموت جناح، انفعّل أيضاً بالحديث عن الوحدة الإسلامية وهى حلم يراود أهل باكستان أكثر من أى شعب آخر، لكن هذ الانفعال مرة أخرى يصاغ فى شكل قصيدة مدح يستقبل بها الملك السعودى فيصل بن عبد العزيز فى مؤتمر القمه الإسلامى الذى عقد فى مدينه لاهور عام ١٩٧٤، يقول فيها :

١- أمدنى بهذه القصيدة التى بعدها تلميذه الدكتور خورشيد رضوى الذى لديه كثير من شعره فى أوراق متفرقة.

أيا ضيفنا أهلاً وسهلاً ومرحباً
ويا زائراً من أرض أكرم بلدة
حدى بك من بعد هوى للقائنا
لقد سرباً أن قد وطئت بلادنا
يقول الورى لله درك قادمأ
ونادى مناد بيننا بقدمه
فيا ساكنى لاهور بهوا وأبشروا
فما كان يأتى البحر عطشى ليشربوا
فلا تستخفوا قدر يومكم ، ألا
أيا فيصل الملك المعظم لم يكن
أتانا العدو بفتة متأسدا
وما كان ريع الوعد بالنصر قلبا
فصارت بلاد المسلمين جميعها
سعت لتوثيق الروابط بينها
فنظمتها بالحزم فى سلك وحدة
وأوسعتها فضلاً وأمنت خائفها
بقسيت بقاء الدهر يا ظل ربه
ولا فارقت منك السعادة دائماً
ولا زال دين الله يسمو ويرتقى
وبارب شئت شمل أعدائه ولا

عليك سلام الله ما هبت الصبا
لها الذكر ما أحلاه فينا وأطيبا
صنيعك هذا لم يكن مترقباً
وقد هزنا والله هذا وأطربا
سقيناه به من رحمة الله صيباً
فشوق منا سامعين ورغباً
على حالنا لا غرو أن نتعجباً
ولكن أتانا اليوم بحر لنشرباً
يكون له ان شاء ربي غداً نبأ
لكم نقض أيمان المودة مذهباً
ولما رآكم ناصرين تشعلباً
ولا برق ميثاق الصداقة خلباً
بجهدك جسماً واحداً متركباً
فصرت إلى كل القلوب محبباً
وصيرت فى عقد الوداد مرتباً
وواسيت مظلوماً وأخصبت مجدباً
بنعمائه وفق المنى مستقلباً
ولا قللت منك الحوادث مضرباً
بآل سعود السعد شرقاً ومغرباً
تذر موطن الكفار إلا مخرباً

وأنت ترى معنى أن الشاعر نسي ما هو أهم من استقبال الضيف ومدحه من أحداث خلال المؤتمر الذي يعتبر معلماً من معالم التاريخ الحديث في باكستان لما صاحبه من ظروف دولية وداخلية، وإن كان ثمة من دلالة فهي أن أدباء العربية في شبه القارة لم يفرّدوا للأدب السياسي موضوعات مستقلة برأسها وإنما نظموا ما شاءوا من ذلك في أنسجة قصائد المدح أو الرثاء فكان أدبهم في أكثره يدور حول أقطاب الشخصيات لا القضايا والموضوعات، وربما كان ذلك من آثار ارتباط الأدب العربي في هذه المنطقة بالوجهاء والأمراء والسلطين كما سترى ذلك بوضوح في فصول الكتاب القادمة.

ولم يستطع تلميذه الدكتور خورشيد رضوى رغم ما أوتى من سليقة شاعرة وقريحة متقدمة أن يخرج عن الإطار التقليدي، فيتحدث عن موضوعات وقضايا بعد فصله لها عن المدح، خاصة إذا كانت قضايا ساخنة كمشكلة أفغانستان مثلاً، ويبدو أن هذه السمة أساس في مدرسة الشعر العربي في شبه القارة يخذو الأخلاف فيها حذو الأسلا. يقول الدكتور خورشيد رضوى في قصيدة له :

أخوتنا الأفغان فيكم بسالة	وفى دار أهل الكفر منها زلازل
رددتم ببأس كيدهم فى نحورهم	ولم تخضعوا للخطب والخطب هائل
أقمتم بضرب السيف زبغ قلوبهم	وبالسيف تتراض النفوس الموائل
يهابونكم رغم الهزال بدا بكم	وتخشى الكلاب الليث والليث ناكل
أباة كماسة لا تفل سلاحكم	حوادث دهر خائن وغوائل
إذا مسكم جهد البلاء تنائرت	بقلبي أمان كالزهور ذوايل
وفىكم خصال للمديح كثيرة	وما عندنا إلا قواف قلائل
وتدعو لكم عن ظهر غيب مودة	شعوب تناجى ربها وقبائل
سيغمركم فى الحرب فوز ونصرة	فتعلنهم، لن يغلب الحق باطل ^(١)

١ - مجلة أفغانستان الصادرة في إسلام آباد، يوليو ١٩٨٦م، ص ٣٣.

ومن تأثر بعاصفة الصحراء وأزمة الكويت لم يخرج أيضاً عن المدح. فمحمد حسين
اقبال نظم قصيدة طويلة فى هذه المناسبة جاء معظمها مدحاً فى الرئيس العراقى صدام
حسين يقول مثلاً :

يا قلب صبراً فى مجالا بلاء	لا تجزعن من كثرة اللأواء
دع ذكرى « أقوام » فإن قلوبهم	أبدأ مع الأمراء والكبراء
عرج على بغداد مهده حضارة	والكربلاء « حديقة الزهراء »
ومساكن العبادة والزهاد والش	هداء والعلماء والقراء
قف عند صدام ملياً إنه	أسد وحيد حامل الأعبياء
زين الملا غيظ العدى لبقائه	مرفوعة أيدى الورى بدعاء
سقطت على الإسلام شمس سعادة	والمسلمين وهم كفقع عراء
صارت بصدام وجوه المسلمي	ن وضيئة كالبدر فى الظلماء
وعلت روعس المسلمين بسعيه	من بعد ما عدوا من الضعفاء
وله بدت عليا عواطف غرة	ومحبة بسرائر الخنفاء
محبوب شعب فى البلاد جميعها	سيف شديد الوقع للأعداء
نعم الفتى أنسان عين زمانه	فوق الفتى إن جاء وقت حماه
ردت به أسام يوسف مرة	أخرى فعاد بعزة قعساء
أكرم بصدام يحافظ قومه	أعظم به إن صار فى الشهداء
أن جاء بالنبا العدى فتبينوا	أنى لعمرك صادق الأنبياء
ويلى على سكان نجد إنهم	يدعون غير الله عند بلا

..... إلى آخر ما قال (١)

١- حديث النفس : ص ٦٣ - ٦٧.

ويبدو أن أفغانستان المجاورة تشير قرائح شعراء شبه القارة بما فيها من أحداث سياسية منذ قديم فنذير أحمد المتوفى سنة ١٣٣٠هـ يقول في قدوم الأمير حبيب الله خان ملك أفغانستان قصيدة يصف فيها حال المسلمين، عثرنا على بعضها من أولها وفيه :

جمعت فيك التقى والملك والأدبا	والله إنا نرى فى شأنك العجبا
ذكرتنا الخلفاء الراشدين قدم	عل يالهدى واتبع مناهجهم رغبا
إنا لفى زمن فى أهله خبل	لا يحسنون اكتساب العلم والطلبا
لا سيما المسلمون الغافلون فهم	يرجون أجراً ولا يقضون ما وجبا
الدهر ذو خول والمرئ مرتهن	يجزى سواء بما ألقى وما كسبا
الله قدر فى الدنيا بحكمته	لكل واقعة أو حادث سببا
الأمر والحكم أيام مداولة	بين الخلائق والدنيا لمن غلبا
الحرب ترفع أقواماً وتخفضهم	وإن للناس فى تسليطهم نوبا
أما الحديد فقد زالت مهابته	كن حامل السيف أو من تحمل الخشبا
لا يعصمك من ضرب البنادق لا	وإن تطبقت تحت الجوشن السبا
فالعلم فى عصرنا اشتدت سواعده	وعن أن لنا فى جُمعهِ أربا
وربنا الله لا تحصى مواهبه	والعلم أكبر ما أعطى وما وهبا
بالعلم كرمنا والعقل فضلنا	لولاهما للقينا الكد والنصبا
كل يريد علواً لا يليق به	فإن فى العلم سرّاً كان محتجبا
المترفون هم الفساد أكثرهم	يبدرون تلاد المال والنشبا
إن ينتهوا ينتهوا عن سوء فعلهم	للعجز والضعف لا خوفاً ولا رهبا
أخلاف قوم علوا فى الأرض مرتبة	وآمنوا بنبى شرف العربا
ضلوا طريق الهدى والدين قد نبذوا	وراء هم فاستحقوا المقت والغضبا

لتهلك القوم حتى لا معاش لنا ولا كفافا إذا لم نأله دأبا
الجهل فقر وداء للا شفاء له ولانهاية إلا الموت والعطبا
بالقل والذل دنيانا مكدره والدين فينا ينادى الويل والحرب^(١)

والمعانى السياسية فى هذه القصيدة أيضاً أثارها المديح كما أسلفنا ، لكن القاعدة التى نشأ عليها الشعر السياسى العربى فى شبه القارة شذ عنها حميد الدين الفراهى الذى يمكن اعتباره الشاعر السياسى الوحيد فى هذا الأدب. فالفراهى المتوفى ١٣٤٩هـ، لم ينظم كثيراً من أغراض عصره كالمديح والثناء والمواعظ، بل كان معظم شعره فى السياسة وقد جمع بدر الدين الإصلاحى قصائده العربية كلها فى ديوان خفيف وطبعه عام ١٩٦٧م، ولقد كانت أحوال السلطنة العثمانية فى أواخر عهدها، والحرب بين إيطاليا وليبيا وصلاح العثمانيين مع إيطاليا وثورة البلقان هموماً اسلامية أرقّت شاعرنا فنظمها فى قصائد عديدة وربط كل هذه الاحداث بوضع العرب خاصة والمسلمين عامة. يقول :

كيف القرار وقد نكس اعـالـمنا بطرابلس
كيف القرار وحولنا الأعـداء ترتقب الخلس
من كل ذئب إن رأى من عزة فينا اختلس
أو أفـعـوان مطرق إن لم نـبـادـره نهـس
نبكى على إخواننا بين القتيل ومن حبس
كم من تقى طاهر فيهم ونحرير دنس
نبكى لزيات الخـدر رشوقنبـالماء السلس
جرت الحتوف على الألو ف من الزخـوف ومن جلس

١- نزهة الخواطر ٧ / ٤٩٦ - ٤٩٧.

هم أهلنا وعشيرنا
يا أمة الإسلام يا
هل تنعسون وخصمكم
إلا تهبوا اليوم فال
قد زلزلت أركانها
فالمخصم يجهد أن يرى الـ
هل لا ذكرتم ما أصاب
سلبوكم شطر البلا
أفكل يوم ينكص الـ
هل يذهب الحق النقيـ
هل ترتضون بذا ديد
والله لا نرضى به
فاليوم إن لم تدفعوا
إنى أرى فستنا تمـ
ناراً تأجج فى البلاد
يبغون قسطنطينيـ
قد صيح فى حجراتها
فلننضحن أو نقتلن
فاحموا ذمار الملة الـ
واستجمعوا عدداً فما
أعنى المراكب والمدا
وتعلموا حيل الحرو
أفيسألون ولا نحس
أبناء آباء شـمس
عن كسبه ما إن نعس
إسلام تعيس بل تعس
حتى تقععت الأسـ
إسلام فى يؤس يؤس
ب المسلمين بأنـدلس
د وما لها من متلمس
إسلام حتى يندرس
ي ويغلب الكذب الرجس
نكم وليس بملتـسب
ما دام فىنا من نفس
فليأتين يوم نحس
ج وقد ظهرن لمن حدس
د وقد تلهبس الأطس
ة ويعدها أرض القدس
ولتسمعن لها الجرس
عن قدسنا القوم النجس
بيضاء كالأسد الشـكس
تجبرى السفين على اليبس
فع والكتائب والحرس
ب لتغلبوا الخصم الشرس

فتأهبوا وتألبوا وتلبسوا لوغى ضرر
واستنصروا الله المهيمن من فى العشى وفى الغلس

ولينصرن الله من

ينصره فليحتمس (١)

ويقول فى قصيدة أخرى عن مظالم الاستعمار الإيطالى فى ليبيا :

يا عين بكى باللهوامع	لا ترقى أن لك المدامع
قتلى طرابلس الذيد	ن تطحطحت بهم القوارع
نبكى على إخواننا	أهل المكارم والدسائع
دهمتهم الروم الفسوا	تلك بالمراكب والمدافع
جاروا على حرد بجم	عهم فضاق بنا المفازع
دخلوا المدينة يقتلوا	ن بها المشائخ والرعارع
قتلوا المراضع فى المضا	جع والضوارع فى الشوارع
وعلوا بطيئاراتهم	يتحسسسون لنا المواقع
صارت تحلق فوقنا	مثل الغوانيق الطوالع
يرمون منها بالكريد	ن قمج بالزير القوارع
ليبددوا أفراسنا	ويحرقوا منا الوشائع
لا دين عندهم ولا	حلم عن العودان وازع
يبدون نصرانية	زورا وقد رفضوا الشرائع
بل يشمئز الكفر	ما يركبون من الشنائع

١- ديوان عبد الحميد الفراهى : ص ٨- ١٠، باكستان، ١٩٦٧.

والغدر سيط من الطبايعن العرب	البغى من أخلاقهم
ن العرب والأتراك شاسع	غروا بأن البعبد بيد
صدعاً من الأصفان واسع	وبأن بين قلوبنا
أن الخلافة خير جامع	يا ضلة لم يعلموا
س ودون حوزتها ندافع	فلنبدلن لها النفوس
الباسل العادى الأشاجع	ما الترك لا مثل كف

والعرب مثل أصابع

لا كف إلا بالأصابع (١)

ويعاتب الترك لمصالحتهم ايطاليا قائلاً :

يا ترك لا تبغوا الهونا	لا تنعموا الحساد عينا
أتسالمون الظالمين	من الغانمين لما حمينا
الناهبين بلادنا	والغاصبين لنا حونا
أتسالمون عدونا	وتركتمونا بين بينا
هل لا ذكرتم يوم أل	قيتم أموركم إلينا
كنتم لنا الإخوان إذ	فى الدين والود استونا
فنفوسنا ونفوسكم	خلطت مسعا لما التقينا
حتى تخالطنا كأمر	سواج الخليج إذا جبرنا
نحمى الخلافة بالسيور	ف البساترات إذا انتضينا

١- ديوان الفراهى : ص ١١، ١٢.

فريت حداثق مجدها
تنهى عيون الكاشحيد
أفبعد ذاك تخاذلو
إن الععدو هم هم
هل تأمنونهم فقد
كالنصل يطرق ثم يق
فلئن بد لكم مسا
لا سلم بالطلليان حت
ننفيهم عن أرضنا
فالموت خير من حيا
إننا لأحرار نعد
صبر إذا لج الوغى
مثل الجبال الشم نعد
لا نرهب الطليان إن
نلقاهم بهتشين نق
بيضاً كشحم الكوم لم
حتى يقسمال لنا بحق
كم نابنا حارب الملو
لم يسطوا الأيدى إلا
لم يرفعوا الأعناق إلا
حتى انثنوا طراً سوى
لولا الحماسة والحمما

بدمائنا لما سقينا
من الحاسدين لما سعيننا
ن وتذهبون فأين أيننا
لو تبصرون كما رأينا
غروكم زوراً وميننا
طرنا به سمماً وحيننا
لمة العدو لقد أبينا
ى يتركوا بلداً ثوينا
لا نرعوى عما قضينا
ة تحتوى ذلاً وشينا
د القتل للأحرار زينا
لا نشتكى نصباً وأينا
تقر السيول إذا أتينا
يستكثروا فلقد كفيننا
ربهم كما كنا قرينا
تر فوقها صدهاً ورينا
النازلين لقد رفينا
ك فلم نمل ولا ونسينا
ما كسرنا أو لوينا
ما قطعنا أو كوينا
جمع قتلنا أو سبيننا
ية قفر ليبا ما امتطينا

فحروورها وصخورها مما ارتدينا واحتـذينا
نصلى ينار الحرب أجـس ناداً صهرنا واستوينا
لا نبتغى الدنيا وزهـ رتها فبالله اكتفينا
لا هم فى ترف فـأس باب الغواية ما ارتضينا
فـالله نعبدـه وعـبـ اد الصليب فقد قلينا (١)

ويتألم الفراهى لما عاناه المسلمون من حروب فى البلقان فيقول :

شبت على بلقان نار الحروب أشعلنا بالبغى أهل الصليب
لم تبق فى الآفاق أرض بها الـ إسلام إلا نالها من لهيب
قد حزب الشيطان أحزابه وحشهم لكل شر وحبوب
شنوا على الإسلام غاراتهم يذهل فيها عن حبيب حبيب
يا كرد يا تاتار يا كابل يأكل من لله عـبـد منيب
فى مشرق الآفاق أو مغرب أو فى شمال الأرض أو فى جنوب
يدعوكم الإسلام جهراً إلى ذب العدى عنه فهل من مجيب
قوموا لنصر الحق فى فوركم واستنفروا من كل مرد وشيب
مستنصرين الله ينصركم بنصره الموعود غير الكذوب
كنتم سيوف الله من وقعها فى الكفر والأوثان تبقى ندوب
فالآن يا إخوان ما بالكم قد مسكم من الجهاد لغوب
ما بالكم لا تنفرون وقد حل على الإسلام يوم عصيب
يبلوكم الله ببأس العدى فإن أمر الله يبلو القلوب
إن تصبروا لله لا يـخـزنكم فإن الله علينا رقيب
يا قومنا إن تصبروا يأتكم نصر من الله وفتح قريب (٢)

١- ديوان عبد الحميد الفراهى : ص ١٣ - ١٥ .

٢- نفس المصدر : ص ١٨ - ١٩ .

ويشمت الفراهي فيما وقع بأوربا من حروب عالمية وما فعل هتلر بهم ويروسي ويدون ذلك في قصيدة بعنوان الملحمة الكبرى يقول فيها :

لقد حل بالروم شر شمر	فنار الحروب بهم تستعر
فهم حصب كالهشيم اليبس	س يصلونها زمراً فزمر
رحى الحرب تطحنهم والدماء	ء تدير الرحي مثل جرى النهر
فكم ألف ألف وكم مثلها	قتيل وكم مثلها قد أسر
وكم ألف ألف وكم مثلها	على مورد ماله من صدر
وكم بلد عامر قد خوى	وكم هد من أطم مشمخر
فيبابوس حرب لروعاتها	تري كل مملكة تقشعر
جنتها أوربا ولكنها	إلى منتهى الشرق ترمى الشرر
فهل سمعت أذن مثل ذلك	ك أو خط في أوليات الزبر
فما هي من سنن جاريا	ت ولكنها هي إحدى الكبر
فإن الإله يجازي العباد	د خيراً بخير وشرأ بشر
ولكنه يهل الظالمين	ن يبلوهم برهة من عمر
بيؤسى ونعمى لاكى يرعوا	ويزجرهم ما أتت من ندر
فإن لم يتوبوا ولم يتقوا	ه يبطشهم بطشة المقتدر
كذا الروم لما طغوا في البلاد	د يعيشون في الأرض بحرأ وير
أتاج لهم ربهم نقمة	وكانت فضاء وأمرأ قيدر
وكم نقمة تحتها نعمة	فقوم يسار وقوم يسر
فأغرى بني أصر الأقويا	ء وللحرب مثل الكلاب العقر
ليلبسهم شيعاً فيذيب	ق بعضاً من البعض بأساً نكر
فصار التنافس يحشوهم	من الحقـد بين الضلوع الإبر
وكانوا دهاة ولكن إذا	أتى قدر الله أعمى البصر

فبيناهم يجمعون الأداة
تبادر غليوم من بينهم
شديد المحال شديد النكا
وألمان أمته حوله
فقام يبارز عداه
وكيف اثنتان بحرب الثلا
وقد جمعوا عدة مدة
فصاغوا مدافع لما يكن
وزفلين طيارة فى السما
ويرمون أعداءهم بالدخا
فجاء بهم كصبير الغمام
ويلجيك سدت عليه الطرية
بوعد الكذاب كلمع السراب
وظنوا لها موئلا انطور
فأصبح يرمى على سورها
فدمرها وسبى أهلها
فبلجيك صارت كأن لم تكن
فقد علم الناس ما أنزلت
ولما قضى النحب منا استم
فبيننا يذيق فرنسا الهوا

ة ويخشون يوماً لهم مكفهر
يجاهر بالحرب من غير سر
ل حديد الفؤاد حديد النظر
ونفسا حليف له مستمر
فرنسا وروسيا وانكلترا
ث ولكن ألمان قوم صبر
ولم يفش منهم لقوم خبر
لها المثل فى قوة وكبر
كالفلك مشحونة بالذخر
ن، يعمى ويرهقهم بالخنذر
م، أو مثل بحر إذا مازخر
ق، إذ غرها الخلفاء الختر
وظل السحاب وريح تمر
ب، حصناً على كتائديه عسر
قنابل، مثل جذوع الشجر
وما كان إلا كلمح البصر
كذلك الجزاء لقوم كفر
على كائنحو من عذاب وضر
ر غرباً فأضرم فيه السعير
ن، أفزعته نبأ من آخر

فكر إلى الشرق فاستعجلت

كتائب روسن تولى الدبر (١)

١- ديوان الفراهى : ص ٢٣ - ٢٦.

نحن أمام لون مغاير لما مضى لم يهتم فيه الشاعر بالمحسنات والبدائع بل عبر عن أفكاره تعبيراً مباشراً.

ولم يجد مدح ملك من الملوك أو جماعه من الناس فرصة لبيان فكره السياسى، وإنما عالج الموضوعات مباشرة بلا واسطة. ونحن أيضاً نشعر أننا أمام شاعر يحمل فى صدره هموم العالم الإسلامى، يتألم للسبب إذا احتلت ويفرح للمسلمين إن أصابوا نصراً، ويشمت فى أوروبا إذا اشتعلت بالحروب، هو شاعر الوحدة الإسلامية لا تكبل أحاسيسه الحدود الجغرافية ولا القيود النسبية. كأنى وأنا أطلع شعره وفكره أعيش مع شاعر ينتمى إلى إحدى الحركات الإسلامية المعروفة فى عالمنا اليوم وقد مر على رحيله أكثر من خمسة وستين عاماً لا غرو فقد كان مفسراً جيداً له بالشيخ رشيد رضا المصرى روابط، واستفاد منه أبو الأعلى المودودى، وقد انضم إلى حركة الخدام (خاكسار) وهى حركة إسلامية تدعو إلى الوحدة الإسلامية بين الشعوب والمذاهب كانت اتخذت من الكفاح المسلح وسيلة فقضى عليها الانجليز. وقد عاصر الشاعر تأسيس حركة الإخوان المسلمين فى مصر واطلع على فكرها حتى ساوى بعض الكتاب بينه وبين الشيخ حين البنا فلا نخطئ إذا اعتبرنا حميد الدين الفراهى أو عبد الحميد الفراهى - وكان يدعى بالاسمين- إمام الأدب السياسى العربى فى شبه القارة.

الباب الأول

النشر

سمات النثر العربى فى شبه القارة

هذه السمات دقيقة ترسم صورة للنثر العربى فى شبه القارة أقرب إلى النثر العربى فى دياره زمن الانحطاط، ولعل تنوع موضوعات النثر العربى فى شبه القارة - على عكس الشعر - هو ما ساعد فى استيضاح هذه السمات. فقد كتب أدباء العربية فى الهند فى النحو والبلاغة وعلوم اللغة والمقامات والطرائف والرسائل والانشاء والمعاجم والعروض وغير ذلك فبرزت لنا قسما ت وجه النثر بشكل أوضح.

يقول الدكتور أحمد حسن الزيات عن خصائص النثر العربى فى زمن الانحطاط :
« فلما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله سرى الضعف إلى الكتابة فجعل أربابها الغرض منها ، ومالوا إلى زخرف القول وتدبيج اللفظ بأنواع البديع وأوغلوا فى ذلك حتى سمجت مبانيهم، وفسدت معانيهم، فكانت موهة الظاهر، مشوهة الباطن كسيف من الخشب فى غمد من الذهب، وليتهم وقفوا بهذا الأسلوب عند الرسائل والعهود، بل خرجوا به إلى تصنيف الأدب وتدوين العلوم» .^(١)

وكأنى بأدباء العربية فى شبه القارة حاولوا تقليد أدباء العرب فقلدوهم فى عصر تدنى أسلوبهم بل لم يجيدوا هذا التقليد فجاء نشرهم حاملا فى بطنه أجنة مشوهة غير كاملة زاد فى قبحها عدم اتقان التقليد.

١- تاريخ الأدب العربى، ص ١٢٥، دار الكتب الإسلامية، لاهور، بدون تاريخ.

فقد حاول كتاب شبه القارة تقليد أساليب آخر طبقات كتاب النثر العربى كالقاضى الفاضل أبى على العسقلانى (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ) وابن العميد فالتزموا قيود هذه الطبقة فى النثر من سجع وجناس وتضمين للشعر فى داخل النثر وتوخى البديع، مع الإغراق فى كل هذا حتى تحولت الكتابه إلى صنعة متكلفة، تغيب المعانى فى تزويق عباراتها . يقول فضل الحق الخير آبادى وهو يتحدث عن أزمته السياسية مع الحكومة الانجليزية التى سجنته ونفته :

« فتسلط النصارى على الملك كله بلا مزاحم، واستراحوا من المعارك والملاحم، والوالية بعد هذا الخبال والوبال أوت مع قليل من الرجال إلى قلل الجبال، واذ كنت قد طال اغترابى، واكتيابى واضطرابى، واشتد ارتغابى فى إيابى إلى دارى وأهلى وجيرتى واحبابى ورأيت موثق الإيمان موثقاً بالإيمان، رجعت إلى اهلى ووطنى، ودارى وسكنى، مطمئناً بموثق الايمان، غافلاً عن أنه لا إيمان لمن ليس له ايمان، وأنه يمين بعد اليمين من لا يتدين بدين ولا يخاف يوم الدين . فبعد أيام دعانى من معانى عامل نصرانى، فحبسنى وعفانى وجزنى وعنانى ثم أرسلنى مأسوراً إلى قاعدة الملك التى صارت دار الهلك » (١)

ويقول محمد عباس التستري :

« فلا يخفأك أيها الودود الصادق والخل الموافق والرفيق الوثيق والحبيب الشفق أنه قد تكاثر فى بلادنا المحن والفتن وتعاقب على القلوب الشجن والحزن، وحلت بنا المصائب والنوازل من تتابع الأخايف والزلازل، والأهوجة الحمواء والصفراء والأمراض والأوباء ونزول كل بليجة فقماء تضيق بها ساحة الغبراء والخضراء، وابتلىنا بالاملاق، والقتور فى الأرزاق، فالتفت الساق بالساق، وظن أنه الفراق :

١- باغى هندوستان ، عبد الشاهد خان شروانى ، ص ٢٨٨ .

ورريح عاصف هبت فتبت	بها أيد الكنهبل والبشام
ترى أعجاز نحل ساقطات	كهمز الوصل فى درج الكلام
وشما شامخات راسيات	قد انزعجت كأطراف الثمام
ويوما قائظ فيه سموم	تفوق على جهنم فى الضرام ..
فبيننا إذ أتى زمن شهى	فأحيى الأرض من بعد الحمام ..
كأن المزن يوثد مراض	بها داء النوازل والزكام ^(١)

ويقول آزاد البلكرامى :

«وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية إلى العربية، فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند وبعضها يقبل النقل فنقلت عنها نبذه وجدتها فائقة، وألحقت بفن الأدب جملة رائقة وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند، كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراند، ولما شمريت ذيل الجهد فى هذه الميادين وعمدت على استخراج الأمثلة عن المجاميع والدواوين، سخت لى نبذة من الأنواع، وظفرت بأقراط ثمينة للأسماع . . .»^(٢)

وكأن هؤلاء فهموا جودة الأسلوب على أنها الصنعة وحدها فتكلفوا فيها وأغرقوا بها أساليبهم، ولوكان الموضوع لا يقتضيها. ففضل الحق الخير آبادى ثائر ضد الانجليز، يراه المسلمون فى الهند بطلا قوميا، لكنه وهو يتحدث عن مأساته فى منفاه لم يعط الفكر السياسى حقه من الشرح والتوضيح بقدر ما نحت الألفاظ نحتا ليحافظ على السجع . كما أن التستري وهو يصف الكوارث الطبيعيه التى حلت ببلاده، أعطى النص حقه من التقفية دون أن ينقل عبر ألفاظه صورة حية لهذه الكوارث وما تفعله بالناس، ولما أراد أن يضمن نشره شعرا من قوله لم يحافظ على الوصف بل حافظ على

١ - ظل ممدود، ص : ٢-٣، الهند، ١٢٨٨هـ.

٢ - سبحة المرجان فى آثار هندوستان، ٢ : ٣٨ - ٣٩.

الصنعة من أجل الصنعة وإن خالفت المقام، فهطول المطر يعدد حركته جهنم، وفي أعقاب عاصفة تدمر كل شيء يحمل معه رساله خير بارتفاع البلاء وانتهاء العاصفه ولطف الجولكن صاحبنا يصور نزول المطر صورة تبعث في النفس الاشمتزاز لأنه ربطها بمرض الزكام ووصف السحب يومئذ بأنها مريضة بالنزلة، فجاءت الصورة في غير محلها تشبه قطرات المطر برشحات الأنف المريض وما ذلك الا لأن الصنعة هي شاغله ولو على حساب النص. هذه هي السمة الأولى من سمات النثر العربي في شبه القارة.

والثانية : أن سمات هذا النثر لا يمكن إخضاعها لإدوار وحقب كما ذكرنا في خصائص الأدب العامة، بل لا نستطيع تمييز أسلوب كاتب واحد عن غيره في الغالب لعدم التزامه بأسلوب معين في كتبه ومصنفاته وما استطعنا التوصل اليه في هذا السبيل أن الموضوع نفسه هو الذي فرض الأسلوب على كاتبه فؤاد صديق حسن - على كثرة مصنفاته - لم يلتزم بأسلوب بعينه وإنما تغير نمط كتابته وفق موضوع الكتاب خذ لك مثلاً قوله في كتابه البلغة في أصول اللغة :

« أجمع أهل اللغة - الا من شذ منهم أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان وان ألبيم والنون تدلان على الستر وان الإنس من الظهور وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من جهل، ونكته الباب أن اللغة لا تؤخذ قياسا نقيسه الان نحن . . . »^(١)

لكنه يقول في كتابه نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان وهو كتاب في العشق وانواع النساء :

« فصل في مدح العشق . . . فكم مدحه عاقل وذمه متعاقل، هيهات فات من ذمه المطلوب، ومن أين للوجه المليح ذنوب ؟ قال قدامه : العشق فضيلة تنتج الحيلة الجميلة، عزيز يذل له عز الملوك وتضرع له صولة البطل، وأول باب تفتق به الأذهان وتستخرج به دقائق الافتنان، إليه تستريح الهمم، وتسكن نواقر الشيم، له سرور يجول في الجنان

وفرّج يسكن فى قلب الإنسان. قيل لبعض العلماء : إن ابنك عشق فقال : الحمد لله، الآن رقت حواشيه، ولطفت معانيه، وملحت اشاراته. وظرفت حركاته. وحسنت عباراته وجادت رسائله وجلت شمائله، فواظب على المליح واجتنب القبيح» (١)

بل يتغير أسلوب الناثر فى الكتاب الواحد عدة مرات فلا تقف له على معالم تحدد لك شكلا معيناً يميزه عن غيره من الكتاب والأدباء.

والثالثة : أن الحواشى والشروح التى كتبت تعليقا على كتب عربية شذت عن النشر المسجوع فى جله فى أدبنا فى شبه القارة، سواء كانت هذه الشروح لكتب منشورة كحاشية السبائكوتى على المطول، أم لدواوين شعر أو قصائد كشرح السهارنيورى لديوان الحماسة، أو عبد الرحيم الصفى بورى لألفية ابن مالك.

يقول السبائكوتى :

« قوله أى كل ما وقع عليه قصد المتكلم » إن أريد بالمقصود مقصود المتكلم فالاستغراق حقيقى، وإن أجرى على إطلاقه فهو عرفى، إذا المتبادر من التعبير عن كل مقصود كل مقصود للمعبر كما فى : جمع الأمير الصاغة، وليس المراد بوقع الوقوع فى الزمان الماضى بل وقوع القصد فى أى زمان كان» (٢)

ويقول عبد الرحيم الصفى بورى :

« السادس من النواسخ ظن وأخواتها » وهى أفعال تدخل على المبتدأ والخبر بعد استيفائها الفاعل فتتصبهما مفعولين لها وهى نوعان أفعال قلوب وهى ما ذل على يقين أو ظن أو عليهما، وأفعال تحويل وهى ما دل على تحويل المبتدأ إلى خبر، وبدأ بالأول فقال : انصب بفعل القلب جزأى ابتدا» (٣)

١- ص ٩ ، طبع الهند ١٢٩٤ هـ .

٢- حشبة السبائكوتى على المطول . ص ٤٥ ، إيران ، بدون تاريخ.

٣- أوضح المسالك شرح ألفية ابن مالك، عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفى بورى ، ص ١٥٥ ، الهند ١٢٤٨ هـ

والسمة الرابعة : أن النثر العربى فى شبه القارة خلا من القصص رغم ثراء بيئته بالحكايات والقصص فارسية وهندية وذلك فى اعتقادنا من آثار ارتباطه بالدراسات الاسلامية وموضوعاتها كما أن الأدباء لم يتخذوا اللغة العربية وسيلة للتعبير عما فى خيالهم كبشر. وانما استخدموها لخدمة اغراض محددة فرضت ف عبر مناهج المدارس الدينية كما أسلفنا. نعم ورد ذكر عابر لبعض القصص مثل تحفة المجاهدين والفتح المبين وقصة الملك شكروتى وجميعها عن فتح ساحل مالبار ^(١) وقد عثرت أثناء تنقيبى عن بعض الكتب على الأولى والثانية وبعد فحصهما ثبت أن الأولى من تأليف زين الدين بن عبد العزيز المليبارى وهى تاريخ لدخول الاسلام إلى مالابار والثانية منظومه عن نفس الموضوع أنشأها محمد بن عبد العزيز الكلبيكوتى، فجعلنا الأولى فى فصل التاريخ والثانية فى فصل القصص المنظومة وكلاهما يؤكد لك أن فن التاريخ وفن القصص أيضاً قد دار حول الدين لارتباط الأدب فى منطقنا بالمدارس الدينية.

والسمة الخامسة : أن كتاب النثر فى شبه القارة نظراً لعدم اختلاطهم بالعرب صعب عليهم تحديد جنس بعض الأعلام خاصة أسماء البلدان، فألطف حسين حالى يقول فى رسالة له : « وأيضاً قد سمعت من بعض ثقات الهند الذين لا قوهم فى البيروت أن تلك السلسلة يمكن وصولها إلينا » ^(٢) وأبو بكر بن محسن باعبود يقول فى مقاماته : « روى الناصر بن فتاح قال أجذب الهند سنة من السنين حتى باع الناس البنات والبنين . . . » ^(٣) ويقول صديق حسن فى غصن البان : « ولما لم يكن حسن فى نثر سنسكريت ولا فى نثر الألسنة الأخرى التى دارت فى ديار الهند . . . » ^(٤) كما يكتب حالى ^(٥) كلمة السير وهى اللقب الانجليزى المعروف « سر » كما يكتب فى

١- The Contribution of Indo -Pakistan to Arabic literature , Zubaid Ah-med, Pakistan , 1967 , P 232.

٢- ضميمه اردو كليات نظم حالى، محمد يعقوب مجددى ، ص ١٥٤١.

٣- مقامات الهندى ، ص ٩ ، الهند ١٢٩٢ هـ .

٤- ص ٥.

٥- ضميمه اردو كليات نظم، ص ١٤٣ .

الأردية، وآزاد البلكرامى يكتب ايران معرفة^(١) وهذا كله لأنهم ما خالطوا العرب وما مارسوا استخداماتهم للأعلام.

والسمة السادسة : من سمات هذا النشر ان الرسائل والمخطب - باستثناء بعض رسائل حالى - التزموا فيها السجع إلى حد التكلف، ففي إحدى رسائله يقول عباس التستري :

« ... أما بعد فقد وصل إلينا صحيفة وصفحة حبور ورق منشور ودر منشور كأنها نجمة نور أو شمعة طور أو زجاجة بلور أو نفخة كافور أو نفخة طور، لا أدرى أهى كتاب مسطور فيه منظوم ومنثور، خبر مأثور ومثل مشهور أم بيت معمور أم خدور فى سطور دونها وجنات حور، واسعة النطاق باللغة الاشراق غالية الصداق مكلفة الشعور بالشذور، ساطعة الجمال عادمة المثال ساحبة الأذيال فى أرجاء القصور قد لفها إلينا الحبر الغطريف الكريم الشريف العالم العريف الفاضل التحرير المولى القمقام مجتهد الأنام .. جناب الشيخ محمد حسن...»^(٢)

والسمة السابعة : أن أمثله النشر الراقى الرائق لم نجدها إلا عند من عاشوا بين العرب وأقاموا فترة فى ديارهم، فشذب القيام أقلامهم وهذب أساليبهم حتى صارت عربية خالصة من كل عجمة، كما عند الصغانى والزبيدي.

يقول رضى الدين الصغانى :

نفق بضاعتى من العلم بعد ان كانت كاسدة واصلح بحسن نظره لى طويه الدهر وكنت أعهد لها فاسدة، وشرفنى بمطالعة مصنفاتى وارتضاء مؤلفاتى، ولقد أسفت على كل ساعة قضيتها فى غير ظله، وكلمة عرضتها على غير فضله، ووددت أن تلك الساعة لم تسعنى، وعلمت أن تلك الكلمة كانت تقول دعنى، ولنافستى فى هذا الشرف أن ينقرض فيه ذكرى بعد انقضاء عمرى، لم أزل أفكر فيما يخلد لى مزية الانتماء إلى

١- سبحة المرجان : ١ / ٦٨ .

٢- ظل محدود ، ص ١٤ .

مكرم جنباه، ويجعل لوجودي خلفاً يقوم في الخدمة بإحسان منابه إلى ان أرعز إلى -
أنفذ الله في الآفاق عالي أمره وعضده الإسلام وأهله بإفاضة البركة على عمره - بأن
أؤلف كتاباً في لغة العرب». (١)

ويقول السيد مرتضى الزبيدي (ت ١٣٠٥ هـ) «... نقل السيوطي في الزهر عن
أبي الفتح بن برهان في كتاب الوصول إلى الأصول : اختلف العلماء في اللغة هل تثبت
توقيفاً أو اصطلاحاً، فذهبت المعتزلة إلى أن اللغات بأسرها تثبت اصطلاحاً، وذهبت
طائفة إلى أنها تثبت توقيفاً وزعم الأستاذ أبو اسحاق الإسفرايني أن القدر الذي يدعو
به الإنسان غيره إلى التواضع يثبت توقيفاً وما عدا ذلك يجوز أن يثبت بكل واحد من
الطريقين وقال القاضي أبو بكر لا يجوز أن يثبت توقيفاً ويجوز أن يثبت اصطلاحاً
ويجوز أن يثبت بعضه توقيفاً وبعضه اصطلاحاً، والكل ممكن». (٢)

ومن هذه الطائفة في العصر الحديث الأستاذ الكبير الأديب الأصيل عبد العزيز
الميمنى المتوفى سنة ١٩٧٨، فقد كان نابغة شبه القارة في الأدب، وانتخب عضواً
بمجمعى اللغة العربية في سوريا ومصر وكانت تربطه برجات الأدب فيهما وشائج
قوية، وأتيح له من الفرص ما لم يتح لغيره ومع هذا فلا شك في موهبته وعلمه
ومطالعه، يشهد له بذلك أعماله العظيمة التي تركها لنا تحقيقاً وتأليفاً.

يقول الميمنى في كتابه «أبو العلاء وما إليه» ولعله أحسن كتاب عن أبي العلاء إذ
دافع فيه عنه، وأنصفه، وبين ما أخطأ به المحققون والباحثون قديماً وحديثاً في حقه :

وأما الفصول فليس من معارضة القرآن أو مناقضته في قبيل ولا دبير، وترجمته في
الثبت عند ياقوت والذهبي كتاب الفصول والغايات فقط وكذا ناصر خسرو وأما
زيادة «في مخاذاة السور والآيات» فالظاهر من كلام المتقدمين ولا أستثنى أحداً أنها
ليست من ترجمة الكتاب فلفظ ناصر خسرو وقد ذكره : حتى أنهم اتهموه بأنك عملته

١- العباب الزاخر ١ : ١٠ - ١١ ، العراق ١٩٧٨ .

٢- تاج العروس ١ : ١٢ ، الكويت ١٩٦٥ م .

معارضه للقران ا.هـ. ولفظ الدمية زعموا أنه عارض به القرآن. ا. هـ. ولفظ خليفة :
الفصول والغايات فى معارضة السور والآيات على ما ذكره ابن الجوزى لأبى العلاء الخ
وليعلم أن خليفة لم يذكر شيئاً من تأليف صاحبنا بحواله ابن الجوزى بل الظاهر أخذه
إياها عن معجم الأدباء فظاهر أن معنى كلامه هنا ان كون الفصول فى المعارضة على
رأى ابن الجوزى ومعلوم أن المعتبر نية العامل لا نية ابن الجوزى والمحاذاة ليست من
المعارضة فى شئ كما مر لنا إثباته فى الثبوت فانظره. على أن الرجل معترف بإعجاز
القرآن بعد تأليف الفصول اعترافاً ليس وراءه غاية ترام كما مر. وقد رأينا منه فصلاً
فلم نجد إلا عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولعمري إنا لفي
أشد حاجة إلى من ينتقد علينا أعمالنا، ويدلنا طريق رشدنا، وأما هؤلاء المطرون من
المداحين فيضروننا من حيث يريدون أن ينفعوننا، فقد طمت فى جميع طوائفنا الآفات،
وفشت فيهم السورات وشكت الأرض إلى السماء ما تحمله من البلاء والعناء وقد وصل
بى الكلام وله شجون وفنون بحيث أوقفنى موقف ذاب عنه متعصب له وأيم الله إنى لم
أقل إلا حقاً ولم أنطق إلا صدقاً. (١)

فأسلوب هذه الطائفة - كما ترى - يختلف عن أساليب غيرها مما يدل على أن
مخالطة أبناء اللغة تصقل الموهبة، وتشذب ما فيها من زوائد وتكمل ما بها من
نقائص.

هذه سمات النشر فى شبه القارة، وهى ملامح عريضة إذا ضمنت إليها ما بفنون
النشر من قسمات دقيقة - وهو ما ستراه على صفحات الفصول القادمة - بدت لك
صورة هذا النشر واضحة جلية. وما فنون النشر التى سنذكرها الا أغراضه التى صنف
الأدباء فيها.

١- أبوالعلاء وما اليه ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

الفصل الأول

النحو والصرف

مصنفات أدباء العربية فى شبه القارة فى النحو والصرف جمة ضخمة لأن هذين العلمين أساسيان لمن أراد تعلم العربية وقد كثرت فى إنتاج أدباء شبه القارة فيهما الشروح والخواشى والتعليقات وهو أمر طبيعى، إذ كان لهم أن يؤلفوا من جديد فى أمور تقرر من قبل واستقرت. وذهب بعض الباحثين إلى أن أول كتاب فى النحو فى شبه القارة هو تعليق الفرائد لمحمد بن أبى بكر بن عمر الدمامينى الذى مر ذكره فى الفصل الأول من هذا الكتاب ^(١) إلا أن هناك من قد سبقه فى هذا المجال كالشيخ يوسف بن الجمال الملتانى الذى ألف شرح لب اللباب، فالأول ألف كتابه بعد ٨٢٠ هـ وهو عام وصوله الهند من مصر والثانى صنف كتابه قبل وفاته فى ٧٩٠ هـ وقد أخرجنا الدمامينى كما تعلم من بحثنا لأسباب ذكرناها فى محلها.

ومن مؤلفات أدباء شبه القارة أيضاً فى هذا المجال : الإرشاد للقاضى شهاب الدين أحمد بن عمر الدولت آبادى وشرحه للخطيب الكاذرونى، كما أن للقاضى شهاب الدين أيضاً شرحاً على كافية ابن الحاجب ويعرف هذا الشرح بشرح الهندى وقد كتبت عليه حواشى كثيرة للتوقانى والكاذرونى وغياث الدين الشيرازى وعلاء الدين الجونبورى وعبد الملك الجونبورى والشيخ الهداد، وهناك أيضاً شرح الكافية المسمى بغاية التحقيق لصفى الدين الردولى، وشرحها للشيخ الهداد الجونبورى، وشرحها لسعد الدين الخير

آبادى وشرحها لشاهى بيك وشرحها المسمى بجامع الغموض ومنبع الفيوض للقاضى
عبد النبى بن عبد الرسول الأحمد نكرى، وحاشية على شرح الكافية للقاضى شهاب
الدين كتبها الشيخ الهداد وحاشية على شرح الكافية للجامى صنفها وجيه الدين
العلوى الكجراتى، وحاشية عليه من مبحث الحال إلى المجرورات للشيخ عبد النبى
الشاطرى، وحاشية لنور الدين بن صالح الكجراتى وحاشية عليه لعصمة الله بن الأعظم
السهارنبورى، وحاشية عليه لعيسى بن القاسم البرهانبورى وحاشية لشوكت على
السنديبورى، وحاشية لمحمد سعيد العظيم آبادى وحاشية لجمال الدين الكجراتى وأخرى
للمفتى جمال الدين بن نصير الدين الدهلوى، وشرح إرشاد القاضى شهاب الدين لوجيه
الدين العلوى وشرح الإرشاد لأبى الخير بن المبارك الناكورى وشرح آخر لمنور بن عبد
المجيد اللاهورى.

ومن تصانيفهم فى النحو أيضاً شرح المصباح لسعد الدين الخيرآبادى وحواشى على
المنهل الصافى لنور الدين بن صالح الكجراتى والشيخ جمال الدين وشرح الوافى لأبى
البركات بن المبارك، ومن كتبهم كذلك المعارف لحسين محمد بن يوسف الدهلوى
والتكميل لأبى الفتح الكالبوى والأشرفية لسيد أشرف بن ابراهيم السمنانى وكتاب
المقصد لتاج الدين محمود الدهلوى، وهداية النحو لسراج الدين بن عثمان الأودى
وخلاصة النحو للشيخ محمد رشيد العثمانى الجونبورى والكافى لمحمد حسين
البجاورى ونادر البيان للسيد أحمد بن مسعود الهركامى، ووسيط النحو لتراب على
الخيرآبادى، وتوضيح المرام فى تحقيق الجملة والكلام للشيخ إلهى بخش الفيض آبادى،
وخلاصة المسائل للسيد حفاظت حسين وزيد النحو لمحمد حسين وعين الإفادة فى
كشف الإضافة للسيد عبد الله بن آل أحمد البلكرامى وشمس النحو لشمس الدين
الحيدرآبادى وعين الهدى شرح قطر الندى لعلم الدين القنوجى والعباب للسيد محمد
تقى بن الحسين اللكنوى والباكورة الشهية فى شرح الألفية لظفر الدين اللاهورى ورقية
النحاة لعلى عباس الشرياكوتى، وله أيضاً حل الكافية والإيجاد فى الإرشاد، ومنها
أيضاً إرشاد اللبيب فى شرح تهذيب النحو لعلى محمد اللكنوى وتلخيص النحو
لابراهيم بن عبد العلى الأورى، والمقرب فى النحو لمحمد بن يوسف السورتى وكاشف

الظلام للمفتى سعد الله المراد آبادى وخير الكلام فى تصحيح كلام الملوك وملوك الكلام لعبد الحى بن عبد الحكيم اللكنوى ومشكاة التصاريح للشيخ سعدى البهارى وغيرها كثير. (١)

وأما مؤلفاتهم فى الصرف فمنها ميزان الصرف لوجيه الدين عثمان بن الحسين وهو كتاب متداول كتبت له شروح كثيرة ومنها المنشعب فى الصرف الكبير للشيخ حمزة البدايوى وهو أيضاً كتاب مشهور تناوله العلماء بالشرح والتعليق ومنها أصول الأكرى للشيخ على أكبر الإله آبادى وله أيضاً شروح عديدة ومنها أساس العلوم ليعقوب أبى يوسف البيانى، ومنها نقود الصرف للمفتى ولى الله بن أحمد الفرخ آبادى وهداية الصرف لعبد العلى السهالوى، والفصول الرضوية للشيخ على جعفر الإله آبادى وشفاء الشافية وهو شرح لشافية ابن الحاجب للشيخ عبد الباسط القنوجى، والشافية شرح الشافية لصديق حسن القنوجى والشافية شرح الشافية للشيخ محمد عليم الإله آبادى، وكفايه المفرطين شرح الشافيه لمحمد بن طاهر البتنى وشرحها للمولوى ظهور الله اللكنوى ومنها أيضاً ما يغنيك فى الصرف للحافظ نذير أحمد الدهلوى وفيض الصرف للسيد حفاظت حسين وكتاب الصرف للحافظ عبد الرحمن الأمرتسرى وشمس التصريف لشمس الدين الحيدرآبادى وتمرين المتعلمين فى الصيغ المشكلة للشيخ حسين على القنوجى ودستور المنتهى لملا عياض الرامبورى وخلاصة الصرف وأبحاث الصرف كلاهما لعلى عباس الشرباكوتى ومعيار الصرف لوكيل أحمد السكندربورى ومرتقى الصبيان فى مخارج الميزان للسيد محمد سعيد الرضوى الحيدرآبادى وأوراق الصرف لمحمد سعيد الأسلمى المدارسى وبناء الصرف لعباس عليخان وتشحيذ الأذهان فى معرفة الأبواب والأوزان لمحمد سعيد الرضوى ودروس الموازين للسيد عباس حسين وابتداء الصرف للسيد أولاد احمد السهسوانى وإمداد الأدب لإمداد على الأكرىآبادى وخلاصة الصرف لأصفر حسين الفرخ آبادى ومفتاح الأدب لعبيد الله الميدنى بورى وكثير غير هذا. (٢)

١- باختصار وتصرف عن الثقافة الإسلامية ص ٢٠-٢٣.

٢- الثقافة الإسلامية : ص ٢٣-٢٧ باختصار وتصرف.

ونحن ننقل هنا نموذجاً من أحد الشروح التى كتبت لألفية ابن مالك وعنوانه
« أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » صنفه عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفى بورى
(ت ١٢٥٧ هـ) ، وقد طبع فى مدينه كلكتة الهندية على الحجر عام ١٢٤٨ هـ أى قبل
أكثر من مائة وستة وستين عاماً ، يقول المؤلف :

السادس من النواسخ (ظن وأخواتها) :

وهى أفعال تدخل على المبتدأ والخبر بعد استيفائها الفاعل فتنصبهما مفعولين لها ،
وهى نوعان : أفعال قلوب وهى ما دل على يقين أو ظن أو عليهما ، وأفعال تحويل وهى
ما دل على تحويل المبتدأ إلى الخبر ، وبدأ بالأول فقال : (انصب بفعل القلب جزأى
ابتدا) أى المبتدأ والخبر ، لكن لا بكل فعل قلبى إذ منه ما لا ينصب إلا مفعولاً واحداً
كعرف وفهم ، ومنه ما هو لازم كجبن وحزن وعليه نبه بقوله : (أعنى) بفعل القلب الذى
ينصب الجزأين (رأى خال علمت وجدا) (ظنا حسبت وزعمت مع عدد * * *) (حجا درى
وجعل اللذ) يسكون الذال لغة فى الذى (كاعتقد) (وهب تعلم) فهذه ثلاثة عشر فعلاً
منها ما يفيد فى الخبر يقيناً ، وهو : وجد بمعنى علم ، نحو «إن وجدنا أكثرهم
لفاسقين» . فإن كانت بمعنى أصاب تعدت إلى واحد وإن كانت بمعنى استغنى أو غضب
أو حزن أو حقد فهى لازمة ، وتعلم بلفظ الأمر بمعنى : أعلم ، نحو :

تعلم شفاء النفس قهر عدوها فبالغ بلطف فى التحيل والمكر

ودرى بمعنى : علم ، نحو : دريت زيداً عالماً ، هذا ما ذهب إليه الكوفيون وتبعهم
الناظم ، والأكثر فيها أنها تستعمل معداة إلى واحد بالباء ، تقول : دريت به ، فإذا
أدخل عليها همزة النقل تعدت إلى واحد بنفسه ، وإلى آخر بالباء نحو : ولا أدراكم به .
ومنه ألقى بمعنى : وجد ، تقول : الفيته مغيثاً . ومنها ما يفيد الظن أى الرجحان ، وهو
جعل الذى بمعنى : اعتقد ، نحو : «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» وحجا
بمعنى : اعتقد لا بمعنى : غلب فى الحاجة . كقوله :

قد كنت أحجو أبا عمرو أخا ثقة حتى ألت بنا يوماً ملومات

وعد بمعنى : الظن كقوله :

لا تعدد المولى شريكك فى الغنى ولكنما المولى شريكك فى العدم

أى لا تظن الصاحب شريكاً لك فى الغنى إنما هو شريكك فى الفقر، فإن كانت من
العد بمعنى : الحساب تعدت إلى واحد، وزعم بمعنى : اعتقد لا بمعنى : كفل أو سمن أو
هزل، تقول : زعمت زيداً ذا غنى. وهب بلفظ الأمر بمعنى : اعتقد. كقوله :

فقلت أجرنى أبا خالد وإلا فهبنى امرأ هالكاً

أى اعتقدنى هالكاً. ومنها ما يرد لأمرين، والغالب كونه لليقين وهو رأى بمعنى :
علم أو ظن لا بمعنى : أبصر، قال الله تعالى : «إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً» أى
يظنونه ونعلمه وعلم بمعناه أو بمعنى : ظن لا عرف، نحو علمت زيداً أباك. ومنها ما هو
لهما والغالب كونه للظن هو ظن بمعناه أو علم لا بمعنى اتهم، تقول : ظننت زيداً أخاك،
وعند البصريين هو للشك والظن واليقين، فالشك استواء الأمرين عندك، وإن ترجح
أحدهما فظن، وإن اعتقدته بدليل فيقين وخال بمعنى : ظن أو علم لا بمعنى : تكبر، نحو
خلت زيداً صديقك. وحسب بمعنى : ظن أو علم لا بمعنى صار ذا حسبه وهى لون نحو
حسبت زيداً ذاهباً. ثم انتقل إلى بيان النوع الثانى وهو ما يفيد فى الخبر تحويل صاحبه
إليه، فقال : (والتي كصيرا * * * أيضاً بها انصب مبتدا وخبراً) وهى : صير وأصار
وجعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ورد، تقول : صيرت زيداً صديقك، وأصرت زيداً أخاك،
وجعلناه هباء منثوراً واتخذ الله إبراهيم خليلاً، وتخذته خليلي، ووهبني الله فداك
وتركته ميتاً، وود كثير من أهل الكتاب لو يردنكم من بعد إيمانكم كفاراً. (وخص
بالتعليق) وهو إبطال العمل لفظاً لا محلاً لزوماً لفصل ما له صدر الكلام بينه وبين
معموله فلا يعمل ما قبله فيما بعد. كقولك : علمت لزيد ذاهب (والإلغاء) وهو إبطال
العمل لفظاً ومحلاً لضعفه بالتأخر عن المفعولين والتوسط بينهما تقول : زيد عالم
ظننت، وزيد ظننت عالم (ما) * * * ذكر (من قبل هب) من الأفعال القلبية المتصرفة
بخلاف هب وما بعده، وهو تعلم فإنهما لم يتصرفا بل قد ألزما صيغة الأمر كما أشار
إليه بقوله : (والأمر) نصب على المفعولية (هب قد لزما) أى الزم هب الأمر (كذا تعلم
ولغير الماض) وهو المضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر (من * * * سواهما)
أى سوى هب وتعلم من الأفعال (أجعل كل ماله) أى الماضى (زكن). أى علم من
التعليق والإلغاء ومن نصبه مفعولين وهما فى الأصل مبتدأ وخبر تقول : أنا أعلم زيداً

ذاهباً، وزيد عالم أظن، وبها هذا اعلم لزيد مقيم، ولما كان جواز الإلغاء فى حال توسط الفعل بين المفعولين أو تأخره عنهم نبه عليه بقوله : (وجوز الإلغاء لا فى الابتداء ***) أى لا فى حال الابتداء بالفعل بل فى حال توسطه أو تأخره، تقول : زيد عالم ظننت، وإن شئت زيداً عالماً ظننت، والإلغاء أرجح، وفى التوسط زيد ظننت عالم وزيداً ظننت عالماً، والأمران على السواء (وانو ضمير الشأن) ليكون هو المفعول الأول والجملة المذكورة بعده فى موضع المفعول الثانى (أو) انو (لام ابتداء) لتكون المسألة من باب التعليق (فى) كل كلام (موهم) أى موقع فى الوهم (إلغاء ما تقدما) *** من فعل على المفعولين كقوله :

أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما أخال لدينا مسنك تنويل

أى ما أخال الشأن لدينا منك تنويل، وقوله:

كذلك أدبت حتى صار من خلقى أنسى رأيت ملاك الشيمة الأدب

أى لملاك الشيمة الأدب فخذفت اللام. وأبقى التعليق. (١)

والمؤلف يقول فى مقدمة الكتاب : لما كان كتاب الألفية مع وجازه نظمة وصغر حجمه قد جمع من النحو ما لا يوجد فى كتاب، وفاق بما حازه من هذا العلم تأليف الأصحاب، بيد أنه ضعب المرام عناص على الأفهام ولم يتفق له شرح يسهل ما عسر إدراكه على الطالبين، وتبتهج به أنفس الراغبين، لخصت من الشرح ما يجديهم فى حل مبانيه، ويكفيهم فى فهم معانيه بأوجز عبارة وألطفها وضممت إليه عوائد أخر ظفرت بها، وقد سميته بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : (٢) وهو كما قال شرح سهل بعيد عن التعقيد ومن تفحص الكتاب رأى أن المؤلف لم ينح نحواً معيناً أو ينصر مدرسة على أخرى من مدارس النحو بل يعرض عند الإشكال آراء مختلف المذاهب دون

١- أوضح المسالك : ص ١١٤ إلى ١٢٥ ، الهند ١٢٤٨ هـ .

٢- نفس المصدر : ص ٢ .

فصل منه فيها كما جاء مثاله في صفحه ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ وغيرها ، ومع هذا فهو يبدو متأثراً بشرح ابن هشام المسمى بنفس الاسم ، ولم يأت المؤلف فيه بجديد ، وإن كان من ميزة لهذا الكتاب فهو بعده عن معركة المذاهب التي ما فتئت تلقى بظلالها على مؤلفات أصحابنا في شبه القارة ، فالشيعة انتصروا للكوفيين في النحو ، والسنة نافحوا عن البصريين كما يظهر للباحث البصير عند مطالعة كتبهم إذ اشتغل كل من الطرفين بالرد على أخيه بمؤلفات تؤيد هذا أو ذاك من المذاهب وهو ما نأينا بجانبنا عن ذكره في هذا المقام ، لكننا نسجل - مع ذلك - أن هذه الظاهرة سببها نشأ الأدب حول المدارس الدينية فألقت المعتقدات بألوانها عليه .

الفصل الثانى

علوم اللغة

ألف أهل شبه القارة كتباً كثيرة فى علوم اللغة منها البلغة فى علوم اللغة لصديق حسن القنوجى وله أيضاً العلم الخفاق من علم الاشتقاق ولف القمطاط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط، ومن أحسن ما رأينا فى هذا الباب كتاب فقه اللسان لكرامت حسين الكنتورى، وللسيد ذو الفقار أحمد المالى كتاب المبتكر فى المؤنث والمذكر ولعبد الغنى بن محمد الفرخ أبادى موارد المصادر والأفعال، وللشيخ ظفر الدين بن إمام الدين اللاهورى كتاب بعنوان نيل الأرب فى مصادر العرب، وهناك أيضاً معارف العلوم للقاضى إبراهيم بن فتح الله الملتانى، وحوار العرب لعبد الغنى الفرخ أبادى المذكور آنفاً. (١)

ومن حسن حظنا أن وقعت يدنا على أعظم كتاب فى هذا الفن وهو فقه اللسان، فهو بحث راق فى ثلاثة مجلدات حول المصادر الصوتية فى اللغة العربية كتبه كرامت حسين الكنتورى المتوفى ١٣٣٥ هـ وطبع فى الهند عام ١٩١٥ م. ويبدو أن المؤلف قد استفاد من إقامته فى بريطانيا عدة سنوات فى الاطلاع على أبحاث لغوية وصوتية جعلت بحثه يتصدر القمة فيما كتب فى هذا الموضوع فى شبه القارة، ومن العجيب أن يهتم بطبع هذا الكتاب مرتين أحد الناشرين الهندوس، بينما لا يعرف الكتاب عند العرب رغم مناقشة المؤلف فيه لقضايا عديدة تتصل باللغات العربية والعبرية السريانية

١- الثقافة الإسلامية : ص ٢٨ و ٣٢ .

كأسباب اكتمال العربية وتقدمها على أخواتها وأسباب كثرة الأصول الثلاثية فى اللغات السامية وأسباب كثرة البدل فى العربية ومقارنته بالبدل فى السريانية والعبرية، والفرق بين العربية واليافثية فى الاشتقاق الصرفى، وما إلى ذلك بسبيل. والكتاب يناقش فى الجزء الأول منه نشأة الألفاظ من أصوات، وتقدم الأسماء فى الظهور على الأفعال والنظريات المختلفة فى نشأة اللغة والربط بين ذلك وبين الإدراك والمدرجات المختلفة وكون الأصوات السينية والرائية أسبق فى الوجود على غيرها، ثم يبحث فى الأصوات الأصلية والمصادر الأصلية وما طرأ عليها بعد ذلك من تغييرات بالاشتقاق اللغوى والصرفى وأصول العلاقات التى ينتقل بها اللفظ من الحقيقة إلى المجاز والأمور التى لا بد منها لمن يقوم بجمع الألفاظ والمفردات والفرق بين طريقة القدماء فى الاهتمام بالظاهر وبين طريقة المحدثين فى الاعتناء بالباطن ثم يفرد فصلاً للعلل والمعلول واشتقاق المادة وفعل الحواس وفصلاً فى التجريد والتعقل ويدعم مذهبه بما توصلت إليه العلوم العقلية والنفسية، ويبدو أن المؤلف بعد أن نحى المنحى المادى فى نشوء اللغة والأصوات والمصادر وربط الحواس بالماديات شعر أن منحاه قد يعرضه لفتاوى التكفير التى يسهل إطلاقها فى شبه القارة قديماً وحديثاً بشأن من اختلف أدنى اختلاف عما هو سائد مألوف، لذلك تراه ينسحب فى نهاية البحث إلى قضية الايمان بالمخالق وواجب الوجود وضرورة الدين مدلاً على ذلك بأدلة مادية، ويفرد المؤلف الجزأين الثانى والثالث للمصادر الصوتية فى اللغة العربية، ولا شك فى أن المؤلف وقد شغل منصب أستاذ القانون بجامعة إله آباد وجامعة عليكره التى حملت مشعل التجديد فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين فى شبه القارة كما عمل قاضياً بالمحكمة العليا بإله آباد، قد استفاد من الحجج القانونية والاستدلال العقلى على ما أراد إثباته وهو يناقش قضايا اللغة، وبالجمللة فإن الكتاب يشير إلى سعة اطلاع مؤلفه على العلوم العقلية والفلسفة اليونانية علاوة على العلوم اللغوية خاصة ما يتعلق منها بالأسرة السامية، وهذا فى ذاته فريد فى شبه القارة التى تسيطر عليها علوم لغاتها الآرية. ولبت دور النشر العربية تهتم باخراج هذا الكتاب وطبعه من جديد لأنه مطبوع طبعة بدائية، حتى يتيسر للباحثين والدارسين لما فيه من موضوعات أن يستفيدوا مما كتبه المؤلف أو يتناولوه بالنقد إن كان فيه ما يستأهل ذلك.

وقد اخترنا نموذجاً من الجزء الأول ثم نموذجاً من الجزأين الثانى والثالث حول المصادر حتى يقف القارئ على أسلوب المؤلف فى القسمين النظرى والتطبيقى. يقول المؤلف :

«أعلم أن الأصوات الحاكية لا تكون كاملة فى المماثلة بالأصوات المحكية لأن أدوات الكلام البشرية وإن كانت قادرة على حكاية صوت يسمع فإن قدرتها غير تامة إذ لا يصير الحاكى الذى يحدثه الإنسان فى الغالب مثلاً كاملاً للمحكى ومن ثم يكون الصوت الحاكى أقصر دلالة على الأصل من الصورة الجيدة التى تكون مماثلة للمصدر إلا أن تكرير هذا الصوت الحاكى القاصر عن المطابقة بالمحكى الصادر من الجسم المعين بمحضر من السامعين الذين يعرفون مراد المتكلم من الصوت يحكم الملازمة بين الصوت الحاكى والصوت المحكى ويتقبل السامعون من المتكلم هذا الحاكى لعلمهم بقصوره عن إكمال المماثلة ورضى السامعين بالقبول المسمى بالاصطلاح بجبر نقصان المطابقة بين الحاكى والمحكى».

اعلم أن الحكاية بالتصوير والحكاية بالتصويت مع كونهما متحدتين فى المقصود منهما فإن بينهما فرقاً عظيماً إذ يكون التقدير كاملاً فى المطابقة لصورة الجسم المعين ويدل عليه عياناً ولا يحتاج إلى معين له فى الدلالة على المصور. والتمثيل بالتصويت كما علمت يكون قاصراً عن المطابقة بالصوت المحكى من جهات عديدة ومن ثم يستعين المتكلم فى أوائل عمر اللسان إذا مثل شيئاً للمخاطب بالتصويت بوسائل شتى إغراقاً منه فى إتمام ما قصر بالتصويت وفى تعيين المراد بالصوت الحاكى والوسائل التى تستعمل فى إتمام الصوت القاصر هى الحركات البدنية من الإيماء ورفع اليد والعض عليه و الطرق بالقدم والتمايل من جانب إلى آخر وأسميها الإشارات والحركات الوجهية من الرمز والإيماء والتقطب والتهلل والتكلف والتعبس وغيرها التى أسميها الرموز. يغلب استعمال هذين النوعين فى بيان الحالات الباطنية من الوجد والألم والسرور خصوصاً إذا مالت إلى الإفراط لأن الأصوات لا مناسبة لها بأمثال هذه ولا ريب أن المتكلمين فى أول الأمر إذا كانت اللغة حديثة العهد بالوجود كانوا يمزجون هاتين الذريعتين بالتصويت ويشاهد هذا المزج إلى يومنا هذا إذا تكلم جاهل من الأقسام السافلة أو تكلم أحد بهذه الوجه من الأقسام العالية ثم لا يخفى أن طول استعمال

صوت للدلالة على جسم معين يحكم الملازمة بينهما ويوجب تبادر الذهن من الصوت القاصر فى المطابقة إلى الجسم المعين ومع استحكام الملازمة وكفايته للتبادر تهجر الإشارات والرمزات.

من الأسباب التى تدعو إلى هجرانها أمور، منها طول الزمان المحتاج إليه فى أدائها، منها اللغوب الذى يعقبها، منها احتياجها إلى أن يكون السامع بمرأى قريب من المتكلم فإن كان السامع مثلاً بحيث لا يراه المتكلم لا تنفع الإشارات والرمزات، منها قلة عددها بمقابلة الأصوات الحاكية ومن ثم إضافة المعين من الإشارات بالأفراد الكثيرة من الأصوات المفضية إلى عدم التعيين، منها عدم قبولها للتشخص التام فى الوضع والهيئة بحيث تختص إشارة معينة فى الوضع والهيئة أو رمزة معينة كذلك بلفظ معين، منها عدم لصوق فرد منها بلفظ معين بحيث لا يمكن إلصاقها بلفظ آخر، منها عدم قبولها للتدرج فى الخفة و الشدة حتى تكون مطابقة لما يقابلها من المفاهيم فى الشدة والخفة، منها عدم قبولها الصوغ الصرفى الذى به يصير صوت واحد مستعملاً فى حالات كثيرة طارئة على معنى واحد من اللزوم والتعدية والاسمية والفعلية والفاعلية والمفعولية وغيرها، الأصوات بخلاف الإشارات والرمزات تكون موصوفة بصفات تدعو إلى بقائها بقاعدة خلافة الأوفق، منها أنها أى الأصوات أخف مؤنة وأيسر أداء وأهون حفظاً وأشدّ تعييناً وألصق لزوماً بالمسمى، منها أنها تقبل الصوغ الصرفى والتركيب النحرى والبقاء الطويل الذى يتأخم القدم بواسطة الكتابة.

بالجملة الألفاظ التى تشتمل عليها اللغة حدثت فى بدو أمرها بحكاية الأصوات المسموعة من الأجسام وكانت الأصوات المسموعة مدلولاتها الأولية أى معانيها الأولية ثم دلت الأصوات الحاكية على الأجسام التى كانت مصادر للأصوات دلالة الجزء على الكل ودلت على أجسام لم تكن مصادر للأصوات مطلقاً وعلى صفات لم تدرك بالأذن بل أدركت بغيرها من الحواس وعلى أشياء فهمت بالعقل وحيث تكون الأجسام مصادر للأصوات تارة بالحركات الإرادية إن كانت مما تحملها الروح وتارة بالحركات الغير الإرادية المشاهدة فى هبوب الرياح وجريان المياه وتصادم الأجسام دلت الأصوات الحاكية مرة على الأجسام ومرة على الأفعال التى صارت عللاً لحدوث الأصوات المحكية ومنه يظهر أن

البحث فى تقدم الاسم على الفعل أو الفعل على الاسم وضعاً كالبحث عن تقدم المادة على القوة أو تقدم القوة على المادة والمناسبة التى تدعو إلى جعل الصوت ذريعة لبيان الأشياء هى وجود صوت مع الأشياء مماثل لصوت حاك لذلك الصوت، على هذا فالصوت هو المادة الاولى التى خلقت منها الألفاظ ويمكن لنا فى طائفة من الألفاظ أن ننسبها إلى الصوت الحاكى ولكنه لا سبيل إلى بيان هذا النسب فى جميع الألفاظ لأمور منها المباينة فى أسماعنا وأسماع الحاكين فى قديم الزمان وفى قوة تطبيق الصوت الحاكى بالصوت المسموع وتقتضى تلك المباينة فى الأسماع المباينة فى المسموع مثلاً إذا ضرب رجل عدوه بسيف حدث من وقع السيف على اللحم وقطعه إياه صوت معين ولكن الأثر المسموع الحادث فى السامعين الذين تتخالف أسماعهم يكون مختلفاً ثم إذا ارادوا حكاية ذلك الأثر المختلف يقع فى حكاية كل واحد منهم اختلاف آخر للاختلاف فى أدوات كلامهم ولهذين الاختلافين يصير ما يحسبه أحد منهم حاكياً مخالفاً لما يحسبه الآخر حاكياً ولذا صار مثال الصوت المسموع عند وقع السيف على اللحم شق فى العربية وجكاجاك فى الفارسية وكهج فى الهندية وتصور الحاكى فى ثلاث صور مع اتحاد المحكى ولا ريب أن هذه المباينة تمنع فى صور كثيرة من رفع نسب الألفاظ إلى الحكاية لأن ما نحسبه حاكياً من الألفاظ ربما يكون غير حاك وما نحسبه غير حاك ربما يكون حاكياً، منها أن الألفاظ مع فرض اتحاد الحاكى منها بحاكى القدماء صارت مواضع لتغيرات عظيمة متواترة فى صورها ومعانيها وفى عمرها وفى اغترابها فى البلدان وتوارثها بالأقوام وفى انتقالها إلى معان كثيرة وفى انفصالها عن المعانى الأولى واتصالها بالمعانى الثانية وفى البدل فى حروفها وفى القلب فيها وفى الزيادة فى حروفها وفى النقصان فيها وبعد هذه التغيرات العظيمة يمحو أثر المماثلة ولا يمكن إنهاء نسبها إلى الصوت، منها أنه بعد شيوخ جعل الأصوات علامات للأشياء والصفات يمكن أن يوضع ألفاظ للأشياء أو الصفات من غير مراعاة المناسبة الصوتية بين تلك الألفاظ ومعانيها كما يمكن اليوم أن نوجز خطأ تكون حروفه خطوطاً مستقيمة لا علاقة لها بالتصوير الذى هو أصل الخط وتكون تلك الألفاظ ألفاظاً غير حاكية واسميتها الألفاظ النقلية وليكن ختم ما قلته من أن التمثيل هو الأصل الذى نبتت منه اللغة بالحكاية معنى ما قاله الحكيم اسبنسر وهو هذا.

اعلم أن إدراك الأشياء وتقسيمها إلى الأنواع موقوف على إدراك المباشرة والمماثلة بين الوجدان السابق والوجدان الموجود كما أن تصنيف الأشياء الذى لا يتم بدونه إدراكها موقوف على إدراك المماثلة بينها كذلك إدراك المماثلة بين اللفظ والمسمى هو المرجع فى وضع الألفاظ للمعاني والألسنة كلها عند حدوثها تحتوى على علامات يجعلها أهل الألسنة مماثلة للأشياء المعلمة بها بقدر وسعهم فى التمثيل، والإشارات كما ترى تخبر عن الأشياء المرادة بحكاية الأفعال الصادرة منها أو بحكاية خصوصيات تلك الأشياء والأصوات كذلك تخبر عن المسميات وأفعالها بأصوات تحدثها تلك المسميات أو تصدر عنها تلك الأفعال وكلاهما أى الإشارات والأصوات كانتا مستعملتين فى ابتداء حدوث اللسان لإلقاء ما كان يجده المتكلم إلى المخاطب إن راقبت كافراً أو بشماناً (قومان فى إفريقيا) وجدته يشفع لسان قاله بلسان حاله إذا وصف مثلاً كيفية قتل صيد لا يقتصر على أصوات أى الألفاظ بل يأتى بالحركات البدنية والإشارات حكاية للأفعال التى صدرت منه فى تعقب الصيد من الكمون والديب و توتير القوس وتسديد السهم والوثوب على الصيد إذا أصاب السهم مقتله والذبح له وحمله إلى المقام وإن تفكرت فى قله عدد الألفاظ فى الألسنة القديمة وجدتها موقوفة على قيام كثير من الإشارات مقام الألفاظ الموجودة فى الألسنة الجديدة واستنبطت أن تلك الإشارات كانت شطراً من الألسنة القديمة وكان لها دخل عظيم فى تكميل المماثلة بين المثل والمثل من الأشياء والحيرانات والأشخاص والواقعات وحيث صارت الأصوات لطول استعمالها فى مسميات خاصة مغنية بدلالة الالتزام عن الإشارات رفضت تلك الإشارات وإن بقى شئ منها فى أيدي أهل الطيش من الأقوام المهذبة وإن تأمل متأمل فى كون الألفاظ المتداولة فى الأقوام الوحشية أصواتاً حاكية لأصوات الأشياء المرادة وفى كون الألفاظ البسيطة المستعملة فينا أيضاً أصواتاً حاكية لأصوات الأشياء المرادة وفى كون الألفاظ التى تضعها الصبيان لبيان ما يرونه من المحسوسات أصواتاً تحكى أصوات الأشياء المرادة استيقن أن إدراك المماثلة بين الصوت الحاكى وبين الصوت المحكى الصادر عن الشئ هو الوكيل الأول فى وضع اللغة.

اعلم أنه بعد القول بأن الألفاظ الأصلية من اللسان مع اختلاف أوزانها ودلالة بعض منها على المحسوس بالحواس الوصلية والعين على المعقول بالعقل ومع وجود معان كثيرة للفظ واحد وألفاظ كثيرة لمعنى واحد تكونت من صوت حاك لصوت مسموع ثم بالانضمام والامتياز والانتظام صارت ممتازة فى صور كثيرة لا بد لنا من بيان كيفية حدوث المادة الأولى للألفاظ وبين أسباب عاملة فى تصويرها بصور كثيرة ووضعها لمعان مختلفة. (١)

وأما النموذج الثانى من الكتاب فقوله :

(نشق)

مصدر أصلى يحكى صوتاً يحدث عند السعوط كما يحدث عند النشف والنشم وسعط صورة أخرى لنشق أى يحكى الصوت الحادث بسعط كما يحكى بنشق. النشق صب سعوط فى الأنف أصله الصوت الحادث عند النشق بالإرادة ثم نقل إلى الصب. النشوق سعوط يجعل أو يصب فى المنخرين نقول أنشقته إنشاقاً.

فى الحديث أن للشيطان نشوقاً ولعوقاً ودساماً يغنى ان له وساوس مهما وجدت منفذاً دخلت فيه.

أنشقته الدواء فى أنفه صبيته فيه. النشوق اسم لكل دواء ينشق، فى الحديث أنه كان يستنشق فى وضوئه ثلاثاً فى كل مرة يستنثر أى يبلغ الماء خياشيمه وهو استنشاق الريح إذا شممتها مع قوة، قيل انشقه الشئ فانتشق وتنشق انتشق الماء فى أنفه واستنشقه صبه فيه أصله جذبه إلى داخل الأنف فحدث صوت محكى بالنشق.

اشتنتشت الريح شممتها واستنشقت الماء وغيره إذا أدخلته فى الأنف، النشاق الريح الطيبة وقد نشقا نَشَقاً ونَشَقاً وانتشق وتنشق. أبو زيد : نشقت من الرجل ريحاً طيبة أنشق نشقاً أى شممت، قال أبو حنيفة إن كان المشموم مما تدخله أنفك قلت تنشقتة

١- فقه اللسان : ١ / ٦٨ إلى ٧٤ ، الهند ١٩١٥م.

واستنشقت، انشقه القطنه المحرقة إذا أدناها إلى أنفه ليدخل ريحها خياشيمه. النشقة الحلقة تشد بها الغنم وقيل النشقة بالضم الربة التى فى اعناق البهم ويقال لخلق الربق نشق لا أدري العلاقة. قد أنشقت فى الحبل أى أنشبت. ابن الأعرابى : أنشق الصائد إذا علقت النشقة بعنق الغزال فى الكصيصة.

يقول الصائد لشريكه لى النشاقى ولك العلاقى فالنشاقى ما وقعت النشقة فى الحلق وهى الشربة قال والعلاقى ماتعلق بالرجل.

نشق الصيد فى الحباله نشقاً نشب وعلق فيها وكذلك فراشة القفل. يقال نشب فى حبله ونشق وعلق وارتبق كل ذلك بمعنى واحد ابن سيده. وحكى الليحاني نشق فلان فى حبالى نشب. فى الحديث أنه شكى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كثرة الغيث وكان فيما قيل له ونشق المسافر أى نشب فلم يطق على البراح من كثرة المطر. رجل نشق إذا كان ممن يدخل فى أمور لا يكاد يتخلص منها.

نشق فى العبرانية رتب، نظم - وهو قريب عند غسنويوس من نسق بالسین المحملة فى العربية - سلح نفسه بالسلاح، لثم كأن ضم فاه بقم غيره ووصلهما.

نشق فى السريانية قبل - لثم - باس - لطع - لحس - وصل - بلغ. (١)

(نعس)

مصدر أصلى كنفس يحكى صوتاً سنياً يسمع للوسنان عند النعس، خصوا النفس بالصوت المسموع فى اليقظة والنعس بالصوت المسموع فى النوم.

النعاس النوم وقيل هو مقاربته وقيل ثقله نعس ينعس نعاساً وهو ناعس ونعسان وقيل لا يقال نعسان والنعاس والوسن قال الأزهري وحقيقة النعاس السنة من غير نوم وناقعة نعوس غزيرة تنعس إذا حلبت وقال الأزهري تغفر عينها عند الحلب والنعسة الخفقة والكلب يوصف بكثرة النعاس وفى المثل مظل كنعاس الكلب أى متصل دائم. أبو عمرو نعس الرجل إذا جاء بينين كسالى.

١- فقه اللسان : ٢ / ١٥٠ - ١٥١.

نغست السوق إذا كسدت وفي الحديث أن كلماته بلغت ناعوس البحر قال ابن الأثير
قال أبو موسى كذا وقع في صحيح مسلم وفي سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه
ولعله لم يوجد كتبه فصحف بعضهم قال وليست هذه اللفظة أصلاً في مسند اسحق الذي
روى عنه مسلم هذا الحديث غير أنه قرنه بأبي موسى وروايته فلهله فيها قال وإنما أورد
نحو هذه الألفاظ لأن الإنسان إذا طلبه لم يجده في شيء من الكتب فيتحير فإذا نظر في
كتابين عرف أصله ومعناه.

ما وجدت نعس في العبرانية. نعس في السريانية قارب النوم لفتور أعضائه.

(عطس)

مصدر أصلى يحكى صوتاً يحدث عند العطسة خصوصاً إذا رام العاطس أن لا
يشتد صوت العطسة.

عطس الرجل يعطس بالكسر ويعطس بالضم عطساء وعطاساً وعطسة والاسم
العطاس. المعطس والمعطس الأنف لأن العطاس منه يخرج قال الأزهري المعطس بكسر
الطاء لا غير وهذا يدل على أن اللغة الجيدة يعطس بالكسر والعاطوس ما يعطس منه
مثل به سيبويه وفسره السيرافي.

عطس الصبح إذ فلق والعاطس الصبح لذلك صفة غالبه وقال الليث الصبح يسمى
عطاساً.

ظبي عاطس إذا استقبلك من أمامه لأنه يعطس نوع منه إذا استقبلك ويسمى في
الهندية جكاره وهو مخفف جهنكن هارا أى الذى يعطس.

عطس الرجل مات قال أبو زيد تقول العرب للرجل إذا مات عطست به اللجم قال
واللجمة ما تطيرت منه. انفلاق الصبح عطسه لما يشاهد من نور مستطير مشابه بالنجاز
الخارج من أنف العاطس ويقال للموت لجم عطوس.

العاطوس دابة يتشأم بها. يقال فلان عطسة فلان إذا أشبهه في خلقه وخلقه وهو
من قولهم الهرة من عطسة الأسد.

عطس في العبرانية غير مستعمل مجرداً ومنه عطوسه بمعنى العطس، عطش في السريانية عطس. (١)

بهذه النماذج البسيطة يتضح لك أن الكتاب ليس بحثاً في مصادر العربية وحدها بل هو بحث شيق في اللغات السامية. مما يضيف إلى قيمة العلمية؛ ولذلك قال الحسن بن علي: «لعله متفرد في علماء الهند لهذا الصنف». (٢)

ومن الكتب المشهورة في علوم اللغة في شبه القارة البليغة في أصول اللغة لصديق حسن القنوجي وهو كتاب سهل بسيط ألفه على نمط المظهر للسيوطي، يقول في مقدمته:

«وقد عنى بعلم اللغة ثلة من السلف المبرزين، وجله من الخلف المتقنين ولم يعن بأصولها وارتياها إلا واحد فيما علمت من الفحول، ومع ذلك لم يسمه بالأصول بل وسمه بأنواع، وحاكى به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع، وأتى فيه بنفائس كثيرة تهتز لها الطباع ولطائف شريفة تطرب بها الأسماع وهو الجلال السيوطي في المظهر أجزل الله له الأجر الوافر. فأردت انتقاءه على ذلك النظام، وأفرغته في قالب الإيجاز بحسن الانسجام مع التزام إتمام المعاني وإبرام قواعد المباني، ولخصته مطروح الزوائد مجموع الفوائد مع زيادة نزرة امتلاء بها الوطاب، وتصرف يسير اعتلى منه الخطاب كمذكر الكتب المؤلفة في هذا العلم، وغير ذلك مما أوردته في هذا السفر المستطاب، وأسميته البليغة في أصول اللغة. (٣)

هذا هو منهج المؤلف بما فيه من اعتراض على منهج السيوطي وما أورده هو من زيادات. لكن المصنف أيضاً استدرك على بعض الآراء التي نقلها عن اللغويين في القضايا التي ناقشها، مثال ذلك استدراكه على من قالوا بأن لغة العرب هي أول اللغات وكل لغة سواها حدثت بعدها إما توقيفاً أو اصطلاحاً واستدلوا على ذلك بأن القرآن كلام الله وهو عربي وهو دليل على أن لغة العرب أسبق اللغات وجوداً.

١- فقه اللسان : ٣ / ٢٧٦ - ٢٧٧.

٢- الثقافة الإسلامية : ص ٢٨.

٣- ص ٣. القسطنطينية، ١٩٩٦هـ.

يقول المؤلف «... قلت ولا دليل فى كون القرآن كلام الله على أن لغة العرب أول اللغات وأسبقها لأن صحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى نزلت قبل القرآن وكلها كلام الله فما ابرد هذا الدليل». ^(١) كذلك استدراكه على رأى من قال إن بيان العربية لا يمكن ترجمته إلى شئ من الألسنة الأخرى. ^(٢)

والكتاب ثرى بنقول جمعت عن أئمة الفن كالخليل بن أحمد وابن جنى وابن فارس وابن الحاجب وشيوخ المعتزلة والأشاعرة بحيث يستوفى القارئ ما قيل فى المسألة الواحدة على لسان جميع المذاهب، وهاك نموذجاً من الكتاب يقول فيه المؤلف :

الثانية والعشرون معرفة خصائص اللغة

قال ابن فارس لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها قال تعالى «بلسان عربى مبين» فوصفه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان وقال تعالى «خلق الإنسان علمه البيان» فقدم سبحانه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه من الخلقات المحكمة والنشاي المتقنة فلما خص سبحانه اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب هذا بما لا خفاء به على ذى نهية وقال بعض أهل العلم حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب فى القرآن وكذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شئ من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزيور وسائر كتب الله بالعربية لأن غير العرب لم تتسع فى المجاز اتساع العرب وقد تأتى الشعراء بالكلام الذى لو أراد مريد نقله لأعتاص وما أمكن إلا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكك والاعتزاز والاستسلام لى به والله تعالى أعلم حيث يجعل الفضل انتهى. قلت فضل اللسان

١- البلغة : ص ٧١.

٢- نفس المصدر ص ٥٢ - ٥٣.

العربى على لغات العجم كلها مسلم وأما عدم القدرة على نقله إلى شئ من الألسنة على أى وجه كان فيه نظر واضح فقد ترجم جمع من أهل العلم واللسان القرآن الكريم بالفارسية والهندية واللغات الإفرنجية وغيرها من الألسنة وهى تؤدى معناه وتبين فحواه بلا شك وإن لم تكن من استقصاء المعانى كلها ومراتب الفصاحة أو البلاغة جلها بمكان العربية ولسان الهنود فى كتبهم القديمة التى يقال لها سنسكرت أوسع من جميع الألسنة لأن فيها صيغ المذكر والمؤنث والخنثى على حدة بخلاف العربية فإنها ليست فيها صيغه للخنثى كما ليست فى الفارسية صيغة للمؤنث. نعم لسان العرب أفضل اللغات وأشرفها وأجود الألسنة وكلها بوجوه وخصائص توجد فيه ولا توجد فى غيره وبعده لسان الفرس وبعده لسان الهند المحدث من عساكر سلاطين الهند وكان حدوثه عند مخالطة الفرس وغيرهم مع أهل الهند وغيرهم وقد اشتمل على لغات الألسنة كلها ووقع من القبول والشهرة بمكان عظيم وهو سهل التناول والاستعمال لذيذ التكلم عذب الانتحال ليس بثقيل مثل لسان الهنود والإفرنج ولا بخفيف ومهان مثل لسان أهل البادية الجفافة وفيه الشعر والنظم وكل الشئ من العلوم والفنون. نعم طالع العرب رفيع حيث بعث خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، وهذا فضل عظيم وشرف جسيم لا يساويه شئ من المفاخر العليا والمآثر الحسنى واختصت العرب بأشياء منها قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثانى أخف من الأول نحو قولهم ميعاد ولم يقولوا موعاد ومنها تركهم الجمع بين الساكنين وقد يجتمع فى لغة العجم ثلاثة سواكن ومنه قولهم يا حار ميلاً إلى التخفيف ومنها اختلاسهم الحركات فى مثل فالיום اشرب غير مستحقب ومنه الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف نحو لم يك ولم أبل ومنها إضمارهم الأفعال ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم وقال ابن خالويه جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين وقد جمع حمزة الأصبهاني من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة وذكر أن تكاثر أسماء الدواهي من الدواهي ومن العجائب أن أمه وسمت معنى واحداً بمئين من الألفاظ قال ابن فارس فأين لسائر الأمم ما للعرب و من ذا يمكنه أن يعبر عن قولهم ذات الزمين وكثرت ذات اليد

ويد الدهر وتخاوصت النجوم ومجت الشمس ريقها وذر الفئ ومفاصل القول وأتى الأمر من فسه وهو رجب العطن وغمر الرداء وهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدالة وما فى كتاب الله تعالى من الخطاب العالى أكثر وأكثر كقوله ولكم فى القصاص حياة ويحسبون كل صيحة عليهم وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وإن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً وإنما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وهو أكثر من أن نأتى عليه وللعرب بعد ذلك كلم تلوح فى أثناء كلامهم كالمصابيح فى الدجى كقولهم هذا أمر قاتم الأعماق أسود النواحي وله قدم صدق وإذا أمر أنت أردته ودبرته وتقاذفت بنا النوى واستف الشراب وأقبلت مقاصر الظلام إلى غير ذلك وهذه كلمات من قدحة واحدة فكيف إذا جال الطرف فى سائر الحروف مجاله ولو تفحصنا ذلك لتجاوزنا الغرض ولما حوته أجلاذ. (١)

ولنفس المؤلف الذى ترك لنا عشرات الكتب فى الدراسات الإسلامية والعربية كتاب آخر حول علم الاشتقاق يقول فى مقدمته :

«... وبعد فهذه نبذة شريفة وعدة لطيفة فى علم الاشتقاق الذى هو من أنفس العلوم المتعلقة بلغة العرب على الاتفاق، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ويعتنى فى بيانها بتمهيد المسالك، غير أن هذا المجموع على هذه الحالة لم يسبقنى إليه سابق، ولا طرق سبيله قبلى طارق، حتى لم يفرده أهل العلم بالتصنيف، ولا دونوه على جهة الاستقلال بالتأليف بل غاية ما وقفنا عليه وانتهى علمنا إليه مباحث نزرة وفصول محتقرة كما ستأتى إن شاء الله تعالى. فاستعنت بالله تعالى وحده الذى نصر فى كل موطن عبده، وافردت هذا العلم فى هذا المهرق والرقيم ليمشى على منواله الناظرون فى لغة العرب بالطبع المستقيم والقلب السليم فيقتدوا بذلك على رد بعض الكلم إلى بعض، واستخراج بعضها من بعض على النمط القويم، وسميت هذا المختصر : العلم الخفاق من علم الاشتقاق...» (٢).

١- البلغة : ص ٥٢-٥٧.

٢- العلم الخفاق : ص ٢-٣، الهند، ١٢٩٤هـ.

فالكتاب إذن - حسب قول المؤلف - أول مختصر يجمع ما تفرق حول الاشتقاق من شذرات هنا وهناك فى كتب الشوكانى وعضد الدين الإيجى وابن فارس وابن جنى وغيرهم، ليضع القارئ أمام قضايا هذا العلم مجموعة غير مفرقة وله أيضاً استدراكات على بعض الآراء . كما أن المؤلف أضاف إلى الكتب العربية ما تفرد به أهل شبه القارة من تعليقات فى حواشيهم وشروحه على كتب علماء العرب مثل شرح الميرزا زاهد لمواقف الإيجى. ^(١) وشرح السلم للمولوى مبین الدين الکنوى ^(٢) ومن ثم ضم الكتاب بين دفتيه كافة آراء العلماء حول الاشتقاق وأقسامه وشروطه وأمثله مما يغنى الطالب عن تتبع كل ذلك فى أكثر من كتاب، يقول المؤلف بعد استعراض جميع الأقوال فى معنى الاشتقاق :

والحق أن حقيقة معنى المشتق أمر بسيط ينتزعه العقل عن الموصوف نظراً إلى الوصف القائم به فالموصوف والوصف والنسبة كل منها ليس علة ولا داخلاً فيه بل منشأ لانتزاعه وهو يصدق عليه وربما يصدق على الوصف والنسبة فتدبر. (فائدة) قال فى الاحكام هل يشترط قيام الصفة المشتق منها بما له الاشتقاق فذلك مما أوجبه أصحابنا ونفاه المعتزلة وكأنه اعتبر الصفة احترازاً من مثل لابن وتامر مما اشتق من الذوات فإن المشتق منه ليس قائماً بما له الاشتقاق فإن المعتزلة جعلوا المتكلم لا باعتبار كلام هو له بل باعتبار كلام حاصل بجسم كاللوح المحفوظ وغيره ويقولون لا معنى لكونه متكلماً إلا أنه يخلق الكلام فى الجسم وتوضيح ذلك يطلب من العضدى وحواشيه.

ثم اعلم أن الاشتقاق كما يطلق على ما عرفت كذلك يطلق على قسم من التجنيس عند أهل البديع، انتهى وليس هذا الإطلاق من غرضنا فى هذا الكتاب بل المقصود القول على لغة العرب هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض أم لا. قال ابن فارس فى فقه اللغة أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان وأن الجيم والنون تدلان

١- نفس المصدر ص ١٠.

٢- نفس المصدر ص ١١.

أبدأً على الستر تقول العرب اللادع جنة وأجنه الليل وهذا جنين أى هو فى بطن أمه وأن
الإنس من الظهور يقولون آنست الشئ أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب علم ذلك من
علم وجهله من جهل وقال هذا مبنى أيضاً على أن اللغة توقيف فإن الذى وقفنا على أن
الاجتنان الستر هو الذى وقفنا على أن الجن مشتق منه وليس لنا اليوم أن نخترع ولا
أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأن فى ذلك فساد اللغة وبطلان
حقائقها قال ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن انتهى. وقال ابن
دحية فى التنوير الاشتقاق من أغرب كلام العرب وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول
عن رسول الله ﷺ لأنه أوتى جوامع الكلم وهى جمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ
القليلة فمن ذلك قوله فيما صح عنه يقول الله أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها
من اسمى وغير ذلك من الأحاديث وقال فى شرح التسهيل الاشتقاق أخذ صيغة من
أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى
الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفتا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر
وطريق معرفته تقلب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هى أصل الصيغ
دلالة اطراداً أو حروفاً غالباً كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط أما ضارب و
مضروب ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً وضرب الماضى مساو حروفاً
وأكثر دلالة وكلها مشتركة فى ض ر ب وفى هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق
الأصغر المحتج به وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة فيجعل و ل ق و و ق ل
و ل ق و وتقاليبها الستة بمعنى الخفة والسرعة وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن
جنى وكان شيخه أبو على الفارسى يأنس به يسيراً وليس معتمداً فى اللغة ولا يصح أن
يستنبط به اشتقاق فى لغة العرب وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوة ساعده ورده
المختلفات إلى مشترك مع احترامه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ وأن
تراكيبها تفيد أجناساً من المعانى مغايرة للقدر المشترك. وسبب إهمال العرب وعدم
الشفات المتقدمين إلى معانيه أن الحروف قليلة وأنواع المعانى المتفاهمة لاتكاد تتناهى
فخصوا كل تركيب بنوع منها ليفيدوا بالتراكيب والهيئات أنواعاً كثيرة ولواقصروا
على تغاير المواد حتى لا يدلوا على معنى الإكرام والتعظيم إلا بما ليس فيه شئ من

حروف الإيلاام والضرب لمنافاتها لهما لضاق الأمر جداً ولاحتاجوا إلى ألف حروف لا يجدونها بل فرقوا بين معتنق ومعتنق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدين هذا وما فعلوه أخصر وأنسب وأخف ولنسنا نقول إن اللغة أيضاً اصطلاحية بل المراد بيان أنها وقعت بالحكمة كيف فرضت ففي اعتبار المادة دون هيئته التركيب من فساد اللغة ما بينت لك. ولا ينكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها ولكن التحيل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب لعنقاء مغرب ولم تحمل الأوضاع البشرية إلا على كلام قريبة غير غامضة على البديهة. فلذلك إن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون. واختلفوا في الاشتقاق الأصغر فقال سيبويه والخليل وأبو عمرو وأبو الخطاب عيسى بن عمرو الأصمعي وأبو زيد وابن الأعرابي والشيباني وطائفة بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق وقالت طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم مشتق ونسب ذلك إلى سيبويه والزجاج وقالت طائفة من النظار الكلم كله أصل. والقول الأوسط تخليط لا يعد قولاً لأنه لو كان كل منهما فرعاً للآخر لدار وتسلسل وكلاهما محال بل يلزم الدور عيباً لأنه يثبت لكل منهما أنه فرع وبعض ما هو فرع لابد أنه أصل، ضرورة أن المشتق كله راجع إليه أيضاً، لا يقال هو أصل وفرع بوجهين لأن الشرط اتحاد المعنى والمادة وهيئته التركيب مع أن كلاهما حينئذ مفرع عن الآخر بذلك المعنى»^(١١).

ولنفس المؤلف كتاب آخر مما له صلة بعلوم اللغة هو «لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط» تتبع فيه ما ألف في هذا الباب وقال في سبب تأليفه :

«... وبعد فباني رأيت كثيراً من ركب متون لسان العرب، وسلوكوا بنيات الطرق في مدن الأدب قد ضاهوا العامة في بعض محاور كلامهم، وشابهوا المولدين في ملاحن أقلامهم مما يزرى بقدرهم العلى، وبصم شرفهم البهى، فدعائى الأنف إلى أن أذب

جنايهم عن ذلك الشين، وأزيل عن قيلهم هذا الرين فألفت هذا الكتاب وأودعته من النخب كل باب في أحسن إيجاز وألطف إطناب وسميته...» (١)

والكتاب فيه مقدمه في تعريف المعرب والمولد وقواعد التعريب، اعترض فيها المؤلف على كتاب أبي منصور الأزهري في هذا الباب (٢) كما خطأ صاحب القاموس في بعض رأيه، وجاء فيها على وجازتها بجديد، انظر مثلاً قوله : «واعلم أن المعرب إذا كان مركباً أبقى على حاله لأنه سماعي فلا يجوز استعمال أحد أجزائه كشهنشاه ، ولذا خطئ من عرب شاه وحده» (٣)

والمؤلف قد استقصى ألفاظ هذا العلم في مظانها، واستفاد كثيراً من معرفته بالفارسية والهندية - وهما من أهم اللغات التي دخلت منها ألفاظ عديدة الى العربية لكثرة الاحتكاك بين العرب وأقوامهما - في تتبع أصول الألفاظ مشيراً إلى تصويبات هنا وهناك في الكتب العربية المكتوبة حول هذا الفن .

ثم رتب المؤلف الألفاظ على حروف المعجم وأوضح ذلك بقوله : «ناظراً لأولها الواقع في الاستعمال من غير تدقيق فيها بالنظر لأصالتها وعدمها، وقد أترك بعض ما عربوه لعدم وروده عن يمين يعتد به أو لشهرته أو لوحشته وقلة الحاجة إلى استعماله تبعاً لما في الشفاء» (٤)

وقد اخترنا لك نموذجاً من هذا الكتاب جزءاً من باب الباء الموحدة كي تطلع على منهج المؤلف في التعامل مع هذه الألفاظ، يقول المؤلف :

١- لف القمط : ص ٢ ، الهند ١٢٩٦هـ.

٢- نفس المصدر ص ٥ .

٣- نفس المصدر ص ٥ .

٤- نفس المصدر ص ٦ .

حرف الباء الموحدة

باء الجر مكسورة ومنهم من يفتحها إذا دخلت على الضمير تشبيهاً باللام قاله ابن جنى فى سر الصناعة بهرج معرب نبهره أى باطل ومعناه الزغل يقال درهم بهرج ونبهرج أى باطل زيف كذا ذكر الخفاجى فى الشفاء . وقال ابن خالويه درهم بهرج هو كلام العرب والعامّة تقول نبهرج كذا فى التاج . برنسا الخلق يقال ما ادرى أى البرنسا هو أى الخلق وهو بالسريانية برناسا . بلاس معرب بلاس ، المسوح تلبس وهو دخيل فى كلام العرب من كلام فارس كذا فى تاج العروس . بوريا فارسى معرب وهى بالعربية يارى ويورى . بالقار الأكارع بلغة أهل المدينة معرب باجه . بستان معرب بوستان فارسى وهو الحديقة ويطلق على الأشجار وورد فى شعر الأعشى بمعنى النخل فقط . برزىق الفارس معرب والجمع برازىق وبرازق وقع فى الحديث . البرجاس بالضم غرض فى الهواء يرمى به قال الجوهري وأظنه مولداً وجزم بذلك صاحب القاموس . بىرجنس من السماع دخيل فى كلام العرب وقيل هو الفرائق . برمكان الكساء معرب . برقيل قوس البندق معرب . برزين كوز الطلع معرب . بطاقة مولدة بمعنى رقعة صغيرة وتطلق على حمام تعلق به قال الخفاجى هى لغة صحيحة وقعت فى الحديث الشريف وقال فى فقه اللغة إنها معربة من الرومية .

وفى المحكم البطاقة الرقعة الصغيرة تكون فى الثوب رقم ثمنه حكاه شمر وقال لأنها بطاقة من الثوب وهذا خطأ لأن الباء عليه حرف جر والصحيح ما تقدم كما حكاه الهروى انتهى أقول حديث البطاقة أخرجه الترمذى وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً وهو فى مشكاة المصابيح قال فى القاموس سميت به لأنها تشد بطاقة هذب الثوب وقال الطيبى فيكون الباء زائدة قال فى اللغات شرح المشكاة كأنه انقيت الباء الجارة التى هى صلة الفعل وهى لغة أهل مصر وليس مادة بطق انتهى . برىخ بمعنى رخيص لغة يمانية وقيل هو عبرانى بمعنى بركة قال العجاج : ولا تقولوا برخوا لترخوا . يىلىق بمعنى راجل معرب بياده وقع فى شعر الفرزدق . باسته آلات الصنائع وقع فى الحديث الشريف ليس بعربى محض قاله الخفاجى قلت ويأسن بالهندية الإناء . بوصى بمعنى السفينة معرب بورى . بهرمان لون أحمر معرب بخت بمعنى الجد تكلمت به العرب

هو معرب عند الجوهري. بأسور مرض معروف تكلمت به العرب قال أبو منصور أحسبه معرباً وصاحبه مبسور كما وقع في حديث البخاري وصححه الشراح وقول الأطباء وبعض العوام مبوسر خطأ كما وقع في شعر ابن طليق من المولدين. يندق المأكول ليس بعربي محض قاله أبو منصور لكنهم استعملوه والذي يرمى به كأنه من هذا على طريق التشبيه. (١)

وقد قام السيد نور الحسن ابن المؤلف بتدوين تعليقات وشروح للألفاظ في هامش الكتاب نقلها عن المراجع العربية المستندة، فجاءت بمثابة شرح مختصر للكتاب.

والمؤلف كما ترى لم يراع ترتيب الأحرف بعد الحرف الأول بل يسوق الألفاظ كيفما شاء وهو ما يعاب على منهجه ويجعل التقاط اللفظ المراد من بين الألفاظ الواردة في الباب كله أمراً فيه صعوبة.

١- لف القماط : ص ١٠ - ١٣.

الفصل الثالث

المعاجم

أول من صنف من أهل الهند فى هذا الباب رضى الدين الحسن بن محمد الصفغانى وله فيه مؤلفات عدة كأسماء الفأر وأسماء الأسد وأسماء الذئب والنوادر ومجمع البحرين فى اثنى عشر مجلداً، والعباب الزاخر فى عشرين مجلداً ولم يتمه، وقد طبع الجزء الأول منه بالعراق سنة ١٩٧٨م، وما زال الباقي محققاً غير مطبوع فى مكتبة مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد، وقد رأيت مجموعة رسائل لغوية للصفغانى مخطوطة برقم ٤٨٢ فى نفس المكتبة.

ولمحمد بن طاهر البتنى مجمع البحار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار وله عليه ذيل وتكملة على نهج النهاية لابن الأثير، وله كتاب فى حل غرائب مشكاة المصابيح، وللشيخ عبد الرشيد الحسينى المدنى منتخب اللغات ذكر فيه الألفاظ العربية وشرحها بالفارسية وأخذ عن القاموس والصحاح والصرح . ولعبدالرحيم بن عبد الكريم الذى مر ذكره فى شرح ألفية ابن مالك كتاب منتهى الأدب فى لغات العرب فى أربع مجلدات طبع فى الهند وغيرها. قال عبد الحى الحسنى أنه مقبول متداول مغن عن الأسفار الكبار فى هذا العلم ومأخذه القاموس والصحاح والنهاية ومجمع البحار وديوان الأدب والمهذب والمزهر والمغرب وشمس العلوم وتاج المصادر وتاج الأسامى وغيرها. ^(١)

ومن مؤلفاتهم أيضاً تاج اللغات للمفتى اسماعيل بن وجيه الدين فى ثلاثة مجلدات، والقول المأثور فى صفات القاموس للمفتى سعد الله بن نظام الدين المراد آبادى وله أيضاً

١- ص ٣٢ من الثقافة الإسلامية.

نور الصباح فى أغلاط الصراح ولمرتضى الزبيدى البلكرامى تاج العروس شرح القاموس كتاب مشهور بين أمصار العرب ولعبد النبى الأحمد نكرى دستور العلماء فى اصطلاحات العلوم فى أربعة مجلدات، إلى غير ذلك من الكتب المعروفة بالعربية دون غيرها.

وقد اخترنا من هذه الكتب نموذجين الأول مشهور بين العرب مطبوع هو تاج العروس، والثانى العباب الزاخر للصفانى وهو على عظمته وسعته غير معروف بين العرب، فأما الأول فقد أغنانا قدم وجوده بين العرب عن التعليق عليه، وأما الثانى فنعرفك به عند الحديث عنه.

ويغنيا عن التعليق على تاج العروس أيضاً المقدمة المفصلة التى كتبها الأستاذ عبد الستار أحمد فراج على الكتاب ومؤلفه فى طبعة الكويت سنة ١٩٦٥، ونقل فيها رأى العلماء فى الزبيدى وكتابه وإن كنا لا نوافقه على ما يبدو أنه لم يرجع فيه إلى قدر كاف من مصادر أهل شبه القارة فيما يتعلق بحياة المؤلف الأولى وتشكيكه فى مولد السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى الواسطى البلكرامى بالهند.

يقول الزبيدى فى مقدمة تاج العروس :

المقصد الأول

فى بيان أن اللغة هل هى توقيفية أو اصطلاحية

نقل السيوطى فى المزهرة عن أبى الفتح بن برهان فى كتاب الوصول إلى الأصول :
اختلف العلماء فى اللغة هل تثبت توقيفاً أو اصطلاحاً، فذهب المعتزلة إلى أن اللغات بأسرها تثبت اصطلاحاً، وذهب طائفة إلى أنها تثبت توقيفاً، وعن الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى أن القدر الذى يدعو به الإنسان غيره إلى التواضع يثبت توقيفاً وما غدا ذلك يجوز أن يثبت بكل واحد من الطريقين وقال القاضى أبو بكر : لا يجوز أن يثبت توقيفاً، ويجوز أن يثبت اصطلاحاً ويجوز أن يثبت بعضه توقيفاً وبعضه اصطلاحاً، الكل ممكن. ونقل أيضاً عن إمام الحرمين أبى المعالى فى البرهان : اختلف أرباب الأصول فى مآخذ اللغات فذهب ذاهبون إلى أنها توقيف من الله تعالى وصار صائرون إلى أنها تثبت اصطلاحاً وتواطؤاً.

ونقل عن الزركشى فى البحر المحيط : حكى الأستاذ أبو منصور قولاً أن التوقيف وقع فى الابتداء على لغة واحدة وما سواها من اللغات وقع عليها التوقيف بعد الطوفان، من الله تعالى فى أولاد نوح، حين تفروقا فى الأقطار وقال : وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من تكلم بالعربية المحضة إسماعيل، وأراد به عربية قريش التى نزل بها القرآن وأما عربية قحطان وحمير فكانت قبل إسماعيل عليه السلام.

وقال فى شرح الأسماء : قال الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين من المفسرين إنها كلها توقيف من الله تعالى.

وقال أهل التحقيق من أصحابنا :

لا بد من التوقيف فى أصل اللغة الواحدة لاستحالة وقوع الاصطلاح على أول اللغات من غير معرفة من المصطلحين بعين ما اصطلاحوا عليه وإذا حصل التوقيف على لغة واحدة جاز أن يكون ما بعدها من اللغات اصطلاحاً وأن يكون توقيفاً ، ولا يقطع بأحدهما إلا بدلالة.

ثم قال : واختلفوا فى لغة العرب فمن زعم أن اللغات كلها اصطلاح فكذا قوله فى لغة العرب، ومن قال بالتوقيف على اللغة الأخرى وأجاز الاصطلاح فيما سواها من اللغات اختلفوا فى لغة العرب، فمنهم من قال : هى أول اللغات. وكل لغة سواها حدثت فيما بعد إما توقيفاً أو اصطلاحاً، واستدلوا بأن القرآن كلام الله تعالى وهو عربى، وهو دليل على أن لغة العرب أسبق اللغات وجوداً، ومنهم من قال : لغة العرب نوعان : أحدهما عربية حمير، وهى التى تكلموا بها من عهد هود ومن قبله وبقي بعضها إلى وقتنا والثانية العربية المحضة التى بها نزل القرآن وأول من أطلق لسانه بها إسماعيل، فعلى هذا القول يكون توقيف إسماعيل ، على العربية المحضة يحتمل أمرين : إما أن يكون اصطلاحاً بينه وبين جرهم النازلين عليه بمكة وإما أن يكون توقيفاً من الله تعالى وهو الصواب. (١)

١- ص ١٢ - ١٣ من المقدمة، طبع الكويت، ١٩٦٥.

وأما العباب الزاخر للصفاني فيبدو من قائمة الكتب التي بنى المؤلف عليها كتابه أنه رجع إلى جميع ما كتب فيها تقريباً، فجاء كتابه تاماً من هذا الوجه، وإن كان المؤلف لم يتمه مما يجعل الحكم عليه غير تام . وقيمة الكتاب في كون مؤلفه قد انتقى أخطاء أصحاب المعاجم من العرب كالجوهرى فى الصحاح والأزهري فى التهذيب وابن السكيت فى إصلاح المنطق وابن فارس فى المجلد والصاحب ابن عباد فى المحيط وغيرهم كما سترى فى النموذج الذى اخترناه لك. والمؤلف كما ذكر بنفسه فى مقدمة كتابه صنف هذا الكتاب للوزير ابن العلقمى وكال له من المدح ما يؤكد لك حقيقة ما ذكرناه فى خصائص الأدب العربى فى شبه القارة من أنه أدب نشأ فى معظمه فى أحضان السلاطين فارجد إليه إن شئت.

كذلك أخذ المؤلف على مؤلفى المعاجم العربية وعلماء اللغة ما جاء فى كتبهم من نسبة بعض الأبيات الشعرية خطأ إلى غير قائلها، وقام هو بتصحيح ذلك وهذه نكتة هامة امتاز بها المؤلف عن غيره، يقول فى مقدمة كتابه :

« فلا يسئ الظن بى، بل غيرى فى ذلك أولى بأن ينسب إلى التزييف أو يرمى بالتضخيف والتحريف، فإننى قد نخلت الكتب المتداولة بين الناس نخل محصلة وأثرت مبحثراً فص كل كتاب منها ومفصله، فوجدتها شاكة يحتملها الحافى، ويعافها العافى وفحصت عن بيت بيت، وركضت فى ميادينها الكميت، فوجدتهم قد خلطوا الهمل بالمرعى ولم يكن بالمرء عى وتناسوا فتمادى بهم النوم وطاب لهم الكرى فى ظل الدوم.

وهذا أبو منصور الأزهري شيخ عهده وزمانه، وإمام عصره وأوانه، المشار إليه فى كثرة النقل، والمضروب إليه أكباد الإبل أنشد فى ك ل ل للعجاج :

حتى يحلون الربا كلا كلا

وهو لرؤية ، لا للعجاج ، والرواية : حزمأ يحلون

وأنشد فى رك ض لرؤية :

والنسر قد يركض وهو هافى

وهو للعجاج لا لرؤية.

وانشد فى ك د س لعبيد :

وخيل تكدس بالدراعين كمشى الوعول على الظاهره
وهو لمهلل لا لعبيد.

وانشد فى س ك ر لأوس :

خذلت على ليلة ساهرة فليست بطلق ولا ساكره
وهو مداخل، والرواية :

خذلت على ليلة ساهرة بصحراء شرج إلى ناظره
تزداد ليالى فى طولها فليست بطلق ولا ساكره

وفى كتابه من هذا الجنس أكثر من ألف موضع.

وأما ابو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الذى تخر له جباه أهل الفضل . وحكم له
بحيازته السبق والفضل، فإنه قال فى تركيب س ع ب : قال ابن مقبل :

يعلون بالمرdqوش الورد ضاحية على سعابيب ماء الضالة اللجز
ثم قال : أراد اللزج فقلبه.

وذكر فى فصل اللام من باب الزاى : اللجز : قلب اللزج وأنشد البيت : فلو كان هذا
المقبل اطلع على ديوان شعر ابن مقبل لعلم أنه ليست له قصيدة زائية وأنها نونية، وأول
القصيدة :

قد فرق الدهر بيب الحى بالظعن وبين أهواء شرب يوم ذى يقن
وقبل البيت الذى ذكره :

يثنين أعناق آدم يختلين بها حب الأراك وحب الضال من ذنن

يعلون (البيت)

فقد أخطأ في اللغة حيث قال : اللجز : اللزج ، وفي الإنشاد ، حيث جعل القافية النونية زائية.

وقال في تركيب ش س ب قال الوقاف العقيلي :

فقلت له حان الرواح ورعته بأسمر ملوى من القد شاسب

وهو لمزاحم العقيلي لا للوقاف.

وقال في تركيب ر ق ء :

وفي الحديث : لا تسبوا الإبل فإن فيها ر ق وء الدم.

وإنما هو قول أكثم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طيئ والوصية بطولها مذكورة في « كتاب المعمرين » لابن الكلبي.

وقال في تركيب خ ض م : الخضم أيضاً في قول أبي وجزة السعدي : « المسن من الإبل » وإنما هو المسن بكسر الميم وفتح السين وهو الحجر الذي يحد به السكين ، ولو لم يقل من الإبل لحمل على الغلط من النساخ. وبيت أبي وجزة الذي لم يذكره هو قوله :

شاكنت رغامى قذوف الطرف خائفة	هول الجنان نزور غير مخداج
حرى موقعة ماج البنان بها	على خضم يسقى الماء عجاج

وقال في تركيب ز رر : وإذا كانت الإبل سمناً قيل بها زرة . والصواب بهازرة على مثال فعالة والكلمة رباعية. وفي كتابه مما يشاكل ما ذكرت منيف على ألفى موضع نبهت عليها كلها في كتاب التكملة ، ومجمع البحرين ، وقد صحح نسخته وحشاها من قرأ على هذا الكتاب بالهند والسند واليمن والعراق ، وقد صححت نسخته وحشيتها بخطي بمدينة السلام حماها الله تعالى للخزانة الميمونة المعمورة الوزيرية المؤيدة زاد الله صاحبها من الارتقاء في درج الجلال ووقاه وذريته عين الكمال فمن رام مصداق ما ذكرت فليقر عينه بإدارتها فيها ، وليرتع في رياض فرائدها وفوائد حواشيها.

وأما شيخ هذه الصناعة، وفارس ميدان البراعة، أبو الحسين أحمد بن فارس ابن
زكريا الرازي، فإنه مع كثرة تصانيفه وجودة تأليفه، لم يسلم جواده في جواد هذا
المضمار من الكبوة والعثار. وقد ذكر في المجلد في تركيب ت م م :

والمتتم : المتكسر وهو في قول الشاعر :

أو كانهياض المتعب المتتم

فمن كانت بضاعته في حفظ أشعار العرب مزجاة وشدا طرفاً من علم العروض حكم
أنه من البحر الكامل على وزن قول أبي كبير الهذلي :

أزهير هل عن شيبة من مَعَكُمْ أم لا خلود لبازل مستكرم

والرواية : كانهياض بغير كلمة «أو» والبيت من الطويل وهو لذى الرمة، صدره:

إذا نال منها نظرة هيض قلبه بها

وقال في تركيب ث غ ر : ثغرة النحر : الهزمة في اللبة ، قال :

وتارة في ثغر النحور

وهو مغير والرجز للعجاج ، والرواية :

ينشطهن ي كلى الخصور مرأ ومرأ ثغر النحور

وتارة في طبق الظهر

يصف ثوراً وحشياً يطعن الكلاب بروقيه.

وقال في تركيب ج ل ل : فعلته من جلالك أي عظمتك ، قال

وإكرامى العدى من جلالها

وإكرامى العدى من جلالها

والرواية : وإكرامى القوم العدى . . .

وصدره : حيائى من أسماء والخرق دونها

وفى هذا الكتاب من هذا النوع حدود خمس مائة موضع ، وفى سائر تصانيفه من هذا الجنس من التخلل كثير . وقد ذكر فى كتابه الموسوم بالصاحبى فى فقه اللغة فى حروف المعانى فى ذكر كلمة رويد ، وقال : قالوا : هو تصغير رود وهو المهل : قال :

كأنها مثل من يمشى على رود

وهذا الإنشاء مقلوب محروف ، والرواية :

كأنه ثمل يمشى على الرود

وصدره : يمشى ولا تكلم البطحاء خطوته

ويروى : وطأته

ويروى : كأنه فاتن يمشى . . .

أى صبى ، وقيل : جارية.

والبيت للجموح الظفرى قاله يوم نبط ، وهو يوم « ذات البشام ».

وكذلك سائر تصانيفه وأكثرها عندى.

وأما شيخ شيوخ هؤلاء السيف الإصليت ، يعقوب بن إسحاق السكيت ، فمشار إليه فى هذا الفن ، وكتابه الإصلاح محتاج إلى الإصلاح ، وقد قال فى باب فَعَلَ وفَعُل : قال الراجز :

مهر أبى الحبحاب لا تشل بارك فـيـك الله من ذى آل

والرواية : مهر أبى الحارث.

وهو أبو الحارث بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان الذى يقول فيه بشير بن النكت

بشر بن عبد الملك بن بشر كالنيل يسقى قريات مصر

والشعر لأبى المثلم الهذلى.

وقال فى باب ما يفتح أوله وثانيه : ومن العرب من يخفف ثانيه وقال :

وقد علتنى ذرأة بادية بدى ورثية تنهض فى تشددى

وصار للفحل لسانى ويدى

والرجز لأبى نخيلة السعدى ، والمشطور الثالث ليس فى رجزه

وقال فى باب ما جاء على أفعلتُ والعامّة تقول بفعلتُ : قال الهذلى :

وقد عمت بإشحان

والرواية : عراة بعد إشحان والهذلى هو أبو قلابه : وأول البيت :

إذ غارت النبل والتف اللفوف وإذ سلوا السيوف

وهلم جرا.

وأما صاحب ابن عباد فإن كتابه المسمى بالمحيط لو قيل إنه أحاط بالأغلاط والتصحييف لم يبعد عن الصواب. وكان علماء زمانه خافوا أنهم لو نطقوا بشئ منها قطع رسومهم وتسويغاتهم، فلبوا نداءه، وأمنوا على دعائه، ونجوا بالصموت.

ومن جملة تصحيافته أنه قال فى تركيب ن زم :

النزم : شدة العض والمنزم : السن . النزيم : حزمة من بقل . وكل هذا بالباء الموحدة : وكم مثلها فارقتها وهى تصفر».

ولم أذكر ما ذكرت - مما وقع فيه السهو وانحراف عن سنن الصواب ونهج السداد، والعياذ بالله تعالى - إزاء أربهم، أو غضاً منهم. أو تنديداً بالهفوات، أو وضعاً من رفيات أقدارهم بالسقطات. وكيف وما استفدت إلا من تصانيفهم ولا انتفعت إلا بتآليفهم، وما اعتديت إلا بأنوارهم ولا اقتفيت إلا لأحباب آثارهم، وما حملت ذلك إلا على الغلط من الناسخين لا من الراسخين، وأنهم لفرط اهتمامهم بالإفادة لم يتفرغوا

للمعاودة والمراجعة . فهم القدوة وبهم الأسوة - رحمنا الله تعالى وإياهم - فجزاهم عن جدهم وجهدهم خيراً ولو ذكرت لكل كتاب صنف في اللغة نموذجاً لطال الكلام وتسلسل النظام.

فلما رأيت مسلك التناول من هذه الكتب شائكاً وعرأ قلت لنفسى : أطرى فإنك ناعلة. وسقت هذا الكلام أمام شروعى فى الكتاب مزجرة لكل ناقص وقد قيل :

لا تَهَنُّا من تمنى مع نفس جـاهلة
أن يسـاوى من تعنى فى نفسيس الجـاه له

وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهة، ومقرباً من رحمته، فقد فسرت عدة آيات من كتاب الله تعالى، وقطعة صالحة من غرائب أحاديث رسول الله (ﷺ) وأحاديث الصحابة، التابعين، رضى الله عنهم ورحمهم أجمعين.

وأرجو من عميم فضله أن يسير هذا الكتاب فى الآفاق، ويهب عليه قبول القبول ويعصم من الزلل والخلل والخطأ والخطل وهو حسبى ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»^(١).

والنص يؤكد لك سعة اطلاع صاحبة، ورصانه أسلوبه وحسن عبارته وتمكنه من اللغة، وحسن تتبعه للشواهد ودرايته بما يقول، واعتزازه بعلمه وإحساسه بتفوقه على غيره وغزارة معرفته.

١- العباب الزاخر : ١ / ١٢ - ٢ بغداد ١٩٧٨. بتحقيق الدكتور بير محمد حسن.

الفصل الرابع

علوم البلاغة

علوم البلاغة مثلها مثل النحو والصرف عُنيت باهتمام كبير بين أدباء العربية فى شبه القارة وما ذلك إلا لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بنظام الدرس فى المدارس الدينية التى تمحورت حولها الدراسات العربية. لذلك ترى فى انتاج هؤلاء الأدباء كثيراً من الشروح والمحاشى على كتب عربية أدخلت فى مناهج الدرس كالمطول والمختصر والفوائد الغياثية. ومع ذلك فقد أفرد بعضهم بالتأليف كتباً فى علوم البلاغة عكف عليها الطلاب والدارسون فى شبه القارة.

فما دونته أقلام الأدباء فى هذا الفن حاشية على مفتاح العلوم للشيخ معين الدين الغمرانى والفوائد المحمودية شرح الفوائد الغياثية لمحمود بن محمد الجونبورى، وحاشية على المطول للشيخ وجيه الدين العلوى الكجراتى وحاشية عليه لعبد الحكيم السىالكوتى وحاشية أخرى للسيد محمد بن محمد القنوجى، وحاشية لنور الدين بن محمد صالح الكجراتى وهى المسماة بالمعول شرح المطول، وهناك حاشية على المطول أيضاً للشيخ نور الدين الكشميرى وأخرى للقاضى عبد النبى الأحمد نكرى وحاشية للشيخ فريد الدين الأحمد آبادى وحاشية لجمال الدين بن ركن الدين الكجراتى وحاشية لمعز الدين الخالصبورى. كذلك كتب وجيه الدين العلوى حاشية على المختصر كما كتب جمال الدين الكجراتى حاشية أخرى.

وأما الكتب التى ألفوها فى البلاغة وعلومها فمنها حدائق البيان لمنور بن عبد المجيد اللاهورى، وحدائق البلاغة لشمس الدين العباسى اللاهورى، وسبحة المرجان لغلام

على آزاد البلكرامى، ونقد البلاغة وشرحه لخير الدين محمد الاله آبادى، وميزان البلاغة لعبد العزيز الدهلوى وشرحه للقاضى ارتضاعليخان وشرحه للقاضى عبد القادر ابن محمد أكرم الرامبورى، ومنها غصن البان المورق بمحسنات البيان لصديق حسن القنوجى، ورسالة فى التشبيه والاستعارة لسعد الله المراد آبادى، وملخص البلاغة للسيد محمد حكم البريلوى، ورسالة فى البلاغة للشيخ الواسع الهانسوى، وكتاب فى البلاغة لشمس الدين الحيدر آبادى، وتحفة الفقير كتاب فى الصنائع والبدائع لرضى الدين مرتضى البجاورى، وحل أبحاث الفرائد لمحمد شكور بن أمانت على الجعفرى، والمقال الطريف لعبد الغنى الفرخ آبادى، ومعيار البلاغة لسكندر على خان الخالصبورى. (١)

ونحن فى هذا المقام قد اخترنا ما يمثل لك الصنفين : الحواشى التى كتبوها على كتب عربية أصيلة، ومؤلفاتهم التى كتبوها هم بأنفسهم.

ولعل أشهر ما عند العرب من حواشى كتبها أهل شبه القارة حاشية السيالكوتى على المطول. فقد طبعت هذه الحاشية فى الدول العربية فصارت من المراجع الأساسية لهذا الفن عند العرب. يقول السيالكوتى :

(قوله وعلم البلاغة كافل الخ) أى علم له مزيد اختصاص بالبلاغة أعنى المعانى والبيان كافل بإتيان هذين الأمرين من حيث يتعلق بهما الارتقاء فى البلاغة على وجه التمام كما فى قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) وذلك لأن علم المعانى كافل للمطابقة وعلم البيان كافل للخلوص عن التعقيد المعنوى وما عداه من الأمور المعتمدة فى الفصاحة لا تعلق له بالارتقاء فى البلاغة ولا يجوز تفسير علم البلاغة بعلم له تعلق بالبلاغة فيشمل اللغة والصرف والنحو لأنه خلاف المعنى المتعارف وينافيه قوله لا يعرف بهذا العلم فإنه صريح فى أن المراد به المعنى المتعارف ويرد عليه أن الخلوص عن التنافر لا يتكفل له العلوم المذكورة فلا يصح أن علم البلاغة كافل بإتمام هذين الأمرين وكذا لا يجوز أن يقال معناه أن علم البلاغة أى المعانى والبيان كافل بإتمام هذين الأمرين وإكماله

١- مأخوذ بتصرف عن الثقافة الاسلامية، ص ٣٩ - ٤٠.

فلا ينافى توقف بعض هذين الأمرين على علوم آخر والذوق السليم لأنه لا يصح تفريع قوله فمن أتقنه وأحاط به كما لا يخفى (قوله قلنا الخ) منع للمقدمات التى ذكرها المستفسر على الترتيب فقوله لا يعرف منع لكفالتة وقوله بإمكان الإحاطة منع لحصول الإتيان والإحاطة للبشير وقوله وكثير من مهرة الخ منع لترتيب الرعاية على الإتيان فتدبر فإنه قد غلط فيه الناظرون (قوله وأما الاطلاع الخ) أى معرفة عدد الأحوال وكيفيتها فى الشدة والضعف ورعاية الاعتبارات بحسب المقامات التى يتوقف عليها الإتيان بكلام هو فى الطرف الأعلى فأمر آخر لا تعلق له بعلم البلاغة ولا يستفاد منه (قوله ولو سئل) أى كفالة هذا العلم للاطلاع المذكور (قوله كما مر) فى قوله إذ به يكشف عن وجوه الإعجاز فى نظم القرآن أستارها (قوله ظاهر هذه العبارة الخ). لقرب المعطوف عليه والمرجع (قوله من المراتب العلية الخ) بناء على أن الحد بمعنى المرتبة وما يقرب من مرتبة الإعجاز ليس داخلاً فيها فلا يكون من الطرف الأعلى. (١)

وأما النموذج الثانى فهو كتاب سبحة المرجان فى آثار هندوستان، وقد مر بك شئ من ذكره فى باب محاولات التجديد، ونخصك هنا بشئ آخر منه. والكتاب مرتب على أربعة فصول وفق فصول السنة، الأول فى ذكر ما جاء فى الكتاب والسنة عن الهند، والثانى ذكر طائفة من العلماء والأدباء ممن لهم أشعار وكتب أدبية والثالث فى البدائع التى نقلها عن الهندية الى العربية، والرابع فى أسرار النسوان وهو فن عجيب من فنون الهنود. والفصل الأول لا يهمنا، والثانى مادته مكررة فى كتب الترصاجم والرابع قد يكون بين العرب من يهتم به فى ذاته، فلا يهمنا من الكتاب إذن فى هذا المقام إلا فصله الثالث.

ونحن قد أطلعناك على شئ من نقد سبيل المؤلف السيد غلام على آزاد البلكرامى فى شأن ما أراد إدخاله فى العربية عند كلامنا عن التجديد، ونضيف هنا أن الفصل الذى عقده لعرض فنون البلاغة عند الهنود يفيد بلا شك طلاب البلاغة فى الاطلاع على

١- حاشية السيالكوتى على المطول ص ٥٩، منشورات الرضى، قم ايران، بدون تاريخ.

هذه الفنون عند أدباء الهند، وقد يستفيد منه المهتمون بالمقارنات بين آداب شبه القارة والأدب العربى، لكن أهميته لا تزيد عن هذا الحد، ومن هنا اختلفنا مع وجهة نظر المؤلف فى إمكان استيراد هذه الصنائع الأدبية وممارستها والنسج على منوالها فى الأدب العربى، فذاك أمر لا فائدة منه من أجل ذلك رأينا ألا نوجع رأسك بإيراد ما لا فائدة له فى دراستنا الأدبية، واقتصرنا على ذكر بعض المشترك بين الأدبين العربى والهندي من هذه الفنون، فهذا أجدى وأنفع، وذكر ما تفردت به العرب عن الهنود.

فأما ما تفردت به العرب فهو نوعان : حسن التخلص واستخدام المضرر وقد تكلم آزاد عن الأول مستقلاً برأسه فقال :

هو أن ينتقل المتكلم مما ابتدأ به الكلام كغزل أو فخر أو وعظ أو غيرها الى المقصود بجهة جامعة مقبولة وإنما ذكرت المخلص ههنا مع أنه من المختصات بالعرب لأنى نظمت قصيدة بديعية فمست الحاجة إليه ووجب الطواف حواليه لكونه روح القصيدة ونطاق خصارة الخريدة وهو المصلح بين الفتتين والحد الأوسط بين القضيتين فحين يتلقاه السامع يرحب الشاعر على عمل طبيعته و يستحسنه على حسن صنيعته حيث سعى فى الألفة بين المتنافرين وجهد فى التعارف بين المتناكرين وقد أوصل الشعراء هذا النوع الى أعلى المراتب والمناصب ومخالصهم فى الكتب مذكورة بين الأدباء مشهورة فاكتفيت ها هنا بمخالصى التى لم تفرع أستماع الناس ولم تجل فى ميادين القرطاس منها قولى من قصيدة نبوية مورياً بالسليم:

بات الفؤاد بصدغها متجرعاً من سم تلك الحسية السوداء
فأتيت بالقلب السليم منادياً غوث الورى فى شدة ورخاء
وقولى فى قصيدة نبوية :

تبسمت فحسبنا وجهها قمراً مشقّقاً معجزاً من سيد العرب
وقولى من قصيدة نبوية :

رشيقة أشبهت فى ميسها شجرا دعاه من هو هادى النجم والشجر

وقولى من قصيدة نبوية :

أيا عارض البطحاء أضحكت دائماً
لأنت رؤف بالغصصون النواضر
أفضت على العطشى مياها معينة
وأظلت رأس المصطفى فى الهواجر

وقولى من قصيدة نبوية :

أحمامة البطحاء أنت بمأمن
وأنا المقيم بموقع الأخطار
فتفقدى من ناء عن جيرانه
هذا لعمرى مسلك الأخيار
أو ما سمعت وأنت من أم القرى
بحمامة خدمت نزيل الفار

وقولى من قصيدة نبوية :

لك الخبير يا غيما الث بعالج
لأنت على شيخ الخمائل هامع
رويت بسلسال الغوير فهل ترى
يفوز برشح من زلالك طامع
وأرجو سيكفينك ذو راقمة له
أصابع للماء المعين منابع

وقولى من قصيدة نبوية وهى مشتهرة بلامية الهند:

إن المجاز وأيم الله قنطرة
طوبى لمن جاز محفوظاً عن الزلل
فانظر إلى من تجلى فى مظاهره
سبحانه وتعالى منتهى الأمل
غرست لله تسبيحاً وأرقب أن
أنال أثماره فى أقصر المهل
بجاه من أثمرت أشجاره عجلا
عونا لعبد عتيق حار فى العمل
هو الذى دلنا لطفاً على شجر
يقيد فى كل حين يانسع الأكل

وقد أوردت قصيدتى لامية الهند بعد لامية القاضى عبد المقتدر الدهلوى فى الفصل
الثانى تحت ترجمة القاضى المشار إليه وفسرت أبيات هذا المخلص هنالك إن احتجت
فارجع إلى ثم

وقولى من قصيدة فى مدح جدى وأستاذى مولانا السيد عبد الجليل البلكرامى:

غزالة تصرع الأساد قاطبة إلا الذى سيد السادات تحميه

وقولى فى مدحه أيضاً :

إن غاض أمواه العراق فإتنى أسعى على رأسى الى البحرين

أعنى يدى لسلطان مملكته الندى ينصب من هاتين ماء الجين

وفى البيت أبو قلمون هاتين بالعربية من أسماء الاشارة « وهات » بالهندية اليد

ثنيتهما ثنية العرب. (١)

وفى آخر النص كما ترى نموذج من الأمور التى اعترضنا عليها ونقدناه لأجلها فى كلامنا عن التجديد فالعرب لن يتذوقوا ما فى « هاتين » من فن كما يتذوقه هو لأنهم لا يعرفون الهندية، ومخاطبة الناس بما لا يعرفون عبث وسخف. لكن آزاد وهو يتحدث عما اختص به العرب وهو حسن التخلص واستخدام المضمرة، أفرد الأول كما رأيت وأحال القارئ لمطالعة استخدام المضمرة إلى نوع قال « إنه من مخترعاتى » (٢) وسماه صرف الخزانة لاشتراك اللفظ فى معان كثيرة يصرف كل منها إلى ما يستحقه وبعد أن ذكر شواهد كثيرة، قال :

وهذا النوع أعنى صرف الخزانة وهو استخدام المظهر على طريقة الشيخ بدر الدين صاحب المصباح وتعريفه أن يؤتى بلفظ مشترك بين المعنيين والأخرى ومثله بقول أبى العلاء المعرى يرثى فقيهاً حنفياً :

وفقيه أفاظه شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد

١- سبعة المرجان : ٢ / ٢٧٧ - ٢٨٢.

٢- سبعة المرجان : ص ٧١.

النعمان أبو حنيفة رحمه الله تعالى وابن المنذر ملك الحيرة وزياد هو النابغة مادحه يقول هذا فقيه شادت ألفاظه لأبى حنيفة من حسن الذكر مالم يشده زياد للنعمان بن المنذر فلفظ فقيه يخدم أبا حنيفة وشعر زياد يخدم النعمان.

وقول المعرى أيضا يصف درعاً :

تلك ماذية وما لذباب السيف ف والصيف عندها من نصيب

الماذية الدرع اللينة السهلة والعسل الأبيض الجديد والذباب طرف السيف والطائر المعروف فلفظ السيف يخدم طرف السيف ولفظ الصيف يخدم الطائر فإنه يكثر فى أيام الصيف ثم ذباب السيف يخدم معنى الدرع من الماذية وذباب الصيف يخدم معنى العسل منها ففى البيت استخدام وفيه زيادة أخرى وهى أن الاستخدام الثانى يخدم الاستخدام الأول وهذا من العجائب ومعنى البيت على إرادة معنى الدرع بالماذية أن هذه درع لاحظ عندها لسيف الأعداء وعلى إرادة معنى العسل بها إن هذه الدرع كأنها عسل فى اللين والبياض واللمعان لا يحوم حولها الذباب من الأعداء الأخساء.

والشيخ زكى الدين بن أبى الأصبع مثل هذا النوع بقوله تعالى « لكل أجل كتاب يحو الله ما يشاء ويثبت » فإن لفظة كتاب تحتل الأجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظة أجل تخدم المعنى الأول ولفظة يحو تخدم المعنى الثانى ومثل غيره بقوله تعالى « لا تقرّبوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل » فالصلوة تحتل أن يراد بها فعلها وموضعها وقوله تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » يخدم الأول و « إلا عابري سبيل » يخدم الثانى

ووجه تسمية هذا النوع بالاستخدام أن كل واحد من المعنيين يستخدم قرينته وهى تخدم صاحبها ومخدومها وتميزه عن غيره، وبعضهم جعلوا القرينة مستخدمة والمعنى خادماً، والأولى ما ذكرته كما هو ظاهر على ذهن السليم .

وللاستخدام قسم آخر عند أدباء العرب على طريقة الخطيب صاحب الإيضاح وهو استخدام المضمر وتعريفه أن يريد المتكلم بلفظ مشترك معنى ثم يعيد عليه ضميراً فصاعداً بمعنى غيره كقول ابن أبى حصينة :

وحلت بأكناف الغضا فكأنما حشت ناره بين الحشا والأضالع
الغضا أرض لبنى كلاب وواد بنجد وشجر معروف تكون ناره فى غاية القوة فالمراد
بالغضا أولاً أحد المكانين والضمير راجع إليه بمعنى الشجر.

وقول بعضهم :

وللغزالة شئ من تلفته ونورها من سنا خديه مكتسب
الغزالة الظبية والشمس.

وقول الصنفى الحلى

إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتى فلا أشبهته راحتى فى التكرم
ولا كنت ممن يكسر الجفن فى الوغى إذا أنا لم أغضضه من غير محرم
الحياء المعروف والمطر والجفن غمد السيف وغطاء العين.

وقولى :

روحى فداء سلمي أى إنسان ما إن رأى مثلها فى سرب غزلان
الإنسان البشر وناظر العين.

ثم أعلم إنى أطلقت استخدام المظهر على طريقة الشيخ بدر الدين واستخدام المضم
على طريقة الخطيب وما كان هذا الإطلاق عليهما قبل.

قال السيوطى فى الأتقان « قيل ولم يقع فى القرآن على طريقة صاحب الإيضاح شئ
من الاستخدام وقد استخرجت بفكرى آيات على طريقته منها وهى أظهرها قوله تعالى
« ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » فإن المراد به آدم ثم عاد الضمير عليه مراداً به
ولده فقال « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » ومنها قوله تعالى « لا تسئلوا عن أشياء إن
تبد لكم تسؤكم » ثم قال « قد سألتها قوم من قبلكم » أى شيئاً آخر لأن الأولين لم يسألوا
عن الأشياء التى سأل عنها الصحابة فنها عن سؤالها ، انتهى.

أقول لا يصح ما استخرجه من المثالين : أما الأول فلأننا لا نسلم عود الضمير إلى الانسان مراداً به ولد آدم قال البيضاوى فى تفسيره، « ثم جعلناه » ثم جعلنا نسله بحذف المضاف فالضمير راجع الى الانسان مراداً به آدم ولو سلمنا بإطلاق الإنسان على آدم وولده بمعنى واحد لأنه مشترك معنوى اشتراك الكلى بين جزئياته لا لفظى، اللهم إلا أن يراد بالمشارك محتمل المعانى والإرادات أعم من أن يكون بوضع واحد أو بأوضاع متعددة أو أعم من أن يكون حقيقة أولاً فحينئذ يندفع ما هو وارد من جهة الاشتراك لأن آدم وولده بخصوصهما معنيان مجازيان للانسان على ما قالوا من أن إطلاق الجنس على الفرد من حيث خصوصية الفردية مجاز فيتحقق تعدد المعانى وإن كانت مجازية ويمكن أن يؤخذ كل واحد منهما معهوداً بلام العهد فحينئذ يكونان معنيين حقيقيين للانسان المحلى باللام وإن لم يكن الإنسان مشتركاً بينهما اصطلاحاً لا اعتبار تعدد الوضع فى الاشتراك ولا تعدد هنا بل وضع واحد وإن كان نوعياً وأما الثانى فلأن الأشياء التى سأل عنها الصحابة لا يجب أن تكون مغايرة للثى سأل عنها الأولون ولو سلمت المغايرة فإنما هى بحسب الوقع لا مما يدل عليه الكلام والمفيد فى تحقيق الاستخدام هو الثانى دون الأول والشيخ صفى الدين الحلى جعل كل واحد من القسمين للاستخدام ملتبساً بالتورية وليس الأمر كذلك بل الالتباس فى استخدام المظهر فقط لا فى استخدام المضمّر لأن مداره على إرجاع الضمير ولا ضمير فى التورية حتى يلتبس بها.

وقد ألم أصحاب البديعيات وغيرهم باستخدام المضمّر لا باستخدام المظهر وقالوا تلك الطريقة أحسن موقعاً وألطف مورداً من هذه الطريقة ولعمري إن استخدام المظهر هو جليل القدر غير منحط شأنه عن شأن أخيه وقد ألم به أدباء الهند فى لسانهم ونظموا له أمثلة فى غاية الملاحظة . وأنا عرفتة فى العربية بتعريف يعجب الطبائع وسميته باسم يروق المسامع ونظمت له أمثلة لم ينظم أحد قبلى على هذه الكيفية بل ما روى من أمثله فى كتب المؤلفين الا البيتان اللذان سبقا من المعرى.

أما قول ابن نباتة المصرى وقول الصفدى المتقدم ذكرهما فقد عرفت حالهما وبالجملّة أنا ذكرت صرف الخزانة فى سلك أنواع الأهانء مع أنه مشترك بينهم وبين العرب لقلة وجوده فى كلام العرب كأنه لم يكن فيه وإيراده فى هذا الكتاب وجه آخر وهو أن براعة

الجواب وجمع الخزانة وتفريقها وتشبيه الاستخدام وتفضيل الاستخذاء لكل منها تعلق
بالاستخدام فلا بد من شرحه هنا كي يتبين هو وما يتعلق به. (١)

ولولا ما فى النص من إعجاب بالذات لكان طريق المؤلف أقرب الى النفس ، ولبت
آزاد ترك مدح محاولاته وآرائه للآخرين. فإن تفاضينا عن ذلك بدا لنا النص غنياً
بالأمثلة كما بدا وثيقة تثبت طول باع آزاد فى فنون البلاغة وما عمل فيها من عوامل
الدراسة العميقة للأدبيين الهنـدى والفارسى ثم محاولة الربط بين هذا وبين ما يماثله فى
الأدب العربى .والذى لا شك فيه أن استدراكات المؤلف على آراء السيوطى وابن أبى
الأصبع والحلى لها وجه معقول يستحق النظر من أهل هذه الفنون ، كما أن تفريقه بين
طريقتى الخطيب والشيخ بدر الدين تبدو محاولة للوصول الى تعريف أدق لاصطلاحات
ومعانى هذه الفنون ، وإنما ذلك كله لأن المؤلف قمرس بهذه الصنائع كما يتمرس بكثرة
المران أصحاب الصنائع أيا كانت ، وكثرة ما نظم المؤلف للاستشهاد بهذه الفنون يشير
فى نفسه الى مدى اهتمامه بالصنعة فى شعره .هذه هى الجوانب المضيئة فى إنتاج
آزاد ، التى سودتها سحائب دخان ذكرناها فى موضعها هنا وهناك ، ولو لم يسقط آزاد
فى هذه المزالق واقتصر على الاجتهاد فى وضع تعريفات أدق لاصطلاحات الفن ،
واستخدم معرفته بالآداب الشرقية فى وجوه مفيدة لارتفع ذكره ولأثمر غرسه .

ونسوق لك هنا مثلاً من الفنون المشتركة بين العربية والهندية ليتبين لك مدى
الاستفادة لو أن المؤلف أكثر من هذه المقارنات. يقول آزاد :

التورية :

هذا النوع سلطان المحسنات ولواء الحمد بين الرايات وهو المتصف بغر المزايا والموجود
فى جميع ألسنة البرايا ، والتورية مصدر وريت الحديث إذا أخفيت وأظهرت غيره مأخوذ
من وراء الإنسان فإذا قال وريته فكأنه جعله وراء بحيث لا يظهر وهى فى الاصطلاح أن
يذكر لفظ له معنيان قريب لظهور دلالة اللفظ عليه ويعيد لخباء دلالة اللفظ عليه

١- سبعة المرجان : ٢ / ٧٥ وما بعدها .

فيقصد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالقرب ويوهم السامع فى أول الوهلة أنه يريد القريب ولهذا سميت إبهاماً أيضاً ولا يلزم فى التورية أن يكون للفظ معنيان بل يجوز أن يكون له معانى متعددة وذكر المعنيين فى التعريف اكتفاء على الأقل. كقول النبى ﷺ، « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » قيل : هم أهل الشام لأنه غرب الحجاز وهو المعنى القريب لكثرة استعمال أهل الغرب فى سكان الجانب الغربى والغرب، شجرة حجازية قيل ومنه الحديث وقيل الغرب: الحدة والشوكة، والمراد بهم أهل الحجاز وقيل الغرب الدلو والمراد بهم العرب، لأنهم يسقون بها، والمعانى الثلاثة هى المعانى البعيدة واستخراج التورية عن هذا الحديث من قلم المؤلف.

وقولسى :

يا قلب ذنب همت الأظعان بالسفر وقل سلام على سيارة السحر

السيارة : القافلة وصيغة المبالغة فى السير ومقابل النجم الثابت وباضافتها الى السحر تتعين الزهرة الصباحية والمراد بالمعنيين الآخرين المحبوبة.

والأمير خسرو الدهلوى أوصل التورية بالفارسية الى سبع معانى وإنما ذكرت التورية فى كتابى مع كونها مشتركة بين العرب والأهاند، بل بين جميع الألسنة لأنها وصرف الخزانة تران متماثلان وتوأمين متشاكلان فرأيت جمعهما من الحسنات ورأيت قطع الرحم بينهما من السيئات ولهذا ذكرتها متصلة بصرف الخزانة.

والفرق بينهما أن اللفظ المتعدد المعنى إن كان كل واحد من معانيه مقصوداً بالذات فهو صرف الخزانة وإن كان المعنى القريب من معانيه توطئة والمعنى البعيد مقصوداً بالذات فهى التورية.

والفرق الآخر أن التورية يصح فيها معنى الكلام إن اكتفيت بأحد المعنيين. وصرف الخزانة يختل فيه المعنى إن اكتفيت بأحدهما وللتورية تفصيل ذكره أدباء العرب فى مصنفاتهم ولها أمثلة عديدة أمثالها مسطورة فى كتب الفن لا سيما بديعية ابن حجة، فإنه وسع الباب وملا الإهاب وأثبت هنا من أمثلتها نبذة منها :

قوله تعالى حكاية عن مريم «إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا» أى إن كنت تقيا متورعاً فإنى أعوذ منك فكيف إذا لم تكن كذلك وروى أن تقياً اسم رجل كان فى ذلك الزمان وكان شريراً يتعرض النسوان ومريم سمعت قصته فظنت المخاطب أنه تقى فيحتمل أن ورت مريم عن هذا المعنى بالمعنى الأول كيلا ينسب السوء إلى المخاطب إن لم يكن الظن مطابقاً للواقع وقوله تعالى «طوبى لهم» طوبى كحسنى زنة ومعنى وشجرة فى الجنة فالمعنى القريب الحسنى والمعنى البعيد شجرة الجنة لأن الظاهر أن المعنى الثانى لم يكن مشهوراً وقت نزول الآية وأيضاً طوبى الجنة بالهندية فازدادت تورية أخرى وفى الآية أبو قلمون ويجئ ببيانه فى محله، والتورية فى الآيتين من مستخرجات المؤلف، فما حام حولها أحد من المفسرين وهؤلاء إنما ذكروا المعنيين بلا ذكر من التورية.

وقول مسعود بن سعد سلمان اللاهورى مورياً بذنب السرحان والغزالة :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها	وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه	على العين غريان من الجمر وقع
فقلت لقلبي طالما ليلى وليس لى	من الهم منجاة وفى الصبر مفرج
أرى ذنب السرحان فى الجمر طالعا	فهل ممكن أن الغزالة تطلع
وقول ابراهيم المعمار فى مليح مؤذن :	
شغفت به يؤذن وهو بسدر	تلوح على شمائله السعادة
تشهد فى الأذان فمت شوقاً	فيا بشرى مت على الشهادة
وقول القيراطى فى من لقبه مشمش :	
ومهففه فى خده	نار تهيج فى الهوى
قد لقيبوه بمشمش	لكنه مر السنوى

وقول ابن نباتة المصرى فى من اسمه بدر الدين :

تغير بدر الدين بعد مودة وحالت به الأيام عن ذلك الوفا
ودل على أن الوداد تكلف فلا عجب للبدر أن يتكلفاً^(١)

ويستمر آزاد فى سرد الأمثلة من شعر الآخرين الى أن يسوق فوق خمسة وأربعين
مثالاً آخر من شعره. وأنت تعرف أن بعض الأمثلة تكفى لبيان المراد. وإن كان ثمة من
فائدة فهى احتواء أجزاء الكتاب على نماذج وأمثلة من شعر الشعراء قد لا تجدها
مجموعة فى كتاب آخر. وكان بوسع آزاد أن يسوق ولو نثراً قبساً من أخيلة شعراء
الهندية فى التورية. والنص كما ترى يعكس ثقافة آزاد العربية والفارسية والهندية ،
ويريك دقة تفريقه بين أنواع البديع، وإن غاب عنه المنهج العلمى فى المقارنة والعرض،
وضاعت بين الشواهد الزائدة عن الحاجة لذة التمتع ببحث بلاغى فى التورية عند العرب
والفرس والهنود.

ويبدو أن نقاط الضعف فى منهج المؤلف وكتابه لفتت أنظار بعض الباحثين فى
داخل شبه القارة فهذا صديق حسن القنوجى يعيد عرض سبعة المرجان فى كتاب صغير
سماه غصن البان المورق بمحسنات البيان، قدم له بمقدمة فيها مقارنات بين جوانب من
الأدب العربية والفارسية والهندية قال فيها :

(فليعلم أن لسان العرب كرامة بدت على لسان واضعه لا يستطيع أحد أن يضع
لساناً آخر مثله فكيف الزائد عليه حسناً وجمالاً، والأشرف منه غنجاً ودلالاً. واللطافة
التي منحها الله تعالى لسان العرب ليست فى لسان الفرس ولا فى لسان الهند ولا فى
سائر الألسنة، والمخارج التي تختص به فى غاية العذوبة ونهاية اللطافة كالشاء والحاء
والصاد والضاد والطاء والظاء والعين بخلاف مخارج الألسنة الأخرى كالباء والزاء
الفارسييتين والتاء والذال والراء الهندية والهاء المختفية منها فأرياب الأذواق السليمة
الذين وقفوا على اللغات المختلفة والألسنة المتنوعة وجبلوا على شيمة النصفة يقضون

١- سبعة المرجان : ٢ / ٨٦ - ٩٣.

بأن المخارج المختصة بلسان العرب أطف وأشرف من المخارج المختصة بغيرهم. ومن عجائب القدرة الإلهية أن الألسنة الهندكية لا حسن فى نشرها وكما تصلح العربية والفارسية والتركية له فى قصوى الفصاحة وقصارى البلاغة التى وضع لها علم المعانى والبيان لا تصلح الهندكية لذلك لخصوصية اللسان واختصاص الميزان. والشأن الذى لاح فى جبين النثر العربى لم يلح فى النثر الفارسى والتركى بل فى نثر جميع الألسنة الأخرى كما يظهر ذلك عند الامتحان. والمختصات بلسان العرب جلت عن دائرة الحصر والإحصاء كتنويع اللفظ بلام التعريف ونزعها عنه والتنوين والإعراب والبناء والإعراب بالحركات الثلاثة وبالحروف الثلاثة وما يترتب عليهما من الأحكام التى تقف دونها الإحاطة وعوامل الإعراب والجزم والصرف ومنعه وتنازع الفعلين فى العمل وتنوع أحكام المنادى وجواب القسم والتلاعب بمادة واحدة فى أبواب مختلفة لفظاً ومعنى كنصر واستنصر وتنصر وتناسر ونحوها وتنوع المصادر وكنى الحيوان كأبى فراس للأسد وابن دابة للغراب وكنى الطعام كأبى جابر للخبز وغيرها والتثنية ولا تثنية فى الفرس وهم عند الاحتياج إليها يأتون بالعدد ويقولون اثنا رجل مكان رجلين والجمع السالم للعاقلين على حدة وللعاقلات على حدة والجموع المكسرة المتنوعة وليس فى الفارسية إلا الجمع السالم لذوى الروح بالألف والنون ولغيرهم بالهاء والألف وقد يستعمل أحدهما فى الآخر والعرب فرقوا بين صيغ التذكير والتأنيث فى الأسماء والأفعال إلا المتكلم والأهاند فرقوا بينهما فى الكل أما الفرس والتركي فلم يفرقوا بل صيغهم مشتركة بينهما وفى لسان العرب والهند مؤنثات سماعية وما هى فى الفرس لعدم تفريقهم بين التذكير والتأنيث والوجوه التى اخترعها العلماء للإعراب والبناء وغيرهما والأدباء للمعانى والبيان ونحوهما فى اللسان العربى هى مسارج عجيبة لعيون الظرفاء ومزاج غريبة لأنظار الفضلاء وفواكه طيبة لأذواق الأذكىاء وأغذية لطيفة لأرواح الأصفياء. ولا إعراب فى الفارسية بل أواخر كلماتها سواكن إلا فى موضعين المضاف والموصوف وهما مكسوران بلا عامل وأما الهندكية فلا إعراب فيها أصلاً وأواخر الكلم فيها ساكنة قاطبة وكذلك التركية والحبشية ولشدة احتياج اللسان إلى السكون وضع اللغة العربية تنويناً وهو نون ساكنة فى أواخر الكلم فجمع بين الحركة والسكون وقرن بين

الضرب والنون. وللأهاند لغة تسمى سنسكرت دوبرا علومهم كلها فى هذه اللغة وفيها التثنية كالعربية وأقلامهم كلها من اليسار الى اليمين بلا تركيب المفردات كقلم اليونانيين وفيها للخنثى صيغ الواحد والتثنية والجمع وضمائرها على حدة سوى صيغ التذكير والتأنيث وضمائرها وهذه اللغة متروكة فى محاوراتهم باقية فى كتبهم ولهم فيها على زعمهم أربعة كتب سماوية مشتملة على المواعظ والأحكام والأخبار ومضى لنزولها دهر طويل لا يحصى. ولما لم يكن حسن فى نشر سنسكرت ولا فى نشر الألسنة الاخرى التى دارت فى ديار الهند والدكن بينوا قواعد علومهم فى النظم ونظموا علم التنجيم فى أشلوك وهو نظم مخصوص فيه أربع مصاريع كالدوبيت وزاد عليه متأخروهم. ويحور العرب والفرس والهند أكثرها مختلفة وقليلة منها متفقة كالتقارب وركض الخيل والسريع فإنها جاءت فى الألسنة الثلاثة ويسمون الثانى سوية ومثاله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين وهو مصراع واحد والثالث جويائى وهو عبارة عن أبيات متوافقة الأوزان متخالفة القوافى كالمثنوى فى الفارسية ومن أوزانهم ما قافيته فى وسط المصراع وهو مع هذا مطبوع ولعل مثله ليس فى الألسنة الأخرى. والاعتدال بين المصراعين فى الأشعار الفارسية والهندية غالب بخلاف العرب فإنهم لا يبالون باختلاف الزحافات فيهما وفيهم قطع كلمة واحدة بين المصراعين وما هذا بالفارسية والهندكية. والأوزان الفارسية أكثرها فى غاية المطبوعية بخلاف العربية والهندية. والنظماء من الفرس أو من يتقلدهم كأهل الهند ينظمون الشعر من غير علم بالعروض الفارسية ومع هذا لا يخرجون عن الوزن لأن الأوزان الفارسية يعرفها من له أدنى سليقة لما فيها من غاية المطبوعية. وأما العجمى الراغب فى الشعر العربى فعليه أن يتعلم العروض العربية وإلا تزل قدمه عن جادة الوزن نعم قد خرج عن الوزن جماعة من فحول الشعراء من العرب فكيف الأعاجم ومنهم المتنبي فى قوله :

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف

وحال الشعر الهندى أيضا كذلك لا يعرف أكثر أوزانه إلا بعد تعلم العروض الهندية. ولشعراء الفرس الرديف وهو عبارة عن كلمة مستقلة فصاعداً تكرر بعد الروى ويسمى الشعر المشتغل عليه مردفاً من الترديد وهو يزيد الشعر جمالاً ويلبس بنات

الأفكار خلخالاً وبه يتنوع النظم الفارسي على أنواع لا تحصى وأقسام لا تستقصى ولا رديف في شعر العرب وإن تكلف أحد بالترديف لا تظهر له جلوة مثل ما تظهر في شعر الفرس ولا موجب له إلا خصوصية اللسان وفي ديوان الشيخ عبد العزيز اللبباني قصيدة مردفة وكذا في ديوان الزمخشري ولآزاد البلجرامي ديوان مردف وللفرس الحاجب وهو عبارة عن الرديف بين القلعتين ويسمى الشعر المشتمل عليه محجوباً ولآزاد قصيدة فيه قال وما رأيت أحداً قبلي أتى بالحاجب في الشعر العربي. والعرب لا يجعلون الواو والياء روياء خلاف الفرس والأهاند ولآزاد فيه قصيدة أيضاً مطلعها :

متى سلمى من الجلباب تبدو ومقلتها إلى المشتاق ترنو

وعمل البهاء زهير وزناً من الأوزان الفارسية في العربية وقال :

يا من لعبت به شمول ما أطف هذه الشمائل

إلى آخر القصيدة وهو عندهم من فروع الهزج وجعله الصفدي من الأوزان العربية بالتكلف ولم يدخله جماعة من شعراء العرب في أبحر العروض لأن العروض عندهم آلة قانونية تعصم مراعاتها اللسان عن أن يضل في وزن شعر العرب وعندى أنه لو ذكر وزن الشعر مطلقاً في حد العروض لكان أشمل لوجود ميزان الشعر في الألسنة الأخرى. والفرس أخذوا فن البديع من العرب العاربة واقتبسوا هذا الضوء من تلك الشهب الثاقبة وأول من اخترع البديع من العرب وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز العباسي وألف فيه كتاباً سنة أربع وسبعين ومائتين وكان جملة ما جمع سبعة عشر نوعاً وعاصره قدامة بن جعفر الكاتب فجمع عشرين نوعاً توارد معه على سبعة وبقي في ملكه ثلاثة عشر فتكامل ثلاثون نوعاً ثم مشى الناس على آثارهما في الاستخراج فكان غاية ما جمع منها أبو هلال العسكري سبعة وثلاثين نوعاً ثم جمع منها ابن رشيق القيرواني مثلها وتلاههما شرف الدين التيفاشي فبلغ السبعين ثم تصدى له الشيخ زكي الدين بن أبي الأصعب فأوصلها إلى التسعين وهو أضاف إليها من مستخرجاته ثلاثين سلم له منها عشرون والباقي مسبوق إليه وله تحرير التحبير في هذا الفن وزاد عليها جماعة جاؤا بعد هؤلاء في كل عصر من الأعصار فتجاوز الأنواع عن مائة وخمسين وذكر الشيخ تقي

الدين أبو بكر على المعروف بابن حجة الحموى رحمه الله فى خزانة الأدب وغاية الأرب
من أنواع البديع مائة واثنين وأربعين نوعاً وشرحها شرحاً بديعاً بسيطاً يغنى عن كثير
من الكتب المؤلفة فى هذا الباب. (١)

هذا النوع من المقارنات بين خصائص اللغات العربية والفارسية والهندية وكذلك بين
السمات الفنية فى شعر كل منها هو ما تحتاجه المكتبة العربية بحق، فهذا النص على
صغره يلمس قضايا عديدة يمكن اتخاذها كرؤوس موضوعات تبحث بحثاً مسهباً خاصة
من قبل من يجيدون اللغات الشرقية الى جانب العربية. ومن أسف أن أحداً من الأدباء
فى شبه القارة لم يلتفت إلى هذه الموضوعات، ومن امتلك منهم القدرة عليها مثل
كرامت حسين الكنتورى قام بها فى إطار اللغات السامية فبقيت المكتبة العربية فى شبه
القارة خالية من هذه الدراسات.

وهناك من أدباء العربية فى شبه القارة من اقتصر فى استخراج علوم البلاغة من
القرآن الكريم وحده كالشيخ عبد العزيز أحمد البرهاروى المتوفى عام ١٢٣٩هـ فى
كتابه، «نعم الوجيز فى اعجاز القرآن العزيز» وقد قام الدكتور ظهور أحمد أظهر رئيس
قسم اللغة العربية بجامعة البنجاب فى باكستان بتحقيقه والتقديم له ونشره فى مجلة
المجمع العربى الباكستانى، والكتاب خفيف يحتوى على ثلاثة أبواب : الأول فى علم
المعانى وفيه عشرة فصول، والثانى فى علم البيان ويضم أربعة فصول، والثالث فى علم
البديع وفيه فصلان وذيل، ثم خاتمة الكتاب وفيها مباحث عن الاقتباس والسرقة
والتضمين وغيره.

يقول المؤلف فى الباب الثانى من الكتاب :

«الباب الثانى : فى المجاز

هو لفظ تجاوز عن موضعه الأصلى، بحكم العقل أو الوضع، فالأول عقلى، والثانى
لغوى، ولا بد فيهما من قرينة حالية، أو مقالية، وعلاقة مصححة، فإن كانت العلاقة فى
الثانى غير المشابهة فمرسل، وإلا فاستعارة (فلنذكره) فى ثلاثة أنواع :

١- غصن البان : ص ٢ - ٨.

التنوع الأول فى المجاز العقلى، ويسمى المجاز فى الإسناد، والمجاز فى التركيب، والمختار أنه نسبة الفعل إلى غير من هو صاحبه كملابسة له بالفعل كظرف المكان نحو: جرى النهر، (ونحو قوله تعالى) «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» و(كظرف) الزمان ونحو: نهاره صائم، (ونحو قوله تعالى) «ومكر الليل والنهار»، (ونحو قوله تعالى) «يوماً يجعل ولدان شيباً»، (ونحو) أنبت الربيع البقل وكالسبب نحو (قوله تعالى) : «يا هامان ابن لى صرحاً» و(نحو قوله تعالى) «يذبح أبناءهم» و(كالمصدر) نحو جد جده و(كالمفعول) نحو (قوله تعالى) «يوم يقوم الحساب».

النوع الثانى فى المجاز المرسل : وكثيراً ما يطلق على استعمال اللفظ فى غير ما وضع له، لعلاقة غير المشابهة، وهو أقسام كثيرة أحدها إرادة الجزء من الكل نحو (قوله تعالى) «يجعلون أصابعهم فى آذانهم» أى أناملهم : ثانيها العكس نحو (قوله تعالى) لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أى بأنفسكم ثالثها إرادة السبب من المسبب نحو (قوله تعالى) «ينزل لكم من السماء رزقاً»، رابعها العكس نحو : راعيت المطر أى النبات، خامسها إطلاق الشرط على المشروط نحو (قوله تعالى) «وما كان الله ليضيع إيمانكم» أى صلاتكم : سادسها عكسه نحو : من لم يصل خلد فى النار أى من لم يؤمن سابعا إطلاق المعلول على العلة كالفعل على الإرادة نحو (قوله تعالى) «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله»، و(نحو قوله تعالى) «وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا»، ثامنها عكسه كالقدرة على الفعل نحو (وقه تعالى) «فظن أن لن نقدر عليه». تاسعها تسمية الشئ باسم ما كان عليه نحو «وآتوا اليتامى أموالهم»، عاشرها باسم ما يؤل إليه نحو : «إنى أرانى أعصر خمراً» الحادى عشر : المجاز بالقوة كالمسكر للخمر المهراق. الثانى عشر: إرادة الحال من المحل كالقدرة من اليد، الثالث عشر عكسها نحو : «فى رحمة الله هم فيها خالدون» أى فى الجنة، الرابع عشر تسمية الشئ باسم آتته نحو «ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» أى بلغتهم، الخامس عشر إرادة الضد نحو (قوله تعالى) «فبشرهم بعذاب أليم» (ونحو قوله تعالى) «ما منعك أن لا تسجد» أى ما أمرك.

السادس عشر : إرادة المشاركة من الفعل نحو : « إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكنوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف » أى قاربن أجلهن. السابع عشر إرادة اللازم من الملزوم نحو وقعت الشمس على الجدار أى ضوءها، الثامن عشر العكس نحو (قوله تعالى) « خذوا زينتكم » أى ملزوماتها، التاسع عشر إرادة العام من الخاص كالشفة من المشفر، العشرون عكسه نحو « أوتيت من كل شئ » أى مما يؤتى مثلها، الحادى والعشرون إرادة المظروف من الظرف نحو (قوله تعالى) « واسئل القرية »، الثانى والعشرون عكسه نحو كسرت الخمر، الثالث والعشرون إطلاق الصفة على الموصوف كقوله :

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصيماً ألسد ذا معلاق

الرابع والعشرون إطلاق الغاية على المفعلى كحديث : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أى الجهاد.

فهذه (هى) العلاقات المشهورة (للمجاز المرسل وقد ضبطها قوم فى عشرة بل سبعة بل خمسة بإدخال بعضها فى بعض، وخالفهم الآخرون، فقالوا لا يحصى أنواع (المجاز) المرسل. ^(١)

والؤلف لا يخفى إعجابه بآراء الجرجانى فى البلاغة، ويعارض الزمخشري وينقده، كما ينقد كثيراً من النحاة فى فصول كتابه، وقد ذكر كل ذلك بالتفصيل الدكتور ظهور أحمد فى المقدمة التى مهد بها للكتاب. ^(٢)

١- مجلة المجمع العربى الباكستانى، ص : ١٠٧ وما بعدها، العدد الثانى، نوفمبر ١٩٩٣.

٢- نفس المصدر، ص ٤٠ - ٧١.

الفصل الخامس

الإنشاء والرسائل

فن الإنشاء من الفنون التي لازمت المدارس لتدريب الطلاب على الكتابة بالعربية، وفي بيئة غير عربية كانت ممارسة الكتابة أمراً غير سهل، لكن الملفت للنظر أن الرسائل الإخوانية في هذه البيئة وجدت بكثرة عن غيرها، وقد سهل وجودها مراسلات العلماء مع بعضهم - أحياناً - في الداخل باللغة العربية، ومع رفاقهم وزملائهم العرب في الخارج في كل حين بهذه اللغة، ومنهم من جمع رسائله في كتاب ومنهم من ألف كتاباً في كيفية المراسلة باللغة العربية.

فالشيخ باقر بن مرتضى المدراسي جمع رسائله في كتاب سماه شمائم الشمال في نظام الرسائل، وحسن علي بن حاجي شاه اللكنوي كتب رسائل عارض بها الحريري ويديع الزمان، كما جمع الشيخ رشيد الدين الدهلوي رسائله في كتاب، وكذلك فعل علي عباس الشريكوتي، والمفتي محمد عباس الذي مر بك ذكره ونمذج من رسائله جمع هذه الرسائل في كتاب سماه ظل محدود وللسيد ناصر حسين اللكنوي كتاب الأثمار الشهية في الإنشاء، وللشيخ بناء عطا بن كريم عطا السلوني كتاب النجم الثاقب لمن يكاتب، كما ألف محمد زمان خان سفينة البلاغة وكتب السيد ناصر حسين الجونبوري علم الأدب في محاورات العرب.^(١)

ولعل أقدم نموذج وصلنا من الرسائل هو ما كتبه أبو العلاء اللاهوري (ت ١٤٩١هـ) وقد تلا حقبة أدبية اشتهرت فيها طريقة بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨) وأبي بكر

١ - وجدت هذه الكتب متفرقة في الثقافة الإسلامية ، ص ٤٤ ، ٥٤ .

الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ) وهما من فطاحل النشر في العصر الغزنوي. يقول الدكتور ظهور أحمد عن خلفية هذا :

«وقد كانت الكتابة العربية بسيطة جدا في عصورها الأولى ولكنها بمضى الوقت، وتطور الدولة وتقدم اللغة صارت كتابة الرسائل صناعة فائقة، تستدعى التأنيق، والتنميق، والبراعة والكمال إلى جانب إظهار القدرة الإبداعية وإبراز العبقرية الفنية، وبدأت طبائع الكتاب المترسلين قميل إلى السجع والقافية في الرسائل الديوانية والإخوانية حتى دخل القرن الهجري الرابع، وهو من أزهى العصور وأفخرها للنشر العربي، والكتابة الأدبية في تاريخ لغتنا العربية وآدابها، وظهر على أفق الأدب العربي وعلى مطلع الترسل والإنشاء الكاتب البليغ والأديب النابغة أبو الفضل بديع الزمان الهمداني وأضرابه. وفي عصر الهمداني، تبوأ السجع المرتبة الأولى والمكانة العليا في كتابه الرسائل، وبذلك أخذت الرسائل المسجوعة المنمقة تحتل نفس المكانة في النشر الفني التي كانت القصائد الشعرية البديعة تحتلها في شعر الشعراء، فاتجه نشاط الأدباء والكتاب إلى النشر، وأخذوا يظهرون فيه البراعة ويحققون الكفاءة، ويتكلفون فيه الكثير من التنميق والإجادة، وغلب عليهم الزخرف والتفنن والتلاعب بالألفاظ وجرت بينهم المساجلات الطريفة، تركت لنا الروائع من الرسائل الإخوانية والديوانية على السواء !

قلنا إن الرسائل المسجوعة المنمقة كانت قد أخذت تحتل المكانة التي كانت القصائد الشعرية تحتلها فيما مضى من العصور بل إن النشر كان قد بدأ يأخذ خصائص الشعر وأخذت الرسالة تحتل أغراض القصيدة في الموضوعات التي كان الشعر يطرقها مثل المدح والهجاء والتعزية والرثاء والعتاب والاعتذار والاستعطاف والوصف والنصح والحكم والود والصدقة . بل أضيفت إليها أشياء لم يكن الشعر يعرفها كالكدية والاستجداء والمناظرة والمساجلة والشئون العامة وغيرها من الموضوعات.

فهذا هو العصر الذي تلاه عصر أبي العلاء اللاهوري وهذا هو النوع من النشر الذي كان يعالجه أبو العلاء» .^(١)

١- أبو العلاء اللاهوري، ص ٥٢ - ٥٣، جدة، ١٩٨٢.

يقول أبو العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى يشكو جور الزمان وغدر بعض الخلان
روشايتهم لدى السلطان إبراهيم الغزنوى فحبسه فى السجن ثمانية أعوام فى مدينة
لاهور ثم حمل منها مقيداً إلى مدينة ملتان :

«منذ توردت هذه الناحية لم يرد على سحابة أروى بها كبدى الصادية، وأجلو حالى
الصادئة، واستظهر بها على دهر يقصدنى حيثما قصدت ، ويضرينى أينما ضربت ولم
أخلص بعد من أسنة أبنائه فى ذلك الحى حتى ابتليت بأسنة بناته فى هذا الفى وطلعت
علينا عارضة داجية الجو باكية النوى وأمطرتنا مطر السوء بوفاة الطعينة المسكينة.
فتضاعف سقم برح بى فلا يبرح وترادف ألم ألح على، فلا لالح، وما حال أفق أفل
نهاره، وروض ذبلت أزهاره، وقلب زال قراره، وقلب زاد أواره، وكثير فارق عزته ثم فقد
عزته، والمصيبة فى الغربة أقطع، ونكء القرح بالقرح أوجع !

وأكثر ما جر على هذه الفادحة تطيرى بفلان، فإنه بكر على يوم النوروز متسابطاً
طوماراً أطول من يوم الحشر، قد أربى ذراعاً على العشر، يضيق عنه نطاق النشر، ملأه
نظماً ونشراً فى مرثية جارية له قد ماتت منذ خمسين سنة ! ذكر فيه غرتها ونعرتها
وطرتها ودرتها وعمرتها وخمرتها، وسرتها وصرتها فتشفعت اليه وتضرعت بين يديه
وقلت له : أنشدك الله ألا طوبته وأدرجته، وأدخلته من حيث أخرجته! فأبى إلا جماعاً
فى المسحل، وسل مقولاً كالمعول، وجعل يكيل من تلك الأهواس، إذا قرأ سطرأ أعاد
إلى الرأس، وحكى أساطير الأولين، ورفع العويل والأنين، وأرسل المخاط والذتيه، كلما
قال لفظة سمل، وأخرج من قعر حلقه جعل. وأنا أنزوى كما تنزوى الجلدة فى النار،
والتوى كما تلتوى الحية على الأوار، لا يمكننى أن أقر، ولا تركنى حتى أفر، إلى نصف
النهار، ولم ينصف بعد الطومار، وقمنا إلى المفروض، بعد النهوض، ولما انفصلت من
ذلك المكان وصل كتاب التحول إلى (المولتان) وحمت المسكينة فى الحال ووقعنا فى
الأوجال، والله نصيرى على الزمان والإخوان وحسيبى، وقد قل منه ومنهم حظى
ونصيبى».^(١)

١- أبو العلاء اللاهورى، ص ٥٥ - ٧٥.

وفى رسالة طريفة بعث بها إلى صديق له كان من الوزراء، استخدم فيها اصطلاحات النحو استخداماً طريفاً، يقول :

«أطال الله بقاء الشيخ فى عز مرفوع كاسم كان وأخواتها، إلى فلك الأفلاك منصوب كاسم إن وذواتها، إلى سمك السماك موصوف بصفة النماء، موصول بصلة البقاء، مقصور على قضية المراد، ممدود إلى يوم التناد، معرف به، مضاف إليه، مفعول له، موقوف عليه، صحيح سالم من حروف العلة، غير معتل ولا مهموز همز الذلة يشنى ويجمع دائماً جمع السلامة والكثرة، لا جمع التكسير والقلّة ساكن لا تغيره يد الحركة، مبني على اليمين والبركة، مضاعف مكرر على تناوب الأحوال، زائد غير ناقص على تعاقب الأحوال، مبتدأ به خبر الزيادة، فاعل مفعوله الكرامة، مستقبله خير من ماضيه حالاً، وغده أكثر من يومه وأمسّه جلالاً، له الاسم المتمكن من إعراب الأمانى والفعل المضارع للسيف اليمانى لازم لربه لا يتعدى ولا ينصرف عنه إلى العدى، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً، يقرأ باب التعجب من يراه منصوباً على الحال إلى أعلى ذراه، متحركاً بالدولة والتمكين منصرفاً إلى ربوة ذات قرار ومعين.

وهذا دعاء دعوت له على لسان النحو، وأنا داع له بكل لسان على هذا النحو، ولولا الاحتراز العظيم من أن يمل الاستاذ الكريم لسردت أفراده سرداً، وجعلت أوراده ورداً، وجمعت أعداده عقداً، ونظمت أبداده عقداً، ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين»^(٢).

هذا النشر الرقيق الصافى مهما ساده من سجع العبارة ما لبث أن تعقد بمرور الزمن حتى إذا وصلنا إلى القرن الثالث عشر الهجرى، وجدناه أشبه بقطعة زخرف تكلف أصحابها بتزويق ألفاظها، وتنميق عبارتها، ووشوها بالشعر، وطرزوها بالجناس والتورية، فاخفى المعنى وراء ديباجهم، حتى شغلت هذه الصنائع البراقة ذهن القارئ عما أراد الكاتب، وركزت نظره على ما يتوقع أن يأتى به قلم الكاتب من علاقات لفظية بين العبارة التى يقرأها والتى تليها. ولعل خير مثال لهذا النشر المزخرف،

١- أبو العلاء اللاهورى، ص ٥٨ - ٥٩.

والرسائل الموشاة بأنواع الحلوى والبذائع ما كتبه المفتى السيد محمد عباس وقد مر بك شئ من بضاعته، يقول فى إحدى رسائله إلى المجتهد الشيخ محمد حسن النجفى :

«... أما بعد سلام كالمسك إذا فاح، وكالصباح إذا لاح، وكالطائر إذا غرد، وكالشادن إذا شرد، وكالبرق إذا ومض، وكالشوق إذا نهض، وكالصباح إذا لحظ، وكالفصيح إذا لفظ، وكالبدر إذا بزغ وكالعيش إذا رفع، وكالشوب إذا جبك، وكالذهب إذا سبك، وكالنور إذا ابتسم، وكالغيث إذا انسجم، وكالربيع إذا حان، وكالطلع إذا بان، وكالغزال إذا رنا، وكالوصال إذا دنا، يحكى الورد شذا، والياسمين نشا، يفوق الرجل علواً، والعسل حلواً، يخجل الدر بصيصاً، ويجعل التبر رخيصاً يخبر عن آمالى ويحدث عن أحوالى، فالهدية التى يجب فى شريعة الود اتحافها، ويستحب بفتوى الحب إسرافها هى جواهر الأثنية الوافرة، والأدعية الكاثرة، وكنوز الأشراق إلى تلك الآفاق، فإنها قد اخضر فى أرض الجنان جنانها، وأزهر من سحب الحب بستانها، وتأجج فى تنور الصدور نيرانها، وأغرق انسان العين طوفانها، دخلت عساكرها فى دساكر القلب أفواجاً، وظلت أبحرها تلاطم صدر الصب أمواجاً، فهذا هى الآن مفجرة الأنهار مملوءة الغدران، تشدو على قضبانها عنادل البيان، طلعت من مشارق الأفكار شمسها، وأديرى فى مجالس الوداد كؤوسها، وتهادت فى ملابس العبارات عروسها ومادت فى مغامر الكلمات غروسها، وتفتقت فى ظلمات المداد أنوارها، وتشققت فى سطور الكتاب أنهارها، والصبر قد تزلزل بنيانه، وتزعزع أركانه، وانهدمت جدرانه، وبيست غدرانه، وانكسرت أغصانه، وإن كنت سائلاً عنى فإننى أقل الأفراد، مثلوج الفؤاد، أليف الشجن، عهيد الحزن، قليل العمل، كثير الزلل، صرفت برهة من عمرى ونبذة من دهرى فى تحصيل المعقول والمنقول، واقتناص الفروع والأصول، متردداً إلى أعلام هذه الأقطار، منغمساً فى لجج الأفكار بالأصال والأسحار، فقرأت شطراً صالحاً منها على يد السيد الغظمم والمولى الأقوم، البحر العريف والخبر الغطريف، صاحب الفيض العميم والخلق العظيم، العرنيين الأوحدى التحرير الأهودى، المؤيد بالنفحة الأنسية والقوة القدسية، المحرز فى بيداء الفضل لشواردها، والغائص فى دأماء الكمال على فرائدها، البالغ من الاجتهاد

ذروة سنامه، والمرتضع من ثدى أم الكتاب فطامه، الحامى لشعر الدين عن أيدي
المعاندين، الصاعد فى معارج التحقيق، السالك فى مناهج التدقيق، مولاي ومولى
الخافقين، المحيى لشرعة جده سيد الثقلين وارث الأئمة المصطفين مولانا السيد حسين،
دامت معاليه وبورك أيامه ولياليه، فلما التقطت من حدائق العلم أزهاراً، واختطفت
من أشجار الفضل أثماراً، واشتغلت بتنظيم لآليه فى الرسائل، ونثر دره على كل سائل،
أقبل على الدهر بعواليه ونوائبه، ورماني زمانى يسهام مصائبه، فصرت أقاسى الهموم،
وأكابد الغموم، ضل حيلى وخاب أملى، وأكدى طالبى وانقطع سببى، فطفقت أضج تارة
بما يصيبنى من المكاره الدنيوية، وأصبح طوراً بما يفوتنى من المشويات الأخروية، وبما
قلت :

إلى الله أشكو ما دهاتى فإنى	بليت بدهر فيه للجهل رونق
فرزدقهم مستحقر كشويعر	وشعروهم يدعى بأن يا فرزدق
كلامهم كلم وأفواههم بها	سيوف إذا سلت دم العلم يهرق
فكل ذكى عالم متجاهل	وكل غبى جاهل متحذلق
ورب خطيب مصقع ساكت شج	ومتسلح لحانة يتشندق
وتنعق غريان مكان بلابل	وفى مريط الخيل الحمارة تنهق
خلعتك يا دنيسا وها أننى بمح	ضمر من عدول قلت أنك طالق
بما قلت أيضاً :	

ذهبن الليلالى بالأعالي الأكابر	ساروا وتبكيهم جذوع المناير
وقد أكلت دود اللحود لحاهم	ولم يورثوا إلا التى فى الدفاتر
خرائد أبكار حسان أباتها	طبائع أصحاب العيون السواهر
سطور لبسن السود حزنا عليهم	وألفاظهم رقت كقلبي وناظرى
ينادى الحروف العسجم لو ثم سامع	ألا نحن آثار لأيد دوائر

ولى :

سكت على غيظى فحل بى الردى ولا براء للمسكوت إذ كان مزيدا

وكيف ينسلى الحشا وينتفى الجوى، أو ينطفى أوار الكبد الحرى، ولا أدرى هل
الآخرة خير لى من الأولى، أم المصير إلى نار تلظى ولهيب لظى تنضج الأكباد والكلى،
ولو لم يكن إلا الموت لكفى، فكيف وما بعده أمر وأدهى، وأعظم مصاب أهدانى على
كتب هذا الكتاب، وهدانى لتوجيه هذا الخطاب إلى الجنب المستطاب أنى أرانى هائماً
فى بوادى الحيرة، نائماً على وسائد الغفلة، لا أعرف ما اكتسبته لنفسى وماذا
اصطحبته إلى رمسى، حرمت بالانهماك فى الملاذ الدنية، عن الاستسعاد باستلام
الحضرة السنية، محصوراً بمشامة أعمالى عن زيارة مشاهد الموالى عليهم السلام ماكر
الليالى، مصدوداً بالعوائق الرديات عن ملازمة مدارس الآيات، وطواف بيوت الإفادات،
ولم يزل الأمر كذلك والهيمن فى هاتيك المسالك إلى أن ألقى فى روعى ودار فى خلدى
أن أشرف سلامى ببابكم إن لم يحلل بأعتابكم جسدى». (١١)

وأنت ترى الإغراق فى الصنعة أكثر من الحد فى صدر الخطاب، لكن الأسلوب يتغير
فى الجزء الذى يشكو فيه آلامه، وهو ما ذكرنا شيئاً عنه فى سمات النشر، وقلنا إن
أسلوب الكاتب الواحد يتغير فى المكتوب الواحد فلا تستطيع الوصول إلى سمة محدودة
لأسلوبه.

وفى رسالة أخرى إلى السيد أبى الحسن محمد نجل المجتهد العارف بالله السيد
عليشاه يقول محمد عباس التستري بادئاً بشئ من أشعاره كعاداته فى تصدير الرسائل:

«خيالك فى ذكرى وذكرك فى فمى وذكراك فى قلبى فكيف تغيب

أيها الخلف الصالح الواعظ الناصح الناطق على حساب المصالح بكلام حلو ومالح،
الذاكر الطائع، الصابر القانع، المتصرف فى الألفاظ والمعانى تصرف الصانع الضالع
الصانع فى الحلى والأوانى، بلغه الله بالأمن والأمان إلى الأمانى، أحمد الله على ما

١- ظل ممدود، ص ٨ - ١٠، الهند ١٢٨٨هـ.

حقق رجائي فيك، وسمع دعائي بالصباح والمساء لك، وأسأله أن ينجح فؤادك وينجح مسائلك، أما بعد فأتحفك برباعي خفيف على اللسان ثقيل في الميزان، يبدأ به ويختم عليه روق من السلسبيل وطرق إلى سوى السبيل، ووفق ولفق من جانبيه، وثنائي شطره الأول ضعف الثاني، وأطراف الثاني منه عشرة أضعاف المثاني، وهي غاية في التعظيم وراية للتكريم وآية من الكتاب الكريم، سلام قولاً من رب رحيم، ولنعم ما بعثت به إلى من مرسوم مفتتح بمنظوم ينقص أبا تمام، مشتمل على منشور يزرى بمنشور لأنه نمام، فيالها من دوحة ممدوحة عند المستملحين، تؤتى أكلها كل حين، فقرأت فقرات منه مزدوجة فرائن فيها على ارتجالها قرائن وجدتها في اشتباكها واتساقها حدائق وأعناناً، وفي ارتباطها واعتناقها كواعب أتراباً، عرائس إلا أنهن غالية الأصدقاء، ونفائس لكن ما لها مصداق، إلا أن يصار إلى التسؤل، أو يصيب على التفاؤل. أما حديث ودك ووجدك، فبحق أبيك وجدك إنه حديث مقطوع الصدور عن الألسنة في الورد والصدور. وأما ما اقترحت على قريحتي من أحسن مسطور في رجعة الرقعة فهيهات هيهات، ضعفت الباصرة وأيقت الذاكرة، وللعلم آفات، حلت الشيبة وارتحلت الشبيبة، وما أبعد ما فات.

لو كان ما بي في صخر لأنحله فكيف يحمله خلق من الطين

أم كيف يعرب عن لسان العرب من عربت معدته، وعزيت قوته، وغربت ذكاء ذكائه، وغزيت رؤساء أعضائه، وعزيت أخلاؤه على أجلاته، وعزيت دنياه بافئائه، وعربت عظامه عن كسائها، وغرثت أمعاؤه لنقائها، وعزيت صحيفة عمله لكسله وفشله، وغربت نفسه في الخلق إلى الخرق وسوء الخلق، من لى يضرس قاطع في العلم بعد وهن واقع في العظم والجسم، كبرت سنى وانقلعت سنى ونال الدهر منى.

نسود أعلاها وتآبى أصولها وليس إلى رد الشباب سبيل

على أن هذا زمن ذو شجون لا يسأل فيه عن الصفا والحجون، والقلم وما يسطرون، ولا يبحث عن عبد الحميد ولا يكثرث بآبن العميد، ولا يلتفت إلى ابن مقلة بطرف من مقلة. ألا وقديما عد الأثام آثام الأيام، وشكت الأفتدة في أياديها الجسام، وسكت

الألسنة عن محامدها العظام، وشكت معاييبها قدماء الأعلام، وسباق ذوى الأحلام، ولو أدركوا زماننا أوشكوا أن يقولوا هذا عيان وتلك أحلام.

رب يسوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه»^(١)

وقد استمرت هذه الطريقة فى أدب الرسائل حتى وجدناها فى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) عند ألفتاف حسين حالى، يقول فى إحدى رسائله إلى مرزا أشرف بيك الدهلوى :

«سلام عليكم سلام غريب بعيد الدار مهجور الأوطان والأوكار طويل الليل عبوس النهار قد حل أرضاً لا أنيس بها ولا صاحب وضائق عليه بما رحبت فأعيت به المذهب لا يتمكن من عزمه فيبصر قصده ولا يقدر على نفسه فيرى رشده قد تركتموه غرضاً لسهام الآلام ودرية لطعان الأحزان والأسقام وحيداً طريداً بائناً بعيداً حزيناً كشيئاً قلقاً مكروباً ولكنه مع ما به من الهم والشجى والحزن والأنسى وكآبة الفراق وحزاة المشتاق ولوعة قلبه ولوعة حبه وشتيت باله وجزعه ولباله لا يكاد يشغله عنكم شاغل ولا يحول بينه وبينكم حائل، وقد ألقى ذكركم بين عينيه ليأنس به ويسكن إليه وكلما يبلغه كتاب أو تهب ريح خطاب من عند أحد من الأحباب يهيج له شوقاً إلى شوق ويحشمه من الهوى ما لا يسعه الطوق فالحمد لله حمد الصابرين الراضين بقضائه كلما قضى الراجين رحمته عند كل كره ويؤسى على ما قد قيل :

أرى الصبر محموداً وعنه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهب

هو الهرب المنجى لمن أهدقت به نوائب دهر ليس منهن مهرب»^(٢)

غير أن حالى لا يحافظ على هذا الأسلوب فى رسائله بل ينتقل إلى نشر عادى سهل ليس فيه من القديم إلا تزيينه بأبيات شعر، ففى رسالة إلى النواب عماد الملك الشهير بمولوى سيد حسين يقول :

١- ظل محدود، ص ١٨٨ - ١٨٩.

٢- ضميمه، أردو كليات نظم حالى. ص ١٣٢ - ١٣٣.

« أقمت معتصماً شهراً وأياماً بحبل رأفتكم فى حيدرآباد
فهذا دعاء وتذكار لنصتكم وشكر لإحسانكم يا سيد السادة
ولست بناس طول عمرى صنيعكم كذا جرت بادكار النعمة العادة

وبعد فقد وصلت يا سيدى فى ٣ نوفمبر يوم الثلاثاء بنعمة الله وحسن توفيقه من
بمبى إلى دلى سالماً غانماً وكنت فى بمبى نزلاً فى منزل صاحبكم الجليل المبجل الممتاز
عن الأقران فى المعمورة بالسير العادلة والأخلاق المرضية السيئة^(١) غلام حسين المتنزه
عن كل شين الذى فى زورته سكينه للقلب وقريرة للعين ستين ساعة فعاملتنى هذا الفتى
معاملة لا تكاد تقع بين الأجانب بل عاشرنى معاشرة الأصحاب بالأصحاب ورافقتنى
مرافقة الخلان بالخلان وأرانى من خصائص المعمورة وعجائبها ومراسيها ومراكبها فوق ما
كنت أرجو أن أراها وله غير ذلك من الصنائع التى صنع بنا ما لا يوصف باللسان ولا
يفيه اللفظ والبيان فياليت شعرى أشكركم إياكم على ما هديتمونى منزل الرجل النبيل
ودللتمونى على سواء السبيل إلى خوان الخليل أم أحمد الرجل على ما أكرمنى وأحسن
مثنواى وأعاننى على ما كنت بصدده من اطلاع على أحوال المعمورة وبالع فى حسن
الإضافة والقرى ولم يأذن لى بالرحلة من بمبى إلا كرهاً فوالله لئن كان الإسماعيليون
كلهم متخلفين بأخلاق أخيههم هذا جزمتم بأن الناجية من الفرق الإسلامية هى الفرقة
الإسماعيلية لا غير ثم إن الرجل كان يقول مشكياً من جنابكم الرفيع أنكم لم تكتبوا
كتاباً منذ زمان طويل ولم تطلعوه على أحوالكم ولم تسألوا عنه وعن أحواله وأمرنى أن
أخبركم بذلك وأسألكم أن تداركوا ما فاتكم وما على إلا البلاغ^(٢).

وفى رسالة أخرى إلى مدير إحدى المجلات الأدبية العربية فى لبنان يقول:

«قداسة القس الجليل قد وصلنى من أول تموز إلى آخر تشرين الثانى ثلاثة أعداد من
جريدتكم الفريدة المسماه بالنحلة الأدبية التى تلوح آثار قبول العالمين من غرتها البيضاء

١- السيئة لقب لكبار الأثرياء من التجار فى شبه القارة الهندية.

٢- ضميمه، أردو كليات نظم حالى، ص ١٣٤.

فتمتعت بما فيها من سوانح الأخبار وبدائع الأفكار وفوائد أخرى يعجز عن حصرها لسان الإظهار فبعدما أتشكر غاية التشكر على ما أحسنتم إلى مثل هذا المسكين بإرسال الجريدة أقول إنى مع ما بى من شدة الوله وغاية الحرص على مطالعة النحلة لا أستطيع أن أشارك فيها وإن مثلى فى الباب كمثلى ظمآن على رأس بئر ماله دلو ولا سبب يتوصل به إلى الماء ولا قلب يصبر على العطش ولكنى أتعهد إن شاء الله بالسعى المقذور فى نشر نفحات النحلة وبركاتها بين أبناء الوطن من الإخوان والخلائ وغيرهم من رؤساء إدارات التعليم الذين يعرفوننى ولو بأدنى معرفة وأما أغنياء هذه الصفحات من الملوك والأمراء والأكابر فليسوا فى شئ من ذوق العلم ومطالعة الجرنالات وتفحص الأخبار وذلك السعى الذى تعهدت به لا يكون منى على شرط عوض من جنابكم بل يكون لمحض إشاعة الخير والبركة بين الناس ولما تقتضيه الأخوة الإنسانية من التعاون والتعاقد وإن كنتم تمنون بعد ذلك بإرسال الجريدة فلا يسعنى الإتيان بغير التشكر على هذا الامتنان باللسان والجنان إلا أنه فى عزم هذا النحيف على تقدير وصول النحلة فيما بعد أن أبلغ فى كل شهرين أو أكثر مرة واحدة بعض الحوادث المهمة الواقعة بهذه الأقطار إلى حضرتكم بمثل هذه العربية المستهجنة التى لا تكاد تقع عند أهل اللسان موقعاً حسناً أو بإحدى اللغتين من الفارسية والهندية إن لم يكن على خلاف شرط النحلة ثم لى فى خصوص أمر الجريدة كلام آخر لابد أن أبوح به فى حضرتكم وهو أن ترجمتها بالانكليزية إن كانت مطابقة بكل لفظ لفظ من العربية بحيث لا يبقى لغة من اللغات المولدة أو المرعبة مجهولة غير مفسرة لكان أقرب إلى فهم أهل الهند وأوقع فى قلوبهم فإن اللغات المتداولة بين أيديهم من الصراح والقاموس وغيرهما ليست بكافلة لجميع باقى العربية الحالية من الألفاظ القديمة والحديثة وطى هذه الصحيفة رقيقة أخرى بالانكليزية أرجو أن يكون النظر فيها منتجاً لبعض النتائج الحسنة والسلام خير ختام»^(١)

١- ضميمهء اردو كليات نظم حالى. ص ١٣٤ - ١٣٦.

فحالى فى هذا النص خرج عن العربية المألوفة لدية فوق فى مشكلات لا يعرف حلها الا من عاش بين العرب وتدرّب على لغتهم معهم وسمعها من أفواههم، فقد استخدم مثلاً كلمة اللغات للتعبير عن المعاجم والقواميس وهو معنى الكلمة فى اللغة الأردنية، وعبر عن الترجمة الحرفية بقوله بكل لفظ لفظ وقال عن الجرائد جرنالات أى جمع جورنال بالإنجليزية. وفى رسالته التى قبل هذه إلى عماد الملك كتب أسماء المدن بمباى ودلهى وشهر نوفمبر كما فى الأردنية واستخدم لقب السيته وهو لأثرياء التجار كما هو فى الأردنية ، وهذا كله من آثار القطيعة وعدم الاحتكاك بين من يعيشون العربية خارج ديار العرب وبين العرب الخالص، والنص الأخير يشعر بهذا الحب قطعاً.

فإن تركنا مجموعات الرسائل إلى الكتب المصنفة فى فن الإنشاء وجدنا واحداً من أجودها وأكثرها شمولاً، وهو سفينة البلاغة لأبى الرجاء محمد زمان خان (ت ١٢٩٢هـ). فقد جمع الكتاب بين الأمرين تعليم الإنشاء وإيراد نماذج من الرسائل، وفى البداية ذكر المؤلف طريق المتقدمين والمتأخرين فى الكتابة، والأسجاع والألفاظ التى تمجها الأسماع، وعرف معنى الفصاحة وبين آلات الإنشاء وأركان الكتابة والسبيل إلى تعلمها، ثم أفرد باباً لأساليب الافتتاح وأورد أمثلة تقديم السلام لنحوى أو لمنطقى أو غيره من الناس، وأفرد جزءاً آخر لذكر الأوصاف والأدعية المنشورة والمنظومة فى مختلف المناسبات ودعم ذلك بنماذج كثيرة ليطبقها الطلاب والدارسون. وخصص أبواباً ذكر فيها ما يمكن كتابته فيها من عبارات وألفاظ وأخيلة ومعان وأشعار وحكم وأمثال كالاشتياق مثلاً وتقديم الهدايا والتهانى المختلفة بالفوز بمنصب أو بالعرس أو بمسكن أو بعافية مريض أو بعيد أو بشهر رمضان أو بمولود أو بعام جديد أو بغير ذلك، وكالتعزية وما يتصل بها، والعتاب وخيانة الود وما يقال فيه والشفاعات لقضاء الحاجات والحث على الالتزام بالمواعيد، وشكوى الحال، وتقلب الدنيا وذكر الموت، والمواعظ والنصائح والأمثال، ثم أفرد باباً لخواتيم الرسائل المختلفة، وفصل القول فى كل من هذه الأبواب، وانتهى بذكر أمثلة من رسائل العرب وأهل شبه القارة، وقد شملت هذه النماذج بعضاً لأئمة اليمن الزيدية وسلطان مكة وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس والخليفة المعتصم وبعض علماء وأدباء العرب، وأتبع ذلك بالرقاع التى تكتب فى مناسبات مختلفة وذكر أمثلة عديدة منها فى مختلف مجالات الحياة وختم الكتاب بذكر فوائد فى علم النحو

والصرف، ومذهبي الكوفيين والبصريين، وحد اللغة وبيان واضعها ووجوه معرفة عجمية الاسم، وما لا يجوز الاحتجاج به، وأحوال اللغات وديادن شعراء العرب والفرس والهنود وألوان البديع والاقتباس وأحكامه.

ونحن ننقل هنا شيئاً من مقدمة الكتاب، يقول محمد زمان خان.

فصل فى ذكر طريق المتقدمين والمتأخرين فى الكتابة والقول الفبصل فى ذلك :

اعلم أن السلف المتقدمين كانوا لا يتحرون فى مكاتبتهم تسجيح الألفاظ ولا تنميقها كأهل هذا الزمان وكانوا يكتبون السلام بلا تسجيح ثم يقولون وبعد فإننى أحمد الهكم الذى لا إله إلا هو وأصلى وأسلم على محمد وآله وصحبه والأمر كيت وكيت وأما المتأخرون فقد بالغوا فى تزويق الألفاظ وتحسينها وتنميق الكلمات وتزيينها وقدموا أمام السلام أسجاعاً لطيفة واستعارات بديعة ومع ذلك فقالوا الأولى عدم التطويل قال الشيخ مرعى بن يوسف الحنبلى بعد ذكره هذا الكلام وعندى أن هذا فيه تفصيل فلا يطول الكلام فى مقام لا يقتضيه خصوصاً مع الملوك والحكام لكثرة أشغالهم واشتغالهم بالقصص لا سيما وقد قيل عيب الكلام تطويله وخير الكلام ما قل ودل وأحسنه ما قل لفظه وكثر معناه قال أبو بكر الصديق لبعض أمرائه إذا وعظت أصحابك فأوجز فإن كثير الكلام يُنسى بعضه بعضاً وما أحسن ما كتب الخليفة أبو جعفر المنصور لبعض عماله أما بعد فقد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما عزلت ولا بأس بتطويله إن ناسب المقام فقد قيل لكل مقام مقال لا سيما فى رسائل الأشواق بين إخوان الصفا والود والوفا فإن ذلك محل الإطناب وتطويل الخطاب وقال بعضهم لكاتبه اجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول يريد بذلك الإيجاز وقال ابن قتيبة وهذا ليس بمحمود فى كل موضع ولا مختار فى كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الإيجاز محموداً فى جميع الأحوال لجرده الله تعالى من القرآن ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للإفهام وهذا هو الحق الحقيق بالإعلام يشهد له تعريف علم المعانى وحد بلاغة الكلام من أن علم المعانى هو علم يعرف منه أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال والبلاغة فى الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة إلى آخر ما تلبجت به أسفار البلاغة.

فصل فى ذكر الأسجاع والألفاظ التى تمجها الأسماع وغير ذلك من المطالب المستفادة من المثل السائر :

قال فى العجب العجائب ثم لا يخفى عليك أن الأسجاع مبنية على سكون الأعجاز لأن الغرض أن يزواج المنشى بين القرائن ولا يتم ذلك إلا بالتوقيف إذ لو ظهر الإعراب لفات ذلك المقصود وضاق الحال على قاصده ألا ترى أنك لو أظهرت الإعراب فى مثل قول القائل ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت المقصود وما ذكرناه مصرح فى فن البديع فراجعه وينبغى للمنشى الحاذق أن يحترز فى كلامه عن استعمال الكلمة الوحشية التى تمجها الأسماع وتنفر منها الطباع كحتروش وخرباش وحكش وجلعطيظ وغطريس وضيطر فإن هذه الألفاظ وأمثالها غير مأنوسة الاستعمال وخير الكلام البعيد من التكليف النقى من التكلف السهل الممتنع الآخذ بمجامع القلوب المستولى على قوى النفوس قال الشيخ العلامة الشهير بضياء الدين بن الأثير فى المقالة الأولى من كتابه المثل السائر وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحد إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال لا بل كل الألفاظ حسن والواضع لم يضع إلا حسناً ومن يبلغ جهله إلى مثله لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة وبين لفظة الإسفيظ وبين لفظة السلق ولفظة الخنشليل. وبين لفظة الأسد ولفظة الفدوكس فلا ينبغى أن يخاطب بخطاب ولا يجاب بجواب بل يترك شأنه كما قيل اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجعر فى رحله وما مثاله فى هذا المقام إلا كمن يساوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة شرواء ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه زبيبة وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنما نظم من أقاح وطرة كأنها ليل على صباح وإذا كان بإنسان من سقم النظر أن يساوى بين هذه الصورة وبين هذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يساوى بين هذه الألفاظ وهذه ولا فرق بين السمع والنظر فبهذا المقام فإن هذه حاسة وهذه حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فإن عاند معاند فى هذا وقال أغراض الناس مختلفة فى اختيار ما يختارونه من هذه الأشياء وقد يعشق

الإنسان صورة الزنجية التى ذممتها ويفضلها على صورة الرومية التى وصفتها قلت فى الجواب نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال. بل نحكم على الكثير الغالب وكذلك إذا رأينا شخصاً يحب أكل الفحم مثلاً وأكل الجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه بأنه مريض وقد فسدت معدته وهى محتاجة إلى علاج ومداوة ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ فى الأذن نغمة لذيدة كنغمة الأوتار وصوتاً كصوت الحمار وأن لها فى الفم أيضاً حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل فهى تجرى مجرى النغمات والطعوم انتهى ثم لا يذهب عليك أن كون الألفاظ لذيدة فى الأذان ثقيلة على اللسان لا يتعلق بسبب مقرر ولا يندرج تحت ضابط محرر بل إنما هذا أمر ذوقى فكل ما عده الذوق الصحيح مستلذاً فى السماع غير متعسر النطق على اللسان حين الأداء فهو حسن وإلا فحش ولا عبرة فى هذا الأمر لبعد المخارج وكون الانتقال من أحدهما إلى الآخر كالطفرة ولا لقربها وكون الانتقال من أحدهما إلى الآخر كالمشى فى القيد لتخلف ذينك السببين فى أمثال ألم أعهد وعلم، صرح بذلك فى المطول نقلاً عن هذا الشيخ المبجل وبأن الكراهة فى السمع من جوهريات الكلم لا كما زعم البعض أنها راجعة إلى النغم فكم من لفظ غير فصيح يستكره فى السمع إذا أدى بنغم غير متناسبة وصوت منكر وكم من لفظ غير فصيح يستلذ إذا أدى بنغم متناسبة وصوت طيب للقطع باستكراه الجرشى دون النفس سواء أدى بصوت حسن أو غيره وكذا جفخت وملع دون فخرت وعلم. (١)

والنماذج التى اطلعنا عليها توضح فى جلاء أن أدباء العربية فى شبه القارة لم يشقوا لأنفسهم طريقاً، ولم يصطنعوا لأقلامهم أسلوباً يميزهم عن الآخرين بل كانوا مقلدين فى الأول والآخر، فأبو العلاء اللاهورى قلد ما ساد فى زمانه مع طراز وضع أسسه بديع الزمان الهمدانى بما فيه من ترسل وسهولة ورقة فانتضى إلى نفس المدرسة، وأصحاب الأقلام من المتأخرين اقتفوا آثار القاضى الفاضل من عناية باللفظ، وإكثار من الزخرف، وتضمين للشعر، وافتتاح الرسائل به، وتدبيجها بالآيات القرآنية

والأحاديث، كذلك وأنت تقرأ رسائل المتأخرين تشعر أنهم وضعوا أمامهم فى كل حين كتاب المثل السائر لابن الأثير وراعوا بدقة ما قرره من أصول وأسده من نصائح لمن أراد أن يخوض فى هذا الفن، وهذه أمور طبيعية لأدباء لم ينشأوا كما ذكرنا فى بيئة اللغة الأصلية، فجاء أدبهم وأسلوبهم كمواطنى الدرجة الثانية والثالثة متبعاً غير مبتدع، مقلداً غير مجدد، مأموماً بغيره دون نظر وتفرد.

وبشد عن هذا النمط فى المتأخرين بعض على رأسهم الأستاذ الميمنى رحمه الله فى رسائله الكثيرة إلى أصدقائه من العرب والعجم لم يتكلف ولم يلحن، بل عبر عن المراد بلغة سهلة. انظر إلى بعض رسائله إلى محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق حين يقول :

«سيدى الفاضل الكريم الماجد محمد كرد على رئيسنا أبقاه الله غرة فى جبين الآداب وعليك السلام ورحمة الله ورضوانه .وصلنى منك أعزك الله أربعة كتب تترى دالة على كرمك ولطفك بهذا العاجز ومخبرة بما لا أزال أفتخر به بين الملأ من انتخابك هذا العاجز عضواً بالمجمع وهذه بشرى أقدرها وأباهى بها فشكراً منى لك ولأعضاء المجمع الكرام إخوانى وأصدقائى حرسهم الله عن كل ما يسوؤنى فيك وفيهم وجعلنى من بينهم الفداء لهم.

كاتبت صديقى السيد سليمان الندوى فى تحرير ترجمة فقيد الهند محمد أجمل خان المرحوم فإنه أعرف به منى فوعدنى أن يحرره بمعرفة بعض أصحابه العارفين بالعربية.

وأما أمر إرسال صورة هذا العاجز وترجمة حياته وتنميق أطروحة فإنى أعده بها إن شاء الله فى نحو الثلاثة أشهر لتراكم الأشغال وانقلاب الفصل الذى لا يخلو الإنسان وأشغاله فضلاً عن كرب الصيام فى هذه الأيام إلا أن الأطروحة أحب أن تكون رسالة لى فى نقد ديوان النعمان بن البشير الأنصارى ويكر الدلفى، التى صنعتها قبل أعوام ولم أوفق لتبييضها ونشرها.

وليعلمنى سيدى هل يمكنه طبع كتاب «المستجد من فعلات الأجواد» للقاضى أبى على المحسن التنوخى وهو فى ١٠٠ صفحة من قطع المجلة فقد نسخته وصححه ودلت فى الحواشى - فضلا عن التصحيحات - على المظان التى توجد فيها الحكايات والكتاب معد عندى للطبع منذ أشهر.

وهاتان نسختان من «الإقليد» الرجاء إتخافهما للخزانتين وحفظهما، وإن كان بعض الوراقين يتعهد بطبعه ثانية مع مقدمتى فى حبذا لو تعهد بالتصحيح اللازم وطبعه، ولست أريد منه بدلا غير خمسين نسخة.

وأنا أوصى صديقى الفاضل محب الدين الخطيب أن يرسل إليكم نسختين أخريين من «أبى العلاء» إن شاء الله فى أول فرصة تسنح.

وهذه مقالة ومقدمة أحب نشرهما بالمجلة وبالزهاء أيضاً لئلا يقع أغرار الشدة فى مثل ما وقعت فيه فضلاً عن فائدتها. وها أنا أرسل منها نسخة إلى الخطيب أيضاً والرجاء أن يتكلف صديقى الكريم نشر ما ينشر بمجلة أخرى وإن كان فى ذلك إخلال بالعادة وتكرار فإنى - علم الله - لم أشف فيها نفسى بل تقدمت بالإنذار إلى إخوانى من المؤلفين فحسب.

أزيدكم الآن أن عند محمد إقبال ثلاث نسخ من «تمة اليتيمة» نسخة باريس (التي لم يعرفها السيد منش ولا اغناطيوس كراتشكوفسكى) ونسختا برلين وفيينا. ولكن الرجل وفقه الله قليل البضاعة كما تقفون عليه من الأغلاط التى وقع فيها فى وضع فهرس أسماء المصنفين المذكورين فى «إقليد».

يوجد هنا بالهند نسخة عتيقة من اختيار رسائل الجاحظ - اختيار حمزة بن الحسن الأصفهاني - استنسختها ولعلى أصححها وأكتب عليها شيئاً فى الصيف المقبل إن شاء الله وأمر طبعها إليكم - إن رأيتم - أو إلى الخطيب حرسه الله.

وليوص صديقى مدير المجلة بإرسال فاتورة بثمان الاشتراك إلى مدير مكتبة The li-brarian Lytton Library M.U. Aligarh (U.P.) حتى لا يضيع الثمن فإنهم لا يؤدونه ما لم يكن ثمة فاتورة.

وقد وصلنى المجلدان الأخيران من مجلتينا فشكراً لكم وأيم الله إنى لم أحو مجموعة أكثر فائدة منهما وقد أنجزتهما مطالعة مع كثرة الشواغل كما قد قدمت وهو الذى زاد فى حرصى على مطالعة المجلدات الخمس المتقدمة فإن كان فى نسخها فضل وأرسلتم إلى فاتورة بأثمانها شكرتكم. لا زلت أهنأ لأشعر هذه اللغة المحبوبة.

وقد تعودت على طبع ما يخطه بنائى بالتزام بعض الشكل كما يراه صديقى فى تأليفى فهل له أكرمه الله أن لا يخل بالشكل إن كان ذلك فى وسعه بإيصاء المنضد بذلك.

هذا وتقبلون فى الختام فائق تحياتى العاطرة يا ساكن الغوطة (جنة الدنيا) وتقدمون إلى إخوانى كالأستاذ المغربى وغيره ما تكن جوانحى من التزلف لهم وإكرامهم وتعذروننى فى تأخير الإجابة.

والسلام عليكم ورحمة الله

العاجز

عبد العزيز الميمنى الأثرى - بجامعة عليكرة الهند

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق (١)

فنشر الرسائل لم يتقن فنه الحديث إلا من عاشوا بين العرب، وعرفوا كيف يعبرون عن الفكرة بأسلوب مفهوم، يفهمه المتلقى لهذه الرسائل، وأسلوب الرسائل فى العصر الحديث - كما عند الميمنى - تخلص من السمات القديمة التى التزم بها القدماء، ولعل الميمنى استثناء لقاعدة درج عليها أهل الأدب فى شبه القارة فى رسائلهم وذلك لظروف حياته وما توفر له فيها من مخالطة واحتكاك كما ذكرنا، والاستثناء الثانى لهذه القاعدة هو أطفاف حسين حالى فى بعض رسائله كما رأيت. وبغير هذين يكون الأسلوب المرصع بسماته عند القاضى الفاضل وفى إطار فى الرسائل الذى رسمه ابن الأثير هو الطابع العام للرسائل الإخوانية فى شبه القارة.

١- مجلة المجمع العلمى الهندى، المجلد العاشر العدد الخاص بالميمنى، ص ٣٦٢ - ٣٦٦، يونيه ١٩٨٥.

الفصل السادس

المقامات

المقامة فن عرفتة اللغة العربية في القرن الرابع الهجري، وهو فن يختلط فيه العنصر القصصي بالملح الأدبية والفكاهة والطرائف مما يجعله فنا ملونا تتعدد نقوشه، وتتلون نفائسه مهما اعترض عليه بعض المعترضين.

قد اختلف الباحثون في منشئه ومنشئه، فنسبه بعضهم إلى ابن دريد المتوفى ٣٢١هـ، وعزاه آخرون إلى بديع الزمان الهمداني^(١) المتوفى ٣٩٨هـ. وقد فصل القول في ذلك الدكتور فارس ابراهيمي الحريري في كتابه عن المقامات في الأدب الفارس^(٢) ناقلا ذلك عن زكي مبارك. والخلاصة أن لكل فريق أدلته، فالذين يقولون إن ابن دريد هو مؤسس الفن يعتبرون أحاديثه ومجالسه التي لم يسمها مقامات أول شكل من أشكال المقامات، وقد تفرقت هذه الأحاديث في كتاب الأمالي لأبي علي القالي، بينما يرد عليهم الآخرون بأن الحريري اعترف بكون الهمداني أستاذ هذا الفن ومبدعه كما أن أحاديث ابن دريد ليست ابتكاراً بل رواية واسناداً، ولم يسمها هو بالمقامات بل بالأحاديث وهي أربعون حديثاً مسندة^(٣) ويقطع النظر عن أدلة كل فريق فإن تصفح هذه الأحاديث يدلنا على أمور :

١- مقامات حميدى، عمرو بن محمود البلخي، ص ١، من المقدمة، إيران ١٣٦٢هـ ش .

٢- مقامه نويسى در ادبيات فارسى، ص ٢٤، وما بعدها، إيران ١٣٤٦هـ ش.

٣- نفس المصدر، ص ٢٥ .

الأول : أن أحاديث ابن دريد التى تبعثت فى الأمالى مسندة بالفعل إلى رواة وعلماء لغة وأدب، وليست مبتكرة، كما أن الرواة معروفون فلا مجال لكون الإسناد وهمياً على طريقة أصحاب المقامات الذين عزوا مقاماتهم إلى شخصيات افتراضية كما سترى.

الثانى : أن هذه الأحاديث لا يغلب عليها كلها عنصر القصة، ولا تحوى وقائع وأحداثاً أو تفوح منها رائحة المقامة، فأحاديث ابن دريد عن ملوك كندة وعبد مناف وقريش وتفسيراته اللغوية وتوجيهاته النحوية لبعض الألفاظ والمطالب والأمثال والأشعار وروايته لكلام بعض الصحابة. كل هذا لا يمكن إدخاله بحال فى فن المقامة لبعد ما بين الاثنين فنياً وأدبياً، ولو جاز اعتبار هذه الأحاديث والمجالس مقامات لجاز اعتبار أمثالها أيضاً كمجالس ثعلب وابن الأعرابى وغيرهما إذ كل لغوى وأديب كانت له مجالس وأمال.

يقول أبو على القالى ناقلاً بعض هذه المجالس:

«وحدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الحسن بن خضر عن أبيه عن بعض ولد على رضى الله تعالى عنه قال كان على يعلم أصحابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم داحى المدحوات وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامى يركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والقاتح لما أغلق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفراً فى مرضاتك بغير نكل فى قدم ولا وهى فى عزم واعياً لوحيك حافظاً لعهدك ماضياً على نفاذ أمرك حتى أورى قبساً لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن ووضحت أعلام الإسلام ومنيرات الأحكام فهو أمرك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين ويعيشك نعمه ورسولك بالحق رحمه اللهم افسح له فى عدتك منفسحاً واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم لديك مشواه وأقم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول

الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم (قال) وحدثنا أبو عمر قال أخبرنا الغطفاني عن رجاله قال سئل أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي رضي الله عنهم عن قول رسول الله ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن قال فأدار دارة كبيرة وأدار في وسطها دارة صغيرة وقال الكبيرة هي الإسلام والصغيرة هي الإيمان فإذا زنى خرج في ذلك الوقت من الإيمان إلى الإسلام فإن كفر خرج من الدارة الكبيرة إلى الشرك والكفر والعياذ بالله. وقرأنا على أبي الحسن قال قال أبو محلم حدثني وكيع ابن الجراح وأبو نعيم قال حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي قال قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أشد جنود ربك عشرة الجبال الرواسي والحديد يقطع الجبال والنار تذيب الحديد والماء يطفئ النار والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء والريح تقطع السحاب وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته والسكر يغلب ابن آدم والنون يغلب السكر والههم يغلب النوم فأشد خلق الله عز وجل الههم» (١).

فأين هذا من المقامات ؟

الثالث : أن بعض أحاديث ابن دريد يشبه المقامات، لكنها أيضا مروية بإسناد، ولا يستلزم ذلك أن تكون ابتكاراً وخلقاً. (٢)

فالرأي - إذن - أن أحاديث ابن دريد يشبه بعضها المقامات ويبعد أكثرها عنها، وهذا أساس لا يمكن اعتباره - علمياً - سبباً كافياً لتتويج ابن دريد وإجلاله على عرش مؤسس هذا الفن. لكن هذا لا يمنع من أن تكون هذه القطع الأدبية لابن دريد وغير ابن دريد قد عملت كالكبريت في إشعال فكرة المقامات في ذهن مبدعها بديع الزمان الهمداني، فإن العمل الأدبي لا يأتي من فراغ ولا بد من أن يكون الهمداني قبل ابتكاره لهذا الفن قد اطلع على هذه الملح والأشكال ، وتفتق ذهنه عن لون جديد تناثرت أعضاؤه هنا وهناك قبل أن يلهمها الهمداني ويجعل منها مخلوقاً له كيان وملامح.

١- الأمل في لغة العرب، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، ٢٠ / ١٧٥ - ١٧٦ ، بيروت ١٩٧٨ .

٢- انظر مثلاً الأمل : ١ / ١٥٢ - ١٥٥ .

على أن مقامات الهمداني - أستاذ الفن - وإن أحبها أهل فارس موالة لرجل منهم وطناً ومذهباً حتى تأثر بها أدباء الفارسية وأدخلوا هذا الفن في أدبهم فكانت فيه مقامات الحميدى وكلستان الشيخ سعدى وبهارستان الجامى ومقامات الخوافى والقآنى وغيرهم إلا أنها لم تحظ بكبير اهتمام في الأدب العربى فى شبه القارة رغم تقدم الهمداني على الحريرى (ت ٥١٦ هـ) أكثر من قرن من الزمان، ورغم قرب الهمداني من شبه القارة ورحلته إليها فى زمان الغزنوى واشتهار أمره هناك ولهذا فى اعتقادنا أسباب :

الأول : أن الهمداني توفى قبل تأسيس المدارس الدينية ووضع مناهجها فى القرن الخامس الهجرى وما بعده.

الثانى : أن مدارس شبه القارة التى أدخلت الأدب العربى فى مناهجها لخدمة الدراسات الاسلامية ما كان لها أن تجعل فى كتب درسها كتاباً لمن خالفها فى المذهب كالهمداني الشيعى لحساسية هذا الأمر فى شبه القارة، ولأن واضعى هذه المناهج لم يضعوا القيمة الأدبية فوق الخلاف المذهبى.

الثالث : أن هذه المناهج وضعت أيام اشتهاار مقامات الحريرى وعلو اسمه فى بلاد العرب.

والرابع : أن أهل شبه القارة ربما فضلوا العرب على غيرهم وهم يضعون مناهج الأدب العربى.

ومهما كانت الأسباب فإن ذلك لا يعنى بحال انخفاض قيمة مقامات الأستاذ الهمداني الأدبية وما فيها من فن وصنعة وسبك وجبقة. ^(١)

لأجل هذا لم نجد شرحاً لمقامات الهمداني إلا شرح وكيل أحمد السكندربورى المعروف بالياقوت الرمانى وقد مر بك ذكره ^(٢). أما مقامات الحريرى فقد عنت باهتمام بالغ فى شبه القارة فقلدوها وشرحوها. فقد قلدها باقر المدراسى الذى نظم أيضاً عشر قصائد على غرار المعلقات سماها العشرة الكاملة، ومر بك أن له ديواناً

١- إنظر مثلاً مقامات الهمداني : ص ٣٧٥ - ٩٨٢، مصر ١٩٢٣م.

٢- راجع الفصل الخاص بخصائص الأدب العربى فى شبه القارة من هذا الكتاب.

عريباً ورسائل^(١) ومن شرحوها أوحـد الدين العثماني البلكرامي وروشن على الجونبوري
وراجه امداد على الكنتوري كما شرحها نجف على بن عظيم الدين الجهجري بألفاظ غير
منقوطة^(٢).

ولقد كان حرباً بأدباء شبه القارة أن يهتموا بمقامات الزمخشري لأنها مواظـظ وجهها
إلى نفسه، ولكونها ذات مسحة دينية، وليس فيها رواية ولا قصة ولا بطل ولا أحداث
مع امتيازها بجودة السبك وحسن الأسلوب وجمال السجع ومتانة البنيان وإجادة
التركيب واحتوائها على مصطلحات العروض والقوافي والنحو والصرف وهذا كله
يجعلها أقرب بكل المقاييس إلى مزاج الأدب العربي في شبه القارة، إلا أن ذلك لم
يحدث^(٣) وكما أهملوا مقامات الزمخشري لم يلتفتوا إلى مقامات زين الدين الوردى
المتوفى ٧٤٩هـ^(٤) وإن كانت أقل متانة من مقامات الزمخشري.

وكما أن مقامات الزمخشري لم تلق اهتماماً من أدباء شبه القارة، لم تجد مقامات
السيوطى أيضاً عندهم مكاناً وأغلب ظننا، أن مقامات السيوطى لم تشتهر عند العرب
أنفسهم كما أن السيوطى المتوفى ٩١١هـ تأخر عصره عن زمن وضع المناهج الدراسية
فالأدب العربى فى شبه القارة فى زمان السيوطى بدأ ينتج ثمار بذور وضعت قبل ذلك
بحسب طويـلة. ولا شك فى أن مقامات السيوطى تمثل تطور الفن من حيث تعدد
موضوعاتها ففيها أدب وتاريخ وطب وشعر وقصص وحديث وتفسير، وكأن السيوطى
وضعها ليثبت عالميته فى مختلف الفنون.^(٥)

لم تحظ - إذن - بالدرس والاعتناء فى شبه القارة سوى مقامات الحريرى، لكن
أدباء العربية هنا لم يوجدوا لأنفسهم مقاماً فى فن المقامة وقد كانت فى أيديهم مقامات

١- الثقافة الإسلامية: ص ٤٢ .

٢- المصدر السابق ، ص ٥٥ بتصرف .

٣- انظر مثلاً مقامات الزمخشري، شرح وتحقيق يوسف بقاعى، ص ٢٠٩ - ٢١٢، لبنان ١٩٨١.

٤- انظر ديوان الوردى زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر، القسطنطينية ، ١٣٠٠هـ .

٥- انظر مثلاً المقامة الجبزية، شرح مقامات جلال الدين السيوطى، تحقيق سـير محمود الدزوبى، ١ /
٣٣٥ - ٣٤١، بيروت ١٩٨٩.

الهمداني والحريري، بل آثروا الاتباع والتقليد على الاجتهاد والتجديد، فأدباؤهم الذين ضربوا بأسهمهم في هذا الفن مثل باقر المدراسي وأبي بكر بن محسن باعبود المتوفى بعد ١١٢٨هـ لم يأتوا بجديد. وقد وصلتنا مقامات باعبود المعروفة بمقامات الهندي، وهي خمسون مقامة قال في أولها :

... «وبعد فيقول خادم خدام الحديث النبوي السيد أبو بكر بن محسن باعبود العلوي : لما رماني البين بسهام الاغتراب، وفارق بيني وبين الوطن والأحباب، خرجت ذات يوم بعد صلاة العصر إلى متنزه مع بعض أدباء العصر، واصطحبت معي المقامات الحريرية والتوابع والمقامات الزينية، وكان معنا جماعة ليس لهم تعلق بعلوم العربية، ولا اطلاع على النكت الأدبية، فنفرت طباعهم حتى صار الواحد منهم لا يجيب من ناداه، ولا شك أن من جهل شيئاً عاده. فعند ذلك أشار على بعض من حضر بانشاء مقامات يفهمها القاصي والداني غير محتاجة ألفاظها إلى التفتيش في كتب اللغة والمعاني فأنشأت هذه المقامات حسب الاشارة ، وتجنببت الوحشى والغريب في العبارة، وعزوت روايتها إلى الناصر بن فتاح ونشأتها إلى أبي المظفر الهندي السياح، فليعذر الواقف عليها والناظر اليها. وهي وإن كانت غير محكمة الصياغة لا تخلو من ملح يعرفها أهل البراعة ...» (١)

وباعبود في مقاماته التي حوت أيضاً قصص احتيال وخداع في أكثرها كما حوت بعضاً من سخرياته من عقائد أهل التصوف البريلوية لعدائه المذهبي لهم كواحد من أهل الحديث كما قرأت في مقدمة مقاماته، أخذ الأفكار الرئيسية من مقامات الحريري ثم حورها وغيروها وهنّدها مع رداءة الأسلوب وانحطاط السياق. فمقامته الثانية المسماة بالأحمد نكرية هي بعينها مقامة الحريري التبريزية، وفكرة مقامته السكرية هي فكرة المقامة الصعيدية السابعة والثلاثين عند الحريري كذلك مقامته الخاصة بامام المسجد المحتال والمتسولين وغير ذلك. ولأن باعبود لم يتقن التقليد، ولم يكن ذا أسلوب وطرز جاءت مقاماته خالية من كل قيمة أدبية كما ستري. قد سمي كل مقامة باسم مدينة من مدن الهند مثل سورت واحمد نكر وبيجاپور وغيرها.

١- مقامات الهندي، أبو بكر بن محسن باعبود، ص ٢، الهند ١٢٩٢هـ.

ولكى يتضح لك الفارق بين أسلوب وأسلوب ، وبين فن وفن ، وأديب ومدع نسوق
لك بعض مقاماته.

يقول باعبود فى مقامته السورتية :

روى الناصر بن فتاح قال سمعت مع بعض الإخوان فتذاكرنا محاسن البلدان، فقالوا
قد شاع وذاع وملأ الأسماع أن أرض الهند جمعت جميع المحاسن الدنيوية، وفيها من
الراحة ما يعين على المطالب الأخروية، فاشتقت إليها اشتياق الصادي إلى الزلال
والمهجور إلى الوصال والحزين إلى الفرح والعديم إلى المنح. وبقيت أفكر فى الحيلة التى
توصل إليها، وترمينى بأى وجه عليها، فقل لى إن أهل هذه المدينة يريدون أن يعيشوا
إليها سفينة، فاتخذت الأهبة وتهيأت لركوب مركب الغربة، وتوكلت على مالك الملك،
وركبت فى ذلك الفلك، ومنذ مشينا من المراسى ونحن نقاسى من الأهوال ما نقاسى
وحين خفنا على ذهاب النفوس لاح لنا بندر سورة المحروس، فنزلنا إلى تلك الأرض
المؤنسة، والبلد التى على المحاسن مؤسسة، فصغر الخبر الخبر، ولم يسمع السمع بأحسن
مما رأى البصر، واقتبسنا أنوارها القابوسية، واغترفنا من بحارها القاموسية، واستمطرنا
سحابها العيدروسية، ومكثت بها مدة وأنا فى أنس بعد تلك الشدة فاتفق أن خرجت
يوماً إلى بعض متنزهاتها وجناتها المكتوب بالحسن على وجناتها :

جنة الحسن هنا يا عاشقين ذات أزهار وكأس من معين

وورود تجتنى فى كل حين ادخلوها بسلام آمنين

ورأيت عند دخولى إليها وقدمى عليها رجلاً جالساً عند بابها، ويتحدث مع
حجابها، فسألت عنه الفلاح فقال رجل من أهل الصلاح، فطلبتة وعظمتة، وأنسته
وأكرمتة، فجرى ذكر البلد وما فيها من البساتين وأنواع الفواكه والرياحين، فقال إنما هذا
دهليز بلاد الهند، ولو رأيت موضع الملك والجند لقلت إنما رأيت بهذه شيئاً يسيراً، ورأيت
نعيماً ومملكاً كبيراً، فهزنى الشوق إلى ما وصف اهتزاز من ظفر وانتصف، وقمت من
أنى وودعت إخوانى، وصححت نيتى، وركبت مطيتى، ولم أزل مرخياً للزمَام إلى أن
لاحت لى الخيام، فسررت بقدمى عليها ووصلت إليها، ثم تأملتُها بعد أن دخلتها فإذا

بيوتها أفلاس وحيطانها أخصاص، أكثر سكانها نزائل وأخبارها قلائل، ولم أبرح صابراً على الأذى، مفضياً على القذى حتى لاح لى شخص قد تساقطت من الكبر أسنانه، وغاب من شدة الضعف تحت أجفانه انسانيته، فتقدمت إليه وشكوت حالى عليه، فقال بعد أن سمع قصتى وسفرتى وأسبابها قوض خيامك عن أرض تهان بها، فقلت إن حالى لضرير، ولا أملك من الدرهم إلا نصفه الأخير، ففكر ساعة بعد أن أكثر البهل والضراعة ثم قام وقال سرىسىرى أسهمك فى ميرى، فسرت بسيره الحثيث، وهو يحدثنى بأحسن حديث، حتى أتى إلى قصر أقرت له القصور بالقصور، كأنه سحاب فى نحر السحاب، فدخل بى إلى صدر إيوانه، وقد عظمه عظماء حجابيه وأعوانه فقال أخبروا الوزير أنى أتيت إليه بناطقة اليمن وخاتمة شعراء الزمن، فلم نبرح اذ أقبل الوزير وحوله من أتباعه الجمل الغفير، فبالغ فى إعظامنا وإعزازنا وإكرامنا، وأغرق الشيخ فى وصفى بما ملأ المسامع وجعلنى بمكانة دونها الفلك السابغ، فحكم لى الوزير بخلعة سنبة وألف أحمر عالمكيرية، وقام الوزير إلى محل حرمة، وتسلم الشيخ الخلعة والدنانير من خدمه، ثم أعطانى ثلاثة دنانير وقال اعطها لحاجب الوزير، ثم الحقنى إلى تلك البقعة لأسلمك الدنانير والخلعة. فمكثت وأنا مطمئن النفس بأنه فى مكانه وأنه، وإن غاب سيدل عليه بعض جيرانه، ووقفت بباب الأمير منتظراً حاجبه حتى بلغت الغزالة من الأفق حاجبه، فذهبت إلى دار الشيخ من ذلك الأوان فلم أجده فى المكان، وقضيت ليلى أمام داره على الجوع والأسى أعلل النفس بليل وعسى، وحين انتبه الطائر من منامه، وأقبل الصبح يراياته وأعلامه وردت الحى أسأل عن الرجل أميت هو أم حى، فلم يطلعنى أحد له على خبر ولم أقف له على أثر، وحين أيسر من طلبتى أقبل شاب من أهل غريتى وقال أعلم أن هذا الرجل لا تعرفه، وإنما هو منذ أيام وفد علينا، ومنذ خرج معك لم يعد إلينا، فقلت وهل لأحد اطلاع على اسمه وكنيته أو عشيرته وقبيلته، فقال هذا رجل خبيث له فى الخبائث القديم والحديث، ويعرف تارة بالشيخ النجدى وأخرى بأبى المظفر الهندى، فعضضت بسبابتى من الندامة، وترضيت على أبى دلالة»^(١).

١- مقامات الهندى ، ص ٢-٤ .

هذا أسلوب ركيك لا يدل على ملكة أدبية، فقد امتلأت مقامات باعبود بفساد العبارة كقوله فى هذا النص سكانها نزائل، وشكوت حالى عليه ، والحقنى إلى تلك البقعة، واستخدم البلد مؤنثاً ومثل قوله فى موضع آخر. قصدنا أن لا نكلف عليك (١) وتذكيره الهند فى قوله : أجذب الهند (٢) اثباته النون فى موضع الحذف كقوله : وأخاف أن يظهر أمره على الحكام فيجعلونه عبرة للأنام، ولولا تأويلنا عشرات الأخطاء بجهل الناسخ باللغة العربية لأوردنا الكثير والكثير.

ولعل الفرق لا يظهر الا بالمقارنة بين مقامة من مقامات الحريرى ومقامة من مقامات الهندى الذى أخذ نفس الأفكار ونسج عليها بأسلوب ركيك ، يقول الحريرى فى المقامة التبريزية :

أخبر الحارث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزير وملت من المجير والمجيز فبينما أنا فى إعداد الأهبة وارتباد الصحبة ألقيت بها أبا زيد السروجى ملتقاً بكساء محتقاً بنساء فسألته عن خطبه وإلى أين يسرب مع سربه فأوماً إلى امرأة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتزنى فى الغربية، وترحض عني قشف الغربية فلقيت منها عرق القربة، قمطنى بحقى وتكلفنى فوق طوقى فأنا منها نضو وحى وحلف شجو وشجى. وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم، فإن انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق. قال فملت إلى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب، فجعلت شغلى دبر أذننى وصجتهما وإن كنت لا أغنى، فلما حضر القاضى وكان ممن يرى فضل الإمساك، وبضن بنفائة السواك، جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضى وأحسن اليه إن مطبى هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أنى أطوع لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضى ويحك أما علمت أن النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب، فقالت إنه ممن يبذر خلف الدار ويأخذ الجار بالجار. فقال له القاضى تبا لك أتبذر فى السباخ وتستفرخ حيث لا إفراخ؟ اعزب عني لا نعم

١- نفس المصدر ، ص ٨ .

٢- نفس المصدر ، ص ٩ .

عوفك ولا أمن خوفك، فقال أبو زيد إنها ومرسل الرياح لا كذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لا كذب من أبى ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ، واستششاط استشاطة المغتاط وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار، أتعمدين فى الخلوة لتعذيبى وتبدين فى الحفلة تكذيبى وقد علمت أنى حين بنيت عليك ورنوت إليك ألفتك أقبح من قردة وأيبس من قدة، وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة، وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من قرة، وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة، فسترت عوارك ولم أيد عارك على أنه لو حبتك شيرين بجمالها، وزبيدة بمالها، وبلقيس بعرشها، وبوران بفرشها، والزباء بملكها، ورابعة بنسكها، وخندف بفخرها، والخنساء بشعرها فى صخرها لأنفت أن تكونى قعيد رحلى، وطروقة فحلى قال فتذمرت المرأة وتنمرت، وحسرت عن ساعدها وشمزت، وقالت له يا الأم من مادر وأشام من قاشر، وأجن من صافر، وأطيش من طامر أترمينى بشنارك وتفرى عرضى بشفارك، وأنت تعلم أنك أحقر من قلامه وأعيب من بغلة أبى دلامة وأفضح من حبة فى حلقة وأحير من بقعة فى حقة، وهبك الحسن فى وعظه ولفظه، والشعبى فى علمه وحفظه، والخليل فى عروضه ونحوه، وجريراً فى غزله وهجوه، وقساً فى فصاحته وخطابته، وعبد الحميد فى بلاغته وكتابته، وأبا عمرو فى قراءته وإعرابه، وابن قريب فى روايته عن إعرابه، أتظننى أرضاك إماماً لمحرابى وحساماً لقرابى لا والله ولا بواباً لبابى ولا عصاً لجرابى. فقال لهما القاضى أراكما شناً وطبقه وحدأة ويندقه فاترك أيها الرجل اللدد واسلك فى سيرك الجدد، وأما أنت فكفى عن سبابه، وقرى إذا أتى البيت من بابه، فقالت المرأة والله ما أسجن عنه لسانى إلا إذا كسانى، ولا أرفع له شراعى دون إشباعى، فحلف أبو زيد بالمحرجات الثلاث أنه لا يملك سو أطماره الرثاث، فنظر القاضى فى قصصهما نظر الألعى، وأفكر فكرة اللوذعى، ثم أقبل عليهما بوجه قد قطبه ومجن قد قلبه، وقال ألم يكفيكما التسافه فى مجلس الحكم والإقدام على هذا الجرم حتى تراقبتهما فى فحش المقاذعة إلى خبث المخادعة وأيم الله لقد أخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الشفرة فإن أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الدين نصبنى لأقضى بين الخصماء لا لأقضى دين الغرماء، ووفق نعمته التى أحلتنى هذا المحل، وملكتنى

العقد والحل لئن لم توضحا لى جليلة خطبكما وخبيثة خبكما لأنددن بكما فى الأمصار
ولأجعلنكما عبرة لأولى الأبصار فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع.

أنا السروجى وهذى غرسى	وليس كفاء البدر غير الشمسى
وما تنافى أنسها وأنسى	ولا تناءى ديرها عن قسسى
ولا عدت سقياء أرض غرسى	لكننا منذ ليال خمس
تصبح فى ثوب الطوى وتمسى	لا نعرف المضغ ولا التحسى
حتى كأننا الخفوت النفس	أشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسى	وشفنا الضر الأليم المسس
قمنا لسعد الجد أو للنحس	هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجى الحر حين يرسى	إلى التجلى فى لباس اللبس
فهذه حالى وهذا درسى	فانظر إلى يومى وسل عن أمسى
وأمر بجبرى إن تشا أو حبسى	ففى يدك صحتى ونكسى

فقال له القاضى ليثب أنسك ولتطب نفسك فقد حق لك أن تغفر خطبتك وتوفر
عطيتك، فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت :

يا أهل تبريز لكم حاكم	أوفى على الحكام تبريزاً
ما فيه من عيب سوى أنه	يوم الندى قسمته ضيزى
قصده والشيخ نبغى جنى	عود له ما زال مهزوزاً
فسرح الشيخ وقد نال من	جدواه تخصيصاً وقييلاً
وردنى أخيب من شائهم	برقاً خفى فى شهر قموزاً
كأنه لم يدر أنى الستى	لقنت ذا الشيخ الأراجيزاً
وأننى إن شئت غادرته	أضحوكة فى أهل تبريزاً

قال فلما رأى القاضى اجتراء جنانهما وانصلات لسانهما علم أنه قد منى منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وأنه متى منح أحد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين أو صلى المغرب ركعتين. فطلسم وطرسم واخرنظم وبرطم، وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة، وقلمل كآبة وندامة وأخذ يذم القضاء ومتاعبه وبعده شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه، ثم تنفس كما يتنفس الحريب وانتحب حتى كاد يفضحه التحيب، وقال إن هذا لشيء عجيب أأرشق فى موقف بسهمين ؟ أألزم فى قضية بمغرمين ؟ أأطبق أن أرضى الخصمين ؟ ومن أين ومن أين ؟ ثم عطف إلى حاجبه المنفذ لما ربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وإمضاء، هذا يوم الاعتماد هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب، فأرحنى من هذين المهذارين، واقطع لسانهما بدينارين، ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب وأشع أنه يوم مذموم وأن القاضى فيه مهموم لئلا يحضرنى خصوم (قال) فأمن الحاجب على دعائه، وتباكى لبيكاته، ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين، وقال أشهد أنكما لأحيل الثقيلين، لكن احترما مجالس الحكام واجتنبيا فيها فحش الكلام، فما كل قاض قاضى تبريز، ولا كل وقت تسمع الأراجيز، فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد وجب، ونهضا وقد حظيا بدينارين، وأصليا قلب القاضى نارين»^(١).

وحول نفس الفكرة نسج باعبود مقامته الأحمد نكرية ، فقال فيها :

«حدث الناصر بن فتاح قال اجتزت بأحمد نكر فى أيام غلبة السموم والحر، وغلب على الظما حتى خشيت الهلاك والعمى، فاستسقيت جارية على ساقية جارية فناولتنى شنة كأن ماءها من الجنة، فشكرت لها جزيل فضلها، وسألتها عن وطنها وأهلها فقالت أما الوطن فقوالير، وأما الأهل فبواهير، وإنما ساقنى المقدور إلى هذه الأرض الحرور، فلم ألبث أن أقبل ذو حال رثة ولحية كثة، فأخذ بيمينه مرطها ويشماله قرطها، فصاحت بأعلى صوتها حتى خفت من موتها، ونادتنى نداء المستغيث فأدركتها إدراك المغيث، وفككته عنها ولم أمكنه منها، فقال إن هذه عرسى وأرض غرسى ولا بد أخذها ولو

١- مقامات الحريرى، ص ٢٤٢ - ٢٦، مصر ١٣٠٥ هـ.

سحبت على وجهها، فقلت ما تقولين فى قوله ؟ فقالت قوله كبله، فحلف بالأدب وأربابه ومن تدرع بإهابه، وأيمان ناطقة أن دعواه صادقة. فقالت : أبرأ من الكذب إلى علام الغيوب، هو زوجى ولكنه كثير العيوب يأتى البيوت من الظهور، ويقصم بعدم الانفاق الظهور، فقال : والسبع المثنى أنها كذبت فى الأول وصدقت فى الثانى. فقالت: دع ما كذبت وأت ما صدقت، فقال : ليس على المفلس حرج فاصبرى إلى أن يأتى الله بالفرج. فقالت : خذ من أحد بالقرض فقال : لا آخذ شيئاً يكون أداؤه يوم العرض فقالت : يا مخنوث المخانيث ومحبوب إبليس الخبيث أما تستحى من العار أما تخشى من النار ؟ أو ما سمعت الخبر المنقول كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول، أسألك بالله أن تخلص سبيلى لأرجع إلى قبيلى، فتضرع وأكثر الحنين والأثين، وبكى ولا بكاء الشكلى والحزين، فرحمت تذلله، وأعطيته من الورق ما أثقله، فأخذها وأخذها معه، وعن لى أن أتبعه، فسمعته يقول لها : أما قلت لك إن الريح فى الدها، ولو لم نفعل فعل الأوباش بتنا من الجوع أوحاش، فتقدمت أمامه وكشفت لثامه فإذا هو أبو المظفر الساحر المعداد من المساخر، فقلت له قاتلك الله من ماكر ولا أبقاك إلى باكر، فقال دع المرا ولا تسأل عما جرى، ففارقته وهو بالمال قرير العين وحلفت أن لا أدخل بين متشاجرين ولا أفك بين متخاصمين» (١).

فالفكرة فى هاتين المقامتين واحدة ألا أن الفن والأسلوب يبتعد فى كل منهما عن نظيره بعد السماء عن الأرض، فمقامة الحريرى فيها حركة فنية صاغها فى جمل قصار تتابعت واحدة تلو أخرى حسب ما يقتضيه الموقف، انظر مثلاً إلى المقطع الذى فيه التشاجر والتشائم فقد صاغ الحريرى عباراته فى شكل قذائف متلاحقة استلزمت صياغة العبارات بهذا الشكل بينما سادت الركافة هذا الجزء عند باعبود، والسجع عند الحريرى طبيعى ينحدر فى سلاسة بينما هو متكلف عند باعبود، خذ مثلاً لذلك قوله «وغلب على الظما حتى خشيت الهلاك والعمى فالعمى هنا محشورة حشراً، فالهلاك أشد من العمى ولا يأتى العمى بعد الهلاك أبداً وخذ مثلاً للركافة قوله : فلم ألث أن أقبل ذو حالة رثة وبالجمل فإن مقامات باعبود التى قلد بها الحريرى رغم استعارته أفكارها

١ - مقامات الهندى، ص ٤ - ٥.

وبعض ألفاظها إلا أنها مكتوبة بأسلوب غاية فى الركاكة حرص الكاتب فيه على أن يلقى الجمل بأى شكل ظناً منه - ربما - أن الصنعة هكذا تكون، فلم تحو مقاماته قيمة أدبية، بل جاءت قصصاً تخلو حتى من خيال بارع فى النسج، يستطيع أبسط طلاب العربية الاتيان بأفضل منها حباً ولفقاً.

هذه نظرة مختصرة عابرة على المقامة العربية مكتوبة بأقلام الفرس كالهمداني، والعرب كالحريرى والزمخشري والسيوطى، والهنود كأبى بكر با عبود. ومع أن حصر المقامات المكتوبة بالعربية ليس قصدنا فى هذا المقام إلا أننا نشير هنا إلى مقامات أخرى كتبها ابن حمويه فخر الدين أبو المظفر يوسف بن محمد بن عمر بن على الجوينى المتوفى ٦٤٧هـ وكان من فرسان الدولة الأيوبية وقتل فى حربه ضد الفرنسيين حين هاجموا مصر. وعنوان هذه المقامات «تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم» رواها على لسان «لسرور ابن اللذة» ومع جودة لغتها واحتوائها على كثير من الذوق الأدبى والشعر والوصف والخيال إلا إن موضوعها مغامرات الرجل فى الحانات والمراقص مع الغانيات وأهل اللذة والطرب، وقد استخدم المؤلف عبارات سافرة، ووصف أموراً فاحشة وإن كنا لا نعدم مثلاً من كتابته التى لا يظهر فيها هذا السفور كقوله :

حكى السرور ابن اللذة قال : كنت وشعبة جنون شبابى وعنقوانها، وصحيفة عمرى لم أقرأ منها غير عنوانها وروضة عارضى ما حان حينها ولا آن أوانها وصبا صباى دائمة الهبوب نافحة، ونار شهواتى ذات وقود لافحة وغصن مسراتى نضير يانع، ومطلب لذاتى يرفل فى برد الشباب الرائع، وتهتك أغراضى غير راض بالتستر ولا قانع، ومحبوب قلبى لما أروم باذل غير مانع، ونجم لهوى فى أفق لذاتى طالع:

لى فى القدود وفى لثم الحدود وفى ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختيارى فوافق إن رضيت به وإلا فدعنى وما أهوى وأختار

ووقت أنسى قد غمضت عنه عين الزمان، وأخذ من حوادث الدهر الأمن والأمان، وجواد ثروتى مجل فى ميدان الإنفاق، وحسن يقينى واثق بعدم الإقتار والإملاق، وسيف

شرتى قاسم فاصل، وسنان جدتى مشرف على المطالب وعامل، وديوان مقاصدى فى سياقته أعظم حاصل، ومخازن مآدى كل وقت يتجدد اليها الراصل.

وشبابى فى أول الحمد يقرأ مستقيم الصراط فى كل حال
ناعم البال طيب العيش نامى الـ وفر والجود فارغ السر خالى
وندى السرور والطيب والـ راحة والبأس والندا والمعالى
وعبيدى فى كل ما أمر الأيـ نام حقا كما إمء اللبالي

ومورد السعود لى صاف، وملبس النعم على ضاف، وعمرى محسوب بنفاد أمرى، ومطعم شربى بالمسرة يستمرى وكل ما أطعمه من الطيبات، فلم أحتج أن أقول وفى إكرام خزعبلات :

إذا اصطحبت ثلاثا وكان عودى نديى
والكأس تضحك ضحكاً فى كف ظبى رخيم
فما على طريق لطارقات الهموم^(١)

ومن وصفه لمن يحب ويهوى قوله :

«عذب الكلام لطيف الشمائل حسن الصفات كريم الأخلاق عفيف الضمير واللمحظات كل شئ أردته فهو فيه، حسن الذات كامل الأدوات، توحى إليه من طرف خفى فيفهم وتقول فيدرى أو تشير فيعلم، فكل عيش غاب عنه فهو عيش مدمم، لا يؤاخذ بجناية ولا جرم، وقلبه أحنى على الحريف من الأب والأم، يرى أن يحتمل الظالم ولا يرضى لنفسه الظلم.

فلا جميل فى الناس نعلمه الا وأدنسى فعاله أجمل

١- تقرير النديم، ابن حمية : ورقة ٢ - ٤ من مخطوط بمكتبة مجمع البحوث الإسلامية بإسلام اباد، برقم ١١.

ينخلع فى مجالس الخلوات، ويجلب بطيب أوقاته أنواع المسرات ... إلى آخر ما قال (١).

هذه النماذج التى اطلعت عليها من المقامات العربية بأقلام العرب والفرس والهنود، تستطيع إن تتبين سمات فنية للمقامات منها:

١- أنها تروى على لسان شخصية افتراضية هى عند الهمدانى عيسى بن هشام وعند الحريرى الحارث بن همام وعند الزمخشري أبو القاسم وعند السيوطى الهاشم بن القاسم وعند الوردى انسان من معرة النعمان وعند باعبود الناصر بن فتاح وعند ابن حموية السرور ابن اللذة، وقد غاب هذا العنصر فى أحاديث ابن دريد.

٢- أنها تحتوى على قصص - أياً كان موضوعها، وقد شذ عن ذلك أكثر مجالس ابن دريد وأحاديثه، وابتدع الزمخشري موضوعاً آخر هو وعظ النفس مع توجيه الوعظ إلى شخص افتراضى.

٣- أنها لا تعالج مشكلات اجتماعية بل تصاغ كقطع أدبية نثرية تهتم بالصنعة لا بموضوع المقامة، وبالتالي فهى مبتورة عن الواقع، وهذا ما يؤخذ عليها.

٤- أن يحرص مؤلفها على تقفية جملها وتسجيعها كأسلوب مميز لهذا الفن.

ومهما كانت المؤاخذات على المقامة فإنها فى اعتقادنا الشكل البدائى للقصة القصيرة التى عرفها الأدب العربى فى العصر الحديث.

١- نفس المصدر، الورقة ١٠٤، وراجع ترجمة المؤلف فى الاعلام للزركلى، ٨ / ٢٤٩، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.

الفصل السابع

الطرائف

الأدب العربى فى شبه القارة ليس فيه طرائف، ولم نجد فيه ما كان ينبغى أن يوجد منقولا عن بيئة ماجت بأداب ثرية فقصاص الحكماء وطرائف الأدباء وفكاهات المجالس، وقفشات أروقة البلاطات، ومناظرات الشعراء ومطارحاتهم، وقصاص الأمراء وحكايات المسامرات وجدت فى بيئة شبه القارة باللغات الأخرى، لكنها انعدمت فى اللغة العربية، وذلك لأن أدبها نشأ كما قلنا حول المدارس الدينية، ثم جاءت نظرة الناس إلى هذه اللغة نظرة قداسة لتضيف إلى ذلك عاملاً آخر من العوامل التى جعلت من الأدب العربى فى هذه المنطقة أدباً جافاً، إن حاول أصحابه السير به على نهج الآداب - كل الآداب - تذكروا أنهم يكتبون بلغة القرآن فارتعشت أقلامهم ورمتها الأيدي، خشية ارتكاب الوزر، فارتباط اللغة بالدين، عزل أدبها عن الواقع مع أنه واقع غنى القريحة، ثرى فى تنوعه، وكأن الأدباء خافوا أن يضحكوا باللغة العربية أو يتسامروا بها، أو يتغامزوا ويتلاطفوا فيما بينهم متخذينها وسيلة للتعبير فى هذه المواقف.

ولم نعثر على مثال للموضوعات الطريفة باللغة العربية الا فى كتاب صديق حسن القنوجى المسمى «نشوة السكران» من صهباء تذكّار الغزلان، وهو كتاب فى العشقيات وأنواع النساء وما قيل فيهن من شعر وملح، يقول صديق حسن :

فصل فى مراتب العشق وأسمائه وصفاته : فأول مراتبه الهوى وهو ميل النفس وقد يراد به نفس المحبوب، ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب، ثم الكلف وهو شدة الحب، وأصله من الكلفة وهى المشقة، وقيل مأخوذ من الأثر وهو شئ يعلو الوجه كالسمسم، والكلف أيضاً لون من السواد والحمرة وهى حمرة كدرة، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن

المقدار الذى اسمه الحب، قال فى الصحاح هو فرط الحب، وهو أمر هذه الأسماء، وقلما نطقت به العرب، وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الأسماء ولا تكاد تجده فى شعرهم القديم، وإنما أولع به المتأخرون، ولم يقع هذا اللفظ فى الكتاب العزيز ولا السنة المطهرة إلا فى حديث أبى داود الظاهري، ثم الشغف قال العزيزى فى غريب القرآن: شغفها حبا: أصاب حبه شغاف قلبها وهو الغلاف أو حبة القلب وهى علة سوداء فى صميمه، وشغفها حبا: ارتفع حبه إلى أعلى موضع فى قلبها مشتق من شغاف الجبال أى رؤوسها، وقولهم فلان مشغوف بفلانة أى ذهب به الحب أقصى المذاهب، والشغف بالمهملة: إحراق الحب القلب وقد قرئ بهما جميعا، ومثله فى الإحراق اللوعة واللاعج فهذا هو الهوى المحرق ثم الجوى وهو الهوى الباطن قال الجوهري الجوى الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن، ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمي تيم الله أى عبد الله، ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى، وفى الصحاح تبلهم الدهر وأتبلهم إذا أفناهم، ثم التدله وهو ذهاب العقل من الهوى، ويقال دله الحب أى حيره، ثم الهيام وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه، ثم الصباة وهو رقة الشوق وحرارته. والمقة المحبة والوامق المحب، والوجد الحب الذى يتبعه الحزن، والدنف لا تكاد تستعمله العرب فى الحب، وإنما ولع به المتأخرون، وإنما استعملته العرب فى المرض، والشجو حب يتبعه هم وحزن، والشوق سفر القلب إلى المحبوب، قال الجوهري الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء، وقد جاء فى السنة: وأسألك النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك، واختلف فيه هل يزول بالوصال أو يزيد. والبلبال الهم ووسواس الصدور، والبلابل جمع بلبله يقال بلابل الشوق وهى وساوسه، والتباريح: الشدائد والدواهي، يقال برح به الحب والشوق إذا أصابه منه البرح وهو الشدة، والغمرة ما يغمر القلب من حب أو سكر أو غفلة، والشجن: الحاجة حيث كانت، وحاجة المحب أشد إلى محبوبه، والوصب: ألم الحب ومرضه فإن أصل الوصب المرض، والكمد: الحزن المكتوم وتغير اللون، والأرق: السهر وهو من لوازم المحبة، والحنين الشوق الممزوج رقة، وتذكر يهيج الباعثة، والجنون أصل مادته الستر والحجب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه ولا ما يضره، فهو شعبة من الجنون، ومن الحب ما يكون جنونا، والود: خالص الحب وألفه وأرقه، وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة، والخلة: توحيد المحبة، فالخليل هو الذى يوحد حبه

لمحبوبه وهى مرتبة لا تقبل المشاركة ولهذا اختص بها من العالم الخليلان ابراهيم ومحمد (ﷺ) كما قال تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلاً » وصح عن النبى (ﷺ) أن قال إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً، وفى الصحيح عنه (ﷺ) ، لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، وقيل إنما سميت خلة لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح، وزعم من لا علم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل، وهذا الزعم باطل لأن الخلة خاصة والمحبة عامة، قال تعالى: « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ». والغرام : الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب وقد لزمه الحب، وفى الصحاح الغرام الولوع. والوله : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد، وما أحسن قول السيد يوسف بن إبراهيم الأمير:

عشق المحبوب ظيماً مثله فاعتراه لهواه وله
كان معشوقاً فأضحى عاشقاً فقضى الحبيب عليه وله

والرئيس من الرس وهو الثبات ورسوخ صورة المحبوب فى النفس، وزعموا أنه أول المراتب ويليه الحب، والحب أخص من العشق لأنه من أول نظرة، وأقصاه امتزاج الأرواح، والرأفة أشد الحب لأنها مبالغة فى الرحمة، والصبوة لا تطلق حقيقة إلا على الميل والافتتان فى زمن الصبا لكن تطلق تجوزاً على مطلق الميل للمشابهة والنزوع، والكآبة شدة الحزن كالتفجع أو هو توجع وبكاء على الفقد. والبرح، والغل شدة العشق، والسهد شدة السهر وتواتر أحوال المحبوب على القلب، وفى معناه التحرق واللذع والولع، والنصب لوعة مع مرض وغم، والخليل الجنون المتولد من شدة الحب وهذا فى الأصح آخر المراتب، والجزع عدم الصبر على الفرقة، والهلع أشده، والخلابة سلب العقل، والبله حمق أو غفلة فيكون هنا استغراقاً فى الحب، وفى ترتيب هذه الأسماء خلاف يرد على من التزم ترتيبها، ونحن قد أوضحنا نفس المعانى ومنها يسهل الترتيب والتنزيل على المراتب فتأمل. وله أسماء غير هذه أضربنا عنها خوف الإطالة، والمحبة أم باب هذه الأسماء كلها، وقيل الشوق جنس والمحبة نوع منه، والحب حرف ينتظم الثلاثة العشق والوجد والهوى، وللناس فى خد المحبة كلام كثير فقليل هى الميل الدائم بالقلب الهائم، وقيل ذكر المحبوب على عدد الأنفاس، وقيل مصاحبته على الإدمان، وقيل القيام له

بكل ما يحبه منك، ثم القلب إذا امتلأ من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب ، والذين آمنوا أشد حبا لله» (١١).

ويقول فى موضع آخر :

« قال أحمد بن حنبل المغربى للناس فيه كلام من الطرفين وتبخر بين الصنفين فقائل بأنه اضطرارى وقائل بأنه اختياري، ولكل من القولين وجه مליح وقد رجح، ونحن نذكر ما يعم به الانتفاع، ونتكلم فى طوله وعرضه بالباع والذراع، فمن ذلك ما قال القاضى محمد بن أحمد النوفانى فى كتابه تحفة الظراف : العشاق معذرون على كل حال مغفور لهم جميع الأقوال والأفعال، إذ العشق إنما دهاهم على غير اختيار بل اعتراهم على جبر واضطرار، والمرء إنما يلام على ما يستطيع من الأمور لا فى المقضى عليه والمقدور، وهذا مما لا يشك فيه ذو لب، ولا يختلج خلافه فى قلب وجاء فى تفسير قوله تعالى: «فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن» وهذا اضطرار واضح قال وهب كن أربعين امرأة فمات منهن تسع وجداً بيوسف وكمداً عليه، وقال الفضيل بن عياض لو رزقنى الله دعوة مجابة لدعوت بها للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية، وفى كتاب امتزاج الأرواح للتميمي قال بعض الأطباء وقوع العشق بأهله ليس باختيارهم ولا بحرصهم عليه، ولا لذة لأكثرهم فيه، ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفه والأمراض المتلفة لا فرق بينه وبين ذلك ، وقال المدائنى لام رجل رجلاً من أهل الهوى فقال لو كان لذى هوى اختيار لا اختار أن لا يهوى، ولكن لا اختيار له، وقال الحافظ ابن القيم (رح) فسر كثير من السلف قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به بالعشق، وهذا لم يريدوا به التخصيص، وإنما أرادوا به التمثيل وأن العشق من تحميل ما لا يطاق أى التحميل القدرى لا الشرعى الأمري، انتهى، وحكى ابن حزم أن رجلاً قال عمر بن الخطاب رأيت امرأة فعشقتها فقال عمر ذلك مما لا يملك، وقال ابن طاووس فى قوله تعالى : «خلق الإنسان ضعيفاً» أى إذا نظر إلى النساء لم يصبر، ومن هذا ظهر أن عذلهم فى هذا الحال بمنزلة عذل المريض فى مرضه، وذهب جماعة من الأطباء وغيرهم إلى أنه اختياري، والإنسان هو المختار فيه بتسليط فكرته فى بحار سكرته» (١١)

١- نفس المصدر، ص ١١.

وبعد عرض على هذا النحو لما يتعلق بالعشق من أمور، يبدأ فى بيان أنواع النسوان بعد تقسيمهن إلى صالحات وطالحات، ويتمثل لكل نوع ببعض الأشعار، يقول مثلاً :

« وقد سمى آزاد كل قسم رائع، وعرفه بتعريف جامع مانع، وأثبت أمثلة تقر بها عيون الأدباء، وأقوالاً تهتز لها قرائح الظرفاء، والأمثلة التى نسبها لنفسه أكثر معانيها من مخترعاته وقليل منها من أشعار الأهاند، ومن قدرة الله سبحانه أن الخلاوة التى تحصل للذواق من الأشعار المشتملة على أقسام النسوان فى لسان الهند لا تحصل فى لسان العرب، وما منشأه إلا خصوصية اللسان، وظاهر أن نقل الخصوصية عن لسان إلى لسان خارج عن الطاقة البشرية، إنما الطاقة بيان القواعد العلمية، فمن تقاسيمهم تقسيم باعتبار الصلاح والطلاح، فالمرأة على قسمين صالحة وطالحة، أما الصالحة فهى التى لا تلتفت إلا إلى زوجها ومن لوازمها الحياء واسترضاء الزوج روى عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم، أنه يقول ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرتة، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة فى نفسها وماله، أخرجه ابن ماجه، وفى الباب أخبار وآثار كثيرة يعرفها من يعرف فن الحديث، وكانت الرباب بنت امرئ القيس تحت الحسين سبط النبى (ﷺ) فلما استشهد خطبها الأشراف من قريش فأبت وقالت والله لا يكون لى حمو آخر بعد رسول الله (ﷺ) وعاشت بعد الحسين رضى الله تعالى عنه سنة لم يظلمها سقف إلى أن ماتت حزناً وكمداً رحمها الله تعالى، ومن أمثلتها فى الشعر قول الأعشى:

لم تمش ميلاً ولم تركب على جمل ولم تر الشمس إلا دونها الكلل

وقول آزاد :

بى ظبية دهشت من لها أبداً كأنها اجتمعت بالليث فى الأجم (١)

١- نشوة السكران، ص ٢٥ - ٢٦.

ومن الأقسام التى ساقها: المستترة وهى التى تخفى فسقها لكنه ظهر قليلاً
بالأمّارات، وهى الوسطى بين المختفية والمعلنة كقول ولادة :

ترقب إذا جن الظلام زيارتى فإنى رأيت الليل اكتم للسر
وبى منك ما لو كان بالبدر لم ينر وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر
وقول زين الدين بن عبيد الله :

يا عاذلاً قد لحانى فى محبتها إليك عنى فانى لست أتركها
وليس يعجبني إلا تعفّفها مع الورى ومعى وحدى تهتكها^(١)

والواقع أن هذا الفن كان منتشراً فى شبه القارة زمن الدولة المغولية، وبلغ النساء فى الانفتاح شأواً بعيداً صورته لنا أشعارهم باللغة الأردية، بل كان للعاهرات قدر ومنزلة عند السلاطين والأمراء وكانوا يعهدون إليهن بتربية أولادهم تربية راقية على الذوق و«الاتيكيّت»، ولم يكن ثمة بالسلاطين والأمراء التزام بشرع ولا بدين، فراج فى شبه القارة الشعر العشقى خاصة فى آخر أيام الدولة المغولية يعرف ذلك من درس الأدب الأردى، وقد برز فى هذا اللون شعراء مشهورون مثل داغ الدهلوى الذى تصور أشعاره ما كان عليه طراز الحياة فى القصور الملكية، ولم يكن المجتمع آنذاك بشكل عام يمج الفن وما يصاحبه من موسيقى ورقص ونساء إلا من رحم ربك.

وهذا الفن الذى سجّله لك القنوجى فى كتابه كان شائعاً ذائعاً فى شبه القارة، وما زال محفوظاً باللغتين الأردية والفارسية خاصة بين الطبقات العليا فى المجتمع، لكن أدباء العربية حين اضطروا بحكم الحس الفنى الذى قد تشعر بصراعه مع الوازع الدينى فى سطور الكتاب وأبيات الشعراء، حاولوا دهان هذا الفن بلون دينى أيا كان كى لا يعاب عليهم أنهم تكلموا فيه بالعربية ونجسوا لغة القرآن، يدلك على ذلك، تطعيمهم هذا الفن الطريف بآيات وأحاديث وتفسير، ولفقها فى سياق دينى متكلف اعتسافاً، وما ذلك إلا لاعتقادهم بقداسة اللغة، خاصة وأن عبارة القنوجى عن خصائص اللغة تدل

١- نفس المصدر، ص ٢٧.

على إيمانه بأن اللغة العربية لم توضع خصائصها من قبل البشر، والسبب الثانى لهذا المسلك أن المؤلف وهو من أهل الحديث وله عشرات الكتب فى الدراسات الإسلامية لا يحب بالتأكيد أن يدان بالكتابة فى فنون كهذه، ولذلك تراه يصرف الموضوع إلى المعانى الصرفية لكن السطور تفوح منها رائحة أخرى. وقد يكون المؤلف شريفاً فى ذاته ولا يعنى نقله لهذا الفن شيئاً فى دينه، لكن ما نريد توكيده أنه اضطر لنقل هذا اللون الأدبى، وذكر أسباب عدم رواجه فى اللغة العربية بأن خصائصها لا تقبله وهو ما يدعم ما ذهبنا إليه من خجل أدباء العربية فى شبه القارة من إطلاق العنان لقرائحهم لتكتب بالعربية موضوعات حرة من قيود الدين كما يكتب العرب مسلمين وغير مسلمين.

ومن الطرائف أيضاً قصائد آزاد فى وصف جسد المعشوقة ، وفى أنواع النساء، وفى أقسام العشق والعشاق، وكلها مرتبطة بهذا الفن بعينه ، فليرجع إليها من أحب^(١) وإنما ذكرناها هنا كى لا تفوت من أراد الاطلاع على مزيد من أدب هذا اللون.

١- انظر سبحة المرجان، ٢ / ٣٢٢ وما بعدها.

الفصل الثامن

الأمثال

المثل الشعبى عقل كل أمة وديوانها الذى يسجل سماتها النفسية، ويحكى خبرتها وحكمتها، ويعكس فلسفتها الاجتماعية، ونظرتها العامة لأمر الدين والدنيا على اختلافها. فهو ضمير الأمة ولسانها وعينها وعقلها مصاغاً فى عبارات قليلة الألفاظ كثيرة الدلالة بعيدة الغور إن فهمت ظاهرها فى ثوانٍ ربما احتاج فهم باطنها إلى ساعات أو سنين.

والأمثال الشعبية من آداب العرب المهمة لأنها تجرى على ألسنتهم مجرى الشعر. وهى عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح، وبعضهم نظم القصائد كلها فى الأمثال كأرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذات الأمثال.^(١)

والهنود أمة حكم وأمثال لم تكفهم السنة البشر حتى صاغوا حكمهم على لسان الطير والحيوان، وصدروها إلى العالم من حولهم فقلدتها الأمم. وفارس كالهند أرض حكمة وفلسفة من قديم الزمان، وقد امتزجت حكمة العرب بحكمة فارس قبل دخولها شبه القارة لتتزوج بما على أرضه من حكمة. لكن ذلك لم يظهر فى الأدب العربى فى منطقتنا بشكل بارز، ذلك أن هذا الأدب كان مقطوع الصلة بأرض الواقع ولم تنم جذوره بين الشعب ولهذا قل فيه فن الأمثال والحكم.

وبين أيدينا كتاب واحد عثرنا عليه أثناء البحث فى هذا المجال هو كتاب «خزينة الأمثال» لشيخ حسين حقيقت المتوفى ١٢٤٩هـ ١٨٣٣م، وكان من أشهر أدباء الأردية

١- تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجى زيدان ، ٥١/١ لبنان ١٩٨٣.

والفارسية في زمانه. وقد ألف حقيقت هذا الكتاب في ١٢١٥ هـ وطبع أول مرة في الهند سنة ١٢٧٠ هـ وثاني مرة بعد ذلك بعشرين عاماً، ثم صورته وأعاد نشره للمرة الثالثة مجمع اللغة الأردنية باسلام آباد عام ١٩٨٦ م.

والكتاب فريد في كونه مكتوباً باللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية، وقد رتب المؤلف فيه الأمثال العربية أولاً على حروف المعجم، ثم أتبع الأمثال العربية بالأمثال الفارسية على نفس النهج ثم الأمثال الهندية بعدها بنفس الترتيب. وترجم المولوى أبو البركات ركن الدين محمد الشهير بتراب على أمثال الكتاب العربية إلى الفارسية، وذكر في الهامش مواضع استعمال كل مثل وما صعب من مفردات وما فات المؤلف من أمثال، فجاء الكتاب قيماً في فنه عظيماً في فائدته. وقسم المؤلف الكتاب إلى إحدى وثلاثين خزينة بحسب حروف التهجي العربية مضافاً إليها ما لا يوجد فيها من الأحرف الفارسية والأردية، ثم قسم كل حرف مشترك بين اللغات الثلاث إلى ثلاثة كنوز بادئاً الكنز الأول بالأمثال العربية ثم مخصصاً الثاني للأمثال الفارسية والثالث للأمثال الأردنية، والكتاب ينتهى بخاتمة في استحباب المزاج، ونحن نورد لك هنا مقطعاً من حرف الألف بعد حذف الترجمة الفارسية للأمثال العربية :

أداء الـديـن مـن الـديـن
أدب المرء خـيـر مـن ذهـبـه
أدركنسى ولو نبأ حـسـد المـغـرورين
ادع إلى طعمامك من يدعـو إلى جـفـائك
ادفع الشر بعـود أو عـمـود
أدق مـن خـسـب بـاطـل
إذا أتاكم كـرـيم قـوم فـأكـرمـوه
إذا انتهـى الأمر إلى الكـمال عـاد إلى الزوال
إذا أنتـهت المـدة لم تنفع العـدة
إذا أدبر الدهر عن قـوم كـفى عـدوهم

إذا ألقيت جلباب الحياء فقل ما شئت
إذا أرجحن شاصياً فارفع يداً
إذا افتقر اليهودى نظر فى حساب العتق
إذا اصطاح السنور والفأر خرب دكان البقال
إذا استبهد الإنسان برأيه عميت عليه المراد
إذا اصطنعت المعروف فاستره وإذا اصطنع إليك فانشره
إذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه
إذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل
إذا بلغت بالسبتين فاقستل بالسليين
إذا تكرر تقـــــرر
إذا عم أمر بدا نقـــــصه
إذا تم العمل نقل نقص الكلام
إذا تم الفكر فـــــهرو الله
إذا تخاصم السارقان ظهر المسروق
إذا تغير السلطان تغير الزمان
إذا جاء القضاء عسمى البصر
إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
إذا جاء لضفدع البير منية يعتصم بحبل الحية
إذا جاء أجل البعير حمام حول البير
إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال
إذا جاءت الحين جـــــات العين
إذا حاق القضاء ضاق القضاء
إذا حلت المقادير ضلت التدابير

إذا حمل على الثور عقد الثريا جدير بنطاق الجوزاء السرطان
إذا خرج الحية من جحر قتلت بالحجر
إذا ذكرت الذيب فأعسد له القضيب
إذا ذهب الحبياء حل البلاء
إذا ذهب الوفاء نزل البلاء
إذا زل العالم زل يزلت به العالم
إذا ساد اللئيم ياد الكرام
إذا ساد السففل خراب الأمل
إذا سمعت يسرى الفين فاعلم أنه مصبح
إذا سكت عن جاهل فقد أوسعته جواباً وأوجعته عتاباً
إذا ضحك القسرد يبكى استتبه
إذا ضاق الأمل اتسع
إذا طرت فقع قسرباً
إذا طلع السهيل قطع السبيل
إذا عز أخوك فمهن
إذا عرفت الحوبة قبلت التوبة
إذا فأت الشرط فأت المشروط
إذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن
إذا قلت العقول كثرت الفضول
إذا قامت القيامة تعيد الثوابت
إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم طريق الهالكينا
إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً
إذا لم تجملدنى لم تجملدنى

إذا لم تستحي فباصلن ماشئت
إذا لم تغلب فـاـخـلـب
إذا ما القـسـار ظ العنـزى أبا
إذا ما تلق من تهوى فحاولها وناولها
إذا مروا باللغو مروا كراماً
إذا مات الاعتصام عاش الانتقام
إذا مكر الله ببلدة جعل حاكمها قردة
إذا ملك الأراذل هلك الأفساـضـل
إذا ملكـت فـاـسـجـج
إذا نزل القـسـدر بطل الحـذر
إذا وافق الهوى الحق أرضيت الخالق والخلق
إذا وافق هواك رشادك فقد أحرزت معادك
إذا وجدت القبر مسجناً فادخل فيه
إذا هبت الرياح فاغتنمها فإن لكل عاصفة ركوداً
إذا يئس الإنسان طال لـسـانـه
أذكر غـائـباً تـره
أذكر غـائـباً بـقـرب
أذل مـن المـطـايا
أذل مـن جـنـب
أذل مـن ذمـى
أذل مـن وتـد بـقـاع
أذل من أموى بكوفة يوم عاشوراء
الأذن تعشق قبل العين أحياناً

إذا وردت مسـاء لم تصـدر
أرأف من أم الحـوار بحـوارها
إرادة الله غـالب على إرادة الناس
أراك بشـر ما أحـار مشـفر
أرياب الدول ملهـمـون
أردت عـمـراً وأراد الله خـارجة
أرسب من رصـاصـة
أرسل حكيـمـاً ولا تبوصـه
الأرض الطيب يخرج نباتاً حسناً والذي خبث لا يخرج إلا نكداً
أرق من النسـيم ومن الهـواء
أرق من دين القـرامـطة
أرق من النسـيب
أرينهـا أركهـا مطرة
أروى من النـعمـام
أروى من النـقـاقـة
أريهـا السهـا وترينى القـمـر
أزنى من هـر
أزنى من سـجـاح
الأزواج ثلاثة زوج بهـر وزوج دهر وزوج مهـر
أساس الكفر موافقة النفس
أسائر اليوم وقد زال الظهـر
أسـأل من فـلـحـس

فالمؤلف كما ترى يبدأ بالألف ثم يمررها على بقية الأحرف إلى النهاية، وكذلك فعل
بالباء والتاء وبقية الأحرف. ولعله سها فأورد «إذا وردت ماء لم تصدر» فى غير
موضعه. وقيمة الكتاب عظيمة بلا شك لمن أراد البحث فى الأدب المقارن فى اللغات
الثلاث التى دون المؤلف لنا بها أمثالاً تعكس التشابه والاختلاف بين الأمم الثلاث. إلا
أن ثمة أخطاء وقعت من الناسخ فى الأمثال العربية وقد أصلحناها فى الجزء الذى
نقلناه.

الفصل التاسع

الحيل اللفظية

من الحيل اللغوية التي راجت في الأدب العربي في شبه القارة ما يعرف بصناعة الالهمال وهي الكتابة الخالية من الحروف المنقوطة. وقد كتب بها الأدباء في شبه القارة شعرا ورسائل وشروحا لكتب كما مربك بين الفصول السابقة. وإنما اشتهرت هذه الصنعة في شبه القارة لأن الأدباء كانوا يتبارون فيها، وكانوا يعتبرونها رمزاً للقُدرة على التعبير وبالتالي امتلاك اللغة والتحكم فيها. ولعلك اطلعت على شيء من شعر أبى الفيض بن المبارك الناكورى المعروف ايضا بأبى الفيض الفيضى الذى أنشده مدحاً لتفسيره سواطع الإلهام، ونسوق لك هنا بعضاً آخر. يقول أبو الفيض فى بعض شعره فى المدح :

صاح صاح الحمام حول كما	دور ورد أدر صواع مدام
لاح دار الحمل وحال الحول	دار كأس المدام رأس العام
أردد الروح إملحاح السدوح	روح الروح إحمرار مدام
اللعاغ اللعاغ وهو مـروم	المدام المدام وهو مـرام
لمع مد المدام أسحارا	هادم الهم صارم الأوهام ^(١)

١- نزهة الخواطر، ٥ / ٣٠.

ويقول فى قصيدة فى الثناء على تفسيره سواطع الالهام :

ألواح سحر أم طلسم مكرم	لأسرار روح للسطوع ملهم
لسحر حلال والسطوع طلسمه	وما هو سحر أو طلسم محرم
صراح لأصل الأصل طرس مطهر	سواد لكل الكل علس مطهم
وما العلم إلا وهو أصل لكلمه	لإعلام أسماء العوالم آدم
إمام همام للكلام مأول	صلاح سداد للسلام مسلم
مدار مراد للمدارك مطرح	ملاك كلام للمعالم معل
كلام كمال للأكمال مسلك	صراط سداد للأكارم أسلم ^(١)

وقد كتب الأديب الشهير إنشاء الله خان إلى الشيخ أحمد الشروانى اليمنى رسالة غير منقوطة أوردها صاحب سفينة البلاغة^(٢) صعبة على الفهم. ولعل أبا الفيض هو من آلت إليه أعنة الصنعة فملكها، وتأسد، فلم يفقه أحد. ومن أضخم أعماله تفسير سواطع الإلهام للقرآن المجيد كله تفسيراً غير منقوط، يوافق فيه مشارب الصوفية، وقيل إنه استمد العون فيه من الشيخ أحمد السرهندى^(٣).

ننقل لك هنا تفسيره لبعض السور وخاتمة الكتاب يقول أبو الفيض :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَكُنْ هَلْكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ يَكْلُؤُكَ
 وَأَرَادَ طَرْجَةً لِأَهْلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا لَمْ يَدْرَأِ
 بِالْمَوْضُوعِ كَسَبَ لِيَوْمَ أَرَادَ وَهُوَ عَطَاءُ الْمَالِ وَالْأَدْلَى لِيَوْمَ الدُّعَاءِ لَوْ مَعَ سَيِّئَاتِهِ
 الْوَرْدُ نَارًا ذَاتَ لَهْفٍ حَدِّ مَالًا كَمَا هُوَ كَمَا وَاصْرَأَتْهُ حَمَالَةُ الْمُحْطَبِ نَحْلِيهَا
 الْحَسَاءِ وَطَرْجَةً أَحْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ هُوَ خَالٍ فِي حَوْلٍ حَيْدٍ مَا حَبْلٌ مِنْ هَيْدَةٍ

١- نفس المصدر : ٣٠ / ٥ - ٣١.

٢- انظر ص ٢٦٢.

٣- الدعوة الإسلامية فى الهند، أبو الحسن الندوى، ص ١٣.

مُسَوِّدًا لَهَا قَدْرَ قَدْرِهِ قَدْ لَوْلَا الْمَعْمُودُ وَمَوْجَالُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ خَيْرٌ مَّا أُرِيَ الشَّجِيرَ وَمُحْصَنُونَ أَصُولُ مَذْلُومًا
وَأَعْلَامُ وَمَوْجِدُ اللَّهِ الْأَمْرُ الْقَبِيلُ الْإِخْلَاصُ مَعْلُومٌ بِمَا قَدْ لَوْلَا وَدَلِيلٌ وَسَمْعٌ فِي هَذِهِ عَادَ لَهَا أَحَدٌ وَسَامِعَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا سَأَلَ الْخَيْرُ سَوَّلَ اللَّهُ صَلَاحُ قَادِرُ الْإِخْلَاصِ بِمَا لَوْلَا اللَّهُ قَدْ لَوْلَا اللَّهُ أَحَدٌ وَاحِدٌ لَا سَمَاعُ لَوْلَا
إِلَهٌ سِوَاهُ أَحَدُهُ تَعَدُّ وَرَفَعَهُ اللَّهُ الرَّاحِدُ وَرَفَعَهُ أَحَدُ اللَّهِ وَهَبُوا الْقَبِيلُ الْمَعْمُودُ الْمَعْمُودُ أَمَّا الْأَعْلَامُ
لِكُلِّ مَا عَمَّا وَمَوْجِدُ الْإِخْلَاصِ الْإِخْلَاصُ الْإِخْلَاصُ الْإِخْلَاصُ الْإِخْلَاصُ الْإِخْلَاصُ الْإِخْلَاصُ الْإِخْلَاصُ
لَوْلَا مَوْجِدُ الْإِخْلَاصِ مَوْجِدُ كُلِّ أَحَدٍ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ
وَمَوْجِدُ الْإِخْلَاصِ أَحَدٌ عَادَ وَمَا لَوْلَا لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ
وَمُسَمَّاهُ عَمَّا مَوْجِدُ رَكَّ الْأَوْجَادُ وَرَكَّ هُوَ قَدْ لَوْلَا لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ لَوْلَا قَدْ
الْفَلَقُ مَوْجِدُ هَامِضٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَاحُ أَصُولُ مَذْلُومًا لَهَا الْأَمْرُ لِسَوَالِ السَّلَامِ
فَتَأْتِي سَمَاءُ بَكْرَةٍ وَهُوَ السَّيْحُ وَالْحَسَدُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ
أَكْمُ الْإِخْلَاصِ وَفَعَلَ الْإِخْلَاصُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَاحُ الْأَمْرُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ مُحَمَّدٌ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ وَهُوَ أَمْرُ الشَّجِيرِ وَحَمَادَةُ مَطْلَعِ أَكْبَلِ الْوَالِدِ وَسَمَاعَةُ
أَوْ أَمْلُ الْعَالِ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ
وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ
لَوْلَا الْعَمَّ إِذَا وَقَبَ ۝ عَمَّا دَلَسَتْ كُلُّ الْقَبِيلِ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ
شَيْءٌ لِلَّهِ وَاجِبُ الْقَبِيلِ هُوَ رَسَالُ الرَّجَحِ فِي لَعْقِدِ ۝ الْأَمْرُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ
أَمْلُ الشَّجِيرِ وَالْإِخْلَاصُ وَجِبُ شَيْءٍ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ سَطَعَ حَسَدُهُ وَهَمِلَ كَمَا هَمِلَ رَأَى
وَأَمْسَدَ كَسْرُ الْأَمْرِ وَدَدَ إِذَا مَدَّ مَدَّ وَهَمِلَ رَأَى مَدَّ وَدَدَ إِذَا مَدَّ مَدَّ وَهَمِلَ رَأَى
وَأَمْلِكَ وَلَكِنَّ الْعَمْدَ وَهُوَ أَمْرُ الْأَمْرِ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَاحُ أَصُولُ مَذْلُومًا لَهَا الْأَمْرُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْإِخْلَاصُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ مُحَمَّدٌ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مَا لَكَ مَعَهَا يَوْمَ تَعْلَمُ الْفَلَقِ ۝ مَا لَكَ مَعَهَا يَوْمَ تَعْلَمُ الْفَلَقِ ۝
أَمْرٌ مَوْجِدٌ وَأَعْلَامُ الْإِخْلَاصِ مَعْلُومٌ بِمَا قَدْ لَوْلَا وَدَلِيلٌ وَسَمْعٌ فِي هَذِهِ عَادَ لَهَا أَحَدٌ وَسَامِعَةٌ

[illegible]

الفصل العاشر

التاريخ

التاريخ لمن يكتبه، يتصرف فى أحداثه كيف يحب، يغفل منها ما يشاء ويبرز ما يشاء، فإن كان المشرف على صياغة التاريخ هو الحاكم والسلطان - سواء كان إشرافه بدعم مادى لكاتب التاريخ أو بوسيلة أخرى - صارت العبارة : التاريخ لمن يحكم. وكثيراً ما عملت آراء المؤرخين قديماً وحديثاً وعقائدهم ونظرياتهم وحبهم وبغضهم عملها فى الوقائع.

وتدوين التاريخ فى شبه القارة سار على نهج واحد يعين فيه الحاكم - المسلم - أحد الأدباء والكتاب المتعربين ممن يشق بهم، ويسند إليه كتابه تاريخ الدولة فى عهده، فيبدأ من القديم يشوه فى كثير من الأحيان أفعال من سبقوا ولى نعمه، حتى إذا وصل إلى سنوات حكمه، صاغ أحداثها وفق وجهة نظر السلطان. لذلك رأينا توارىخ بأسماء السلاطين مثل تاريخ همايون وتاريخ أكبر وشاهجهان وغيرهم ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا السلطان أورنگزيب الذى رفض أن يكتب تاريخ نفسه بنفسه أو يستكتب له أحداً ولذلك لا يوجد لفترة حكمه التى بلغت خمسين عاماً تاريخ كامل مستند.

هذه التوارىخ السلطانية كتبت جميعها بالفارسية لغة الدواوين والثقافة والأدب فى ظل حكم المسلمين. ولم تعن بالملوك ولا بالمؤرخين ضرورة لتدوين التاريخ بالعربية، كما لم يفكر رجال الدين فى تدوين التاريخ بالعربية ليكون نصاً من قبل الهيئات الحرة، أو على الأقل نصاً غير سلطانى. لذلك لم نجد فى الأدب العربى فى شبه القارة تاريخاً مكتوباً بلغته. ونحن وإن كنا لا نرى التاريخ ادباً أو فناً من فنون الأدب، إلا أننا

اعتبرناه هنا كذلك على رأى من دافع عن كونه كذلك كالدكتور مندور والدكتور غنيمى هلال والدكتور عز الدين اسماعيل وغيرهم من أساتذتنا ، ولأن التاريخ يعتبر كذلك فى المعيار الأوروبى وتقسيمه لفنون الأدب.

والطريف أننا وجدنا تاريخاً عربياً لفتح ساحل مالابار أو مليبار بجنوب الهند لم يكتبه السلاطين وإنما كتبه عالم من العلماء هو الشيخ زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن على بن أحمد الشافعى المعبرى الفنانى المليبارى (ت ٩٩١ هـ) بعنوان تحفة المجاهدين . قد اختصر عبد القادر المليبارى هذا التاريخ بحذف القسم الأول منه ثم أورده فى كتابه القيم جواهر الأدب.

يقول زين الدين المليبارى :

القسم الثانى فى بدء ظهور الإسلام فى مليبار وذلك أن جمعاً من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها كدنكلور وهى مسكن ملكها فى مركب كبير بعيالهم وأطفالهم وطلبوا منهم الأراضى والبساتين والبيوت وتوطنوا فيها وبعد ذلك بسنتين وصل إليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد (ﷺ) ودين الإسلام وبمعجزة انشقاق القمر فأدخل الله سبحانه وتعالى فى قلبه صدق النبى (ﷺ) فأمن به ودخل فى قلبه حب النبى (ﷺ) وأمر الشيخ أن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين ثم أنهم سافروا إلى سيلان ورجعوا إليه فأمر الملك الشيخ بأن يهيب مركباً لسفره من غير أن يعلم به أحد وكان فى البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء فقال الشيخ لصاحب مركب « أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا فى مركبك » فرضى بذلك صاحب المركب ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزراءه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام وعين فى كل بلدة من بلدانه شخصاً وكتب لكل كتاباً مفصلاً بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذى عينه والحكاية فى ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضاً وكان ملكاً متوالياً فى

جميع مليبار وحده من الجنوب كمهرى ومن الشمال كانجر كوت ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلاً وسار المركب حتى وصل إلى فندرينة فنزل فيها ولبث يوماً وليلة ومنها سار المركب إلى درمفتن ونزل فيها ولبث ثلاثة أيام ومنها سار المركب حتى وصل إلى شحر ونزل فيها هو ومن معه وبعد مدة طويلة رافقه جماعة في السفر إلى مليبار لعمارة المساجد وإظهار دين الإسلام فيها ثم إن الملك مرض واشتد مرضه فوصى أصحابه الذين رافقوه وهم شرف بن مالك وأخوه من الأم مالك بن دينار وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغيرهم بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك وإنما أردنا السفر صحبتك فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه وأقرباءه وأسماء ملوكها وأمرهم أن ينزلوا في كدנקلور أو درمفتن أو فندرينة أو كولم وقال لهم لا تخبروا شدة مرضي ولا بموتي إن مت أحداً من المليبار ثم إنه توفي رحمه الله رحمة واسعة وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب وزوجته ثرية وغيرهم مع الأولاد والأتباع إلى مليبار في مركب فوصل إلى كدנקلور ونزلوا فيها وأعطوا ورقة الملك المتوفى إلى الملك الذي فيها واخفوا خبر موته فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتضى ما كتبه فأقاموا فيها وعمرها فيها مسجداً وتوطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبنائه المساجد في مليبار فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجداً ثم خرج منها بعدما خلى زوجته فيها إلى «هيلي مساراوي» وعمر بها مسجداً ثم إلى «ياكتور» وعمر بها مسجداً ثم رجع منها إلى «منجلور» وعمر بها مسجداً وخرج إلى كانجر كوت وعمر بها مسجداً ومنها إلى «شاليات» وعمر بها مسجداً وأقام بها مدة خمسة أشهر ومنها إلى كدנקلور عند عمه مالك بن دينار ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع إلى كدנקلور شاكرًا لله وحامداً له بظهور دين الإسلام في أرض ممتلئة كفرًا ثم خرج مالك بن دينار ومالك بن حبيب مع الأصحاب والعبيد إلى كولم وتوطنوا فيها غير مالك بن دينار وبعض أصحابه فإنهم سافروا إلى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها ثم سافر مالك إلى خراسان وتوفي فيها هو وزوجته هذا خبر أول ظهور الإسلام في ديار مليبار وأما تاريخه

فلم يتحقق عندنا وغالب الظن أنه إنما كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية وأما ما اشتهر عند مسلمي مليبار أن إسلام المذكور كان في زمن النبي (ﷺ) برؤية انشقاق القمر ليلته وأنه سافر إلى النبي (ﷺ) وتشرف ببلقائه ورجع إلى شحر قاصداً المليبار مع الجماعة المذكورين وتوفى فيها فلا يكاد يصح شيء منها والمشهور الآن بين الناس أنه مدفون في ظفار لا في شحر وقبره مشهور هنالك يتبرك به وأهل الناحية يسمونه السامري وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل مليبار المسلمين والكفرة الا أن الكفرة يقولون عرج به إلى فوق ويتوقعون نزوله ولذلك كانوا يهيئون في موضع في كدندكلور قبقاباً وماء ويسرجون فيه في ليلة معروفة عندهم ومشهور عندهم أيضاً أنه قسم ولايته عند قرب سفره على أصحابه إلا السامري الذي كان أول رعاة بندر كاليكوت فإنه كان غائباً عند القسمة فلما حضر أعطاه سيفاً وقال له اضرب بهذا وقلك فعمل بمقتضى قوله فتملك كاليكوت بعد زمان وسكن فيها المسلمون ووصل إليها التجار وأصحاب الصنائع من أطراف شتى وكثرت التجارة فيها حتى كبرت وصارت مدينة عظيمة اجتمع فيها صنوف الناس من المسلمين والكفار وظهرت قوة السامري فيما بين رعاة مليبار ورعاتها كلها كفرة وفيهم القوى والضعيف ولكن لا يأخذ القوى بلد الضعيف بقوته وذلك بوصية ملكهم الكبير الذي أسلم ودعائه بذلك وبركة النبي (ﷺ) وبركة دينه فإن منهم من يكون له مملكة فرسخ ومنهم من يكون له زيادة على ذلك وفيهم من يكون له من العساكر مائة أو دوتها أو مائتان أو ثلاثمائة إلى ألف إلى خمسة آلاف وعشرة آلاف إلى ثلاثين ألفاً إلى مائة ألف أو أكثر وبعض البلدان يشترك فيها اثنان أو ثلاثة أو أكثر مع أن بعضهم أقوى وأكثر عساکراً من الآخر ويقع الحرب والشحناء بينهم ومع هذا لا يتغير أمر الشركة وأكثرهم عسكرياً «ترودى» راعى كولم وكمهري (كمهاري) وما بينهما في شرقيهما ممالك كثيرة له ثم «كولتري» راعى هيلي ماراوى وجرفتن وكنور واد كاد ودر مفتن وغيرها وأكثرهم شركة وأشهرهم ذكر السامري وله ظهور فيما بينهم وذلك ببركة دين الإسلام وحبه للمسلمين وإكرامه لهم خصوصاً الغرباء وأما الكفرة فيزعمون أن ذلك باعطاء الملك المتقدم ذكره السيف له وذاك السيف موجود عند السامري إلى الآن على ما يزعمون محترماً معظماً ويحمل بين

يديه إذا خرج للحرب أو مجمع عظيم وإذا حارب السامري أحد رعاتها الذين هم غير الأقوياء بسبب من الأسباب يعطيه المال والمملكة إذا اضطروا وإذا لم يعط لا يتسلط قهرا مع قدرته على ذلك ولو طال الزمان وذلك أن أهل مليبار يراعون العادات والرسوم القديمة لا يخالفونها إلا نادراً وأما غير السامري فليس له فى المحاربة شئ إلا إهلاك النفوس وتخريب البلدان إن أمكن»^(١).

ثم يقص المؤلف كيف وصل البرتغاليون إلى ساحل الهند، واستولوا على قلاع فى مليبار ويرجع ذلك إلى فساد المسلمين وعدم التزامهم بالدين وأحكامه، قذلوا بعد عز. ثم يحكى ما فعله البرتغاليون بهم.^(٢)

أما محتويات هذا التاريخ فيقول عنها المؤلف :

وقسمت المجموع على أربعة أقسام القسم الأول فى بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه . القسم الثانى فى بدء ظهور الإسلام فى ديار مليبار، القسم الثالث فى نبذة يسيرة من عادات كفرة مليبار الغربية القسم الرابع فى وصول الإفرنج إلى بلاد مليبار وبعض أفعالهم القبيحة وفيه فصول الفصل الأول فى ابتداء وصولهم إلى مليبار ثم حصول المخالفة بينهم وبين المسلمين والسامري ومصالحتهم راعى كشى وكبننور وبناء قلعتهم فيهما وفى كولم وأخذهم بندر كووة، الفصل الثانى فى ذكر شئ من قبائح أفعالهم الفصل الثالث فى مصلحة السامري إياهم وبنائهم قلعتهم فى كاليكوت. الفصل الرابع فى وقوع الخلاف بينهم وبين السامري وفتح قلعتهم. الفصل الخامس فى وقوع الصلح بينهم وبين السامري مرة ثانية وبناء قلعتهم فى شاليات. الفصل السادس فى صلح السامري مع الإفرنج مرة ثالثة، الفصل السابع فيما فعل السلطان بها درشاه بن مظفر شاه الكجراتى رحمهما الله ورحمنا معهم مع إعطاء جملة من بنادره الكبار لهم، الفصل الثامن فى وصول سليمان باشا وزير السلطان الأعظم المرحوم السلطان سليمان شاه الرومى بن سليم شاه نور الله مرقدهما إلى ديو ونواحيها ورجوعه إلى مصر

١- جواهر الاشعار وغرائب الحكايات والأخبار، عبد القادر بن يوسف المليبارى، ص ٢٠٧ - ٢١١، الهند، ١٣٥٨ هـ.

٢- نفس المصدر : ص ٢١٧ - ٢١٨.

من غير فتح. الفصل التاسع فى وقوع الصلح بين السامرى والإفرنج مرة رابعة. الفصل العاشر فى وقوع المخالفة بين السامرى والإفرنج الفصل الحادى عشر مصالحة السامرى والإفرنج مرة خامسة. الفصل الثانى عشر فى سبب الاختلاف بين السامرى والإفرنج وخروج الأغربة لمحاربتهم. الفصل الثالث عشر فى فتح شاليات نصر الله الإسلام والمسلمين وأعز الدين بحق محمد وآله وصحبه. الفصل الرابع عشر فى بعض أحوالهم بعد فتحها وفى أن قصدهم الأعظم تغيير دين الإسلام وإذلال المسلمين^(١).

ومع أن المؤلف ينص فى هذه المقدمة على أنه كتب هذا التاريخ ليقدمه إلى السلطان على عادل شاه أحد ملوك الدولة العادل شاهية فى جنوب الهند إلا أنه ليس تاريخاً لهذا السلطان وإنما هو تاريخ لدخول البرتغاليين إلى إحدى دور الإسلام ثم ما جرى بينهم وبين المسلمين هناك.

وقيمة هذا التاريخ - أو القصة التاريخية - أنها تحكى ما قد لا يوجد فى كتب التاريخ عن وقائع حدثت فى جنوب الهند ، ومن ثم حوت من المعلومات ما لانجده فى غيرها عن هذه المنطقة التى كثيراً ما أغفل المؤرخون الحديث عنها، وهى مليئة بالأحداث والوقائع، فالكتاب قد يسد ثغرة فى المكتبة العربية لأن مؤلفه من أهل مليبار، روى وقائع شاهدها أو اشتهرت فى بلده، ولم يجلس فى بغداد أو دمشق ويكتب عن هذه الديار.

ولا ننسى هنا أن نشير إلى كتاب الثورة الهندية لفضل الحق الخير آبادى الذى مر بك بعضه فى باب الأدب السياسى فهذا الكتاب وثيقة حية لأحداث ثورة هامة من ثورات المسلمين وواقعة عظيمة من وقائع شبه القارة استتب بعدها الحكم لبريطانيا. والكتاب يحوى بالتأكيد مواد لا توجد فى التواريخ التى كتبها الغربيون عن هذه الفترة وقد قامت بتحقيقه كجزء من بحثها للدكتوراه عن الخير آبادى الدكتورة قمر النساء أستاذة اللغة العربية بجامعة الإناث بحيدرآباد الهند ثم طبع بعد ذلك بحثها فى كتاب^(٢).

١- جواهر الأشعار، ٢٠٦ - ٢٠٧.

٢- العلامة فضل الحق الخير آبادى مع تحقيق كتاب الثورة الهندية، ٣٤٦ - ٤٤٧، لاهور ١٩٨٦م.

الفصل الحادى عشر

الترجمات الأدبية

أعنى بذلك ترجمة الأعمال الأدبية، وهذا باب دخل فيه أدباء شبه القارة أيضا فترجموا إلى اللغة العربية كثيراً من الأعمال، فترجم الدكتور ظهور أحمد أظهر رواية محمد بن قاسم لنسيم حجازى، كما ترجم المرحوم الأستاذ محمد حسن الأعظمى من الفارسية قصصاً وحكايات جاءت فى كلستان الشيخ سعدى الشيرازى، وترجم الشيخ أبو الحسن الندوى بعض من شعر اقبال، وترجم الدكتور محمود أحمد غازى مثنوى إقبال المعروف «يا أمم الشرق» وجميع هؤلاء معاصرون أحياء إلا الشيخ الأعظمى الذى توفى قبل سنوات قليلة.

ولا يفوتنى هنا أن أسجل كلمة اعجاب بمجلة ثقافة الهند التى تنشر كثيراً من المقالات والأبحاث عن اللغة العربية فى شبه القارة كما تنشر فى كل عدد قصصاً قصيرة مترجمة من اللغات الأخرى، وطبيعى أن الترجمة وقربها من معنى العمل الأدبى الأصيل رهينة بقدرة المترجم على تطويع اللغة العربية والتعبير بها، وليس فى داخل موضعنا تقصى هذا الأمر وبيان مدى ما وفق إليه المترجمون فى التعبير باللغة العربية، وإنما الغرض من كتابنا التعريف - فقط - بهذا الفن.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه روائع إقبال :

برلمان إبليس

«فى ديوان محمد اقبال الأخير «أرمغان حجاز» (هدية الحجاز) قصيدة بديعة وصف فيها وصور جلسة برلمانية، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسى، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسية العصرية التى تهدد مهمتهم فى العالم وتحبط مساعيهم أو تعرقل سيرهم، وأبدوا فيها آراءهم ووجهات نظرهم. وترأس هذه الجلسة وأشرف عليها «إبليس» فحكم على هذه الآراء والدراسات، وعارض أكثرها فى ضوء تجاربه الواسعة، وبعد نظره الذى لا يشاركه فيه أحد من تلاميذه. وأدلى برأيه الحصيف المؤسس على الدراسة الواسعة العميقة. وهو يتلخص فى: أن المسلم هو المنافس الوحيد والمصارع الكفوء لنظامه، وهى الشرارة التى تتحول ناراً بسرعة، فالمصلحة والرأى أن يركز «الزملاء» تفكيرهم على محاربة هذا العدو، أو إلهائه وتنويمه. وقد جاء فى هذه القصيدة من الوصف الصادق الدقيق للمسلم، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسية وزعمائها، ما يفيد الاطلاع عليه، وإليك محضر الجلسة :

«إن الشياطين وزملاء إبليس وأعدائه اجتمعوا فى مجلس شورى، وتباحثوا فى سير العالم وأخطار الغد وفتنة، وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الإبليسى ومهمتهم الشيطانية، فتذكروا فى فتن وأخطار قد أهدت بهم وهددت نظامهم، وجللوا خطبها وتناذروا شرها، فذكر أحدهم «الجمهورية» وحسب لها حساباً كبيراً، فقال الثانى، لا يهولنك أمرها فإنها ليست إلا غطاء للملوكية، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهورى، إذ رأينا الانسان بدأ ينتبه ويفيق، ويشعر بكرامته. وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها، فألهيناه بلعبة الجمهورية، وليس الشأن فى الأمير والملك، إن الملوكية لا تنحصر فى وجود شخص ترتكز فيه الملوكية، وفرد يستبد بالسلطان، إنما الملوكية أن يعيش الإنسان عيالا على غيره، مستشرفاً إلى متاع غيره، سواء فى ذلك الشعب والفرد، أما رأيت نظام الغرب الجمهورى، وجهه مشرق وضاح، وباطنه أظلم من باطن جنكيزخان.

فقال الآخر : لا بأس إذا بقيت روح الملكية، ولكن ماذا يقول النائب المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى أثارها هذا اليهودى الذى يدعى «كارل ماركس» ذلك الباقعة الذى ليس نبياً، ولكنه يحمل عند أتباعه كتاباً مقدساً، هل عندك نبأ، أنه أقام العالم وأقعده، وأثار العبيد على السادة، حتى تزعزعت مباني الإمارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس : يا صاحب الفخامة إن سحرة أوربا، وإن كانوا مريدك المخلصين، ولكن لم أعد أثق بفراستهم، ها هو السامرى اليهودى الذى هو نسخة من «مزد» (الزعيم الفارسى الاشتراكى) قد كاد يأتى على العالم بقواعده، فاستنسر البغاث وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب، ويدفعونهم بالراح (أعلام أرض جعلت بطائحها) إنا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية، وها هى قد استفحلت وتفاقم شرها، وها هى الأرض ترجف بهول فتنة الغد ياسيدى إن العالم الذى كنت تحكمه سينقض عليك، وينقلب نظام العالم ظهراً لبطن.

فتكلم رئيس المجلس «إبليس» وقال : إنى أملك زمام العالم، وأتصرف به كيف أشاء، وسبرى العالم عجباً، إذا حرشت بين الامم تهارشت تهارش الكلاب، وافترس بعضها بعضاً فعل الذئاب، وإذا همست فى آذان القادة السياسيين، وأساقفة الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم، وجن جنونهم.

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية ، فكونوا على ثقة أن الخرق الذى أحدثته الفطرة بين الإنسان لا يرفوه المنطق المزدكى (يعنى الفلسفة الاشتراكية) لا يخوفنى هؤلاء الاشتراكيون الطرداء، والصعاليك السفهاء.

إن كنت خائفاً، فإنى أخاف أمة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وتسيل دموعهم على خدودهم سحراً، لا يخفى على الحبير المتفرس أن الإسلام هو فتنة الغد، وداهية المستقبل، ليست الاشتراكية.

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً، وأنها فتنت بالماء، وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الأمم. أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر، وأن علماء

الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ويصن لها العالم، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقضى مضجعها وتوقظ هذه الأمة، وتوجهها إلى شريعة محمد (ﷺ)، إنى أحذركم وأذكركم من دين محمد (ﷺ) حامى الذمار، حارس الذمم والأعراض، دين الكرامة والشرف، دين الأمانة والعفاف .دين المروءة والبطولة، دين الكفاح والجهاد، يلغى كل نوع من أنواع الرق، ويمحو كل أثر من آثار استبعاد الإنسان، لا يفرق بين مالك ومملوك، ولا يؤثر سلطاناً على صعلوك، يزكى المال من كل دنس ورجس، ويجعله نقياً صافياً، ويجعل أصحاب الثروة والملوك مستخلفين فى أموالهم، أمناء لله وكلاء على الأموال، وأى ثورة أعظم وأى انقلاب أشد خطراً مما أحدثه هذا الدين فى عالم الفكر والعمل يوم صرخ : إن الأرض لله، لا للملوك والسلطين.

فابذلوا جهدكم، أن يظل هذا الدين متوارياً عن أعين الناس، وليهينكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه، قليل الإيمان بدينه، فخير لنا أن يظل مشتغلاً بمسائل علم الكلام والإلهيات وكتاب الله والآيات، اضربوا على آذان المسلم، فإنه يستطيع أن يكسر طلاسـم العالم ، ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره، واجتهدوا أن يطول ليله ويبطئ سحره، اشغلوهم يا اخوانى ! عن الجد والعمل، حتى يخسر الرهان فى العالم. خير لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره، ويهجر هذا العالم ويعتزله ، ويتنازل عنه لغيره زهداً فيه واستخفافاً لخطره يا ويلتنا! يا شقوتنا! لو انتبهت هذه الأمة، التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتعسه» .^(١)

والملفت للنظر أن إنتاج الهند الحالية فى اللغة العربية يفوق ما ينتجه علماء باكستان وأدباؤها مع كثرة حديثهم عن الدين والإسلام، فالهند تعتنى كثيراً بنشر الكتاب العربى، وتصدر كثيراً من النشرات الثقافية والأدبية سواء بانتظام أم فى مناسبات أدبية خاصة وهى مجلات ونشرات تحتوى على جوانب أدبية قيمة ، فلقد

١- روائع اقبال، أبو الحسن الندوى، ص ١٠٣ - ١٠٧، طبع مجلس نشرات اسلام، كراتشى، باكستان، بدون تاريخ.

أصدر المجمع العلمى الهندى مثلاً عدداً خاصاً من مجلته فى يونيو ١٩٨٥م عن الأديب المرحوم عبد العزيز الميمنى بمناسبة مرور مائة عام على ميلاده، وقد وقع هذا العدد فى أكثر من خمسمائة وخمسين صفحة من الحجم الكبير، وساهم فيه نخبة من أدباء وباحثى الدول العربية كالـدكتور إبراهيم السامرائى وحمد الجاسر وشاكر الفحام وناصر الدين الأسد وسعيد الأفغانى وغيرهم فتناولوا فى مقالاتهم حياة الميمنى وأعماله الأدبية، ولم تهتم باكستان بالميمنى وهو ابنها.

وقد ذكرت قبل قليل أن مجلة ثقافة الهند تعنى كثيراً بالأدب العربى فى الهند وخارجها، وتنشر فى كل عدد من أعدادها قصصاً قصيرة مترجمة، وقد اخترت من هذه القصص قصة «الكفن» لمنشى بریم شاند وقد ترجمها إلى العربية غوردیال سنغ وبدو من اسمه أنه غير مسلم مما يريك اهتمام القوم باللغة العربية وآدابها بعيداً عن دائرة الدين؛ يقول بریم شاند :

«فى إحدى ليال من فصل الشتاء كان الرجل العجوز وابنه جالسين صامتين بجوار كوخهما المصنوع من الخيش وفروع الأشجار المقطوعة أمام النار الضئيلة على وشك الخمود إذ كانت زوجة ابنه الشابة إسمها «بوذياً» راقدة فى داخل الكوخ متقلبة بالآلام الوضع وهى تصرخ صراخات عالية بما ينقطع لها القلب وكان يبدو كما لو كان نظام تنفسها يكاد يتوقف أما الظلام فكان يخيم على القرية كلها بحيث صارت الطبيعة صامتة ساكنة بدون أى حركة.

فجأة قطع غيسو هذا الصمت قائلاً : «على ما يبدو لا يبقى رفق من الحياة يدب فى جسد هذه البنت التاعسة .. لكن يجب عليك أن تذهب إلى داخل الكوخ لتستعرف على أمرها كيف كان حالها على الأقل».

أجابه ابنه مهاديف مغضباً قائلاً : «إن كان لابد لها من الموت فالموت خير لها ...! دعها تموت .. اذن ماذا يجدى أن أذهب أنا إلى الداخل؟».

عند سماع هذه الكلمات منه قال أبوه: «كم أشد قساوة قلبك. كم أنت خائن فى الأمانة وذلك بعد أن قد أمضيت سنة كاملة بمرافقتها بكل فرح وسرور والآن تخذلها عاجزة لا حيلة لها؟».

فأجاب ابنه قائلاً : « لكننى لا أستطيع أن أراها وهى تعاني آلام وأوجاع ».

كان غيسو وابنه مهاديف ينتسبان إلى طبقة المنبوذين ويمتهنان مهنة السكافة وكان كلاهما شهيرين بالتنصل من العمل فى القرية كلها كان غيسو على عادته إذا عمل ليوم واحد ينام بعد ذلك ثلاثة أيام وكذلك كان مهاديف إذا عمل نصف ساعة يدخن ساعة كاملة ولسبب ذلك ما كان أحد مستعداً لتوظيفهما على أى شغل ، وما دامت ملوء القبضة من الغلة باقية لديهما فإنهما يرفضان الاجتهاد فى اكتساب المعيشة لكن بعد أن أصابهما الجوع لأربعة أو خمسة أيام اضطر غيسو إلى أن يصعد إلى شجرة ويسقط منها بعض الحطب فيأخذ مهاديف هذا الحطب إلى السوق ويبيعه وعلى حين أن ما كان هناك أى نقص فى الشغل أو عجز فى الحصول على عمل ما فى القرية كان فى استطاع كل واحد أن يحصل ليس على شغل واحد بل على خمسين شغلاً من أنواع متفرقة ليشغل بها وكان الفلاحون يستخدمون غيسو ومهاديف لكن كان يحدث هذا عندما أصبحوا هم مضطرين فى أقصى الظروف لسبب تكاثر أشغالهم.

لو كان قدر لهما أن يكونا ناسكين لما كان متعذراً عليهما إطلاقاً ممارسة الضبط على النفس اذ كانا تعودا على الإقناع الذاتى .. أما ثروتهما الدنيوية فكانت تتكون من الأواني الفخارية وبعض الأسمال إذ كانا فارغين من الهموم ولو كانت القروض الباهظة قد أثقلت كواهلهما مع ذلك كانا هما عديمى الحس بإهانة ويتجرح عواطفهما مهما عظمت الشدائد ومهما تفاقمت المصائب.

يا للعجب كانا هادئى القلب بالرغم من معرفتهما جيداً بأنه لن تستهلك القروض أبداً إلا أنه كان الناس جرت عادتهم بتقديم الفلوس مقدماً لهما . وكالمعتاد كانا يتغذيان على بطاطس وكرسنة يسرقان كميات جزئية منهما من حقول الفلاحين أو يمضان قصب السكر وكان الأب قد قضى زهاء ستين سنة عاملاً بذلك الطريق على حين لم يكن الابن متخلفاً عن أبيه مقتفياً آثار أبيه بالذات بل فاق عليه فى قضاء ساعات البطالة فى حياته.

فى هذه الساعة كانا جالسين أمام النار المضطربة وهما يشويان بطاطس تحت كومة الرماد الساخن فيلتقط كل منهما بطاطة مدمسة واحدة فواحدة يبتلعها مسرعاً وفيما

يتعلق الأمر بزوجة غيسو كانت هى قد ماتت منذ وقت طويل وكان مهاديف قد تم زواجه منها فى السنة الماضية إلا أنها منذ قدومها فى هذا الكوخ كانت هى قد أدخلت صناعة يدوية أو نظاماً ما فى البيت وتشغل بنفسها أشغالا صغيرة وما زال هذا النظام مستمراً إلى أن لفظت هى نفسها الأخير وعملا بذلك كانت تكتسب هى القوت يومياً لأجلهما لكن كانت النتيجة لهذا كله أن تزايدت البطالة أكثر مما كانت عليه سابقاً.

فى واقع الأمر كانا فخورين ببطالتهما وفى حين من الأحيان لو صادف لأحد أن يتقدم إليهما ويطلب منهما لتولى بعض الأشغال كانا يطلبان أجره أضعافاً مضاعفة والآن كانت تتألم هذه المرأة التى مازالت تعمل أشغالا طيلة حياتها لأجلهما مجتهدة كادحة وهى تتلوى بأوجاع الوضع لكن على عكس ذلك كانا منتظرين موتها كى يتمتعا بالنوم المستغرق.

غيسو الذى كان يقشر بطاطة بعد بطاطة بعد انتزاعها من كومة الرماد الحار سأل مرة ثانية من ابنه مهاديف عن زوجته طالباً منه الدخول إلى الكوخ ليعرف أمرها نحو ماذا كانت هى تشعر فعند ذلك استطرد قائلاً : « فيما أظن أنها قد أصبحت محضورة بروح شريرة وكى نهتم باطراد هذه الروح الخبيثة عن جسدها لابد لنا من استدعاء العراف حتى يتعاطى سحره الأسود عليها .. إلا أنه سيأخذ هو أيضاً أجره لا تقل عن روية واحدة ليرقيها من هذه الروح الخبيثة ومن ناحية أخرى خاف الابن من أنه إذا ذهب هو بنفسه إلى داخل الكوخ سيأكل أبوه نصيباً وافراً من بطاطس فى تغيبه فأجابه قائلاً : « أنا أشعر بالخوف فى داخل الكوخ! ».

عند ذلك قال غيسو : الخوف ؟ .. الخوف لماذا ؟!

أنا موجود ههنا فأدافع دفاعاً كاملاً من كل خطر .. عليك لا بأس .. اذهب انت للحال!! ».

لماذا لا تذهب أنت بنفسك إذن؟ قد أجابه مهاديف بهذه الكلمات عند استماع لهذا الجواب منه قال غيسو : « عندما كانت أمك على وشك الموت كنت جلست بجانبها ثلاثة أيام على التوالي بكناسه على عكس ذلك لا تكثرث لحالها وأنا لم ألق نظراتى على

وجه زوجتك حتى الآن وإن ذهبت إليها فتشعرت بالاضطراب والقلق عند قدومي إليها لا سيما فى هذه الحالة.

فقال مهاديف : « أنا منشغل البال بنفسى متفكراً فى الأمر ماذا عسى أن نعمل إذا هى أنجبت لى ولداً خاصة فى هذه الساعة التى ليست فيها عندنا حتى قطعة زنجبيل أو كمية زهيدة من زيت أو عسل أسود ».

قال غيسو مجيباً له : « سيوفرنا الله كل شئ ... عليك أن تثق به وأنا متأكد كل تأكد من أن الرجال الذين يحتقروننا اليوم ويخلون عنا بالنقود ستراهم يستجدون ويستعيرون الفلوس منا فى المستقبل القريب .. هل تعرف أنت تولد لى تسعة أطفال وكان كل شئ معطى لهم من عند الله - فلذلك أنا أقول بك مثلما كان حدث فى حالة كل طفل سيوفقنا الله توفيقاً ويستقيم الأمر من فضله حتماً ».

وإذا كان غيسو قد وقف هذا الموقف من الظروف فلم يكن هذا الأمر مستغرباً منه قط بحيث أن ما كان هو أقل تعاسة من هؤلاء الرجال الذين كانوا يعيشون ويعملون ويكدون معه.

وإذا كان يمكن مشاهدة الشئ غير الاعتيادى فى ذاته هو أنه كان على أكثر ذكاوة من معظم الفلاحين فى القرية باعتبار أن كان يشعر بقصوى الفرحة بمجالسة أو مخالطة أولئك الرجال الذين كانوا كثيراً ما يترددون على بيوت الأغنياء ومع ذلك لا هو يتبع أخلاقهم وآدابهم وسلوكهم ولا هو يعرف كيف يستغل حق المعاشرة معهم وكانت نتيجة تكاسله أن كل امرئ يسكن فى القرية كان يشير إليه بإصبعه مخبر بذاته غير الاعتيادية مع أنه الصورة الواحدة مما كان هو متميزاً بها أن عندما استنفدت النقود لديه كان فى وسعه مواجهة شدائد العسر عن طريق تكاسله لا يزحزح إذ لم يكن فى استطاع أى واحد أن يستغل سذاجته أو وسائله الضئيلة القليلة بأى وجه من الوجوه إطلاقاً.

كان يشتغل غيسو ومهاديف بأكل البطاطس الحارة حديثة العهد باستخراجها من تحت كومة الرماد الساخن على عجل إذ يسبق كل واحد منهما الآخر على قدر الإمكان أن يأكلها بكل شراهة وبأسرع ما يكون بدون أن يبالي كل واحد منهما بأن عملاً بذلك

سيحترق اللسان والحنجرة وعند ذلك أصبحت عيناهما متبلمتين بالدموع لكن لا أحد يكثرث لهذا الأمر بل ويفضل إدخال البطاطس فى جوف بطنه بسرعة تامة متسابقاً على الآخر إلى أن ينتهى البطاطس كلها.

عند ذلك أعاد غيسو إلى ذاكرته حفلة الزواج الرائعة فيما مضى وأطال تفكيره عليه ملياً وكان ذلك الاحتفال قد أقامه أحد الرجال الوجهاء رجب الصدر فى القرية قبل عشرين سنة فى بيته وكيف كان شارك فيه إذ كانت الضيافة رائعة وكان هو يتلذذ بذكرياته الحلوة كيف كان أكل آنذاك رصيذاً ضئيلاً من النقود .

كانا تهافتان على المأكولات مثل الأسد الجائع الذى يشب على فريسته بغض النظر عما سيتحدث الناس حول عدم شعورهما بهذا الموت وفقدان عاطفة الرحمة منهما .. لكن لا بأس بذلك إطلاقاً فقد سبق أن تغلبا مثل هذه العواطف ليس مرة واحدة بل ومراراً كثيرة.

بعد قليل تأمل غيسو كفيلسوف وركز أفكاره تركيزاً على نقطة واحدة فقال : « قد اقتنعنا نحن قناعة تامة وهكذا لابد أن روحها تكون قد رضيت فلتكن هى مبروكة فى كل ذلك ».

عند ذلك دعم مهاديف قوله مطرقاً برأسه كعلامة توافقه اعتقاده بهذه الفلسفة المقدمة وبدأ فى ترديد الكلمات الآتية داعياً للروح المفارقة : « يا ربى ! بدون شك أنت عليم بكل خفايا الصدور كما أنت عالم بما هو مكنون فى أعماق قلوب كل بشر وليس خاف عليك أعمال هذه الروح الصالحة فلذلك أنا أسأل من ذاتك العليا أن تكون أنت راضياً عنها ورحيماً عليها .. فتبوءها فى الجنة فى قريب .. إنما نحن على يقين تام أن تكون دعواتنا المخلصة لروحها قد توصلت إلى جنابك إلا أنه مما لا شك فيه هو أننا بفضل رحمتك لم تتمتع بمثل هذه الملذات طول حياتنا من قبل.

بعد لحظة كان مهاديف قد سنع له خاطر ولم يتمالك نفسه عن الإعراب عن عواطفه الكامنة قائلاً : « يا أبا العزيز الشفيق ! سنغادر نحن أيضاً هذه الدنيا التى هى عرضة للفناء ذات يوم سالكين نفس السبيل الذى هى سلكت مغلوبة على أمرها ».

فإنهم يجب له غيسو شيئاً وكأنه لم يحب أن يكدر هذه المسرة التي كان حظى بها قبل
الحظات بتركيز تفكيراته في المسرات الموهومة التي سوف تحصل عليها في العقبي بعد
الموت «فما هي تكون الإجابة على التساؤل الذي ستوجه إلينا في الآخرة لما قالت هي
هذه الكلمات : لماذا لم تلتف جسد في الكفن ؟»

«... لكن فيما اعتقد بأنها لن توجه إلينا مثل هذا التساؤل المزعج غير الملائم أبداً».
بدون أى توقف أو تردد ما فأجابه ساخطاً عليه : «هل تسمح لى أن أقول لك شيئاً؟
أسألك كيف عرفت أنت مسبقاً بأنها لن تحصل الكفن المناسب ؟ .. هل تظننى أحق
لهذا الحد؟

هل قضيت أنا حياتى القيمة عبثاً طوال ستين سنة !!؟

انتظر قليلاً واصبر وكن على أمل بأنها سيحصل لها كفن لائق بالتأكيد.

بعد ذلك سأل مهاديف متشاقلاً خائب الأمل " :من ذا الذى سيعطينا الكفن الآن وقد
سبق أن قد صرفت أنت كل ما كان موجود لديك. إنما هو أنا تزوجت منها فأنا مسؤول
عن كل ذلك أمامها».

مرة أخرى قد صرح مهاديف عليه باكباً مستفهماً : «من ذا الذى سيعطينا الكفن
قل لى ؟ لماذا لا تجيبنى عليه ؟»

«هؤلاء الرجال أنفسهم الذين سبق أن أعطونا قروضاً»

«لكن فى هذه المرة لن يعطونا أية نقود أبداً».

لما تفشى الظلام الحالك وأصبحت النجوم تترقرق فى السماء تزايد معه جو الأفراح
فى الحانة أيضاً وعند ذلك بدأ بعض الأشخاص الموجودين فى هذه الحانة فى الغناء بكل
حماس وسرور بينما اشتغل فى الإشادة بأنفسهم وكان منهم يتبادلون كؤوس الخمر بينهم
وبعضهم يتحاضن أصدقائهم الأحباء .

.. طبعاً كان جو الحانة مملوءاً بالهيجان والضوضاء مسيطراً على الحانة بأكملها ومما
كان يلاحظ أن صار جو الحانة فى أرجائها أكثر تأثيراً من تأثير الخمر نفسها .. هذه

هى الخمر التى جاءت بهم إلى هذا المكان .. فكان كل واحد منهم قد أتى إلى هذه الحانة بقصد تبديد الهموم ورفع ثقل الأتراح وعبء الأحزان فى حياته .. فسرعان ما أصبحوا سكارى لدرجة أن فقدوا وعيهم ولا يدرون فيما إذا كانوا أحياء أو أمواتاً .

كان الأب والابن سعداء فعلاً وكانا يستوقفان انتباه كل امرء إليهما حين يشربان الخمر. فكانت زجاجة الخمر مملوءة موضوعة بين أيديهما ومالبث أن أفرغا هذه الزجاجة بكل شراهة .. وبعد قليل لما شرب مهاديف ملء بطنه من الخمر أعطى ملء الورق من الطعام المتبقى إلى متسول قام عند الباب وكان ذلك المتسول ينظر إليهما الجائع الطامع منذ زمن ففى طول فترة حياته كان شعر لأول مرة بلذة إعطاء الشئ لشخص آخر فعند ذلك أوصى غيسو لهذا المتسول يأكل ملء بطنه وطلب منه أن يدعو لروح المعطية الحقيقية هذا الطعام له بما أنه كان متأكداً كل التأكد فى داخل نفسه من أنه سيستريح روحها فى السماء .

قد رفع مهاديف نظره إلى السماء لمرة أخرى ليقول :

« يا أبى ... ! على ما أظن ستذهب هى إلى الجنة بالتأكد بل وهى ستصبح ملكة فيها ! ».

أجابه غيسو الذى كان يسبح فى بحر الانتعاش والنشوة قائلاً : « نعم .. يا بنى أنا متأكد كل التأكد من أنها ستصل إلى الجنة حتما لأنها طول حياتها لم تتضايق أحداً على الإطلاق .. تفكر قليلاً حتى نحن أنفسنا قد حظينا عند مناسبة موتها بملذات وأصبحت أمانينا التى لم تتحقق قد صارت محققة الآن بإشباع بطننا وإخماد جوعنا حين تناولنا طعاماً شهياً لذيذاً. وإذا كانت هى لم تصل إلى الجنة فى السماء فهل تظن أن سيصل هناك أمثال هؤلاء الرجال منقوخي البطون الذين يستغلون الفقراء المحتاجين؟ وبالرغم من ارتكاب الذنوب يذهبون إلى نهر «جنجا» المقدس بقصد العفو عن ذنوبهم ويتوضأون فى المعابد ؟

إلا أنه لم يمض وقت كثير على حالتهم السارة حتى عاودهما الإحساس بالأسف والحزن.

فقال مهاديف : « يا أبى!.. لا شك فيه أنها قد عانت شدائد وصعوبات طول فترة حياتها لا سيما عند موتها ». وما أن قال هذه الكلمات حتى انفجر باكياً وأخذت الدموع تسيل من عينيه.

حينئذ عزاه غيسو ناصحاً له يمكن له أن يفرح بأنها قد تخلصت لحسن حظها من عكاشة فجائع وآلام لهذه الدينا.

فجأة بدأ كل منهما يغنى ويرقص بكل فرح وسرور تحت سكرة الخمر التى كانت أخذت عليهما كل المأخذ وهما يتماثلان يتهاديان .. وفى نهاية الأمر تساقطا فى قارعة الطريق فاقدى الشعور»^(١).

وقد نقلنا هذه القصة كما هى دون إصلاح أو تنبيه على ما فيها من أغلاط نحوية وأسلوبية لنريك نموذجاً لرجل أتعب نفسه لينقل إلى قراء العربية قصة تصور لك ضحية المجتمع الهندوسى - أى المرأة - كما تصور لك كيف يعيش المنبوذون، وما يعانونه من مشكلات فقر ومرض، والفكرة التى فى القصة والأحداث المنسوجة حول شخصياتها يستطيع القارئ العربى فهمها على أى حال، رغم ركافة الأسلوب وفحش الأخطاء التى صدرت عن مترجم غير متمكن أتعب نفسه ليرضى الذوق العربى وينقل لقراء العربية بعضاً من قصص مجتمعه. ولو نقحت هذه القصص ووضعت فى أسلوب جميل لربما كان لها شأن آخر فى الأدب العربى فى شبه القارة .

١- مجلة ثقافة الهند، المجلد ٣٨، العدد الثانى (١٩٨٤)، ص ١٨٩ - ٢٠٤.

الباب الثانى

الشعر

خصائص الشعر العربى فى شبه القارة

الشعر محك القرائح بلا ريب، ومختبر الخيال، ولا يكفى له علم اللغة وإتقان العروض وإنما يلزمه ذهن مبدع، وعين ترى فى الأشياء ما لا يراه الآخرون من خلال رؤيتها الخاصة، ويلزمه كذلك تجربة ومعاناة، كما يلزمه إتقان صناعة الشعر فى ذاتها، ومن ثم قد يشتهر فى كل مائة شاعر شاعر، وشهرته تكبر وتصغر بمقدار توفر هذه العناصر كلها أو بعضها، أو ثلثها أو ثلثيها، ومن الناس من يقلد الشعراء تقليداً فيكون كقرود يقلد إنساناً فيضحك الآخرون من أفعاله، لذلك قال الأدباء قديماً وحديثاً إن الشعر صعب المرتقى وعمر المسلك.

وشعرنا العربى فى شبه القارة يحتاج إلى دراسات متأنية يلزمها جهد ووقت ومال للتنقيب عما فى أرحام المكتبات من مطبوعات ومخطوطات. ومع ذلك فقد نسجل لك فى هذا الفصل ما يستطيع الباحث أن يراه على عجل من خصائص عامة تعين على تخيل صورته الأصلية فى ضوء ما سقناه من قبل من خصائص عامة للأدب العربى فى شبه القارة.

فالخاصة الأولى لهذا الشعر أنه لم يستفد من التجارب الشعرية فى اللغتين الفارسية والهندية وهما لغتان شاعرتان فيهما من الثراء ما لا يوصف فالأعاجم الذين صنعوا كثيراً من الشعر العربى كبشار وأبى نواس وأبى العتاهية وابن الرومى وكثير غيرهم لم ينتج إخوانهم فى شبه القارة إنتاج صناعة متقنة تقارب على الأقل ما أنتجه الأوائل، يقول الدكتور شوقى ضيف وهو يرسم صورة مشابهة لما نريد أن نقول :

«وقد كان أكثر شعراء المدن وأشهرهم من الأجانب، فبشار وأبو نواس وسلم الخاسر وأبان بن عبد الحميد وصالح بن عبد القدوس ومسلم بن الوليد كل هؤلاء الشعراء العظام من الفرس، بل نحن نجد شعراء من الهند مثل أبى عطاء السندى ومن النبط مثل أبى العتاهية ومن اليونان مثل ابن الرومى. وقد كانت وراثه هؤلاء الشعراء تعد لتغيير واسع فى لغة الشعر وصناعته إذ كانوا أجانب، وكانوا يرثون سلاتق لغوية تخالف سلاتق اللغة العربية. ولنظن الآن أمة أوروبية تكلمت العربية واتخذتها للتعبير عن عواطفها فإلى أى حد تؤثر فى صياغتها ؟ ولنظن العكس، لنظن أمة عربية تكلمت الفرنسية مثلاً فإلى أى حد تؤثر فى لغتها وعباراتها ؟ لقد كان المظنون أن يحدث تغير واسع فى اللغة العربية أثناء العصر العباسى حين اتخذها الأجانب من الأعاجم وغيرهم للتعبير عن فكرهم وشعورهم، غير أن ذلك إنما انحسر عن تغييرات طفيفة. وإن كان العباسيون أنفسهم يشيرون إلى ما يسمى بأسلوب المولدين، ولكن هذا الأسلوب لم يتحول تحولاً تاماً إلى صورة مخالفة للقديم» (١).

والنتيجة أن الشعر العربى فى شبه القارة - الذى لم يستفد من تجارب اللغات التى بنت خلفيته وشكلت صلبه - لم يؤثر بشئ فى الأدب العربى ، لا من ناحية الصنعة ، ولا فى الخيال بل ولا فى القوالب والأشكال ، وإن وجدنا بعض الألفاظ كأسماء التوابل والروائح والسيوف فى الشعر العربى فهذا ليس من تأثير أدب شبه القارة فى شئ ، واقتصر تأثير ثقافة شبه القارة على إنتاجها فى علوم الطب والرياضة والنجوم.

والخصيصة الثانية أن اللغة العربية إذا قدرنا عمرها فى شبه القارة منذ احتكاك العرب المباشر بأهل المنطقة خلال الفزو العربى أى فى أواخر القرن الأول الهجرى كما يحب أكثر الباحثين أن يقال لهم هذا ، فإن المقارنة بين شبه القارة وغيرها من المناطق التى دخلها العرب غزواً فى نفس الفترة تقريباً وزحفت إليها العربية مع الجيوش كالأندلس مثلاً تكشف لنا عن حقيقة هامة هى أن الأندلس أنجبت ابن خفاجة وابن زيدون وابن عبد

١- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، ص ٩٧ - ٨٩.

ربه وابن هانيء وابن حمديس وغيرهم ممن اشتهروا فى الأدب العربى وأوجدوا لأنفسهم مكاناً فيه بينما الحال ليس كذلك فى شبه القارة، فلم يجد أحد من أبنائها له مكاناً فى الأدب العربى على نحو مؤثر يترك بصماته على صفحة فن من الفنون الشعرية، وفى اعتقادنا أن هذه الظاهرة مردها إلى أن الأندلس لم تكن بها لغات زاحمت العربية فى الأدب كما نافست الفارسية اللغة العربية فى شبه القارة، إذ كانت الفارسية - وهى لغة شاعرة سهلة واسعة - لغة الحكم والسياسة والسجلات والدواوين والأدب والثقافة، وجدت لنفسها مكاناً لأن أغلب الغزاة والسلاطين كانوا من أهلها وطبيعى أن لغة لها ما للفارسية من صفات تستطيع مقاومة العربية التى كانت لغة الصفوة بل صفوة الصفوة. يضاف إلى ذلك وجود اللغة الهندية أيضاً وهى لغة ليست بالضعيفة أدباً ولا بناءً فإن تحولنا إلى المستوى الشعبى حيث استولى رجال التصوف على الإسلام الشعبى لا السلطانى وجدنا لغتهم فى أشعارهم العرفانية أو فى اصطلاحاتهم الصوفية هى الفارسية لأن شيوخ التصوف قدموا إلى الهند من فارس ولذلك تربعت الفارسية على عرش الأدب فى شبه القارة فلم تستطع العربية إنزالها واحتلال مكانها.

والخصوصية الثالثة لهذا الشعر أن شعراء العربية فى شبه القارة قلدوا ولم يبتدعوا، وحين فتح الشعر العربى عندهم عيونهم ليتعرف على ما حوله كان الموجود أمامه من الشعر العربى جامداً فى موضوعاته، ساذجاً فى فكره «فتحن لا نصل إلى القرن الرابع حتى نحس بأن الشعر العربى جامد لا يتحول عن الموضوعات والمعانى القديمة، وأكبر الظن أن من أسباب هذا الجمود ما أشرنا إليه من أن العرب لم ينحوا فى شعرهم نحواً فلسفياً أو علمياً، ولعل من أهم الأسباب أيضاً أنهم لم يطلعوا على شئ من الأدب اليونانى فاستمروا يعيشون فى شعرهم معيشة داخلية فيها نوع من القصور الذاتى، وقد خيل اليهم أنهم ليسوا فى حاجة إلى مدد من الخارج فشعرهم فيه جمال لم ير مثله، على أن هذا الجمال سرعان ما أصابه الجمود فى القرن الرابع وما جاء بعده من قرون إذ ضل الشعراء طريقهم إلى تنويع أفكارهم إلا أن يلجأوا إلى ألوان غريبة كالمبالغة أو يستعبروا من ألفاظ الثقافات، أما أن ينوعوا فى موضوعاتهم ومعانيهم فذلك شئ قلما دار فى

أذهانهم، ولعل من أسباب ذلك أيضاً ما شاع فى بينات النقاد من أن الأسلوب هو كل شئ فى الأدب^(١).

هذا بالضبط ما حدث للشعر العربى فى شبه القارة أيضاً، فالشعراء إن حاولوا التقليد قلدوا ما عند العرب آنذاك بما فيه من جمود، ومنهم من انطوى على نفسه وظن أن ما عنده خير مما عند العرب والفرس - ولعل آزاد، وقد مر بك شئ من آرائه وأقواله- يمثل هذا النوع، وأغلبهم فهم - وربما اعتقد - أن المهم فى صنعة الشعر هو الأسلوب والألفاظ لا المعانى متأثراً فى ذلك بآراء ابن خلدون والآمدى والمجاhez. وقد مر بك نماذج من شعر عباس التستري وفضل حق الخيرآبادى كمثال لذلك وسيأتى فى الفصول القادمة شئ آخر.

والخاصية الرابعة أن شعراء العربية فى شبه القارة لم يخرجوا عن تقليدية الموضوعات فالرثاء ومدح الرسول والسلاطين والأمراء هى الموضوعات الأساسية التى شكلت العمود الفقري للشعر العربى فى شبه القارة، وإن وجدت موضوعات أخرى فهى ثانوية لا أساسية، ولم نجد من عبر عن نفسه بالعربية مثل فيض الحسن السهارنبورى كما سبق لك ذكره فى حديثنا عن محاولات التجديد، وتلميذه الفراهى وقد مر ذكره فى الأدب السياسى، وما ذلك فى اعتقادنا إلا لاعتقادهم القداسة فى اللغة العربية فجاء أدبهم مقيداً.

والخامسة أن هذا الشعر قلت فيه المنظومات الروائية والتاريخية التى كان من المفترض أن تستعار من الأديين الفارسى والهندي ثم تهضم وتصاغ فى شكل عربى جميل، إذ انتشر هذا الفن فى فارس والهند وأفغانستان، لكن أصحابنا قصروا المنظومات على موضوعات اللغة والبلاغة وعلومها كما سنرى بالتفصيل، ومن نوع فى موضوعات منظومته مثل عباس التستري ضاعت موضوعاته فى ازدحام الصنعة لأنه وإن تحدث فى منظومته «أجناس الجناس» عن مواضيع عامة كالزهد والاخلاص والصوم والصلاة وغيرها إلا أن هذه الموضوعات لم تكن هدف الشاعر من نظمه بل كانت صنعة

١- الفن ومذاهبه، ص ٢١٢.

الجناس وإثبات قدرته على أن يأتى فى كل بيت بنوع من أنواع هذا الفن هو ما يشغل باله ويدفعه إلى النظم، ولقد كان من الممكن لشعراء توفرت لهم القدرة على النظم الطويل مع جودة التعبير مثل طلا محمد الذى نظم قصائد عمودية فى مائتين وسبعين بيتاً مثلاً أن يستفيدوا من هذه الملكة الشاعرة ومن فن المثنوى أو المزدوج - كما يسميه العرب - فى نظم منظومات كبيرة حتى ولو فى موضوعات اهتمامهم كالتصوف والعشق الالهى، لكن ذلك لم يحدث فبقيت المنظومات مقصورة على موضوعات النحو والبلاغة لأن المنظومات العربية لم تخرج فى أغلبها عند العرب عن هذه الموضوعات.

والسادسة أن شعراء العربية فى شبه القارة كثيراً ما وضعوا أمامهم نماذج بعينها من الشعر العربى اشتهرت بينهم إما لكونها جزءاً من مناهج الدروس العربية فى المدارس فى الغالب أو لأسباب أخرى ونسجوا على منوالها ، فباقر بن مرتضى المدراسى له عشر قصائد على نهج المعلقات، وآزاد وعباس التستري وغيرهما نظموا على نهج بردة البوصيرى، وعبد المقتدر الشريحي (ت ٧٩١هـ) وهو شاعر مجيد عارض لامية الطغراني كما عارضها آزاد وغيره، ولقد امتد التقليد إلى الخصائص أيضاً خاصة خصائص الشعر الجاهلى من حيث المطالع والبدء بذكر الأطلال والبكاء عليها ومخاطبة أحبة غائبين أو بسؤال المحبوب، فعبد المقتدر الشريحي مثلاً يبدأ لاميته الشهيرة قائلاً :

يا سائق الظعن فى الأسفار والأصل سلم على دار سلمى وابك ثم سل

وطلا محمد كثيراً ما يحاكي مطالع قصائد الجاهليين، يقول فى إحدى قصائده مثلاً:

قفا برياض الشعب خير المنازل دمع غزير فى الصبايات سائل

وغلام نقشبند المتوفى ١١٢٦هـ يبدأ قصيدة مدح بقوله :

خليلسى هل هاتان دارة جلجل ودارة سلمى فى قفاف عققل

عليها سوارى المزن سحت مطيرة فمحت مبانيها محوح المهلهل

وأحمد بن عبد القادر الكوكنى (ت ١٣٢٠هـ) يقلد بردة البوصيرى فى قصيدة مدح

لصديق له فيقول :

يا شوق بلغ إلى جيران ذى سلم سلام صب سليم الهم والألم
وعبد المنعم الشاتكامى (ت ١٣٣٣هـ) يبدأ مدح صديق له بقوله محاكياً معلقة
امرئ القيس :

جرى دمعى المهراق شجوا بمنزل رأينا به داراً تساءت كعوكل
واسماعيل بن الوجيه المراد ابادى يقول فى قصيدة محاكيا نفس المطلع:
خليلى عوجا عن شمال العنقل وحط رحال العيسى عضد عوكل

وذكر سلمى وسليمى يكاد يكون قد تردد على لسان كل شاعر منهم، وكذلك الظعن
وسائقها وأنواع الرياح وما إلى ذلك مما كان فى بيئة الشاعر الجاهلى. وقد كثرت فى هذا
الشعر المعارضات وهى ما ذكرنا لها أمثلة فى فصل أفردناه لها، وفحوى القول أنهم إما
قلدوا الشعر العربى الجاهلى تقليداً غير متقن وأما حاكوا ما اشتهر فى دور الانحطاط،
وهذا لا يمنع بالطبع وجود نماذج جيدة تتناثر هنا وهناك تلمع وسط أكوام من القصائد.

والسابعة أن شعراء العربية فى شبه القارة لم يعبروا عن مشاعرهم فى الغالب باللغة
العربية إلا فى نماذج قليلة حين صدقت أعطتنا إنتاجاً جيداً كما سنرى فى الفصول
القادمة، ذلك أن أكثر الشعراء قرضوا الشعر العربى لإثبات عالميتهم، وليقال فلان عالم
بالعربية إلى حد قول الشعر فهو إذن عالم بالإسلام، وهذا فى اعتقادنا من تأثير ارتباط
الأدب العربى فى منطقتنا بالمدارس الدينية، فلم تكن العربية وسيلة تعبير بقدر ما كانت
ميدان تعامل وتفاخر، وطبيعى أن من كانت دوافعه لقرض الشعر هكذا لجأ إلى التقليد
وبعد عن الإبداع والخلق، وهذا هو الغالب على الشعر العربى فى شبه القارة.

والثامنة أن الشعر العربى فى شبه القارة - مثله فى ذلك مثل النثر - ليس له
سمات شاخصة مرتبطة بالدور والزمان بل تسير حياته كيفما اتفق بل قد يتعاصر
شاعران أو أكثر فنجد كلا منهم اختار لنفسه ما يهوى من الأسلوب إما التقليد أو
الإغراق فى الصنعة، لكن اللون الرائج فى شعرهم تزويقه بالمحسنات كما عند آزاد

وعباس التستري والخيرآبادي - وقد مر بك شيء من شعرهم - وهذا في اعتقادنا من تأثير الشعر الفارسي الذي قرضه في شبه القارة كل شاعر قديماً وحديثاً، فأشعار آزاد العربية وقد بلغت أحد عشر ألفاً أشعار تم تهنيدها بعد تفريسيها، ومن تدبر حقائق السحر في دقائق الشعر لرشيد الدين الوطواط في بلاغة الفارسية وشعرها، ثم قارنه بسبحة المرجان لآزاد وجد بين الاثنين تشابهاً كبيراً. كل ما هنالك أن الوطواط لم يقحم فنون فارسيتها في الشعر العربي كما فعل آزاد.

ونحن سنرى معاً مزيداً من الخصائص الدقيقة لهذا الشعر أثناء الحديث عن فنونه ليتضح لك منها كذلك أغراضه في شكل تطبيقات و نماذج. مع أننا نعتقد أن غياب كثير من دواوين الشعراء عن أعيننا قد لا يجعل نتائج هذا البحث قاطعة مائة بالمائة، فلربما اختلفت عنا حقائق بين صفحات هذه الدواوين تؤيد أو تعارض ما استنبطناه من النماذج التي وقعت في أيدينا، وهذا حال طلائع الكتب والأبحاث في كل مكان وفي كل مجال.

الفصل الأول

شعراء من أصحاب الدواوين

أصحاب الدواوين فى الشعر العربى فى شبه القارة كثيرون خاصة وأن قرض الشعر لم يقتصر على أصحاب الذوق الأدبى دون غيرهم بل شاركهم فيه رجال العلوم الإسلامية من مفسرين وفقهاء ومتكلمين فيكاد لا يوجد عالم إلا وقرض بالعربية شعراً قل أم كثر.

ومن الشعراء من ضاعت دواوينهم، ومنهم من وصل إلينا من دواوينهم شئ تنائر فى كتب الرجال والتذاكر، ومنهم من جمع له الباحثون ما تفرق فى الكتب من شعره فى مجموعة واحدة، وهؤلاء اعتبرنا مجموعاتهم دواوين ومن ثم أدخلناهم فى هذا الباب كأبى العلاء اللاهورى وأبى عطاء السندى.

ولقد حوت الكتب لنا كثيراً من أسماء الدواوين الشعرية التى قد توجد الآن مخطوطة أو مطبوعة فى غياهب المكتبات العتيقة المتفرقة فى عشرات المدن بشبه القارة واستخراج هذا كله يحتاج إلى وقت وجهد وعمر. ونحن لن نعهد إلى دراسة ما وجدناه من الدواوين دراسة مفصلة تفحص الفن وخصائصه، فهذا المقام مقام الاختصار، وإنما سنعرض نماذج بلا شك وقد نعلق على بعضها كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، تاركين الدراسات التفصيلية إلى بحوث منفردة يقوم بها من يشاء.

ولعل باكورة هذه المجموعات أو الدواوين الشعرية ما نظمه أبو عطاء السندى وتفرق فى الكتب الأدبية والتاريخية وقام بجمعه الدكتور نبى بخش بلوش. فأبو عطاء كان والده سندياً كما سترى فى ترجمة حياته فى آخر باب من هذا الكتاب، لكنه ولد ونشأ

فى الكوفة بين العرب، وعاش فيهم صباح مساء ومع هذا لم يستطع التخلص من لشغته وعجمته فما كان يستطيع نطق أحرف كالجيم والعين والقاف وأمثالها فكان غير جيل الهنود المهاجرين الذين ولدوا ونشأوا كما نشأ. ومن هنا رأينا اعتباره من أبناء شبه القارة. بل أن أكثر ما يلفت نظر الباحث فى أمره أنه مع جودة شعره لا يقوى على الخطاب بنثر واضح سليم. قال مرة لغلّامه : (والا منذ لدن داوتا فقلت لبيك ما أنك تصناً) يعنى وانك منذ دعوتك وقلت لبيك ما كنت تصنع ؟ وكان اذا تكلم لا يفهم كلامه (١).

ولهذه العلة أتى سليمان بن سليم فأنشده قائلا :

أعوزتنى الرواة يا ابن سليم	وأبى أن يقيم شعري لسانى
وغلى بالذى أجمجم صدرى	وجفانى لعجمتى سلطانى
وازدرتنى العيون اذ كان لونى	حالكاً مجتوى من الألوان
فضريت الأمور ظهراً لبطن	كيف أحتال حيلة لبيانى
وقنيت أننى كنت بالشعر	ر فصيحاً وبان بعض بنانى
ثم أصبحت قد أنخت ركابى	عند رجب الفناء والأعطان
قالى من سواك يا ابن سليم	أشتكى كرىتى وما قد عنانى
فماكفنى ما يضيق عنه ذراعى	بفصيح من صالحى الغلمان
يفهم الناس ما أقول من الشعر	ر فإن البيان قد أعيانى
فاعتمدنى بالشكر يا ابن سليم	فى بلادى وسائر البلدان
ستوافيهم قصائد غر	فيك سبابة لكل لسان
فقدما جعلت شكرى جزاء	كل ذى نعمة بما أولانى
لم تزل تشتري المحامد قدماً	بالزبيح الغالى من الأثمان (٢)

١- نزهة الخواطر ، ١٩/١.

٢- نتف من شعر أبى عطاء السندى ، د . نبى بخش بلوش ، ص ٢٤-٢٥ ، باكستان ، ١٩٦١ م.

فأمر له بوصيف فصيح فكان إذا أراد أن ينشد شعره وقف بحذائه فأبلغ الناس :
ولذلك قال لابن سليم :

فأقبلوا نحوى معا بالفنا	وكلهم يسال ما شانى
فقلت شانى كله أنسى	فى تعب من نعط جردان
يا ابن سليم أنت لى عصمة	من حدث أفزع جيران
فقد رمانى الدهر عن فقره	بسهم فقر غير لغبان
صاد فؤادى بعد ما قد سلا	فصرت كالمختبل العانى
فأنعش فدتك النفس منى ومن	أطاعنى من جل إخوانى
وهب فدتك النفس لى طفلة	يجمع حرها رأس شيطانى
فإن ... قد عتا واعتدى	وصار ينفى بغية الزانى
فالله ثم الله فى قمعه	من قبل أن امنى بسيلطان
يتركنى أضحوكة بعد ما	أضرب فى سر وإعلان

فأمر له بجارية قندهارية فأنشد :

أحصننى الله بكفى فتى	مهذب من سر قحطان
من حمير أهل السدى والندى	وعصمة الخائف والجانى
يا خير خلق الله أنت السدى	أياست من فسقى شيطانى ^(١)

وكان أبو عطاء واسمه أفلح بن يسار مولى، فلما تحسنت حاله مادياً بقرض الشعر ومديح أمراء بنى أمية ضايقه مولاه عنبر بن سماك فقال يهجوهُ :

١- نتف من شعر أبى عطاء ، ص ٢٦-٢٧ .

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فلا تثقن بكل أخسى إخاء
وإن خيرت بينهم فالصق بأهل العقل منهم والحياء
فإن العقل ليس له إذا ما تذوكرت الفضائل من كفاء
وإن النوك للأحساب غول به تاوى إلى داء عيياء
فلا تثقن من النوكى بشئ ولو كانوا بنى ماء السماء
كعنبر الوثيق ببناء بيت ولكن عقله مثل الهباء
وليس بقبابل أدياً فدع وكن منه بمنقطع الرجاء (١)
فلما لم يصلوه ولا أذن له أحد فى الدخول ولّى وهو يقول :

يا ليت جور بنى مروان عاد لنا وإن عدل بنى العباس فى النار (٢)

عاش أبو عطاء مداحاً لبنى أمية حتى قاتل فى صفوفهم فلما غلب بنو العباس مدحهم وكان واقفاً بباب السفاح وبنو هاشم يملكون داخلين خارجين فقال :

إن الخيار من البرية هاشم وبنو أمية أرذل الأشرار
وبنو أمية عودهم من خسوع ولهاشم فى المجدعود نضار
أما الدعاة إلى الجنان فهاشم وبنو أمية من دعاة النار
وبهاشم زكت البلاد وأعشبت وبنو أمية كالسراب الجارى
وقال فى رثاء نصر بن سيار :

فاضت دموعى على نصر وما ظلمت عين تفيض على نصر بن سيار
يا نصر من اللقاء الحرب إن لقحت يا نصر بعدك أو للضيف والجار

١- نتف من شعر أبى عطاء ، ص ٤-٥ .

٢- نفس المصدر ، ص ١٥-١٦ .

الخندي الذي يحمي حقيقته
والقائد الخيل قبا فسى أعنتها
من كل أبيض كالمصباح من مضر
ماض على الهول مقدام إذا اعترضت
إن قال قولا وفى بالقول موعدة
ومن رقيق شعره :

ذكرتك والخطى يخطى بين
فوالله ما أدري وإنسى لصادق
فإن كان سحراً فاعذرني على الهوى
وله أيضاً:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه
وصار على الأذنين كلا وأوشكت
فسر في بلاد الله والتمس الغنى
وما يدرك الحاجات من حيث تبتغى
ولا ترض من عيش بدون، ولا تنم
وكيف ينال الليل من كان معسرا (٢)

وقال يرثى يزيد بن عمر بن هبيرة بعد أن قتله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور:

ألا إن عسيناً لم تجدد يوم واسط
عشية قام النائحات وشققت
عليك بجارى دمعها لجمود
جيوب بأيدي مسآتم وخدود

١- نتف من شعر أبي عطاء ، ص ١٦ .

٢- نفس المصدر ، ص ١٥ .

٣- نفس المصدر ، ص ١٤ .

فإن تمس مهجور الفناء فريماً أقام به بعد الوفود وفود
فإنك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد^(١)

هكذا كان شعر أبى عطاء صقلته الصحبة، وأثرت فيه البيئة، فنطق بشعر جزل ليس فيه عجمة حتى ليصعب أحياناً على المرء أن يصدق ما أجمعت عليه الكتب التي تناولت سيرته من أنه كان لا يستطيع الإفصاح إذا تكلم، ولولا هذا الإجماع لتساءلنا أكان حقاً هكذا أم ذلك من دس الرواة وكثيراً ما دسوا.

وكما جمع الدكتور بلوش شعر أبى عطاء السندى لم الدكتور ظهور أحمد شعر أبى العلاء عطاء بن يعقوب اللاهورى الذى مر بك شئ من نشره فى الرسائل، وكان أبو العلاء هذا شاعراً مطبوعاً صاحب مسعود سعد سلمان وشاركه ألمه اذ مر بمحنة وسجن مثلما مر مسعود. لكن جودة شعره مردها إلى علل - بعد كونه مفطوراً على الشعر - أهمها أنه عاش فى العصر العباسى (ت ٤٩١هـ) واطلع على ثقافته، وكانت اللغة العربية فتية تحكم بسلطة الحكام وتسود بسؤددهم، تدخل مع سيوفهم إلى كل مكان وصلته تلك السيوف، فإن لم تدخل أقبل الناس عليها فى دارها يتعلمون منها، ويدرسون فيها فهى اللغة الدولية آنذاك، ولسان القوة العظمى، ومن علل جودة شعره أيضاً عيشه فى غزنة أيام حكم ملوكها وسلاطينها الغزنويون أرجاء واسعة فى فارس والهند فأضحت تبع أدب وثقافة وحضارة يفد إليها الأدباء فينالون المكارم والدراهم، كانت باريس آسيا آنذاك حيث التقت على أرضها الحضارة العربية بحضارة فارس والهند فتلاقحت حتى أنجبت، لكن إنجابها كان فى أغلبه فارسياً حفظته لنا دواوين شعراء العصر الغزنوى. ولقد أنجب تلاحق الحضارات فى العصر الغزنوى أيضاً بنات أدبية جميلة عند الهمدانى والبيرونى والخوارزمى ومسعود سعد سلمان وطبقة الشعراء المعروفين بشعراء اللسانين العربى والفارسى.

وقد حكم العرب آنذاك على شعر أبى العلاء اللاهورى حكماً تمثل فى ما نقله الدكتور ظهور فى كتابه عن القاضى معين الدين محمد بن محمود الغزنوى من أن

١- نفس المصدر، ص ١٢.

ديوان أبي العلاء العربى كان يشتري فى مصر «بائتين من الحمر الراقصات على الظفر» (١).

قال أبو العلاء يذكر أصدقاءه وأحبته الذين فرق الدهر بينه وبينهم :

والدمع يهيمى والفؤاد يهيم	الله جار عصاية ودعتهم
ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم	قد كان دهرى جنة فى ظلهم
فاليوم بعدهم الجفون غيوم	كانوا غيوث سماحة وتكرم
بين الفؤاد المستهام مقيم	رحلوا على رغوى ولكن حبهم
كانوا كراماً والزمان لنيم	قد خانهم صرف الزمان لأنهم
حتى يعود العقد وهو نظيم	طلقت لذاتى ثلاثاً بعدهم
والأمن دار والسور نديم	الله -حيث تحملوا- جار لهم
والجو طلق والرياح نسيم (٢)	والعيش غص والمناهل عذبة

وتشام أبو العلاء مرة من الياسمين فقال :

إليك الياسمين الغض عنى	إليك فإن فيه شر قال
فنصف منه يأس من وصال	ونصف منه مين من خيال (٣)

وكان شعراء عصره يهدون اليه قصائدهم ويتقربون إليه فخراً، قال رداً على قصيدة أرسلها له صديق وأعجبه :

نظمك المعجز المبارك قال	قد سقانا من عينه سلس
فروينا وما روينا ولك	قد شفيانا به القلوب نهالا
واجتبينا لآلى العقد منه	واجتنينا السعود والإقبالا
رق لفظا فليل خمر حرام	راق معنى فخليل سحرأ حلالا (٤)

١- أبو العلاء اللاهورى ، الدكتور ظهور أحمد ، ص ٦٥ ، دار الرفاعى ، جدة ، بدون تاريخ .

٢- أبو العلاء اللاهورى ، ص ٧١

٣- نفس المصدر ، ص ٦٦

٤- نفس المصدر ، ص ٦٦-٦٧

وكان أيضاً بطلاً مغواراً إذا استجاب لنداء الصنائع والزخارف التي اشتهر بها
الشعر الفارسي فمن شعره في هذا الضرب :

يا ظبية سلت ظبي من جفنها تفرى بها أعناق أساد الورى
ما كنت أدري قبل جفئك أن أجـ فان الظباء تكون أجفان الظبي^(١)
ومن شعره الرقيق في المديح قوله :

أينما من رآه البـ ر ظل لوجهه يسجد
وينا من غيم نائله يجسود لنا ولا يرعد
وينا من فضله يدنو ولكن وصفه يبعد
أتذكرنى إذا تخلصو : «ومالى لا أرى الهدهد»^(٢)

ومن أسف أن ضاع ديوان أبى العلاء فلا نجد، وربما وجد مخطوطاً بمصر أو مطبوعاً
لكنه بالتأكيد غير موجود في شبه القارة. ورغم هذه الرقة وجودة السبك اقتضرت
موضوعات شعر أبى العلاء على المديح والرثاء والغزل والزهد والهجاء. وقد عفا الزمن
على قصيدة له دالية يعارض فيها قصيدة الأعشى الكبير الذي قال فيها: « ألم تغتمض
عيناك ليلة أرمدا » لكننا لم نجد من دالية أبى العلاء سوى بضعة أبيات قال فيها:

أعبد للدنيا الدنيئة أعبد وفضل إلهى ماج كالبحر مزيدا
عطاء حباننا لا يحيط بعده حساب (عطاء) ألف عام مرددا^(٣)

ونحن ان كنا التزمنا بذكر أصحاب الدواوين والمجموعات هنا دون غيرهم إلا أنه لا
يليق بباحث أن يغفل من هذه المدرسة عمداً آخرين كمسعود سعد سلمان وخسرو
الدهلوى. ومن حقهما علينا أن نذكرهما في هذا السياق ونذكر شعرهما الذي في أيدينا،

١- نفس المصدر ، ص ٦٨.

٢- نفس المصدر ، ص ٦٩.

٣- نفس المصدر ، ص ٧٠.

فمسعود سعد سلمان (ت ٥١٥هـ) مر بك فى باب التجديد بعض كلامه، وكان صديقاً لأبى العلاء اللاهورى وبين الاثنين مساجلات ومطارحات، وقد كان له ديوان شعر عربى لم تحفظ لنا بطون الكتب منه إلا بضعة أبيات فى وصف طول الليل فيها تورية، يقول :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه على العين غريان من الجو وقع
فقلت لقلبي طال ليلي وليس لى من الهم منجاة وفى الصبر منفزع
أرى ذنب السرحان فى الجو ساطعاً فهل ممكن أن الغزالة تطلع؟^(١)
وله أيضاً بيت فى حسن المطلع يقول فيه :

ثق بالحسام فعهد ميمون أبداً، وقل للنصر كن فيكون^(٢)

وأما الأمير خسرو الدهلوى المتوفى ٧٢٥هـ فكان إماماً فى الشعر الفارسى ويلاغته يعرف قدره أهل اللغة، وكان ذا حس وذوق فى الشعر العربى كذلك لكنه لم يترك لنا شيئاً يذكر أو لعله ترك ولكن أيدى الزمان امتدت إليه كما امتدت إلى كثير غيره، يقول فى أبيات له :

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم وحكى الدوامع كل ما أنا أكت
وإذا أبحث لدى الورى كرب النوى تبكى الأحبة والأعدى ترحم
يا عاذل العشاق دعنى باكياً إن السكون على المحب مجرم
من بات مثلى فهو يدرى حالتي طول الليالى كيف بات متيم^(٣)

هذه النماذج التى قرأتها حتى الآن تمثل المذهب الفنى للشعر العربى فى شبه القارة حتى القرن السابع الهجرى، ولعلك لاحظت كيف بدأ هذا المذهب ينتقل رويداً رويداً جهة

١- أبر العلاء اللاهورى ، ص ٤٦

٢- أبر العلاء اللاهورى ، ص ٤٦

٣- نزهة الخواطر ، الترجمة الأردية ٦٣/٢ ، باكستان ١٩٦٥م.

الصنعة كلما اضمحلت مراكز الحضارة عند العرب وبرزت مراكزها فى أرض فارس ومنها إلى شبه القارة . وكأن الشعر العربى فى مسيرته زحف من بلاد العرب إلى فارس ثم منها إلى شبه القارة بعد تحويره واكسابه ما لم يكن فيه عبر العصور والأمزجة والأقاليم فارتفع وانخفض وسخن وبرد ، وزحف على الأرض وحلق فى السماء إلى أن وصل إلى شبه القارة وقد تغيرت بشرته، وذبل جلده، وربما تورمت قسماته من كثرة الصنعة والتزويق بعد أن عملت فيه العوامل المختلفة، والحضارات المتباينة. ولقد كان من المظنون أن شعراً قطع هذه المسافة الطويلة ومر بكل تلك التجارب المضنية أن يشتد عوده، وتقوى عضلاته وعلو الشيب عوارضه فيزيئنه، وتشذب العوامل الحضارية والثقافية والبيئية ما فيه من شذوذ ونتوء، لكن ذلك لم يحدث فإذا بهذا الشعر فى معظمه هيكلا هش شكله عربى ومشاعره هندية وأدوات تجميله فارسية.

ونتقل بعد هذا إلى دواوين أخرى، وليس فى مقدورنا حصر جميع أصحاب الدواوين فى شبه القارة كما أن هناك شعراء بارزين مثل أبى الفيض بن المبارك وعبد القادر بن أبى محمد الأجینى ومهدى بن نوروز وغيرهم لهم دواوين ولم نعثر عليها، ولم نجد أمثلة منها كافية، لأجل ذلك اقتصرنا هنا على أهم المهمين منهم قدر المستطاع ورتبناهم ترتيباً صاعداً باعتبار سنى وفاتهم بعد خسرو الدهلوى حتى يسهل الأمر على من أراد تتبع السمات الفنية وتطورها التاريخى.

أول هؤلاء الشعراء البارزين شيخ الاسلام ولى الله الدهلوى الذى اشتهر بكتبه فى العلوم الاسلامية والعقيدة، وقد توفى فى ١١٧٦هـ وترك لنا ديوانا جمعه ولداه عبد العزيز ورفيع الدين من بعده ونقلنا لنا كتب الطبقات منه قصيدة شهيرة فى مائة بيت وستة قال فيها :

كأن نجوما أومضت فى الغياهب	عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب
إذا كان قلب المرء فى الأمر خائراً	فأضيق من تسعين رجب السباب
وتشغلنى عنى وعن كل راحتى	مصائب تقفو مثلها فى المصائب
إذا ما أتتني أزمة مدلهمة	تحيط بنفسى من جميع جوانب

تطلبت هل من ناصر أو مساعد
فلست أرى إلا الحبيب محمداً
ومعتصم المكروب فى كل غمرة
ملاذ عباد الله ملجأ خوفهم
إذا ما أتوا نوحاً وموسى وآدماً
فما كان يغنى عنهم عند هذه
هناك رسول الله ينجو لربه
فيرجع مسروراً بنيل طلابه
سلالة اسماعيل والعرق نازع
بشارة عيسى والذى عنه عبروا
ومن أخبروا عنه بأن ليس خلقه
ودعوة ابراهيم عند بنائيه
جميل المحيا أبيض الوجه ربة
صبيح مريح أدعج العين أشكل
وأحسن خلق الله خلقاً وخلقة
وأجود خلق الله صدراً ونائلاً
وأعظم حُجراً للمعالى نهوضه
ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره
ألوذ به من خوف سوء العواقب
رسول إله الخلق جم المناقب
ومنتجع الغفران من كل هائب
إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب
وقد هالهم إبصار تلك الصعائب
نبى ولم يظفرهم بالمآرب
شفيعاً وفتاحاً لباب المواهب
أصاب من الرحمن أعلى المراتب
وأشرف بيت من لوى بن غالب
بشدة بأس بالضحوك المحارب
بفظ وفى الأسواق ليس بصاحب
بمكة بيتاً فيه نيل الرغائب
جليل كراديسس أزج المحارب
فصيح له الإعجام ليس بشائب
وأنفعهم للناس عند النوائب
وأبسطهم كفاً على كل طالب
إلى المجد سام للعظامم خاطب
إذا احمر بأس فى بنيس الموابب (١)

وليس بغريب على ولى الله ذى الباع فى العرفان والتّصوف أن يقطر شعره حباً
ومدحاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فى هذه القصيدة التى هى خير مثال
لشعره.

ونعود الى آزاد المتوفى عام ١٢٠٠هـ فكثرة إنتاجه - أيا كان - تجعلنا نذكره في كل مكان فله سبعة دواوين طبع منها الثلاثة الأولى وتوجد نسخة خطية منها كلها بمكتبة صديق حسن بمدينة لكنو بالهند ^(١) وله تحفة الثقلين ديوان آخر ومثنوى مظهر البركات وقصيدة مرآة الجمال التي مر بك ذكرها، وديوانان آخران الأول منه نسخة بمكتبة عارف بك بالمدينة والثاني توجد نسخة منه بمكتبة عليكره بالهند ^(٢) وقصائد بديعية سنمر عليها مرة أخرى. وبين أيدينا مختار من الدواوين السبعة الأولى نقلنا لك منه نماذج فيما مضى وستمر بك نماذج أخرى في أبواب أخرى، وننقل لك هنا نموذجاً آخر من شعره، يقول فيه :

مولاي حسزنت في هواكا	من يكشف غمستى سواكا
ألفيتك في الضياء شمساً	يذرى العبرات من يراكا
والله لقد أهنت ضيفاً	من ينزل بعده حماكا
يزداد ضنّاي كل آن	حتّام أذوب في نواكا
هل تقبل في كراى ليلاً	أو تطلبنى إلى كراكا
شكراً لك أن رفعت قدرى	مالى شركاء فى جفاكا
لو لم تك ساكننا بقلبي	أنا لجعلته فداكا
أهلاً بك سبدي وسهلاً	أهديت لمقلتى سناكا
أقبلت على مستعداً	أن تغرق فى دمى ظباكا

إن ذقت الموت لا أبال
حياك الله ذو الجلال

١- حركة التأليف، ١٣٢.

٢- نفس المصدر، ص : ١٣٥.

العاشق شاهر الحسان	لا تعرف فى الهوى مكانى
هذا لك أحسن المعان	إياك وأن تضيع قلبى
لكنك فتنة الزمان	نبهان لمقلتى مليحاً
لا تقرأ غبير لن ترائى	أنس لك بالكتاب لكن
توذى الخضراء بالدخان	أنستك فى الظلام ناراً
ما كنت رضىيت بالهوان	لو لم تك سالباً لعقلى
أنى لك فى الجفاء ثان	أنى لك فى الجمال مثل
يشريه بقيمة الجمان	فى شتمك للمحب عز
إهراق دمسى من الأمان	أحلى وألذ فى ميثاقسى

إن ذقت الموت لا أبال

حياك الله ذو الجلال

لا كان نضيب ذى هيام	ما يفعل بى يد الغرام
لا يتترك لاعج عظامى	شمع أنا فى الدجى مضئ
فى قلبى شعلة الضرام	فى عينى وإبل ملث
لا مونس لى سوى الحسمام	عرجت بقاعة حزيناً
هل يبرئنى من السقام	من غادر طرفه مريضاً
من يكره أن يرى قيامى	هل ينظر بالحمى قعودى
لا ترسل عتزة السلام	ما شأنك يا غزال سلمى
أمسك بطريقة الكرام	أدعوك إلى فاستجبني
فى آن أنام فى الرغام	بى أنت تنام مستريحاً

إن ذقت الموت لا أبال

حياك الله ذو الجلال (١)

١- مختار ديوان آزاد، ص ٩٩ - ١٠٦.

وقد مر بك رأينا ورأى غيرنا فى هذا الكلام الذى هيهات أن يطرب له عرى، ومع ذلك فقد واصل آ زاد مدح أشعاره كما تنظف الهرة نفسها بلسانها، وفيما قلناه كفاية لك تمنع عن التكرار. ولقد ذكرت بعض المراجع قطعاً من شعره الذى لم يصل إلى أيدينا مطبوعاً كقوله :

أدرك عيلاً لقاء منك يكفيه	وطرفك الناعس المراض يشفيه
كتمت دائى عن العذال مجتهداً	ما كنت أدرى نحول الجسم يفشيه
فذاونى عن سقام أنت منشأه	ونجنى من ضرام أنت موريه
لقد ثنى عطفه عن مغرم دلسف	مهفف ثقل الأرداف يثنيه
رعى الإله سقامى لو يعالج من	أحبته بدواء الخمر من فيه
وحبذا العيش لو يمشى على مقل	غصن رطيب من العينين أسقيه
شأن المحب عجيب فى صبابته	الهجر يقتله والوصل يحييه
لولاه ما شاقه عرف الصبا سحراً	ولم يكن بارق الظلماء يشجيه
يا جارة هيجت بالنصح لوعته	بحق مقلته العبراء خليه
إليك يا رشاً الوعساء معذرة	أأنت عن رشاً البطحاء تسليه
لوائى قطعت أكبادهن متى	رأينه فى كمال الحسن والتهيه
أيا صواحب أكباد مقطعة	فذلكن الذى لمتنى فيه
إذا رنا فمهاة البید تشبهه	أو ماس فالبانة الخضراء تحكيه
غزالة تصرع الآساد قاطبة	إلا الذى سيد السادات يحميه
كهف الأنام إمام الكون أكرمه	عون الذى حادث الأيام يرميه
السيد المقتدى عبد الجليل له	مجد أثيل من الآباء يحويه
جذى ملاذى وأستاذى ومستندى	رب الورى بصنوف الخير يجزيه (١)

١- نزهة الخواطر : ٦ / ٢٠٦ - ٢٠٧، سبعة المرجان : ١ / ٢١٤ - ٢١٥.

إلى آخر ما قال فأبيات هذه القصيدة كما ترى فيها لون غير ما مريك، كما فى بعضها رقة وإنما ذلك لأن آزاد هنا لا يبارى أحداً ولا يتأستد على غيره بل يرثى جده السيد عبد الجليل البلكرامى، وليت آزاد استمر على هذا النهج وطوره وجسده . انظر اليه فى موضع آخر حين يقول :

برق أضاء من الزوراء يشجيني	يسارب ما باله يبكى ويبكىنى
أنى لسان يؤدى شكر أنعمه	بالماء والنار يروينى ويورىنى
هويت حسناء أسعى فى إراحته	وتلك فى غاية الإيذاء تؤذينى
لا يذهب الغل ماء المزن من كبدي	بسل ماء ياقوتة اللمياء يروينى
تدور فى مقلتي أيام لقيته	هل ما مضى من زمان العمر يأتينى
طيف الذى قتلتنى يوم ذى سلم	إن جاءنى فى منام الموت يحيينى
لا أبتغى أن ترانى ملء مقلته	لحظ قليل من العينين يكفينى
ما لاح منى قصور فى محبتها	بأى ذنب وقاها الله تقلسينى
تكف عنى بين الناس مسقولها	لكنها يرموز العين تسلسلينى
إنى لشمع قبيل الصبح محتضر	ما سرعة الأجل الموعسود تبقينى
تبكى وتذكرنى بعد الوفاة فهل	بكاؤها بعد ما ثريت يجدينى ^(١)

هذه الأبيات فيها نكهة شعر غير شعره المتكلف المصنوع، ولو جاء آزاد بماء البحر - وهو أغزر وأكثر - بدلا من ماء المزن لإطفاء غله لكان أفضل وبقية الأخيلة فى القطعة معادة مكررة كما تعلم.

ومن أشهر أصحاب الدواوين باقر بن مرتضى المدراسى المتوفى سنة ١٢٢٠هـ ، وقد مريك أن له قصائد عشرأ على غرار المعلقات اسمها العشرة الطيبة، وله كذلك ديوان فى الغزل والنسيب وله مقامات على نهج مقامات الحريرى بعنوان الشمامة الكافورية، وله رسائل على نهج رسائل الهمدانى^(٢)

١- نزهة الخواطر : ٦ / ٢٠٧.

٢- الثقافة الإسلامية، ص ٤٧، نزهة الخواطر، ٧ / ٩٤.

ومن أسف أننا لم نعثر له على شئ من إنتاجه هذا، مع اعتقادنا أنه انتاج يستحق الدراسة المتأنية لما وجدنا فى لحظة قصيرة عشناها مع بعض شعره من محاولة اكتملت فنياً، ونحتاج الى نماذج كثيرة منها لتعيننا على تقييمها تقييماً منصفاً. فقد نقل عنه عبد الحى اللكنوى فى نزهة الخواطر قطعتين فقط تكشفان عن محاولة جادة للمنظم بالعربية فى قالب الغزل. يقول باقر المدراسى :

قد صيرنى الهوى جذاذاً	يا ليتنى مت قبل هبذا
ما أفعل لم أجـد لآهـى	فسى صخر فؤادها نفاذا
فى فرعك قد خفيت لكن	من طرفك لا أرى مـلاذا
أريت على الحديد طبعاً	بالقطع وإن حكيت لاذا
إن كنت رضيت عن صدودى	أدركت من النوى لذاذا
ألفيت هواك صفر عمـرى	أبغيه وإن عـدا وآذى
أكاه إذا هراق دمـعاً	أغمضت وخلتـه رذاذا

ويبدو أنه كان يتخلص بأكاه كما فى آخر هذه الأبيات والتي تليها، كما أن تأثير الأدبين الفارسى والأردى واضح فى شعره فكلتا القطعتين نموذج كامل للغزليات التى تشكل أساس الشعر فى هذين الأدبين. ويمكن إضافة هذه المحاولات الى محاولات التجديد التى تحدثنا عنها. يقول الشاعر فى قطعة أخرى :

فى كـاظمة أو ذى سل	قد ضل فـؤادى بالسـدم
كالريح يجول بمـرحه	كالنار يلـوح على علم
بالمدمع يحكى غـاديـة	بالزفرة يشبه بالـضرم
قد أبصر فيها بهـكنة	بالنجم رزت بالمتبـسم
لو واجه غـرتها شمس	لغدت أسفـفا رهن النـدم
لو شافه طـرتها قمر	لتحير فى جنـح الظلم
لله قساوة مـهجتـها	لا تحسب كالـحناء دـمى

مست وأصارتني جنفاً كالأثر طريحاً في اللقم
لا أدري أين محلتهـا فبقيت حسيراً كالوجم
لا تنظر قط إلى أسفى لا تسأل حالى فى الألم
أكاه تناهت حيرته أدركه إلهى بالكرم

وله قصيدة عارض بهاء الدين محسن العاملى وأحمد بن محمد الشروانى اليمنى
كما قال عبد الحى اللكنوى فى النزهة. (١)

ومن أشهر شعراء عصره الشيخ فيض أحمد البدايوني (ت ١٣٧٤هـ) كان له ديوان
قال عبد الحى اللكنوى إنه رآه وكان كله فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى صاحب
الطريقة المعروفة، ثم نقل عنه هذه الأبيات:

لا يفزعك أنواء وساعات ولا يهمنك أيام وليالات
ولا تظن لنجم سعداً أو نحساً فإنها لوجود الحق آيات
ولا تعلق بهجو الدهر والشهر فإنما هى أوقات وآفات
وناد شيخك واستشفع به عجلاً ولا تؤخر فى التأخير آيات
تبارك الله لا سكر ولا صحو فإنه من كؤوس الوصل نشوات
وجمع جمع وجمع الفرق والجمع له عن الله أحوال عليات
ومن يعاديه تلك النار موعده حياته موته والحى حيات
رأى الإله بعين الحق مسجوداً وليس طور ولا شرط وميقات
حوجاً لمن كان محتاجاً وناداه فليس يبقى له فى الدهر حاجات
بكل حين وأن ذكره فسررض لا كالصلاة لها شرط وأوقات
نور من الله فى الآفاق منتشر مصباحه صبحه والشمس مشكاة
ملك السماوات أجرام منورة يحملن أنواره فى الزجاجات (١)

١- نزهة الخواطر، ٧ / ٩٧.

٢- نزهة الخواطر : ٧ / ٣٩٠ - ٣٩١.

ومن لهم دواوين أيضاً السيد حيدر على الرضوى (ت ١٣٠٢هـ) وكان من مجتهدي الشيعة ذكر عبد الحى اللكنوى أن له أيضاً مجموعاً فى الإنشاء العربى، ثم ذكر نموذجاً واحداً من شعره وهو جزء من قصيدة بعث بها إلى المفتى محمد عباس التستري يقول فيها:

أسرت بسجن البعد فى دار غربة	به رق لى إنسان عيني باكيا
أقلب جنبى فى المضاجع كربة	بدمع سكب أحمر اللون قانيا
أحس بصدري نار وجد تأججت	نواثرها قد كاد تحرق باليا
ولكن جرى العين كالعين فى النوى	لأطفى ضراماً أوقدت بفؤاديا
وكلت الى الله أمورى جميعها	رضيت به فليقض ما كان قاضيا
كفانى دنوى من مراحمه وإن	أبت بقلى دهرى عن الأهل نائيا
وثوقى بمن عم البرايا نواله	ويدنو الى من قد نأى عنه عاصيا
فربى كفيل فى رجائى وشدتى	يجيب دعائى لا يخيب راجيا
ألا دمت للدين المبين مؤيداً	مدى يبتغى أهل الوداد التلاقيا
بمن حبهم فرض على كل عاقل	وذكرهم الأسنى يزين النواديـا
عليهم سلام الله ما طار طائر	فلاذ بأغصان الحدائق شاديا ^(١)

ولعل أشهر أصحاب الدواوين فى شبه القارة هو فيض الحسن السهارنبورى الذى مر بك ذكره وقد توفى سنة ١٣٠٤هـ وترك كثيراً من المؤلفات الأدبية العربية منها شروح على المعلقات وديوان الحماسة وسيأتى ذكره مرة أخرى فى باب شروح الشعر. ولقد كان السهارنبورى أستاذاً للغة العربية عاشها كأديب واستخدمها للتعبير عن أحاسيسه لا كوسيلة لتحصيل العلوم الدينية. وكان فى ذاته مدرسة أدبية تتلمذ على يديه جيل من الشعراء كالفراهمى والروحى وغيرهما، ولم نجد ممن جاد شعرهم أحداً إلا وتلمذ عليه أو تأثر به أو استفاد منه بعد وفاته. ومن حسن حظنا أن ديوانه بين أيدينا ومع كثرة ما به من أخطاء وقعت من الناسخ إلا أننا نستطيع اكتشاف هذه الأغلاط فى أكثر الأحوال.

١- نفس المصدر، ٨ / ١٣٠.

ونحن فى ديوان الفيض - كما سماه صاحبه - نجد شاعراً انساناً يخطئ ويعترف
بخطئه ويؤوب ويتوب ويكثر لهذا من المدائح النبوية ويستغفر ربه. يقول فى قصيدة يدح
فيها النبى (ﷺ) :

فليت ولم يكذبلى شبابى	فليت ولم يكذبلى شبابى
أحب نواعماً وأحيد عما	أحب نواعماً وأحيد عما
ألاعبهن ثم أبيت ليلى	ألاعبهن ثم أبيت ليلى
أقبل ثم أرشف مستلذاً	أقبل ثم أرشف مستلذاً
أطيب بها وكيف أطيب عنها	أطيب بها وكيف أطيب عنها
وحرر قد خلوت بها خلياً	وحرر قد خلوت بها خلياً
فعدت تقول لى لا زلت حياً	فعدت تقول لى لا زلت حياً
لهوت وما صحوت وعدت ألهر	لهوت وما صحوت وعدت ألهر
فهل داء كدائى إذ عرانى	فهل داء كدائى إذ عرانى
طحابى قلب صب مستهام	طحابى قلب صب مستهام
هوت أمتى هويت الى حسان	هوت أمتى هويت الى حسان
وأصطاد الطبباء ولا أبالى	وأصطاد الطبباء ولا أبالى
وما كاذبت نفسى مذ تمنت	وما كاذبت نفسى مذ تمنت
لعمرك طالما أوجفت فيها	لعمرك طالما أوجفت فيها
أرانى غير صاح عن هواها	أرانى غير صاح عن هواها
فلا أنا أبتغى مرضاة ربي	فلا أنا أبتغى مرضاة ربي
فإن لم يهدنى ربي ويرحم	فإن لم يهدنى ربي ويرحم

رسول الله يدركنى عذابى (١١)

ثم يتحول بهذا البيت الى مدح الرسول واستغفار ربه مما فعل. ولقد نظم السهارنبورى رحمه الله فى موضوعات لم ينظم قبله فيها أحد من أدباء العربية فى شبه القارة فى علمنا مما يجعلنا نعتقد أنه أول من جدد فى الموضوعات وتعامل مع الشعر والأدب من حيث هما كذلك. استمع اليه وقد أصيب بعرق النسا ووجع الأذن فيقول :

دء عرانى فلا رجلي ولا راسى	ولا طبيب يداوينى ولا أسى
وضارنى مذ عرانى وهو ملتصق	ما لم يضرنى عدو قلبه قاسى
قد كنت أمشى وظهر الأرض يحملنى	ومركبى اليوم فيها كاهل الناس
لقد ضعفت وما ضعفى بمنتقص	حتى تغير إحساسى بأنفاسى
لا أستطيع ركوب الظهر مستويا	فلا أبالى بأبالى وأفراسى
ولى سهاد سليم بات فى قلق	شدت جفونى إلى فوق بأمراس
كأن أنجم ليلى وهى راكدة	قوم ضعاف بفلك راكد راسى
قد كنت أشرب اذ ما كان بى مرض	واذ مرضت فلا خمري ولا كاسى
لو كان مابى من كرب ومن قلق	برأس طود سرى فى أصله الراسى
ويل لأمك يا لاهور من بلد	أوهى عظامى وإنى طاعم كاس
لا خير فيك ولا جدوى فأنت لنا	سجن وويلك من سجن على الناس
وتلك أرض على أن قد مرضت بها	بليت فيها بأنذال وأنكاس
فسوف أظعن منها غير مكترث	لا مخطئ أنا فى أمرى ولا ناسى
ماذا أومل منها بعد ما ضعفت	قواى فيها وإن لم يقو إفلاسى
ولا يبالى الفتى بالمال مكترثاً	بالنفس والمال أقصى مطمع الناس
قد يصبر المرء عن مال يضار به	فما على بصبرى عنه من بأس
ينظرن شزراً الى اليوم من كبير	وطالما كن فى بيتى كأحلاس
مضى الشباب وخانتك الحسان فدع	عنك الحسان وكن منها على يأس
وتب إلى الله واستغفر لما كسبت	يداك، واصبر على مسح وكرناس ^(١)

ويتوسل بالنبي في خمسة أبيات تالية أنهى بها القصيدة. ولعلك ترى معنى أن الشاعر لا يستطيع أن يصف مشاعره وهو مريض به وجع شديد إلا إذا كان حس اللغة قد تمكن من مشاعره.

على أن أزمة السهارنبورى النفسية تبدو واضحة في كثير من الأبيات، وهي أزمة رجل كان في عز ورغد وسط ديار تربي بها، لها من التقاليد المختلفة والحضارة المهذبة، ثم انتقل الى بلدة تختلف في ناسها وطبائعهم وحضارتهم وعاداتهم وأخلاقهم، فدهى حضارة الحضارة الهندية في زمن المسلمين كانت - وما زالت - تختلف عن لاهور قلب البنجاب، وأهل دلهى ولكنو أهل آداب و«اتكيت» وذوق يختلفون في هذا عن أهل البنجاب. وواضح من الديوان أن السهارنبورى لم يستطع التكيف مع البيئة الجديدة ولا مع ناسها. قال يهجو لاهور وأهلها:

لقد حلت على بالى ويلبالى	بلدة ما بها عمى ولا خالى
بلدة لا ترى فيها فتى كملت	جيرانه وجليسا ناعم البال
بلدة قد خلت عن كل مكرمة	وهل سمعتم بمصر فارغ خال
بلدة ما بها مجد ومأثرة	وما بها من كريم النفس مفضال
إلا كلاب وثيران وأحمره	ومن ياثلنا من دون أمثال
ويلمها دار سوء دار منقصة	سكانها شر أرزال وأنذال
من كل مكتسب للذم مجتلب	للعار مختلب للناس محتال
وكل خب لنيسم خادع غدر	وهى الفعال سخييف القول بطل
قوم لهم كل مخزاة ومنقصة	وكل ذم وعار خلف أذلال
تراهم ولهم صدق وليس لهم	أصل فهم كلهم أنياب أغوال (١)

إلى آخر القصيدة التى تنبئك عن مأساته فى لاهور ، وقد عانى فيها الكثير والكثير حتى أن أحد تلاميذه سرق منه كتاباً ونسبه لنفسه فقال يهجوهُ :

رب خصم مكاشع مفتاظ	جعظرى مستكبر جواظ
عابث عايث مليم ملوم	عائب كاذب بذئ جماظ
باطل القول واهن الفعل واهى الـ	رأى مستحسن الخنا لظلاظ
كل ما فيه من شمائل سوء	ناله من جدوده الأوشاظ (١)

إلى آخر ما قال فى القصيدة، وكثيراً ما يترك السهانوبورى العنان لقريحته معبراً عن مشاعره بصدق واضح، يقول مثلاً :

أنا مدنف منهوك	أنا بئس صعلوك
لكن فى قلبى غنى	لسم يحظ منه ملوك
فلن ترانى باكسياً	إذا تعببى ضحكوك
قدنى من اللحمان ما	يكفى قسمنه ألكوك
وملابسى يوم الشتاء	من الفراء مسسوك
طلقتها حسناء إذ	هى ناشز وفروك
وأهلاً لمن هو تارك	وكم امرئ مستروك
ولقد عمرت يخافنى	حامى الذمار نهوك
قاتلتهم حتى علا	سيفى دم مسفسوك
وكان لى سيف ونه	دهيكل محسوبوك
أغدو به من قبل أن	كانت تصوت ديوك
وأشك بالرمح المشقف	من له فيها شكوك
قد كان لى ما كان إذ	كان الشهاب يحوك

١- ديوان الفيض، ص ٣٧.

لكن أرى شمسي تغيب ب إذا استقام دلك
وانسى الحمام وحنان أن تسفى على سهوك
وأبيت فى بيت مخرو ف حولسه مافوك
أشكو صداعاً موجعاً كالشوك حين يشوك^(١)
ويقول فى قصيدة أخرى يصف فيها حاله :

أشكو إلى الله بيض الناعمات غدا مما فعلن بأمثالى وأشباهى
لى صاحب من فؤادى لا يفارقه حب النواعم دون المال والجاه
ينهى عن الخير والحسنى وبأمرنى بالسوء ويل له من أمرناه
قد ضقت ذرعاً وصدري من حريق هوى يغلى كما بات يغلى مرجا الطاهى
حب النواعم داء لا دواء له وقد تعيا به ذو فطنة واه^(٢)

ولقد رثى السهارةنبورى كثيراً من رفاقه وشيوخه ، ومن أشهر قصائده فى هذا الميدان مرثيته فى وفاة أستاذه فضل الحق الخيرآبادى التى يقول فيها :

عمى دار سلمى فاسلمى ثمة اسلمى وإن لم تحيرنى وإن لم تكلمى
سقاك غواد ما بقيت هواطل وآخر دعوانا انعمى ثمة انعمى
عفاك البلى حتى نكرناك بعدما عرفت ولم نعرفك قبل التوهم
كأن لم يكن عهد لنا بك سابقاً ولم نك يوماً فيك نلهو ونترقى
كأن لم يكن فيك اصطفاق مزاهر ولم تسقنا كاساتها ذات مبسم
ولما تبسم عن اقحاح منور ولما قمس فينا بكشح مهضم
كأن قينة عزافة لم تغننا ولم تلهنا عنا بحسن الترنم
فيالك من دار عفتها روامس ولو كان فيها أهلها لم تهدم

١- ديوان الفيض : ص ٥٠ - ٥١.

٢- ديوان الفيض : ص ٧٤ - ٧٥.

علمى رجبها كانت تضيق إذا انتجى بها الناس لا يبقى بها وضع سمس
تذكرنا والذكر نار ذكية ليالى كنا فى بدور وأنجم
خوت فعفت من كل طل ورايل إذا جاد لم يقصر ولم يتصرم
فعادت كأن لم تغن فينا نواعم حسان سمان من أولات التنعم
نقضن عهداً لى عليها شواهد فرحن فمن يرثى لصب متيم^(١)

فهذه النماذج من شعر مولانا الشيخ السهارنبورى تبعث فى نفوسنا طعماً آخر غير ذاك الطعم الذى ذقناه فى النماذج السالفة، وفى شعر السهارنبورى سهولة وجدة وتلقائية وخفة ظل لازمت تعبير الشاعر عن نفسه ومشاعره فى المواقف المختلفة، حزناً وفرحاً، جداً وهزلاً.

أما إمام التزيين والتزويق المفتى محمد عباس التستري فكان له أيضاً ديوان بعنوان رطب العرب كما له رسائل وقد مر بك بعض ذلك، وسنمر عليه مرة أخرى عندما نتحدث عن نظم العلوم، وقد ذكرت المراجع نماذج قليلة من ديوانه المطبوع. يقول التستري المتوفى ١٣٠٦ هـ :

ألا يسا طالبى كنز الكمال أقلوا النوم فى دهم الليالى
وخوضوا فى بحار الفكر خوضاً لكى تستخرجوا منها اللآلى
وكونوا قاتعين بما تأتى من الأرزاق بالوجه الحلال
ومهما أشكلت شبه عليكم فلا تستنكفن من السؤال
فإن عاتبكم السفهاء جهلاً فلا تأسوا على قيل وقال
وإن حسنت بكم منهم ظنون فلا تستحسنوا خفق النعال
ولا تؤذوا معلمكم بقول وفعل فيه شائبة الملال
وغضوا عن مساويه عيوناً ولا تخفوا محاسنه بحال

١- ديوان الفيض : ص ٦٣ - ٦٥.

عليكم بالتأمل فى حديث الـ
إلى كم تفخرون بما تعبتم
وفىكم من له سبق عليك
لقد أتعبت فى الليلات نفسى
وكم جبت الفلا فى يوم قيظ
فكان الشمس تلفح حر وجهى
وإن قد كنت فى بلدى مقيماً
ولكن كان لى فج، عميق
لما ربيت فى عيش رغيد
وكم من ليلة أسهرتها فى
وكننت ممانلاً فى حلق رأسى
ويعجبني الرغيف بلا ائتمام
ففقت على كثير من شيو
وكننت إذا أناظر بعض صحبى
ولم أردد على الاستاذ شيئاً
وكننت أحبه حباً شديداً
وأقفروا إثره فى كل أمر

حقوق فقد رواه فى الأمالى
وكم تستكثرون من الجسدال
إلى كسب المعارف والمعالي
إلى أن صار قدى كالهلال
ليثلج من زلال العلم بالى
وتغلى أم رأسى بالرمال
ولم أحتج إلى شد الرحال
أشق على من قلل الجبال
ألفاً بالمربع والظلال
مطالعسة ومن عندى رثى لى
لما قد كان فيه من اشتغال
أقوت بذاك من بعد المطال
ولم أك بالغاً حد الرجال
فما إن كنت أغلظ فى المقال
ولم أغضبه قط بما بدالى
وأوثره على نفسى ومالى
لما قد كان محمود الخصال^(١)

وهذا النموذج لا يمثل الزخرفة التى ولع بها التستري وإنما هو مقطع سلس من المقاطع
التى ينظمها الشعراء للتعبير عن أنفسهم وذواتهم بعيداً عن الكلف بالمحسنات التى
كانوا يتبارون فيها. وسرى فيما سيأتيك فى الفصول لنفس الشاعر لوناً مختلفاً عن
هذا كل الاختلاف.

١- المنتخب : ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

ولم يبرز في شعر العشق الإلهي أحد مثلما برز طلا محمد البشاورى المتوفى ١٣١٠ هـ ، فله ديوان مطبوع بعنوان نشأة الطرب فى أشواق العرب وهو ديوان مشهور لم يقع فى يدنا . وقد امتاز طلا محمد بالنفس الطويل وشعره فى معظمه عشق إلهي رائق ، وكانت طبيعته تنفع للمنظومات الطويلة لكنه لم يتجه إليها أو يلتفت . وقد أورد عبد الحى اللكنوى فى ترجمته بعض أشعاره ننقلها عنه . يقول طلا :

راحت سليمى فقلبى اليوم فى قلق	ومهجتى من لهيب الوجد فى حرق
علياء فى نسب غيداء فى طرب	لمياء فى شنب كحلاء فى الحدق
إذا بدت فى أناس قال قائلهم	سبحان من خلق الإنسان من علق
فبارك الله فى حسن إذا طرحت	على المناكب فوديها ذوى الحلق
كأنها الصبح فى نور وفودتها	سرادق الليل قد سيطت على القلق
البين أرقنى والوجد أحرقتنى	والقلب فى دهب والعين فى أرق
كأننى تحت أقدامى لفى جمر	لا أستطيع على حال من القلق

ويقول فى قصيدة أخرى :

قاسى بمحمل سلمى وارتقى شجنى	وأسقم الهجر فى أشواقها بدنى
أضنى الهوى بنيتى فى العشق يا أسفاً	لولا على من الأثواب لم ترنى
فما لجفتى لم ينظر إلى أحد	وما لقلبى لم يرغب إلى سكنى
قد زاد همى وعيل الصبر أجمعه	إذ طافنى طيفها وافتر عن وسنى
فلا أنيس إليه منتهى جذلى	ولا صديق إليه مشتكى حزنى

ومن قصيدة أخرى قوله :

قفأ يرباض الشعب خير المنازل	بدمع غزير فى الصبايات سائل
لنبتك ربوعا شئت البين أهلها	وأقفرها بالقطر تسكاب وإبل
منازل حسن لا محال الله رسمها	وعمرها عوداً ببتلك القبائل

المأ على آثار ليلى وربعها ودار حموها بالرماح الذوايل
فداء لها نفسى وقلبي ومهجتي وخالص أموالى وسرى وناتلى
أيا سمرات الحى من أرض حاجر سقتكن وسمى الحيا بالهواطل
عهدت بكن الحى فى خير منزل فيا طيبه أكرم به من منازل (١)

ومن أصحاب الدواوين البارزين أيضاً عبد المنعم الشاتكامى المتوفى ١٢٣٣هـ، وقد ذكر عبد الحى اللكنوى فى النزهة أن له ديواناً عربياً وساق أمثلة منه كقوله فى المديح :

جرى دمعى المهرق شجواً بمنزل رأينا به داراً ترات كعوكل
وروضاً بهوج الريح صارت غصونه أياى ندب فوق رأس لعيطل
ذكرت بها سلمى أؤمل وصلها وكيف الرجا يا قلب لى فى عقتل
فقلت لعينى سامحيني بعبرة فلبت فجاءتنى بدمع مسلسل
رأينا بها عيناً تولت فلم تعد كدأبك مذ هاجرتنى لسم تحول
فهل بعد صد زورة منك خفية تداوى بها قلب الكتيب المذل
أعينى بسجع يا حمامة ضارعاً معنى وقد أعياه نوح التعزل
تراكمت الأحزان والقلب واحد تراحمت الأثقال فى كور مجمل
وما عيش من قد بات يبكى تقطعاً بناب جديد أنشبت أم رنقل
وكيف التذاذ الراح من تصادمت عليه مراز لم يطق صدر أعبل
صعود العلى همى وما كنت خائباً تنفس صعدانى ترى غير أسفل
تقبلنى الأيام تقلب قلب تحولنى الأحوال تحويل حول
أيا دهر هل لى منك لطف تداركا لبلبال بال المستهَام المقتل
فإما تدارك أو أشد مراجعا زمامى إلى باب النبيل المبجل

١- نزهة الخواطر : ٨ / ١٩٨ - ٢٠٢.

ومن قوله فى المديح النبوى:

إليك رسول الله أهدي ثنائيا	وأبغى به قرباً وإن كنت نائيا
أقرب نفسى من جنابك سيدي	عسى أن أرى روحاً على البعد دانيا
عسى تكشف البلوى وكم بك فرجت	غوائل إذ نسوديت أدرك غياثيا
أؤمل منك العطف عطف عواطف	وإن كنت عما يجلب العطف قاصيا
فإنك شمس يستضاء بنورها	وما كل شئ يقبس الضوء صافيا
أتيتك أرجو من نوالك رشحة	وما خاب مستسق أتى البحر صاديا

وله من قصيدة أخرى :

يا ليت لى بمراتع الآرام	من نزلة تطفى اضطرام غرامى
كانوا الضياء وفارقوا فبقاعهم	بعد الضياء تبرقعت بظلام
رحلوا وقد رحل الحبيب لظعنهم	قد خلفوا الأكباد بالآلام
رحلوا وقد سلبوا العقول وأضرمو	نار الجوى بجوانحى وعظام
لهفى على دار ترى بقطابهم	قطبت بعيد تهلل بسام
لا خير فى عيش الفتى وحبابه	مستنكر لمودة الأحلام
لاموا المشوق وأشفقوا من حبه	لضى به وكآبة وسقام

ومن أصحاب الدواوين أيضاً الأديب الكبير عبد الأول الجونبوري (ت ١٣٣٩هـ) وقد ذكر له صاحب النزهة ديواناً ولم ينقل عنه سوى بضعة أبيات هى قوله :

لعمرك ما الدنيا بذات تودد	فلا تبغ فيها عيشة قم ومهد
ألم تر أسلاقاً مضوا لسبيلهم	وما أخبروا عن حالهم مثل جلمد
وباتوا عن الدنيا وعن دورهم نأوا	وأنت تلاقىهم فأعرض عن الدد
ولم أر مثل الموت للناس منهلاً	ويأتى ولو كانوا بقصر مشيد

ألا فاذا كرن ضيق القبور ووحشة
ولا تفخرن بالجاه تلق الأسي به
وراقب منونا بالتقى والتزود
ألا فاعبدن وازهد لنفسك تسعد^(١)

ولعلم ترى معى أن معظم موضوعات هذه الدواوين لم تخرج عن الإطار التقليدى من مدح الشيوخ والأساتذة والمدائح النبوية وراثاء الأصدقاء والمعانى الصوفية. وقد مريك ديوان خفيف أغلبه شعر سياسى نظمه عبد الحميد الفراهى المتوفى ١٣٤٩هـ، واخترنا لك منه نظماً غير سياسى قال فيه :

أهم فى السكر نـ	أما للناس أحلام
ت أصـرام فأصـرام	وهم وراد حوض المـ
وأخـوال وأعـمام	فـآباء وأبنـاء
وأخـدان وأحـلام	وإخـوان وخـلان
وأنـساب وأرحـام	فـخانتهم قرابات
وتوهى العظم أسقام	وريب الدهر يبريهم
وحبـل العيش أرمـام	فـحبـل الموت مـمدود
ت مشـغولون ماداموا	وهم باللهـو واللـذا
ن والآثام هيـام	بجمع الوفـر منهـومو
وبالفـحشاء إبـرام	لهم بالبـغى تهـمام
ن يومـسـاً وهو أيام	وهم لا بد مـحـشـورو
ن والسـائل عـلام	عن النعماء مسـثـولو
والزام وإفـحام	سـؤالاً فـيه إبـلام
وتخـضـيع وإرغام ^(٢)	وتفـجـيع وتقـريع

١- نزمة الخواطر : ٨ / ٣٢ - ٣٣.

٢- ديوان الفراهى : ص ٢ - ٣.

ويتحدث عن القرآن ونوره فيقول :

أو كل من عشق استحق ملامة	لا والذي بيديه كل زمام
مالى ألام على الهوى ووددت لو	أحمت فيه عواذلى ولوامى
أألام فيه على الحمام وإننى	أحببت لو لاقيت فيه حمامى
لو يعلمون من الذى أحببته	ما لامننى على الهوى لوامى (١)

وفى يدنا ديوان آخر عنوانه ديوان أحمد وصاحبه أحمد حسين الرسولبوري (ت ١٣٥٩هـ). والديوان منسوخ باليد نسخه قبل طبعه - على ما يبدو - ناسخ لا يعرف شيئاً عن العربية فجاء الديوان مليئاً بالأخطاء والتصحيقات ولقد قرأته مرات لأخرج منه بما يجذبنى أو يجذب القارئ، موضوعات الديوان إما مدائح أو مرثيات أو تقاريط كتب، وسوء الكتابة جعلنى أتوقف فى الحكم عليه أو الاستشهاد بكثير منه ومع ذلك فقد اخترت قصيدة منه خفيفة الموضوع والوزن يقول فيها :

خرجت فى الميــــدان	يوماً من الأشــــجان
منفــــرداً وحيداً	متنزهــــاً مزيــــداً
أسـلـوهمـوم قلبى	تشـبـثت بلبى
وسـلبت سرورى	وأفـلت بـدورى
أبـلت ثياب فـكـرى	وازدحمـت بـنـكـرى
ضاق عـلى صـدر	كاشـتـاض ظهـرى (كذا)
أجـرى ركبـاب سـيرى	وأركـض بعـيرى
مراتـع الحـيـوان	بل بـرح الإنـسان
نباتـها مخـضـرة	وبعضـها حمـرة (كذا)
حصبـاتها ياقـوت	نـاظـرها مـبـهـوت
أشـجارها مـزدحمـة	مـسـسـودة مـرتـكمـة
مـصـفـوفة الصـفـوفـا	لا سـيـما الإنـسان

١- نزهة الخواطر ٣١٢/٨ - ٣١٤.

تقـرر للأعـبـان	مهـفـف وكثـة (كـذا)
مـجـومـة المـنبـثـة	فـى أـرجـه الأـنـهـار
مـنـشـقـة الأـزـهـار	تـزـيد فـى الحـيـاة
تـذـكـر الجـنـات	والـورـد فـى البـسـتـان
شـقـائق النـعـمـان	كأنـه طـلـع السـهـا
ازـداد حـسـناً والبـها	مـعـجـبة الطـرـوفـا (كـذا)
أو كـوكـب فـوق السـمـا	فـى اللـيـل لما قـد بـدا (كـذا)
مـتـى تـهـب الـرـيح	وتـخـفـق الطـلـوح
يـمـيل مـيل السـكـرى	قـضـبانـها المـخـضـرا (كـذا بالألف)
تـفـسـوح أـرجـا أـطـيـبـا	اعـجـا حـبـا (كـذا)
ثـم خـطـوت خـطـوة	حـتـى وـجـت نـحـوه

ثم يذكر خمسة أبيات بالفارسية على نفس الوزن ثم يتبعها بقوله :

فـحـمـت فـى الأـرجـاء	الخـضـر والـحـمـراء
حـتـى رآنى أـخـرم	فـقـال خـير مـقـدم
فـرـحـب وبـشـر	وحـسـن قـول نـشـر ^(١)

وواضح من هذا النص أن الشاعر تأثر بالمشنوى (المزدوج) الفارسى من ناحية القالب وإن خانه التعبير عن مراده فى لغة سليمة وقد سقناه هنا كنموذج لمن خاض فى الأمر دون أن يتخذ له عدة كافية.

١- ديوان أحمد، ص ٤٧ - ٤٨.

ومن أشهر أصحاب الدواوين أيضاً السيد ناصر حسين اللكنوى تلميذ المفتى محمد عباس التستري. وقد توفي السيد ناصر حسين فى عام ١٣٦٠هـ وذكر عبد الحى اللكنوى له ديواناً بالعربية وديوان خطب وكتاباً فى الإنشاء والرسائل بعنوان الأثمار الشهية فى المنشآت العربية وكتباً أخرى فى سيرة الأئمة من آل البيت عليهم السلام ومسائل الفقه الشيعى. وذكر اللكنوى من ديوانه الذى لم نعثر عليه نماذج منها قصيدة فى مدح الإمام على عليه السلام يقول فيها :

وجف الفؤاد بلذع حب معنف	من ناحل صب كئيب مدنف
كلف بخالسة القلوب خريدة	ترنو بلحظ كالصوارم مرهف
فتاكة بنفوس أرباب الهوى	عجالة لهم بحتف مدعف
قمراء وجهاً فى تحندس شعرها	عفراء لوناً ذات قد أهيف
أضمت له قلباً معنى بالجووى	إذ أرسلت طيفاً بليل مغضف
قد بات فيه يمس ريقاً سلسلاً	أهنى وأشهى كاحتساء القرقف
من بعد جفوتها وطول صدودها	سمحت بذاك فصار كالمتشف
حتى إذا صاح الديوك وخفقت	زهر النجوم درى بأن لم تسعف
بل كان ذا منها لتسير لوعة	فى قلبه المصلى بنار شفشف
فمضى وهام يثن أنه مشتك	ويضج ضجة ذى رزاح مزرف
يبكى على دار تطمس رسمها	لم يبق منها غير حقف مشرف
سارت ظعائنها فما تركت بها	غير المها وسوى نعاء نعف
هلا سلوت عن الصبر إلى الدمى	وكى الطول بحرقه لا تنطفى
فلقد أسفت على العلوم تأسفاً	يحكى زفير المرض المتلف
لما رأيت ربوعها قد أقفرت	عن أهلها طراً كقاعة نفنف
درست معالمها وبادت أهلها	أطلالها محيت بسيل مجحف

لله أهلوها الذين تحملوا عنها بتحشيث المنايا المرعف
قد ساقهم عن عقرها وفنائها قدر الإله إلى نعيم متعرف
كانوا لها كالشمس يقبس نورها والآن تكسى بالظلام المسدف
زالت دعائمها وخر أساسها ظلت شرائعها كأرض حرشف^(١)

قال عبد الحى اللكنوى كان من أكابر علماء الشيعة ورث عن والده مكتبة حافلة
بنوادير الكتب والمخطوطات وحافظ عليها وزاد فيها واشتهرت باسم المكتبة الناصرية
وأما العلماء والباحثون من بلاد بعيدة. ومع ذلك فأنت ترى أن شعره لم يخرج عن
مدائح الشخصيات الدينية، وهذا كله من آثار ارتباط الأدب العربى بالدين عبر المدارس
والدراسات الإسلامية.

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٨٨ - ٤٩٠.

الفصل الثانى

شعراء بلا دواوين

نعرض فى هذا الفصل لنماذج لأشهر الشعراء الذين عثرنا لهم على قصائد ولم يذكر لهم أحد دواوين أو مجاميع، وإن كان هذا لا يعنى عدم وجود دواوين لبعضهم ربما خفيت عن مؤلفى التراجم والطبقات الذين أرخوا لحياتهم.

ولم نثبت فى هذا الفصل كل من وجدنا له شعراً، بل اخترنا منهم المشاهير، ورتبناهم بحساب سنى وفاتهم صاعدين بهم الى الأقرب من عصرنا. وهذا الفصل فى اعتقادنا مربوط بما قبله ليعطيك صورة عن موضوعات الشعر فى الأدب العربى فى شبه القارة، مما قد يساعد فى استنباط سماته الفنية أيضاً لأننا نعتقد أن فى حالة كحالتنا ونحن نكتب كتاباً نفتتح به مجالاً، لا بد من الإكثار من النماذج حتى يتضح شكل هذا الأدب خصوصاً وأن معظم إنتاج شعرائنا لا يتوفر لنا ولا لغيرنا من المقيمين فى المنطقة العربية.

ولقد تركنا عمداً إلا فى قليل، لمس التفاصيل وتخصيص العام وتفصيل الأبيات تحليلاً ثم استحساناً أو استهجاناً حتى لا يتسع الكتاب، وحتى نعطى فرصة لدراسات تفصيلية قادمة يقوم بها الباحثون متى شاءوا وأينما شاءوا.

أول شاعر فى هذا الفصل هو أحمد بن محمد التهانيسرى المتوفى سنة ٨٢٠هـ وكان أديباً مفلحاً تتلمذ على يد شاعر فحل هو عبد المقتدر الشريحي المتوفى ٧٩١هـ والذي ستطلع على شعره فى باب المعارضات الشعرية ومن هنا جاء التأثير - فى أغلب ظننا -

فإن الشريحي كان كفضل الحق الخير آبادى وفيض الحسن السهارنبورى صاحب مدرسة
تخرج فيها كثير من الشعراء فى شبه القارة. يقول السهارنبورى فى مدح النبى :

أطار لبي حنين الطائر الفرد	وهاج لوعة قلبى التائه الكمد
واذكرتنى عهداً بالحمى سلفت	حمامة صدحت من لاعج الكبد
باتت تؤرقنى والقوم قد هجعوا	من بين مضطجع منهم ومستند
مازار طرفى غمض بعد بعدكم	ولا خيال سرور دار فى خلدى
ليت الهوى لم يكن بينى وبينكم	وليت حبل ودائى غير منعقد
كانت مواسم أيام وغرتها	ولت سراعاً على رغم ولم تعد
عشنا بها وعيون البين راقدة	والقلب فى جذل والدهر فى رقد
والهم منصع والكرب مندفع	والجد مرتفع كالأنجم السعد
والشعب ملتئم والعهد منهز	والشمل منتظم لم يرم بالبدد
حتى استهل غراب البين فارتحلوا	عند الصباح وشدوا العيس بالقتد
من كل هوجاء مرقال عذافرة	تبدى النشاط على الإعياء والنجد
كأنه لم يكن بين الحمى أنس	إلى اللوى وكأن الحى لم يفد
صاروا أحاديث تروى بعد ما ملأوا	مسامع الدهر بالألفاظ كالشهد
بقيت فرداً وراح الناس كلهم	كالسيف يبقى بلا إغماده الفرد
لا عيش بعد لييلات اللوى رغد	ولا وصول إلى ذاك الحمى بيدى
خل الأحاديث عن ليلى وجارتها	وارحل إلى السيد المختار من ادد
وليس فى الدين والدنيا وآخرتى	سوى جناب رسول الله معتمدى
بر رؤوف رحيم سيد سند	سهل الفناء رحيب الباع والصفد
رب الندى والجدى والصالحات معاً	طفلاً وكهلاً وفى شب وفى مرد

بالعلم مكتنف بالحلم متصف	باللطف ملتحف بالبر متسد
الخلق مشتمل بالرفق مكتحل	بالحق متصل بالصدق منفرد
بالشرع معتصم للدين منتقم	فى الله مجتهد بالله مقتصد
بالفقر مفتخر بالزهد مشتهر	بالشكر متزور بالحمد منجرد
خطاب مفصلة وضاع مكرمة	دفاع مظلمة عن كل مضطهد
العدل سيرته والفضل طينت	والبذل شيمته فى الوجد والويد ^(١)

والشاعر بدأ هنا بلا شك بداية متينة راسخة، فما أن تحول بعد ذلك إلى مدح الصفات حتى صار عاطفياً فلم يظهر فى شعره من الجودة الفنية بقدر ما ظهر من العاطفة، ومع هذا فالقصيدة تشير إلى تمكنه وجودة نظمه.

ومن أبرز الشعراء أيضاً غلام نقشبند اللكنوى شارح القصيدة الخزرجية فى العروض وقد توفى سنة ١١٢٦هـ ومن شعره فى مدح شيخه :

خليلى هل هاتان دارة جلجل	ودارة سلمى فى قفاف عقنقل
عليها سوارى المزن سحت مطيرة	فمحت مبانيتها مسحوح المهلهل
أربع الحبيبة صار للوحش موطناً	فيا عجباً من صنع دهر محول
أمنزل سلمى هل تفرج غمى	وتكشف عما ظعن ذات التدلل
على أى أرض خيمت ذات هولة	تهول بوجه كالضحا متهلل
فمنذ غداة البين قد بت فى الهوى	بصدر جوى أو بقلب مقتل
أعينى مهلاً عبرة الوجد والجوى	أئنكما أزمعتما اليوم مقتل
وهل ينفع المبكى عبوناً ذوارفا	إذا وجهت سلمى ركاب التبتل
حبيب إذا ما جود الغنج عينها	فيا للمهيمن لات حين معول

١- نزهة الخواطر : ٣ / ٩ - ١٢.

إذا لمحت من وجهها يوم أبرقت
لها عارض تبريقه غير عارض
إلام تمنينسى وفيك تلبون
مواعيد عرقوب تقرمط بينها
له همة عليا تنوف على السما
بجيل جليل من شفييع كاسمه
لزهرة زهراء ووردة حيدر
لنور به الأفلاك والأرض نور
إذا ما هداة الناس عدت فراسهم
وبينا سبيل الحق يمشون ظلمة
معارفه جلت معاليه قد علت
لديه علوم لا يبرام فناؤها
ولم يؤثر الدنيا الدنى نعيمها
لقد دام بالرحمن حظ شهوده
تجلسى له فى كل آن تجلياً
ومن سره قد ذاق يعلول طاهر ال
شفيعى ليوم الحشر حرزى ومولى
لكل عصام واعتصامى بفضله
مآثره لا يهدين بعدها ومحصى
يطوف حواليه المكارم والعلی

فماء المحيا فيه واجد موئل
أسيل صقيل حسنه كالسجنجل
وحتام تلهينى بوعد مخيل
كقرمطة النحلان نحل المنول
ومجد مجيد نبيله لم يسهل
ومن جده خير الورى خير مرسل
ويهزأ خلقاً عطر دار التجمل
وتشويد تسويد شرق مكلل
وهاديهم المقدام من كل أمثل
إذا انبلجت شمس هداه فتنبجلى
أشم جبال يا لفخم مفضل
وأسرار لوح فى الأسارير تجتلى
وينعم عند الله أحسن مفضل
تجنى جنا العرفان غير معلل
لديه تجلى الطور لم يتجمل
سراثر منه فهو بالنور ممتلى
ووجهة قلبى غوث كل مؤمل
كفانى قواما ذات يوم التجلجل
الحصا محصى الرمال وجندل
طواف حجيج حول بيت مبجل (١)

١- نزهة الخواطر : ٦ / ٢١٥ - ٢١٦ .

والشاعر هنا أراد أن تكون قصيدته فى مدح شيخه محمد شفيح معلقة كمعلقة امرئ القيس فوضع أمامه المعلقة العربية ونسج على منوالها نسجاً واضحاً، والنص يفيدك فى التعرف على أثر الشعر الجاهلى على الشعر العربى فى شبه القارة فإن المعلقات حاكها كثير من شعرائنا هنا. والقصيدة لا شك متينة البنيان عربية المزاج، فى البيت الأخير منها صورة جيدة.

ورفيح الدين الدهلوى المتوفى عام ١٢٣٣هـ - وهو ابن الشيخ ولى الله الدهلوى وأخو عبد العزيز الدهلوى - ربما اشتهر اسمه فى العلوم الإسلامية أكثر مما عرف فى الأدب والشعر، ومع ذلك فقد عثرنا له على قصيدة عارض فيها عينية ابن سينا ستمر عليها مرة فى باب المعارضات أما هنا فنسوق نموذجاً من قصيدة مدح للنبي عليه وآله السلام قال فيها :

يا أحمد المختار يا زين الورى	يا خاتما للرسل ما أعلاكا
يا كاشف الضراء من مستنجد	يا منجياً فى الحشر من والاكا
هل كان غيرك فى الأنام من استوى	فوق البراق وجاوز الأفلكا
واستمسك الروح الأمين ركابه	فى سيره واستخدم الأملاك
عرضت لك الدنيا وداعو ملّة	نسخت ببعثك طامعين رداكا
فرددتهم فى خيبة عن قصدهم	الله صانك عنهم ووقاك
واخترت من لبن وخمر فطرة الـ	إسلام بالهدى إليه هداكا
قعدت لك الـرسل الكرام ترقبا	فعلوت مغبوطاً لهم مسراكا
وأتمتهم فى القدس بعد تجاور	منهم بأمر الله إذ ولاكا
ويكسى الكلیم لما رآك علوته	ومنافسوك يحق منهم ذاك
وتزينت حور الجنان بشاشة	بك سيدى شوقاً إلى لقياكا
وتبشيش العرش العظيم لاثما	رجليك نال الفضل إذ آواكا
خلفت روح القدس عند السد	رة القصوى يخاف من الجلال هلاكاً ^(١)

١- نزهة الخواطر : ٧ / ١٩٩ - ١٨٩.

والشعر يحتاج الى كثير غير العروض والأوزان، هذا مع افتراضنا صحة الحديث المذكور وإمكانية رؤية الله وغير ذلك من الأمور التي نظمها الشاعر في هذه القصيدة وليست مراد بحثنا.

يأتيك بعد ذلك شاعر آخر هو القاضي أحمد بن مصطفى الكوباموى المتوفى سنة ١٢٣٤هـ وكان له ديوان بالفارسية وقصائد عربية منها قوله :

تغيرت المودة فى الرجال	وشاع الحق فى أهل الكمال
قد انهدمت بأ مطار الرزايا	مقاصير المروءة والنسوال
وإن فى الدهر ذو شرف ومجد	سوى محكوم ربات الحجال
فليس الآن يانفس اكتساب	يعاون ماعدا شد الرجال
ومن شعره كذلك :	

ظلمت وكنيت بين الظالمينا	ترحم يا ولسى المؤمنين
أضعت العمر فى كسب الخطايا	وصرت بما اكتسبت به رهينا
أطلعت النفس حيناً بعد حين	وإن النفس شر الحاكمين
أنخت النوق فى بيداء غي	ولم أسمع لوعظ الواعظينا
فإن جازيتنى شيراً بشر	فعدل منك رب العالمينا
وإن جاوزت عن ذنبى فعفو	وفضل ربنا فضلاً مبيناً ^(١)

ومن أهم الشعراء أيضاً فى شبه القارة الشيخ عبد العزيز الدهلوى المتوفى سنة ١٢٣٩هـ، وقد فمر على شئ من شعره فى باب المعارضات، وله قصائد نبوية منها :

ألا يا عاذلى دم فى ملامى	فانى لا أحول عن الغسرام
فجفنى ساهر ما دمت حياً	وقلبى هائم والدمع هامى

١- نزهة الخواطر : ٣٧ / ٧.

فيا ربح الصبا عطفاً ورفقا	إلى ذاك الحمى بلغ سلامى
وقل يا أهـل ودى فى هواكم	مضى شهرى وأيامى وعسامى
وصرت ببعدكم كالعود جسمى	على نار ودمعى فى انسجام
إلام تظاهرون على كئيب	كسير القلب صب مستهام
إلا الهجر والإعراض عنى	وحتام التماذى فى الخصام
غرامى ثابت غض طرى	وحبكم على طرف الثمام
نسيم عهدكم يا أهل ودى	كأنا ما التقينا فى مقام
فإن عدتم لوصل والتنام	فأهـلا بالعناق وبساللزام
وإن جرتـم على فلى غياث	بباب المصطفى خير الأنام (١)

وتصوير احتراق المحب بالعود بدلاً من الشمعة تصوير جديد فيه أثر البيئة الهندية ومقبول بلا شك لدى الذوق العربى.

ولقد نظم أرواح الدين البلكرامى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ قصائد غرام كثيرة لكنه رغم جودة الصياغة لم يأت بخيال جديد أو صور مبتكرة فتشبيه المعشوق بالغصن، وتصوير انهمار الدمع من المحب وقت الفراق بالمطر، ونحول جسمه من العشق ، ووصف رموش عيني الحبيب بالسيوف ووجهه بالقمر أو الشمس، وشعره الأسود بالليل. كل هذا معاد مكرر، يقول مثلاً :

مياسة القد ما ماست وما خطرت	إلا وقلبي بحبل الود قد أمرت
نشوانة من رحيق الحسن قد سفكت	دمى بمقلتها عمداً وما حذرت
كأنها غصن بان صيغ من ذهب	فى خدها روضة أنوارها زهرت
خريدة ما رنت إلا ومقلتها	حسام لحظ على عشاقها شهرت

١- نزمة الخواطر : ٧/ ٢٨٢ - ٢٨٣.

الله الله كم جور على دنف
جسمى تردى ثبات السقم مذ بعدت
لا تسألوا عن دموعى يا أحببتنا
بحر تموج بالياقوت فى مقلسى
ومن شعره أيضا :

يا سائق الظعن قل لى أنت ما الخبر
أما مررت بحى فيه لى رشاً
غصن رطيب رشيق زانه هيف
مذ بان عنى لم تدر الكرى مقلسى
من لى به وهو ظبى جل منشأه
بدر إذا ما بدى فالشمس فى خجل
واقى إلى فسر القلب حين دنا
له أبيات يقول فيها :

بدا فغارت نجوم الليل فى الأفق
لا غرو إن قتل العشاق ناظره
وا سوء حظى وحالى مذ شغفت به
لولا مناه بقتل الصب ما لبست
يا لا تمى لا تلمنى فى هوى رشاً
الوجه صبح بليل الشعر مستتر

أظن طينتها بالجور قد خمرت
عنى وبالقلب نار الشوق قد سمرت
يوم الوداع من العينين كيف جرت
أم محطرات بأجفانى قد انحدرت

أنزل الركب حيث الريم والعفر
تكلف الشمس أن تحكيه والقمر
شمس الى وجهها لم يمكن النظر
أرعى النجوم ودمع العين منهمر
يسل لحظاً لقتلى ثم يعتذر
أو ماس فالغصن فى الأوراق يستتر
وصد عنى فزاد الهم والكد

وماس فاختطف الأغصان فى الورق
فكم سبا مهج الآساد بالحدق
فالجسم فى ألم والقلب فى قلق
خدوده حلة من حمرة الشفق
ذرنى فقلبى أسير غير منطلق
يفوق حسناً ضياه البدر فى الغسق^(١)

١- نزهة الخواطر : ٧ / ٦٨ - ٦٩.

ونظم فى العشق أيضاً أحمد بن الحسن القنوجى المتوفى ١٢٧٧هـ فقال :

نسيم الصبا وافى محيراً مطيباً	فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
كأنك أنفاس المسيح بعينها	فأحييت صبا لم ينل قط مطلباً
فديتك يا نعم الصبا خير مقدم	فكل حمام حين أقبلت رحباً
تحاكى لك الأغصان بالوجد راقصاً	تضاهى لك الأطياف بالسجع مطرباً
وتنفخ فى الأشجار روحاً تميلها	فيا لك ما أزهاك صنعاً وأعجباً
أهل جئت من تلك الربى برسالة	فإن الصبا نعم الرسول لمن صبا

وقال أيضاً :

لسلمى أرانا الله مولاي دارها	عوالم حسن ما رأينا ديارها
فان لها بدرا يسمى جينها	وإن لها شمساً تسمى عذارها
إذا غطت الوجنات أقبل ليلها	إذا كشفت عنها رأينا نهارها
هممت بشدييها فمرت فقلتها	فما خير نخل قد منعنا ثمارها
فقلت أما لا كل سوداء قرة	تبسم عن در يصفن بحارها

وقال على غرار عينية ابن الفارض :

أغيم بدا من جانب النجد هامع	أم انهملت منك العيون الدوام
ونار تلظت فى فؤادك أشقرقت	أم البرق فى قلب السحائب يلمع
أمنهدم هذى القصور لبلها	أم انشقت الأحجار إن كنت تجزع
أتنحب من كرب النوى وبلائه	أم الرعد من فوق الغيوم يقعقع

وله أيضاً :

تذكرت أيام الصبا والليالي	بغم أرق الشوق منك القوافي
إذ العيش أشهى ما يكون من المنى	وأطيب لذات تسوء الأعادي

إذ السريع ربيع الخزرجية أهل
مخضرة الأطراف رواقية اللمى
وجارت بخلف الوعد بعد وفائه
كأن لم يكن بين الحبيب وبيننا
فإنى فتى أرعى العهد لصاحبى
ومن شعره فى قلب الزمان :

يعاقبنى بؤس الزمان وخفضه
وما المرء إلا نهب يوم وليلة
يعلله بـرد الحياة يمسه
ألا إن خير الزاد ما سد فاقة
وإن الطوى بالعز أحسن يا فتى
وإنى لأنهى النفس عن كل لذة
وأعرض عن نيل الثريا إذا بدت

وَأدبنى حرب الزمان وسلمه
تلم به شهب الفناء ودهمه
ويغتصره روح النسيم يشمه
وخير بلادى الذى لا أجمه
إذا كان من كسب المذلة طعمه
إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه
وفى نيله سوء المقام وذمه (١)

وشعر أحمد القنوجى رقيق وفى بعضه ملح كقوله « فإن الصبا نعم الرسول لمن صبا »
لكن الصورة الوصفية أيضاً مكررة ليس فيها جدة ، وقد كرر القنوجى ما قاله أوحدهم
البلكرامى وغيره من الشعراء وليس فى وصفهم مثل صورة آزاد التى وصف فيها صفات
المعشوقة فى قصيدته التى خصصها لوصف جسدها حين قال:

أو ليلتا العيدين أقبلتا معا أو من قصائدهم معلقتان

فالصورة فى المصراع الثانى من هذا البيت جديدة حقاً.

١٠- نزهة الخواطر : ٧ / ٢٤ - ٢٥.

والنموذج الغريب حقا هو شعر الشيخ المفتى اسماعيل بن الوجيه المراد ابادى أو اللندنى كما كان يعرف. ولم نقف على عام وفاته مع كونه حديثاً لكن صاحب النزهة أورده فيمن عاشوا في القرن الثالث عشر الهجرى. وقد عرف باللندنى لأن نصير الدين الحيدرى ملك سلطنة أوده الهندية بعثه سفيراً له فى بريطانيا. وكان من المفروض أن تغير البيئة الأوروبية مشاعره وتثقل شعره العربى، وكان من الممكن أن يستفيد هو من ذلك فى نظم شعر فيه شئ من لمسات الغرب وحياة المجتمع الأوروبى لكن ذلك لم يحدث. فالسفير ترك الغرب وبيئته جانباً ووضع أمامه معلقة امرئ القيس ثم أنشد يقول :

خليلى عوجا عن شمال العقنقل	وحط رحال العيس فى عض عوكل
فندعو رباعاً لا تحير دعاءنا	لما قد عفت من سجم غيم مظلل
عفا الله أهضاباً سعت فى خرابها	فباتت طولاً بسادات التعطل
ألا عوجا فى العوج روحى فداكما	فمهلاً ورفقاً بالكئيب المؤمل
فتلك رباع عطلت عن أهيلها	قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولم يكتف كما ترى باقتفاء امرئ القيس فى معلقته بل ضمن قصيدته بعض شعره الذى تحول فيه بعد البيت الأخير الى المديح. ومن شعره فى الرثاء قصيدة وصف فيها حاله، ورثى من يحبها فى آخرها فقال :

لحى الله دهرأ قد رمانى بغربة	وطول صدود لاح لى بعد قرية
إلى الله أشكو من زمان يجورنى	هو الله مولانا إليه لشكوتى
إذا سرنا يوماً أساء بنا غسداً	وألقى علينا شدة بعد شدة
إذا فرجت أنا همومى فعاد بى	مصرأ بضيم لحظة بعد لحظة
إذا رمت شكلاً أولاً وانتظمته	رمانى بضرب أول ذا نتيجتى
ولسى من صعوبات النوائب مبلغ	كثير فلا يحصى بعد وعدة
إذا زال هم ناب هم منابه	وهذا لشأنى فى نوائب سفرتى

ولولا همومي ألحقتني من الأسى
ولا سيما من ربنى وهو والدى
إلام فؤادى ذائب بفراقهم
فشمرت للأسفار ذيلى مكابداً
تحملت كلاً من رخاء وزعزع
بليت بغم وانتياب من النوى
فجريت أقواما وفحصت أمرهم
فجالست كلاً من شريف وماجد
ومازجت كلاً من ذكى وحمازم
ونادمت كلاً من أمير ومتصرف
ووافقت كلاً من كريم وذى ندى
ولاقيت كلاً من أريب وحاذق
فما ألمسى فاق إلا وزرته
فما أوحى حاز كل فضائل
فزارت فى كل الفنون ودرسها
فأصبحت بحراً زاخراً فى جواهر الـ
وأمسيت طوداً شامخاً من نفائس الـ
وإنى أنا شمس العلوم ويسرها
كلامى شفاء للغواصة إذ جرت
كنايات تقريرى رموز إلى النهى
ولكن دهرأ سد بابى بأقفل
ولا غرو إن أرخى الزمان زمامه

لما بنت من لى وأهلى وأسرتى
ولا سيما أُمى وشقى وشقتى
وحتام أبكى فى صدد وفرقة
خطوب كروب قد جفتنى بسطوة
تقلبت فى شأنى رخاء ويؤسة
ولا زلت أطوى بلدة بعد بلدة
وأدركت شأن الناس فى كل أمرة
وطالت بهم دهرأ عهودى وصحبتى
وفى ذاك قد ضيعت وقتى وفرصتى
ونضرتهم طراً ببشرى ونضرتى
ضربت على أبواب كل بصكة
يحل بفكر صائب عضل عقدتى
ندياً له مستيقناً كل نكتة
ونلت به إلا ولى منه حصتى
ومارستها فى كل يوم بليلة
علوم وأمواجى أفكار فطنة
فنون ومن منكم رأى طرف ذروتى
وقطب درايات ومركز دريا
وقولى قانون النجاة بجملا
إشارات تحريرى عيون لحكما
فهل فتح باب سد لى تحت قدرتى
إلى فإنى أهل ذاك لعظمتى

إذا ما أريد الشئ يأتى بضده
فما لى نقص من هموم تهمنى
فهل لى على الأرضين من صارخ يغى
وهل لى من أوب إلى بلدة لها
وتلك التى قد مس جلدى ترابها
وتلك هى الأرض التى طاب ماؤها
ويكفى لها مجداً وفخراً ورفعته
فهم فى حماها كالنجوم إذا بدت
فرقاهم المولى الى المرتقى العلى
ولا زال فى خضل حدائق مجدهم
إلهى لئن أوليتنى جملة الجدى
ولقياهم عندى رياض من المنى
إذا سرت يا ريح الصبا نحو موطنى
فأسرر إليهم ما ترى من أسيتى
وسلهم أيا رهطى هل غاب عنكم
إذا حن قمرى على غصن أيكّة
ورجعت الحانى على ذكر عهدها
ورددت أصواتى بوجد أهاجنى
وهل ينفع التردد من بعد بينها
سقى الله مثواها وطاب ثراؤها
على الله تكلانى هو البر للورى

ولم يأت طوراً ما يوافق منيستي
ولا لى محيص من شدائد نقتى
ثنى رحمة فيما عرت من مصيبتى
صعود وفى بعدى عنها لشقوتى
وفيهما لمن جىدى نيطت تيمتى
وراق هواها فهى طابت كطيبة
ثواء أبى فيها وأمى وإخوتى
وهم فى رباها كالشموس المضيئة
وصان حماهم من طروق البلية
بماء رضاء ساح من بحر رحمة
فما راحتى إلا بلقيا عشيرتى
ووصلتهم لى نعمة بعد نعمة
ولاقيت من رهط هناك وجيرتى
وحى لهم عنى بعظمى تحييتى
ضجيعى وكمعى بل فؤادى ومهجتى
بكيت بكا الشكلى بذكرى حبيبتى
فجاوت ورقاء على البان حنت
فهيجت أحزان الحمام بنوحتى
ومن بعد ما راحت إلى دار تربة
وأدخلها فى سروح روضات جنة
وبالله حولى وهو رب البرية (١)

١- نزمة الخواطر: ٧٠ / ٦٤ - ٦٦.

وأثر تأتية ابن الفارض على هذه القصيدة واضح .وقد أطلق الشاعر العنان لقلمه ليصور أزمته النفسية ومشاعره تجاه الزمن والناس وحنينه الى وطنه ، ولم يعط الرثاء الا أبيات قليلة لكنها ملئت حزنا ورقة.

ومن أبرز الأدباء فى شبه القارة على عباس الشرياكوتى المتوفى ١٣٠٢هـ وان كنا لم نعثر له على أبيات كافية تبرز للقارئ موهبته رغم كثرة تأليفه فى الأدب العربى كما سترى فى ترجمة حياته. وجدنا له أبيات قال فيها يقرظ كتاباً :

يا من لقد كان يشكو ضيعة الأدب	أبشر فقد زاح ما بالنفس من وصب
أشكاك تأليف شفن لوذع فطن	من لا ضهى له فى العجم والعرب
أعطاه فى ذا الزمان الله جل علأ	من المفاخر ما الإنسان لم يهب
إن شئت حب رسول الله فادل به	لابد للصرح والأفلاك من عتب
فيا من كتاب جامع سیر ال	رسول أرسله لى بالصارم الذرب
لا تعجبوا إن علا كتب الذين مضوا	فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب ^(١)

ومن أبرزهم كذلك محمد بن أحمد الطوكى المتوفى سنة ١٣١٤هـ وله مصنفات أدبية كثيرة منها شروح على ديوان الحماسة وديوان المتنبى ولامية الشنفرى وكتاب فى العروض وغير ذلك. ورغم كثرة شعره لم نجد له ديواناً ووجدنا بعض الأمثلة منها:

هواكم بقلبى والجوى فى تمدد	وشوق للقيامم مقيمى ومقعدى
أبى القلب أن يسلو الأحبة صابراً	وأن يرتضى نوما بجفن مسهد
أناجى نجسوما طول ليلى كأنتى	أطارت كرى عسينى ليلة أرمد
لقاؤكم المطلوب أجلى من الكرى	وأشهى من العيش اللذيذ المرغد
وكم بت أبكى من تذكر جيرتى	وأرعى عهداً كن فى خير معهد

١- نفس المصدر : ٨ / ٢٢٠ - ٢٢١.

يكت عين قلبى بالدماء تحزناً
رحلت فبالله كم من حبائل
سلبت لذيد العيش لاعيش بعدكم
أقاسى أواماً فى هجير غرامكم
وأنتم شفائى لا دوائى غيركم
فمنوا على من يرتجى بقدمكم
وإن لم تلاقونى بأنس ورغبة
ومالى لا أبكى وقد حازنى النوى
أطارت تباريح الهوى كل بنيتى
إلى كم أقاسى شدة من فراقكم
ويقول فى قصيدة أخرى :

إلى الله أشكو المشركين ببلدة
أقمت لديهم مدة فى ديارهم
أصبت بحقد منهم وقلاتهم
أقضى الليالى ساهراً متفكراً
وضاقت على الأرض جداً برحبها
وجدتهم عمياً عن الحق والهدى
فنبهتهم عن غفلة ودعوتهم
وذكرت بالقرآن سراً وجهرة
نصحتهم باللين كى يأخذوها
بليت بها منهم بكرب وغربة
كنيباً حزيناً من أذاهم وجفوة
فكم شدة قاسيتها وبلية
مخافة كيد منهم وخديعة
هجوماً لأنواع الخطوب الملمة
ومقتحمى لجج الضلال وبدعة
إلى دين رب العالمين وشرعة
ورغببتهم فى الاتباع بسنة
ويصفوا إلى قولى بأنس ورغبة

وأخبرت عن بطلان تقليد مذهب
وكررت تذكيري رجاء لنفعهم
وأسمعتهم فيما أمرنا بأخذه
فلم يذعنوا للحق بل زاد زيغهم
ولم ينتهوا عن غيهم وضلالهم
وأغضبهم إنكار تقليد مذهب
فأعرض عني كلهم وتأخروا
ولو كان من يدعوا إلى الزيغ والهوى
وكيف تلقوا بالقبول هدايتي
أصروا على ما ضل آباؤهم به
مذاهب اختاروا برأى معوج
وعرفتهم ما جاءنا بالأدلة
ورددت نصحي مرة بعد مرة
أحاديث ترغيب وآثار رتبة
وطغيانهم دون الرجوع وتوبة
وساءهم منى مذمة بدعة
وعزهم إنكار زور بكثرة
وقد أنفوا عن أخذ نهج طريقتي
أجابوا إلى التقليد من غير فترة
وقد آمنوا بالحبس من طول مدة
ولم يأخذوه عن دليل وحجة
على الملة الغراء غير محجة (١)

النموذج الثاني من شعره جزء من قصيدة سماها القصيدة البديعة في ذم المقلدة
الشنيعية في مائتين واثنين وثمانين بيتاً أتعب نفسه فيها ليذم من التزموا التقليد في
المذهب الخنفي وكان الطوكي سنياً مثلهم يرى الالتزام بالحديث لا تقليد أبي حنيفة، ومع
ذلك سماهم المشركين كما في صدر القصيدة، فلم يظهر لك فيها فن وأدب بل ذم
وتكفير. وهذا من أثر ارتباط الأدب العربي بالمدارس الدينية في بيئة شديدة الانقسام
والتمذهب مثل شبه القارة التي لم تتخلص حتى الآن من هذا الداء. ولو تفرغ الطوكي
للأدب من حيث هو كذلك لانتج أفضل من هذا.

وكان الشيخ أحمد عبد القادر الكوكني من أبرز الشعراء والعلماء وقد توفي في
سنة ١٣٢٠هـ وكان بينه وبين اللكنوي صاحب نزهة الخواطر صلات ومراسلات، فسجل
في كتابه بعضاً من القصائد التي أرسلها له ومنها قصيدة مدح نبوي على غرار البردة
قال فيها :

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٢٨٥ - ٢٨٧.

يا شوق بلغ إلى جيران ذى سلم
واستمطرن من ندى ألطافهم شبماً
وقل لهم أرسلوا طيفاً فطيفهم
من لى به وسهادى ظل يمنع
لولاهم ما كلات الليل مكتئباً
ولاجرى دمع عيني كالعقيق على
لولا اضطراب فؤادى من مسامهم
ولا صبا القلب أوهاج البكا وصباً
يا لائمى وشراب الحب أسكرنى
ألست تعلم أن العذل فى مهج الـ
أعان شوقى جوى قد شب فى كبدى
هوى سرى فى دمي قدما فلا عجب
والدهر لم يكفه أنى الجريح به
لم يصف لى مشرب فى عيشتى أبداً
ضاعت بضاعتى المزجاة صفوتها
يا ليت شعرى لم الخلاق أنشأنى
هبنى ذنوبى قد جمعت أليس لها
محمد بهجة الدارين نورهما

ســــــــــــلام ب سليم الهم
يطفى لظى لاعج فى القلب مضطرم
روح المحبين يحيى ميت النسم
أو بالكرى وهو مدفوع ببينهم
أرعى النجوم حليف الوجد والسقم
ذكر العقيق وذكر البان والعلم
ما زاده خفقاناً بارق الظلم
إن هب ريح جرت من رقمتى إضم
لو ذقت لذة كأس الحب لم تلم
عشاق يفعل فعل الزيت فى الضرم
وخانى فى الهوى صبرى ومعتزى
إن ضن عيني بدمعى وهو عين دمي
حتى رمانى بداء غير منحسم
فسم عوفيت بالآلام والنقم
وما اكتسبت سوى حمل من التهم
ألتــــــــــــــــحســــــــــــر والآلام والندم
من الرسول شفيع رحمة الأمم
سر الوجود وعين الجود والكرم

وفى قصيدة يصور حاله فيها وقد بلغ الأربعين من العمر تعاكسه الأيام وتنهكه
الأسقام يقول الكوكبى :

تلوى شباب العمر والرأس أشيب
 مضت من سنئك الأربعون مشيعة
 نشرت من الأسباب والحرص غالب
 مضت فى هموم أشمئز لذكرها
 جناحى قد ثقت ورجلى تقيدت
 أحن إلى دار الحبيب ودونها
 وبالى وبالى منذ حالى تحولت
 عتبت الليالى فى معاناتى الجوى
 أردت من الأيام ما ليس عندها
 لحا الله ذى الدنيا دماء طلابها
 إلى ما أقاسى من رمانى شداثدا
 وتبعد عنى كالثريا مطالبى
 يساورنى دهرى فهل أنا قوته
 كأن بنى حواء أمثال لعبة
 وقد ضاق صدرى من هموم تراجعت
 تسلسل أمراض ودورى نقائص
 ولى من زمان وامتداد زمانتى
 على فرش ذات القتاد تقلبى
 أحاول تعديل المزاج ودونه
 وقد زعموا المرطوب يكثر نومه
 ولو عرض لم يبق دون محله
 وقال طبيبى ما لدائك حيلة
 عليه سلامى كلما جن غيهب
 فيما خيبة الآمال إذ لات مكسب
 بساطاً ذواه القدر والقدر أغلب
 فهل من بقايا العمر لى بعد مرغب
 وما لامرئ عما قضى الله مهرب
 ألوف جبال دونهما الشم أظرب
 وعقلى عقالى منذ ذا القلب قلب
 وأنت خبير أنها ليس تعتب
 مدام بلا غش وخل مهذب
 لها مشرب عذب فيا بش مشرب
 وحتى متى يمتد لى ذا التقلب
 ويقرب منى كل ما لست أطلب
 تساور صقر بليلاً وهو يطرب
 عليها بنات الدهر تلهو وتلعب
 على أنها من وسعة الدهر أرحب
 وعكس أمان حيث يصدق يكذب
 حياة غدت ثقلأ بها الظهر أحذب
 ونار الغضا بين الجوانح تلهب تغالب
 ميل الطبع والطبع أغلب
 فما بال عينى وهى بالدمع أرطب
 فأين سقامى حل والجسم أغيب
 خلا عند قانون الشفاء المجرب

قللو كان ربي عاجزاً كنت واجماً وجوم منادى اللات حين يخيب
ولكن ربي قائل ادعنى استجب فأدعوه حتى يستجيب وأندب
ولست بيعقوب فأصبر صبره ولو كنت أيوباً لما كنت أنحب (١)

وشعر الكوكنى ينم عن موهبة كبيرة، فهو شعر متين سهل فيه صنعة متقنة
بلا تكلف وصور جيدة مثل قوله :

هوى سرى فى دمي قدماً فلا عجب إن ضن عيني بدمعى فهو عين دمي
وقوله :

وبالى وبالى منذ حالى تحولت وعقلى عقالى منذ ذا القلب قلب
وقوله :

كأن بنى حواء أمثال لعبة عليها بنات الدهر تلهو وتلعب

كما أن الكوكنى استخدم تعبيراً شائعاً فى اللغة الأردنية استخداماً عذباً بلا شذوذ
فسهل فهمه على أهل العربية كقوله :

عفى الديار ديار العلم قاطبة قحط الرجال وأيم الله قد عدموا

فقحط الرجال شائع فى لغته، وقد أحسن هنا استخدامه.

ومن أهم وأنبغ الأدباء فى شبه القارة عبد الحميد الصادقورى العظيم آبادى المتوفى
سنة ١٣٢٣هـ قال عبد الحى اللكنوكى إنه لقيه فوجده «بحراً زاخراً فى العلوم الحكيمة
والمعارف الأدبية، وكان ينظم القصيدة الفائقة فى لحظة مختطفة بحيث لا يصدق بذلك
إلا من له مزيد اختبار» ونقل له نموذجاً من قصيدة طويلة نظمها ارتجالاً على رأى منه
رمسمع :

١ - نزهة الخواطر : ٨ / ٢٣ - ٢٥.

توارث فسيهم علم وجود	فرو أسفاً وتحن بنو كرام
يزينهم المكارم والجنود	ذوى الأعلام والأفلام طراً
من الأقطار وافاهم وفود	وهم قد سخرؤا شرقاً وغرباً
لكل مصيبة خصوا ونودوا	وقد كانوا ملاذ الناس طراً
تطيعهم العساكر والجنود	وقد كانوا أولى طول وملك
وترتعد الهزابر والفهود	وتخضع عند رؤيتهم رقاب
يرق لنا المعاند والحسود	فصصرنا نحن فى وهن وهون
مع الأحزاب شيطان عنود	سعى فى الأرض طغياناً وعدوا
ففر الجمع وانهزام الجنود	يشيع البغض بين المؤمنين
ونار الضغن يوقدها الوقود	وكان الناس قبلاً فى شقاق
ونار البغى ليس لها خمود	وشب ضرام نيران النفاق
ومن حقد بأرجلهم قيسود	وفى أعناقهم أغلال غل
وقد بعدوا كما بعدت ثمود ^(١)	وهم عن صالح الأعمال رغبوا

وهذه مشاعر أديب عاصر الثورة الهندية ضد الإنجليز ١٢٧٣هـ وقد ضاع فيها ما كان يملك من مال وكتب. وبعدها كشرت شوكة المسلمين وحكم الإنجليز شبه القارة.

ومن هؤلاء أيضاً نذير أحمد المتوفى سنة ١٣٣٠هـ وهو أديب مشهور فى اللغة الردية له كثير من المصنفات قيل إنه كان عالى الكعب فى الفنون الأدبية العربية. وله روايات كثيرة بالأردية مشهورة مثل بنات النعش ومرآة العروس وتوبة النصوح وابن الوقت وغيرها وهى روايات تعليمية اخلاقية. قال يمدح السير ولیم ميور الإنجليزى :

١- نزهة الخواطر : ٢٢٧ / ٨ - ٢٢٨.

تحنيت أن القلب كان لسانى	يبوح بسر يحتويه جنانى
فإنى إذا ما رمت إظهار شكركم	تقصر عنه منطقى ويسانى
ولم أر قبلى قط من نال غاية	تخلف عنها أهل كان زمان
يلطفه بحر الندى وعبايبه	وبكرمه ليث الوغى وطعان
دعانى فأدنانى وأعلى محلتى	وأجلسنى من قـربه بمكان
وزودنى ما إن تنوء بعصبة	أولى قوة لهذ أشق عوان
نقودى فلى فى إلفه ألف حاجة	قضاء ديون وافتكاك رهان
وغيرهما ما لا أكاد أعدها	وذا ساعتى صيغت من العقيان
أقلدها جيدى ليعلم أننى	لسر وليم فى ربة الإحسان (١)

ومن تلامذة السهارة نپوى فى الشعر السيد محمد عرفان الطوكى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ له أشعار رقيقة منها ما قاله يعاقب صديقاً له :

مالى أراك نسيته وتركتني	من بعد حب خلته مستبحكما
وعيادة مسنونة وزيارة	منكم أخى تلطفياً وترحماً
أظننت أنى قد رنت قصدكم	وزعيت شيئاً لم يكن أر يزعمنا
يا صاح إنى أشدد دائى بعدكم	يومما فبت ترجعنا وتألما
وشربت يوماً مسهلاً لى ثالثاً	قد كان أمر الله أمراً مبرماً
وقعدت ضعفاً بعده ونقاهاة	قد صد أن أمشى وأن أتعلما
ما كان ضرك لو أتيت فزرتنى	وجلست عندى ساعة متكلمنا

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٩٥ - ٤٩٦ .

وقال يرثى ابن عمه :

جل المصاب وعم خطب فادح	حزن القلوب وفساقت العينان
إننا رزئنا خير إخوان لنا	من آل عثمان ومن عارفان
إننا رزئنا من يعز نظيره	فينا ومن هو نخبة الإخوان
قد كان محموداً مهدياً ومن	آل النبي خلاصة الإنسان
قد كان ذا رفق بنا وطيبنا	عضد العشيرة عمدة الجيران
قد كان ذا خلق يمازح دائماً	طلق الميحا ضاحك الأسنان
فليبكه المرضى الذين إذا أتوا	ذهبوا به معهم بكل أوان
قد كان يخدم من يداوى خدمة	بيديه والرجلين ثم لسان
ولربما أعطى الداء من عنده	لله محتسباً ليوم ثان
ومن شعره يناجى ربه :	

يا سيدى يا سيدى	أرحم وخذ كرمأ يدى
أنت الكريم المرتجى	ذو رحمة بالأعبد
وفق لما ترضى لنا	يا ربنا وتهجد
واغفر لعبدك ما جنى	بخطائه وتعمده (١)

وقد مر بك شئ من نثر الطاف حسين حالى المتوفى عام ١٣٣٣هـ، ولم يكن يعرف بين أدباء العربية بل حاز كل شهرته بسبب شعره ونشره فى اللغة الأردية. لكن نماذج شعره التى جمعها الحافظ يعقوب تدل على رسوخ قدمه فى النظم العربى. يقول فى قصيدة بعث بها إلى شئخه شاه عبد الغنى وكان يقيم فى المدينة المنورة :

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٤٠ - ٤٤٣.

هوى الحوار بلوى كل حبور نادب
وهزم لمنصور وفتح لخالذ
وما من نساء الحى للعز مخلص
وليس بداء كاد يشفى سيقمه
قد اختطف لى وروعى مليحة
معطلة الآراء من غير رقية
وصاحبة العشاق لا فى مكارة
لفى نظرة منها وغمز ولحمة
وكم من حياء دونها وتصخب
عجبنا لما خر موسى صعقه
ذهبنا لنلهيها بنا عن مشاغل
أشد بلاء وصلها من فراقها
أراقب وقت الوصل من غير موعد
أيللى ما أغناك عن شأن مولع
تناسيت فى ذكراك علماً وحكمة
ذهبت بصبرى يوم أقدمت فى الحمى
شغلت بلحظ قلبنا عن مشاغل
يفشى على أبصارنا منك جلوة
عتابك حلو فى المذاق فعاتبي
ودونك قلب العاذلين بنظرة
أحبة لا تشكوا حزيناً فربما
ذرونى وقلبى بالرزايا فسانه

وفتنة قسيس وزلة راهب
وعز لمغلوب وذل لغالب
يلمح فقد استأسرن أهل التجارب
صباة قلبى بالعذارى الكواعب
بلطف مدار لا يعبس معاتب
مقتلة الأحشاء لا بالمضارب
وكاذبة الميثاق لا بالمراقب
بلاء لذى ورع إلى الله تائب
وحسن من التقوى وخوف العواقب
ولكن رأينا عند كشف الجلائب
فجاءت وألهتنى عن الاشتغال بى
إذا كان عند الوصل خوف المراقب
أصدق فى إقدامها قول كاذب
له أنت فى دنياه قصوى المآرب
لأنضيت أياما إليها ركائبى
نزلت وما أنزلت حمل المراكب
صرفت برمز قصدنا عن رغائب
كأنك فى الأستار من غير حاجب
وضربك حتى للرقاب فضاربى
لك الدين عند العاشقين فطالبنى
تهيج للأصحاب رنة صاحب
مصائب أخرى ذكر تلك المصائب

لقد قل عونى فى أخو كثيرة
ولى من موال إنما أنا بينهم
وفيمما إلى سلمى وصولى فاننى
لا صبح يوم البين كالليل مظلماً
كما أظلمت دهلى بتغريب كوكب
عروف غزير العلم هاد ومرشد
صبور على البلوى شكور على اللهى
مدار كمال مقتدى كل كامل
إذا ما قضى عدل صدوق إذا روى
وخيد الورى عبد الغنى الذى له
كأنى غريب بين خل وقارب
بمنزلة الكرار بين النواصب
ضللت سبيلى فى ضياء الكواكب
كأن صباحى قطعة من غياهب
مضى على عرب عن الهند عازب
جليل المساعى مستفيض المناقب
نفور من الدنيا إلى الحق راغب
محط رحال منتهى كل طالب
مصيب إذا أفتى إذا قال صائب
أوائل مرآة لكشف العواقب (١)

وشعر حالى كما ترى فيه سلاسة وطرافة وفيه صور جيدة كقوله مثلاً :

ولى من موال إنما أنا بينهم بمنزلة الكرار بين النواصب

وقد أرسل إلى أصدقائه من لاهور بعد ما جاءها قادماً من دلهى ليرأس قسم الترجمة قصيدة قال فيها :

هل من يبلغ عن محصور لاهور
إلى ديار بها سلمى وأهليها
هل فيكم من يواسى حائراً أسفاً
ولم يزل حدثان الدهر يزعجنى
لكننى راسخ فى حبكم قدمى
إنسى أحب وأهوى أن ألاقىكم
عن مبتلى فيه بعد الكور بالحور
إن لم يكن فى زمان البين من خى
بما مضى من دوام والقرب الزور
يوماً بنجد ويوماً كنت فى غور
فلن أحول عن طور الى طور
وإن لم يكن نحوكم مسعاى أو سبرى

١- ضميمه اردو كليات نظم حالى : ص ١٢٥-١٢٨.

إنى أرانى وقد أنضيت من نصب
وإذ رأيت قضاء الله محتكما
بحيث لم أبق أن أمتاز عن غيرى
أرجو من الله بعد العسر ميسرة
رأيت نفعى طوى فيما يرى ضبرى
إما على مهلة ما أو على فور^(١)

وعبد الرحمن الغازي بوري المتوفى ١٣٣٤هـ كان أديباً شاعراً له ديوان بالأردنية
وقصائد عربية رقيقة منها قصيدة يقول فيها :

ظننت سليمى فالسرور قبيح
الصبر فى يوم الفراق محرم
والعين تذرف والنفؤاد جريح
تسعى العواذل فى سلو صبابتى
أو ما تسرى ورق الأراك تتجوج
سأموت تهرجاً وما من عاشق
أو ما علمن بأننى لجموح
إلا ويفنى بالجوى وينطوح
تالله لم يك فى الدنيا مريح
إذ قيل جودى بالوصال شحيح
هى شادن أحوى وإن غذاها
قلب المشوق المبتلى لا الشيخ
شمس بها شمس السماء مضيئة
مسك اذا مرت عليك تفوح
وعيونها من وحش وجرة مطفل
لهها ترائب كالصباح تلوح
فى حبها قد جبت قفراً مورده
تعوى الذئاب به ولى تسبيح
ما جاء مقر فيه قبلى واحد
بل مسنى من قطعة التبريح
يا ويلتى ما فزت قط بمقصدى
أغدو له متأسفاً وأروح
فالاآن يا نفسى اشغلى بثناء من
ذكراه للقلب الحزين مريح^(٢)

١- نفس المصدر : ص ١٢١ - ١٢٢ .

٢- نزهة الخواطر : ٨ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

وشعره كما ترى فيه صور حلوة كقوله :

لا عيب فيها غير أن فزادها إن قيل جودي بالوصال شحيح

ومن مشاهير العلماء فى شبه القارة مولانا أنور شاه الكشميرى (ت ١٣٥٢هـ) وقد مر
بك شئ من شعره وله مؤلفات كثيرة فى مجال الدراسات الاسلامية وقصائد عربية منها
قصيدة يمدح فيها شيخه رشيد أحمد منها قوله :

قفا يا صاحبي عن السفار	بمراى من عرار أو بهار
يسير بنشرها نفحات أنس	ورياً عند مـحى من قطار
يفيض لروحها رشحات قدس	حياة للبرارى والقفار
وقد عادت صباها من رباه	بأنفاس يطيب بها الصحارى
فيسرى فى قلوب الصحب وجد	بأطراف الحديث لدى اعتبار
أطيب لنشره نفساً ونفساً	فأروى من روايات الكبار
أتابعهم ويميلنى دموعى	حديثى من شيوخى لادكار
أجلهم وأجلهم مقاماً	أبو مسعود هم جبل الوقار (١)

ومنهم كذلك عبد الغفور الدانا بورى قال عبد الحى اللكنوى إنه كان صديقه ولم يغتر
له على تاريخ وفاة لكنه ذكره فى أعيان القرن الرابع عشر الهجرى، وأورد له نموذجاً من
شعره قال فيه :

بانت سليمى فما شئ يسلىنا	ولوعة البين يشوينا ويصلينا
قامت تودعنى والهجر يمنعها	وقمت عانقتها والحزن يبكيها
تقول صبراً جميلاً لا قت أسفاً	أعطاك ربي غداة البين تسكيها
فيا لها تركتنى هائماً قلقاً	وددعتنى وداعاً لا تباليها
القلب ملتهب والعين ذارقة	وشب نار الهوى والدمع يروينا

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٨٣ - ٨٤.

غيداء فاتنة هيفاء ناعمة	تحكى نسيم الصبا أعضاؤها لنا
شمس اذا طلعت برق إذا برزت	فتسانة بسهام العين ترمينا
كأنها فى ظلام الليل إذ خرجت	برق تنور من تلقاء بلقينا
خود غداثرها طالت إلى قدم	والفرع يحكى سواداً من لبالينا
نفديك شوقاً تعالى واسمحي كرمأ	اللحظ من طرفك الممرض يشفينا
حتام نشكو بقلب نازح قلق	متنا وإن لقاء منك يحسينا
ماذا جنينا وليس الحب معصية	بأى ذنب هداك الله تقلينا
مالت إلينا فولت بعد ما ركنت	صدت فسلت لنا سيفاً وسكينا ^(١)

وشعره مسبوك كما ترى لو توفرت نماذج أخرى منه لربما وجدنا فيها جمالا أكثر من هذا. وواضح أن الشاعر وضع أمامه قصيدة ديوان الحماسة التى مطلعها « انا محيوك يا سلمى فحيننا » ونسج على غرارها.

والسيد محمد الحسينى الكالبوى تتلمذ فى الأدب على السهارنبورى أيضاً، ولم أقف على تاريخ وفاته إلا أن اللكنوى ترجم له فى رجال القرن الرابع عشر الهجرى وقال له قصائد غراء أنشده منها واحدة فى مدح النبى عليه وآله الصلاة والسلام هى قوله :

ماذا على بدمع خالط العلقا	أم ارتدى علقا أو ألبس الشققا
هيجت طرفاناً إذا سحت له	أجفان عيني والآماق والحدقا
اخترت حبا ولم أدرك عواقبه	يارب سهل ويسر كيف ما اتفقا
بئس الذى هو دون العشق مصطبر	وبئس دون عزاء القلب من عشق
قصدي لقاء سليمى قصد مفتقد	عندى النوى وغراب البين قد نعقا

١- نفس المصدر : ٢٧١ / ٨ - ٢٧٢.

إلى عنى جزاها الله إذ نظرت ترمى بسهم أصاب القلب فانفلقا
لا الصدر لا القلب لا الأحشاء لا كبدى ما كان من لوعة الأشواق محترقا
يحكى الجحيم معاذ الله من خلدى ما دمت حياً فلى قد شاء مرتفقا
ما بال صب وكنتم الحب مقصده أجفانه ذرفت والقلب قد خفقا
ماذا يفيد ملام الناس فى رجل لم يتسرك الحب إلا روحه رمقا
تبساً للآثم صب لا يزال به حب النبى رسول الله ملتص
بدر سراج منير نير قم قد نور الأرض والأفلاك والأفقا
أنور بوجهك يا من حسنه عجب كأن وجهك شمس ضوءها شرقا (١)

وفى هذه القصيدة صورة جميلة إذ قال :

ماذا يفيد ملام الناس فى رجل لم يترك الحب إلا روحه رمقا
أولئك هم أشعر وأشهر الشعراء ولا أظن أننى أتممت الحديث عن شعراء العربية فى
شبه القارة لعدة أسباب :

الأول : أن كتاب الطبقات والتراجم أهملوا فى الغالب شعراء العربية الذين عاشوا
فى المناطق الجنوبية من شبه القارة فى غولكنده وبيجاپور وكيرالا ومدراس
حيث قامت فيها دويلات مستقلة عن الامبراطوريات التى توالى على الجزء
الشمالى من شبه القارة بسبب اختلافهم فى المذهب. فدولة كدولة العادلشاهية
رعت الأدب والأدباء فى غولكنده والمناطق المجاورة لها لكن مؤلفى الشمال
أغفلوا دورها. وقد وقع بصرى أثناء البحث على كتاب بعنوان «شعراء
العربية فى غولكنده» ولم أقف على اسم مؤلفه، ولم أجده فى المكتبات هنا،
ولو وجدناه لأضاف الكثير إلى بحثنا. ولا شك فى أن الإحاطة بشبه القارة
كله أمر عسير. وكما اختفى عنا إنتاج الجنوب، استتر عنا كذلك إنتاج الشرق

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٠٠ - ٤٠٢.

فى البنغال وآسام والبنجاب، وقد رعت هذه المناطق فى زمن الدول الاسلاميه والاستعمار الانجليزى فيما بعد آداب اللغة العربيه ، وفيها بالتاكيد عاش شعراء وآدباء أغفلت كتب الطبقات عند الشماليين ذكرهم. ولهذا السبب لا نعتقد أن بحثنا هذا تام كامل، لكن عزاءنا أننا حاولنا ولم نوفق، واعترفنا بالنقص، وأشرنا إليه. وكم كان بودنا الاطلاع على الآداب العربيه فى كل أطراف شبه القارة لكى نقف على حقيقه صورتها ووضعها.

الثانى : أن كتب الطبقات التى صنفت هنا هى إما بالعربيه واما باللغات المحليه، فأما التى باللغات المحليه فلم تعرض نماذج من الشعر العربى لكون ذلك غير مهم لقارئها، وأما التى بالعربيه فاختلفت مشارب أصحابها وأكثرهم لم يهتم بالجانب الأدبى بل بالناحيه التاريخيه، ولذلك لم نجد فيها ما يفى بحاجتنا. ولعل أهم هذه الكتب نزّهه الخواطر التى اعتمدنا عليها كثيراً فى نقل نماذج الشعر لأن مصنفها عبد الحى اللكنوى لم يغفل هذا الجانب.

الثالث : أن منطقه مثل ساحل مليبار الذى يعتبر أول منطقه دخلها الاسلام فى شبه القارة تعتبر منطقه هامه إلا أننا لم نجد لها ذكراً فى طبقات أهل الشمال. وقد عثرت على كتاب واحد ألفه بعض أهلها فوجدته كنزاً يحوى بداخله جواهر عديده فالتقطت بعضها كما سترى على صفحات الأبواب القادمه. ومن هذا اخترت نماذج شعريه لشعراء ساحل مليبار منها قصيده غير منقوطة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم للقاضى عمر بن على المشهور بالقاضى البلكوتى الملبارى قال فيها :

لاح الهـلال هلال لامع العلم	لله داع رسول الله للأمم
الحاكم العادل الصدر المعد له	كل المكارم سمح واسع الكرم
مدعو كل هو المأمول موعد	حال كلاماً وصول واصل الرحم
معط مكارمه مول مسالمه	مصم مصادمه معطر الأدم
محمد أحمد مكرم علم	مؤمل كسامل مسدد الكلم

روح العوالم سعد الله حامده حام لعاص إمام الرسل كلهم
الطاهر الأصل مسعود وللملل ماح مكمل سعد الحل والحرم^(١)

وله أيضاً قصيدة كل حرف فيها منقوط، منها :

جفتنى قذبتنى فغظت بغبطة فذبت بشسجن بين جنبى يخفق
يشققنى شغفى فخفت تجنى بنشق شذى فى نبى ينشق
نبى نجى فيض غيض بذى شجى شفيق ينجى ضيق ضيق يفتق
جنيت ففى ذنبى تقضت شبيببتى قنى خيفتى فى ضجة بى تضيق
نجيب بنى نجب تقى فينتخب فظنى بغيث نخبة فى يشفق^(٢)

ولعبد القادر المليبارى قصيدة فى مدح النبى (ﷺ) رتب أول حرف من كل شطر من أبياتها على الحروف الأبجدية متوالية فقال فيها :

الألف أمان للخلائق كل حال أمين ذو المكارم والمعالي
الباء بديع الحسن سامى المجد عال بهى الوجه ثغره كاللآلى
التاء تقى القلب خير الخلق فيه تمام ملوك أرض كمالوالى
الثاء ثمال للأرامل واليتامى ثرور الجسود فى أهل امتثال
الجيم جليل النعت ليس له مثيل جميل الذات بحر للنوال
الحاء حوى كل المكارم والمزايا حبيب للاله ذى التعالى
الخاء خليل الله أصل وجود خلق ختام الأنبياء عالى العوالى
الدال دوام الدهر دام لديه فض دهى إرساله أهل الضلال
الذال ذكى ذهنه فطن بليغ ذرى كل الفضائل فيه عالى

١- جواهر الأشعار وغرائب الحكايات والأخبار، عبد القادر بن يوسف الفضفري المليبارى، ص ٢٨١-٢٨٢، طبع تروتنكور بالهند سنة ١٣٥٨هـ.

٢- جواهر الأشعار : ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

السرا	رسول الله أسوة أهل دبر	رؤف المؤمنين بلا زوال
السرا	رمام الخير أجمعه لديه	رهي فوق كل في السمع
السين	سراج سار كالقدر التما	سرى ليلاً الى عرش الجلال
الشرين	شريف الأصل والنسب العريق	شفيع الخلق معج من نكال
الصاد	صدوق القول ذو النطق الفصيح	صفى الله ذو وصف الكمال
الضاد	ضياء للوجود له الظباء	ضباب البر شاهدة المقال
الطاء	طويل نجاد سيف الفصل جداً	طبيعته مركبة الجمال
الظاء	ظهير للأقارب والأباعد	ظلام الكفر أجلى بالقتال
العين	عظيم القدر ذو الخلق العظيم	عديم المثل في خير الخصال
الغين	غياث للأنام وغيث بر	غزا الأعدا يسيف والجدال
الفاء	فتوحات الإله له كثير	فضائله تزيد على الرمال
القاف	قديم النور قبل أبى الأنام	قباب جبين آب كالهلال
الكاف	كريم لا يدانيه كريم	كحيل الطرف من غير اكتحال
اللام	لئن شطراً لحسن نال يوسف	لأنت الأصل فيه بالكمال
الميم	محياك المليح لنا ملاذ	ملاح حلاك تدعو الوصال
النون	نحبك من صميم القلب حقاً	نعادى من تعسادى لا نبالى
الواو	وإنك انت ذو جاه عريض	وسيلتنا بدنيا والمآل
الهاء	هبات صلاة رب العالمينا	هديات السلام كالغوالى
الياء	يفيض عليك صبهما دواماً	ينابيعاً وأصحاب وآل ^(١)

وله تخميس للقصيدة المسماة بسر السرى فى مدح خير الورى وأصلها فى نزهة
المجالس فصل المعراج ونسبها بعضهم إلى البوصيرى ثم خمسه عبدالقادر المليبارى سنة
١٣٤٧هـ وجعل أوائل مصاريحها كلها اسم محمد مجازاة للأصل. ومنها :

١- جواهر الأشعار : ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

محمد أفضل المخلوق ذو العصم محمد صاحب القرآن والحكم
محمد قاسم الأموال والنعم محمد أشرف الأعراب والعجم

محمد صادق الأفعال والكلم

محمد جاءنا للرسول خاتم محمد فائض النعماء وافرة
محمد منبع الخيرات راتبة محمد تاج رسل الله قاطبة

محمد خير من يمشى على قد

محمد سائف للكفر جادع محمد راحم للخلق نافع
محمد ساخط للذنوب قاطع محمد باسط المعروف جامع

محمد صاحب الإحسان والكرم

محمد للنفاق الكفر غالظه محمد هادم للشرك غائظه
محمد مظهر للحق لافه محمد ثابت الميثاق حافظه

محمد طيب الأخلاق والشيم (١)

هذه النماذج تقول باختصار إن في جنوب الهند عامة وساحل مليبار بجنوب الهند خاصة تراثاً أدبياً عربياً لم يصل منه إلينا إلا القليل. وسيأتيك ذكر منظومة فتح المبين التي نظمها عبد العزيز الكليماكوتى المليبارى فى قصة دخول الاسلام الى هذه المنطقة واحتلال البرتغاليين لها وهى منظومة نادرة.

٢- نفس المصدر : ص ٢٨٥.

الفصل الثالث

شرح الشعر

اشتهر من الأدب العربى وسط المدارس وبين الأدباء فى شبه القارة ديوان المتنبى وديوان الحماسة والمعلقات السبع وقصيدة بانث سعاد وقصيدة البردة، وذلك لأنها أدخلت فى مناهج الدرس فعرفت بين الناس كنماذج أدبية تحتذى.

من أجل هذا تناولها الأدباء بالشرح فوجدنا شرح ديوان المتنبى لإبراهيم بن مدين الله النكرنهسوى، وشرحه للشيخ أوحى الدين البلكرامى، وشرحه لمعشوق على بن غلام حسين الجونبورى وشرحه لعلى بن عظيم الدين الجهجري وشرحه لعبد المنعم الشاتكامى وشرحه لمحمد بن أحمد الطوكى، وهذه الشروح كلها بالعربية علاوة على شروحه باللغات الأخرى.

أما ديوان الحماسة فقد شرحه عبد القادر الكوكنى والقاضى نجف على بن عظيم الدين الجهجري وذو الفقار على الديويندى وفيض الحسن السهارنپورى وشرحه هو أحسن الشروح وقد انتقد فيه التبريزى.

وشروح المعلقات السبع كثيرة منها شرح عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفيبورى وشرح رشيد النبى بن حبيب النبى الرامبورى وشرح ابنى الحسن بن نقى شاه الكشميرى وشرح بعضها عبد الأول بن كرامت على الجونبورى وشرح ثلاثة منها عبد الحى الحسنى اللكنوى، وشرح معلقة امرئ القيس بهادر يارجنك، وأحسن الشروح شرح فيض الحسن السهارنپورى.

وأما قصيدة بانت سعاد فقد شرحها كثير من الأدباء منهم القاضي شهاب الدولة آبادي ومحمد غوث بن ناصر الدين المدراسي وغيرهما.

كذلك تناول الأدباء قصيدة البردة بالشرح ومنهم القاضي شهاب الدين الدولة آبادي ونظام الدين اللاهوري ومحمد شاكر بن عصمة الله اللكنوي وذو الفقار علي الديويندي وجان محمد اللاهوري ومنور بن عبد المجيد اللاهوري والقاضي ارتضا عليخان الكوياموي ونجف علي بن عظيم الدين الجهجرى ويوسف علي بن يعقوب علي الكوياموي وغيرهم^(١).

وقد اخترنا في هذا الفصل نخبة من الشروح وأضفنا إليها نماذج مما كتب عن غير هذه الدواوين والقصائد مما يتعلق بهذا الباب مثل كتاب شفاء العليل في إصلاح كلام المتنبي لأزاد، وكتاب الميمنى عن المعرى وكتاب الدكتور ظهور عن أبى العلاء اللاهوري.

ومن حسن الحظ أننا وجدنا شرح السهارنبورى لديوان الحماسة والمسمى بشرح (الفيضى) ضمن رسالة للحصول على الدكتوراة فى اللغة العربية من جامعة البنجاب قدمها سعيد إقبال الأستاذ بالكلية الإسلامية فى لاهور.

يقول السهارنبورى فى مقدمة شرحه : «... وبعد فيقول الفيض الأثيم الملتجئ إلى ربه الكريم إن الحماسة كان كتاباً متداولاً ولكن لم يكن شرحه الذى ألفه وأنشأه العلامة التبريزى متداولاً، لإهماله ما لا ينبغى أن يهمل، واشتغاله بما لا يجب أن يشتغل، ومع كونه أطول طويلاً لم يكن يشفى أكثر عليل. فكنت على أن أشرحه شرحاً لا يكون مملاً ولا مخللاً، ولا يرد شائقاً مطالاً، حتى فرضنى عليه ما كان فى نفسى من حب المدارس الإسلامية ولا سيما السهارنفورية والديويندية وقاهما الله، فقامت مشمراً عن ساق الجد وباذلاً ما بى من الجهد، وباحثاً عن اللغات والصلوات، وكاشفاً عن المشكلات والمعضلات ثم عن معانى الأشعار والقصص والأخبار، ومبيناً للأسماء والأنساب التى

١ - الثقافة الإسلامية : ص ٥٦ - ٥٧ بتصرف.

لم يذكرها الشارح ولا المؤلف فيما بقى إلا قليلاً، ومظهراً للأغلاط الفاحشة بالتفصيل على قصد الإصلاح والتعديل، ومصرحاً بما ذكره الشارح من الأسماء والأنساب وما لم يذكره ليحصل التمييز ويرتفع الارتياب، ومشعراً بأن الشاعر جاهلى أو مخضرم أو إسلامى حتى أتمته، وأسميته «بالقيضى»^(١).

ويقول بعد ذلك مثلاً :

«وقال بعض قيس بن ثعلبة

والصواب أنها لبشامة بن حزن النهشلى، وهو شاعر إسلامى، ويدل عليه قوله :
(أنا بنى نهشل لا ندعى لأب)، فإن بنى نهشل من دار من مضر وبنو قيس بن ثعلبة
من ربيعة وبينهما بون بعيد. وجواز أن يكون هذا الشاعر من بنى نهشل الذين هم بطن
من ربيعة وهم المراد فى قول أبى النجم : (بين رماحى مالك ونهشل) لا يستلزم أن
يكون من قيس بن ثعلبة، وإن كان من ربيعة. وقيل إن الأبيات الأول لبشامة بن حزن
والآخر لمركش الأكبر وهو من بنى ثعلبة فإنه عوف أو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة
بن قيس بن ثعلبة، وقال فى الكامل : إنها لرجل من بنى نهشل يقال له أبو مخزوم،
هذا وحقيقة العلم عند الله.

إنا محبوبك يا سسلى فحينئذ وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

من ثانى البسيط والقافية متواتر. يقال حياه إذا سلم عليه أو قال له : حياك الله.
وكاف الخطاب مكسورة ، وحى أمر مخاطبة منه. يقول: إنا مسلمون عليك أو قاتلون
لك حياك الله يا سسلى فقولى لنا مثل ما قلنا لك. وإن سقيت كرام الناس فاسقينا فإننا
نحن قوم كرام.

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة يوما سراً كرام الناس فادعينا

الجلى : الأمر العظيم، ويكنى به عن البأس الشديد. والمكرمة الجود والخير، وسراً
كل شئ أعلاه. يقول : وإن دعوت سادات كرام الناس إلى مدافعة الأعداء والبأس
الشديد وقرى الضيوف مثلاً فادعينا فإننا أجدر بذلك.

١- فيض الحسن السهارنبورى حياته وأعماله، ص ٥٨١.

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

نصب بنى نهشل على أنه بدل من ضمير المتكلم أو على المدح أو الاختصاص كما فى قوله : (إنا بنى منقر قوم ذوو حسب) ويقال ادعى فلان عن أبيه إلى زيد إذا عدل عن أبيه فى انتسابه إلى زيد فاللام بمعنى إلى، والشراء فى معنى البيع، وكنى به عن الذل والهوان، فإن الإنسان لا يبيع شيئاً إذا كان عزيزاً عنده. يقول : إنا بنى نهشل لا نعدل عن أبينا نهشل بن دارم إلى أب آخر سواه فإنه كريم علينا وهو لا يبيعنا بالأبناء الآخرين فإننا كرام عليه.

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلقى السوابق منا والمصلينا

الابتدار الاستباق والفعل مجهول. والسوابق جمع سابق هو الفرس الذى يسبق أفراس الرهان ويقال له المجلى ويعدده المصلى ثم المسلى فإنه يسلى صاحبه ثم التالى ثم المرتاح ثم العاطف ثم المؤمل ثم الخطى بالمعجمتين ثم اللطيم ثم السكيت مصغراً. يقول: إن يسبق الناس غاية لمكرمة يوماً تلقى السوابق والمصلين منا وباقى الأقسام منهم.

وليس يهلك منا سيد أبداً إلا افتلينا غلاماً سيدياً فينا

يقول لا يهلك منا سيد فى وقت من الأوقات إلا فطمنا رضيعاً مناً يستحق السيادة فيصير سيدياً، أى كل طفل رضيع منا جدير بالسيادة فما ظنك بالشبان والكهول.

إنا لنرخص يوم الروح أنفسنا ولو نسام بها فى الأمن أغلينا

الإرخاص ضد الإغلاء. والروح الخوف والحرب. والسوم قصد الشراء يقال سامه بسلعة، متعدد. وأصل أغلينا: أغلن على أنه ماض مجهول من الإغلاء فالألف للإشباع، والضمير للأنفس. يقول : إنا لنجعل نفوسنا رخيصة يوم الفزع كأنها تباع بشئ قليل أى لا نعدها كريمة عزيزة ولو سامنا بها أحد فى زمان الأمن جعلت غالية، أى لا نبذل بها أصلاً، حاصله إنا نهين أنفسنا يوم الخوف ونكرمها يوم الأمن.

بيض مراققنا تغلى مراجلنا نأسر بأموالنا آثار أيدينا

كنى ببياض المفارق عن سيادتهم ورياستهم فإن الملوك كانوا يستعملون المسك فى مفارقهم فيبيض مفارقهم ولذلك قال قائلهم :

ويظهر شيب العبد فى نقرة القفا وشيب كرام الناس فوق المفارق
ويجوز أن يكنى به عن انحسار شعر الرأس لكثرة لبس المغفر، قال :

قد حصت البيضة رأسى فما أطعم غمضا غير تهجاع

وأسا الجرح : داواه، يقول : نحن ملوك كرام نستعمل المسك فى المفارق أو شجعان أبطال نلبس المغافر فى الحروب أسخياء تغلى مراجلنا للأضياف النازلين، أعزة نداوى جراحات أيدينا بالأموال أى نعطى الديات ولا يقدر أحد على أن يأخذ الشار منا.

إنى لمن معشر أفنى أوائلهم قول الكماة ألا أين المحامونا

يقول : إنى لمن معشر كرام أفنى أباءهم وأجدادهم قول الشجعان خطاباً لهم أو تعريضاً بهم أين الذين يحامون أحسابهم وحقاتهم ففطنوا بمرادهم وقاتلوا وقتلوا.

ولو كان فى الألف منا واحد فدعوا من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

الضمير فى دعوا للألف أو الأعداء ، ومن استفهامية. وخالهم حسبهم، وعننى أراد والألف للإشباع والجملة جواب لـ، يقول : لو كان واحد منا فى ألف رجل فدعوا من فارس فينا أو فيكم مبارز حسبهم إياه يريدون لا غير بما تقرر فى نفسه أنه فارس لا غير.

إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم حد الظبة وصلناها بأيدينا

الظبة حد السيف وأراد بها السيوف يقول : إذا اتخذ الشجعان ناحية من النواحي مخافة أن ينالهم حد السيوف وصلنا السيوف القصار بأيدينا الطوال فضلاً عن أن نقف أو نفر.

ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكوا

يكون فى محل النصب على أنه مفعول ثان للرؤية أو حال يصفهم بالصبر على المكاره ومقاساة الشدائد فيقول : ولا تراهم يبكوا مع البكاة على من مات منهم وإن جلت المصيبة.

ونركب الكره أحياناً فيفرجه عنا الحفاظ وأسيف تواتينا

الكره المكروه وعنى به القتال، قال تعالى : «وهو كره لكم» والحفاظ محافظة الأحساب، والمواتاة : الموافقة. يقول : نركب القتال فيكشفه عنا محافظة الأحساب والأسيف التى توافقنا ولا تخالفنا بالخيانة والغدر». (١)

وواضح فى هذا النص ما قرره المؤلف لنفسه من منهج فى مقدمة الكتاب من تصويب للتبريزى وتبسيط لشرحه وتنبيه على ما ينبغى التنبيه عليه.

ومن شروح المعلقات ما كتبه محمد يارجنك بهادر (ت ١٣٦١هـ) لمعلقة امرئ القيس وهو شرح للشعر بالشعر إن صح التعبير. فالمؤلف يشرح ألفاظ القصيدة مستشهداً على كل لفظ بمعناه كما استخدمه شعراء العرب. وقد أسمى المؤلف شرحه هذا بأحسن السبك فى شرح قفا نبك، يقول مثلاً :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

قوله «وليل» الواو واو رب والليل معروف وهو قطعة محدودة من الزمان من لدن الغروب إلى الطلوع ويجمع على ليالى، قال النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قوله «كموج» الكاف للتشبيه والجر والموج معروف وهو دفعات الماء التى تظهر على وجه البحر عند اضطرابه واحده موجة ويجمع على أمواج ويكون من شدة الريح. قال بشر بن أبى خازم.

يمر الموج تحت مسخرات يلين الماء بالخشب الصحاح

وهو مشتق من الموجان وهو الاضطراب والحركة تقول ماج البحر والجيش يموج موجاناً وموجاً إذا تحرك واضطراب من كثرته. قوله «البحر» معروف وهو كل ماء مجتمع بعيد القعر والأطراف بحيث تجرى فيه السفن. قال جميل بن معمر.

١- فيض الحسن السهارتورى : ٦١٧ ٢ - ٦١٩.

وددت بحبى يا بئينة أنا على دسر فى البحر ليس لنا وفر

وجمعه أبحر وبحار وبحور وتصغيره بحير والبحيرة ماء يجتمع من الأمطار وغيرها
متسع الجوانب قليل الماء بالنسبة إلى البحر تغلب عليه العذوبة والتبحر فى الشئ
التوغل فيه والتضلع منه وأبحر إذا سافر فى البحر ضد أبر إذا سافر فى البر واستبحر
الماء صار بحرأ والبحر الشق ومنه سميت البحيرة لأنهم كانوا يبحرون أذنفا أى
يشقونها.

قوله « أرخى » من الإرخاء وهو الإطلاق والإرسال وتطويل المشدود وتوسيعه تقول
أرخى الثوب والحبل وأرخيته إذا أرسلته أو طولته وأرخت المرأة برقعها وخمارها على
وجهها وجسمها إذا أرسلته وسترته به وهو من الرخاوة وهى ضد الصلابة والشد
والانقباض.

قوله « سدوله » السدول جمع سدل بالكسر وهو الستر والسدل بالفتح مصدر سدل
يسدل أى ستر. قال الحارث بن عباد:

قامت تريك أثيث النبت منسدلاً وماء عيين لم يأخذهما الرمد
منسدلاً أى ممتداً.

قوله « على » على حرف جر والياء ضمير يعود إلى المتكلم، قوله « بأنواع الهموم »
الأنواع الأقسام والأصناف واحدها نوع والهموم جميع هم وهو ما يخطر على القلب من
أمر المعاش وغير ذلك. قال قيس بن زهير العبسى :

فجعونى بمالك بن زهير وحملت الهموم ثم الغموما

ويختص الهم بالمستقبل والغم بالماضى وينتج من الغم غلبة النوم وقلة الكلام ومن
الهم القلق والاضطراب والأرق ونحافة الجسم وتغير اللون. قال الشاعر ÷

إن الهموم صغيرها مما يشيب له الصغير

قال المتنبى :

والهم يخترم الجسم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

والهم الاهتمام بالأمر وهو التهيؤ والاستعداد للشئ تقول هم بكذا إذا تهيأ وأراد أن يفعلهُ وأهمنى هذا الأمر أى اوجب شغل فكرى واهتم بكذا أيضاً استعد وتهيأ وعزم.

قال ضابئ :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى تركت على عثمان تبكى حالله

وإنما خص الليل بتوارد الهموم دون النهار لأنه لباس وسكن تهدأ فيها الأصوات والعيون وتستريح الأبدان ويتفرغ البال من الكد فى المعاش وهناك تطرأ جيوش وعساكر الغموم للدخول والفراغ وذلك بخلاف النهار لما ذكر. قال جميل بن معمر العذرى:

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهم فى الليل جامع

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لى الليل هزتنى إليك المضاجع

وإنما أتى بالجمع ولم يأت بالمفرد ليعلم أن الهموم مختلفة المصادر والأسباب كهم الفراق وهم الخوف وهم الغزو وهم اللذة وهم الملك وغير ذلك فأخبر بتعاور أنواع الهموم وأقسامها ليكون معذوراً فى الشكوى.

قوله «ليبتنى» أى ليختبر من الابتلاء وهو الامتحان والتجربة تقول يلوته وابتليته إذا جربته ومنه الحديث «إذا أحب الله عبدا ابتلاه». وقوله تعالى «ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع». وقول النابغة الذبياني :

يأتى البلاء فلا نبغى به بدلاً ولا نريد قضاء بعد إحكام

سكن الباء فى لبتنى للوقوف وأصله الفتح على النصب بأن مضرة بعد لام كى.

والمعنى يقول ورب ليل كأنه فى شدة هوله وتعاور آفاته وتراكم ظلامه موج بحر زاخر قد أرحى على أطرافه وأستاره مع جميع أنواع الهموم وأصنافها لبتنى ليختبرنى أصبر أم لا وفى هذا البيت التخلص وهو الانتقال من أسلوب إلى آخر يشبه الليل الشديد بالظلام الكثير الأهوال والغيوم والأمطار والرعود والبروق والرياح بأمواج

البحر. خص الأمواج بالذكر لترادفها واتصالها ببعضها وتسلسلها وعدم انقطاعها وارتفاعها وشدة جلبتها وهديرها وانزعاج النفس وغرقها فيها عند المشاهدة والدخول في البحر خصوصاً إذا كان الأمر على ما وصف من احليلاك الليل وعظم أخطاره وكثرة أهواله. (١)

والنص بلا شك دليل على علو كعب المؤلف في الشعر العربي وحفظه لكثير منه، لكن ما يؤخذ على هذا الشرح أن المعانى كثيراً ما تضيع في زحمة الاستشهادات والأبيات، وإن كان مفيداً لمن اهتم بجمع وحفظ الشعر العربي لشرح معانى الألفاظ.

ومن أطرف الشروح وأنفعها لقصيدة كعب بن زهير بانث سعاد ما صنفه شهاب الدين الدولتآبادى المتوفى ٨٤٩هـ وكان يلقب فى عصره بملك العلماء وكان تلميذاً للقاضى عبد المقتدر الشريحي، وكان الدولتآبادى أديبا بارعا، لعلك تذكر اسمه الذى تردد كثيراً ونحن نتكلم عن فنون الأدب وشروح الكتب العربية. والطريف فى شرحه لقصيدة كعب وقد سماه «مصدق الفضل» أنه لم يكتف بتناول القصيدة من جانب واحد بل نظر فيها ثم علق على كل بيت ببيان ما فيه من البديع والعروض واللغة والنحو والصرف والبيان والمعانى فجاء شرحه واقياً شافياً فاق ما قبله وترجع على عرش شروح هذه القصيدة التى اهتم بها أهل شبه القارة كثيراً. يقول الدولتآبادى :

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول.

(البديع) وفى ذكر النور والاستضاءة وذكر السيف والسل مراعاة النظير وفى قوله لنور يستضاء به مبالغة مقبولة على وجه كما عرفت ومن المحسنات المعنوية فى البيت إيراد بعض الألفاظ محتملة المعانى كما عرفت.

(العروض) كل مستفعلن فى البيت سالم إلا الواقع فى صدر المصراع الثانى فإنه مخبون على مفاعلن وفاعلن الثالث سالم والأول والثانى مخبونان على فعلن والرابع

١ - أحسن السبك فى شرح قفانك، نواب محمد يار حنك بهادر، ص : ١٣٠ وما بعدها، حيدآباد، الهند، ١٣٦٠هـ.

مقطوع على فعلن تقطيعه : مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن (فالحاصل) أنه يمدح النبي (ﷺ) قائلاً إن الرسول لنور أو ذو نور أو مثل نور يستضاء به أو هاد يهتدى به المؤمنون أو لسيف قاطع للخصوم مهند من سيوف عظمها الله بنبل الظفر أو صاحب سيف مهند أو مثل سيف مهند أو قاهر الكفرة كائن من الذين خصهم الله بقهرهم ولله دره ما أعجب شأنه وما أعظم مكانه جمع الفضائل قضها بقضيضها « كفى بلولاك لما خلقت الأفلاك » على ذلك شهيداً أو حسبك « إني لست كأحد منكم » على عظمتة دليلاً (اعلم) أن هذا البيت بيت القصيد ومقصود الإنشاد رخلاصة النشيب حوى أصناف اعتبارات البلاغة واشتمل على أنواع جهات البراعة عند انشاده ظفر صاحب القصيدة بما ظفر من نيل نواله عليه الصلاة والسلام وبلغ حين بلغه ما بلغ من ثمن حسن الكلام.

(ذكر) الشيخ المرشد قدوة الألباء وعمدة الأصفياء شيخ الشيوخ قطب الأقطاب غوث الآفاق شهاب الملة والدين عمر بن محمد السهروردي تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوحه جنانه فى كتابه المسمى (بعوارف المعارف) أن كعباً لما بلغ هذا البيت أعطاه رسول الله (ﷺ) برداً كان عليه فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه بعث إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله (ﷺ) بعشرة آلاف دينار فردده وكتب إليه ما كنت لأوثر بثوب رسول الله (ﷺ) فلما فمات كعب رضى الله عنه بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفاً وأخذ البردة وهى كساء أسود مرقع وهى البردة الباقية عند خلفاء بغداد توارثوها كابراً عن كابر.

فى عصبه من قريش قال قائلهم يبطن مكة لما اسلموا زولوا

(اللغة) العصبه من الرجال ما بين العشرة إلى الأربعين كذا فى الصحاح وقريش قبيلة أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن دونه قال الفراء وهو من القرش وهو الكسب والجمع يقال قريش يقرش من حد ضرب كذا فى الصحاح والقول معلوم والبطن خلاف الظهر وهو مذكر وحكى أبو حاتم عن أبى عبيدة تأنيثه أيضاً دون القبيلة ومكة البلد الحرام كذا فى

الصحاح وهى بلدة معروفة شرفها الله تعالى وحرسها ولما على أربعة أوجه ظرف زمان بمعنى حين وحرف استثناء بمعنى إلا نحو «إن كل نفس لما عليها حافظ». وجازمة للمضارع لنفى الماضى المتوقع نحو لما يركب الأمير وتشنية ماض مضاعف من اللم وهنا على الأول والإسلام الانتقياد وزال الشئ من مكانه يزول زوالاً وأزال غيره وزوله فانزال كذا فى الصحاح.

(الصرف) العصبية اسم موضوع على فعلة بضم الفاء وسكون العين وقريش فى الأصل تصغير قرش للتعظيم كدريهة ثم سمي به. وقال ماض أجوف بالواو من باب نصر وقد قلته من قبل والقائل اسم فاعل منه وأصله قاول انقلبت الواو لوقوعها فى اسم فاعل أعل فعلة ألفاً ثم قلبت الألف همزة تحرزاً عن اللبس بالفعل بحذف الألف للساكنين. والبطن اسم موضوع ومكة اسم علم مضاعف واسلموا ماض معروف من باب الإفعال لجمع المذكر الغائب من السالم وزولوا أمر المخاطبين من زال يزول وأصله تزولون سقطت النون يعد حذف المضارعة علامة للوقف.

(النحو) قوله فى عصبية خبر آخر لإن، وقوله من قريش صفة قوله عصبية أى أن الرسول كائن فى جماعة كائنة من قريش أو مبعوث فيهم أو متعلق بقوله مسلول أى لسيف مهند مسلول فى عصبية من قريش وقوله قريش إن اعتبر علماً للمكان يصرف لعدم السببين وإن اعتبر علماً للبقعة أو القبيلة يمنع من الصرف للعلم والتأنيث المعنوى ووزن البيت مستقيم على كلا الوجهين كما ستعرف فى علم العروض وقائلهم فاعل قال، والجملة صفة أخرى لقوله عصبية وإضافة قوله قائلهم معنوية بمعنى اللام لأنه إضافة الصفة إلى غير معمولها والضمير عائد إلى العصبية ويمكن أن يكون صفة أخرى لقوله عصبية وقوله ببطن مكة ظرف قال، والباء بمعنى فى أى من قريش كائنة فى بطن مكة قال قائلهم لما أسلموا زولوا ويكون تقديم وتأخير وفصل فيكون من باب التعقيد اللفظى فالأول أولى ثم البطن إن كان بمعنى وسط الشئ فإضافته بمعنى اللام، ولما ظرف زمان لقال، والجملة بعده أعنى قوله أسلموا مجرورة المحل على الإضافة، والجملة أعنى قوله زولوا مقول قال قائلهم فى بطن هو مكة أو فى وسط مكة وقت إسلامهم زولوا عن هذا المكان وهاجروا إلى مدينة. وقيل كان القائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله

عنه قال عبد الله بن عمر حدثني ابراهيم بن المنذر قال حدثني محمد بن الضحاك بن العثمان الخزاعي عن كعب لقوله قال قائلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(المعاني) نكر قوله عصبه للتفخيم أو للتقليل أى فى جماعة قليلة ووصفه بقوله من قريش ويقولوه قال قائلهم للتخصيص وأورد المسند أعنى قال فعلاً للدلالة على أخذ الأزمنة مع اخصر وجه، وعرف المسند إليه أعنى قوله قائلهم بالاضافة لأنها أخصر طريق إلى إحضاره وقيد بالظرفين والمفعول لتربية الفائدة وعرف مكة بالعلمية تعيينها باسم يخصها ابتداءً، وقوله زولوا من باب الإنشاء الطلبى وهو صيغة أمر أريد به الالتماس لوروده على سبيل التساوى لأنها قول بعض الأصحاب لبعضهم ويحتمل أن يحمل على السؤال لدخول النبى (ﷺ) وأبى بكر رضى الله عنه فى العصبه المقول لهم زولوا فيكون هذا القول من عمر رضى الله عنه على سبيل السؤال دون الأمر والتساوى.

(البيان) البطن بمعنى الوسط يحتمل أن يكون مجازاً مرسلأً من البطن بمعنى خلاف الظهر لاستلزامه التوسط وهذا البيت شروع فى مدح أصحاب النبى (ﷺ) ورضى الله عنهم، ووصف العصبه بكونها من قريش وقوله قال قائلهم زولوا كناية عن كمال قوتهم وغاية شجاعتهم : الأول فلأن قريشاً فى كونهم شجعاناً أقوياء متهورون بأسرهم فكون العصبه من قريش يستلزم قوتهم وشجاعتهم وأما الثانى فلأن الجرأة على الهجرة والعزم على هجران الأوطان والخروج عن جماعة الأعداء مع كثرتهم واختيار المحاربة معهم فى أرض الغير من أعلى مراتب الشجاعة وكلتا الكنايتان من باب الكناية المطلوب بها الصفة وفى قولهم قال قائلهم إشارة إلى أن الهجرة كانت بمشاورة الأصحاب واختيارهم إياها لمصلحة اعترتهم لا للجبن والفرار.

(البديع) وفى قوله قال قائلهم رعاية الاشتقاق.

(العروض) كل مستفعلن فى البيت سالم إلا الواقع فى صدر المصراع الثانى فإنه مخبون على مفاعله وهذا على تقدير صرف قريش، وأما على تقدير منعه فمستفعلن الثانى أيضاً مخبون كالثالث وفاعله الأول سالم وأما الثانى فمخبون على فعله بالكسر والرابع مقطوع على فعله بالسكون.

تقطيعه على تقدير صرف قریش :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مفاعلن فعلن مستفعلن فعلن

وعلى تقدير منعه :

مستفعلن فاعلن مفاعلن فعلن مفاعلن فعلن مستفعلن فعلن

(فالحاصل) أنه يمدح النبى (ﷺ) لأنه بعث فى جماعة قوية كائنة من قریش اختاروا الهجرة وقصدوا الخروج من جماعة الأعداء المحفين بهم مع كثرتهم على عزم قتالهم لا على وجه الفرار فقهرهم بعد ذلك ونالوا الظفر عليهم كما يحكى عن ذلك حديث البدر ويكشف لك صورته صورة الفتح. (١)

وقد مر بك فى بداية هذا الفصل ذكر كثير من شروح ديوان المتنبى لكننا نقف هنا عند كتاب لآزاد البلكرامى بعنوان شفاء العليل فى الإصلاحات على أبيات أبى الطيب المتنبى. يقول فى مقدمته :

« ... ثم الناقدون لكلامه والناثرون لنظامه اقتنعوا بتحرير ما رأوا فيها من الخطل، واقتصروا على تفسير ما وجدوا فيه من الخلل، ولم يلتفتوا إلى إصلاح ما فسد وإيثار النافق على ما كسد، إلا أنهم أصلحوا قليلاً من العشرات كما أوتينه فى ضمن هذه الصفحات، ولا يخفى على الطبيب المعارف بمعالجة الأمراض أن منصب الإصلاح أعلى وأرفع من منصب الاعتراض فوق فى خاطرى أن أصلح ما فى كلامه من الفساد، وأشفى ما فى فلذ كبده من الكباد، وأسهل ما فيه من التعقيدات، وأبدل قدر الوسع سيئاته بالحسنات فبذلت ما بى من الجهد البالغ والسعى الجميل وجمعت هذه الرسالة التى سميتها (شفاء العليل) ». (٢)

١- مصدق الفضل، القاضى شهاب الدين الدولت آبادى، ص ٢٠٧ وما بعدها، الهند ١٣٢٣ هـ.

٢- شفاء العليل، بتحقيق الدكتور نثار أحمد الفاروقى، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٣٥، العدد ٢، ص ٦٠ - ٦١، وقد طبع الكتاب فى الهند عام ١٩٨٦م.

وآزاد يضع نفسه - مرة أخرى - موضع الطبيب الذى سيعالج بزعمه أمراض المتنبي وأسقامه. ويشير الى أن مقامه أعلى من مقام صاحب بن عباد والواحدى وغيرهما ممن انتقدوا على المتنبي بعض كلامه، ثم يبدأ فى الإصلاح فيقول :

قال المتنبي وهو مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن عبيد الله العلوى :

١- أهلاً بدار سبائك أغيدها أبعد ما بان عنك خردها

قال الواحدى : الأغيد : الناعم البدن .. وأراد ههنا جارية وذكر اللفظ لأنه عنى الشخص يقول : أبعد شئ فارقك جوارى الدار. أقول : فى البيت علة للأبعدية ولم يذكرها ابن جنى ولا الواحدى وهى : حياء الحبايب لأن الخرد كركع جمع خريدة وهى الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة، كما فى القاموس، وعلم بهذا التفسير أن التستر داخل فى ماهية الخريدة وقد تقرر فى أصول الفقه أن ترتب الحكم على المشتق يدل على عليه مبدأ الاشتقاق له نحو : أكرم العالم فإنه يدل على عليه العلم للإكرام. يخاطب نفسه ويقول : أبعد شئ فارقك جوارى هذه الدار لأنهن خرد لا يرجى لقاءهن بشدة الحياء فيهن فالقرب من كل شئ فارقك لوجود القرب منهن، غير مرجو. هذا هو وجه الأبعدية للخرد، ثم هذه القصيدة فاتحة ديوان المتنبي إذ ليست قبلها قصيدة، بل عدة أبيات، ولا يخفى أن تذكير اللفظ مكان التأنيث وارتكاب التأويل فى مفتتح الديوان لا سيما فى المطلع، لا سيما فى صدر البيت ليس بمستحسن، ويمكن أن يصلح ويقال :

أهلاً بدار رنالك يرصدها أبعد ما بان عنك خردها

الرنا : مقصورة الرنو وهو إدامة النظر بسكون الطرف، والرصد : الترقب، والمعنى على تقدير الإصلاح أنه يخاطب نفسه ويقول : لحظك يترقب الدار ويتمنى أن يراها لأنه إذا لم يتمكن من الخرد يترقب أن يرى مسكنهن لأن مسكنهن أيضاً يسلى خاطر فى الجملة، كقولى :

فوزى بدولة وصلها متعذر فغدوت مقتصرا على جدرانها

وقولى:

أنى وصولى إلى فردوس نادىها من الغنائم المامى بوادىها

لا يخفى أن المعنى المدار عليه فى البيت ليس إلا أبعدية الخرد عن العاشق ، أما «سباك أغيدها» فلا حاجة للمعنى إليه وبدله فى الإصلاح أعنى «رناك يرصدها» أفاد معنى لطيفاً زائداً على الأصل فالإصلاح مشتمل على الحسنى وزيادة.

وقال فى هذه القصيدة :

٢- أشد عصف الرياح يسبقه تحتى من خطوها تأيدها

يصف نعله وعبره فى البيت السابق بالناقة وأرجع الضميرين إليها ، والعصف: شدة هبوب الرياح ، والتأيد : أراد به التأنى ، وهو الفاعل يسبق ويقول أهون سير ناقتى يسبق أشد سير الرياح.

قال الراحدى : «التأيد تفعل من الأيد وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا وإنما أراد التفعل من الاتتياد بمعنى الرفق واللين .. وحقه تأودها .

وقال وهو مطلع قصيدة يمدح بها ممدوحاً :

٣- كفى ارانى ويك لومك ألوما هم أقام على فزاد أنجما

أرى فعل ماض من الإراءة وهى تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، مفعولها الأولياء المتكلم ، والثانى : لومك ، والثالث : ألومها ، الفاعل : هم ، وإنما أضاف الإراءة إلى الهم لأن المحزون لا يطبق استماع الملام فيكون اللوم فى هذه الحالة أرجع به فكأن الفاعل هو الهم وويك : مخفف ويك ، وقع معترضاً بين الجملة ، يقول للعاذلة ويك كفى وأتركى عذلى فقد أرانى .. هم مقيم على فزاد ذاهب مع الحبيب لومك أوجع بى.

قال الراحدى : «يقال : أنجمت السماء أقلعت عن المطر ، وأنجم المطر : أمسك ، ولا يقال أنجم الفؤاد ولا فؤاد منجم ، لكنه استعمله فى مقابلة أقام على الضد».

أقول : لو كان يقول بما مكان أنجما لتخلص عن التكلم بخلاف المحاورة، لكن ما سمح خاطره إلا بتلك القافية، يقال : يمته : أى قصده والمعنى : فؤاد قصد الحبيبة أى ذهب إليها، ولعمري أن هذا المطلع لبعيد عن شأن المتنبي وذلك حركنى أن أنظم مطلعاً فى هذا الروى، قلت :

لا تعذلى لله صبا مغرمًا من ذا الذى يرضى مقالاً مؤلماً
وقال فى قصيدة يتغزل فيها فقط :

٤- فاسقنيها فدى لعينيك نفسى من غزال وطارقى وتليدى
من غزال : بيان لكاف الخطاب، مثل أفديك من رجل، وقوع الخبر الذى تمت به الجملة وهو نفسى فاصلاً بين كاف الخطاب وبين بيانها، وهو من غزال، وقوع من غزال فاصلاً بين المعطوف عليه وبين المعطوف، تعقيد أياً تعقيد، ويمكن أن يصلح ويقال:

فاسقنيها فدى لعينك من ظبى فؤادى وطارقى وتليدى
الضمير راجع إلى الخمر المفهومة من دم العنقود فى البيت السابق.

وقال فى هذه القصيدة :

٥- فرموس الرماح أذهب للغيب ظ وأشفى لغل صدر الحقود
الغل بالكسر : الحقد، والحقود كضبور: الكثير الحقد، يقول : ذهاب الغيظ برموس الرماح، أى قتل العدو، أكثر من ذهابه بالصلح، وأشفى الحقد الحقود على أعدائه.
قال أبو الفتح بن جنى : كان الوجه أن يقول أشد إذهاباً للغيظ، لأنك تقول : أذهبت الغيظ ولا تقول : ذهبت. إنما تقول : ذهبت به، ولكنه جاء به على حذف الزائد ثم أصلحه وقال لو قال أذهب بالغیظ استغنى عن هذا.
وقال يمدح أبا القاسم عبيد الله :

٦- تمثلوا حاتمًا ولو عقلوا لكننت فى الجود غاية المثل
قال الواحدى : أراد تمثلوا بحاتم فى الجود، فحذف الباء ضرورة، أقول : يمكن أن يصلح ويقال : تخيروا حاتمًا أى أختاروه غاية المثل فى الجود.

وقال فى أبيات يهجو بها شخصاً:

٧- خليلي ما هذا مناخاً مثلنا فشدنا عليها وارحلا بنهار

أى فشد أرحالنا على الإبل، قال الواحدى : فى قوله فشدنا عليها، نوعان من الضرورة : حذف المفعول، والكناية عن غير مذكور. أقول : يمكن أن يصلح ويقال : فشدنا رحالاً وارحلا بنهار.

وقال فى تشبيب قصيدة يمدح بها شجاع الأزدي يصف الموتى:

٨- خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا إن الكلام لهم حلال مطلق

قال الواحدى : يريد أنهم موتى، لا يجيبون من ناداهم، كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا، ولو قال : خرس إذا نودوا لعجزهم عن الكلام وعدم القدرة على النطق، كان أولى وأحسن مما قال، لأن الميت لا يوصف بما ذكره .

أقول : يمكن أن يصلح ويقال :

خرس إذا نادى مناد حولهم إذ ليس فى فهم لسان مطلق

وقال فى تشبيب قصيدة يمدح بها على بن أحمد الخراسانى:

٩- حشاي على جمر ذكى من الهوى وعيناي فى روض من الحسن ترتع

قال الواحدى : إنما لم يقل «ترتعان» لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة، لا تكاد تنفرد واحدةما برؤية دون الأخرى، فاكتفى بضمير الواحد.

أقول : لا شك أن الكلام السالم من التأويل أحسن من الكلام المفتقر الى التأويل ، فلو كان يقول عينى مكان عيناي لسلم من التأويل.

وقال فى هذه القصيدة :

١٠- بما بين جنبى التى خاض طيفها إلى الدياجى والخليون هجع

الباء للتفدية والمراد بما فى الجنين القلب، والخلى : الخالى من الهوى، والدياجى منصوب على الظرفية، سكن الباء للضرورة، يقول : أفدى بقلبي المرأة التى سرى طيفها إلى فى ظلام الليل والذين خلوا عن الحب كانوا نياماً، لا يخفى أن المتنبي أيضاً كان نائماً لأن الطيف لا يتراءى إلا فى النوم، والطيف مما لا يراه الناظر ولا يشعر بمجيئه، فلا قسائدة فى كون الخليين نياماً، إنما الفائدة فيه إذا تزور نفس الحبيبة المحب لا طيفها، وهى أن لا يرى الخليون مجيئها إليه، فظهر أن قوله (والخليون هجع) فى غير محله، يجب التقاطه. أقول : يمكن أن يصلح ويقال :

بما بين جنبى التى خاض طيفها إلى وثوب الليل أسود أسفع
أسفع : تأكيد لأسود، كما فى قول أبى تمام، يذم المشيب :
له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع
وقال فى هذه القصيدة :

١١- أتت زائراً ما خامر الطيب ثوبها وكالمسك من أردائها يتضوع
جعل (زائراً) حالاً من ضمير أتت، وهو لا يصح لعدم التطابق بينهما وأوله الواحدى
وقال : زائراً نعت خيال محذوف، تقديره أتت خيالاً زائراً، يعنى أن الحال خيالاً وزائراً
نعت له، لا حال من ضمير أتت.

أقول : يمكن أن يصلح ويقال : أتت فى الكرى ما خامر الطيب ثوبها.
وقال فى هذه القصيدة :

١٢- فى ليلة ما كان أطول بتهها وسم الأفاعى عذب ما أتجرع
استعمل أفعل التفضيل بدون الأمور الثلاثة المذكورة فى كتب النحو، فقال
الواحدى: أراد ما كان أطولها فحذف الضمير وذلك يجوز فى الشعر.

أقول : يمكن أن يصلح ويقال : فى ليلة فى غاية الطول بتهها
وقال فى هذه القصيدة:

١٣- أبهر يضر المعتفين وطعمه زعاق كبحر لا يضر وينفع

الهمزة للاستفهام الإنكارى، والمعتفى : السائل، والزعاق : بالزاء والعين المهملة
كغراب : الماء المر الغليظ الذى لا يطاق شربه.

يفضل الممدوح على البحر ويقول : هل بحر يضر الواردين بالغرق وهو مر الطعام، لا
يطاق شربه، كبحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم، عطف المتنبي ينفع على لا يضر،
ويحتمل عطفه على يضر، فلهذا قال ابن جنى : فيه قبح. وقال الواحدى : لو قال ينفع
ولا يضر كان أحسن، حتى لا يتوهم نفى الضرر والنفع جميعاً، لكنه قدم لا يضر لإثبات
القافية.

أقول : يمكن أن يصلح ويقال :

أبحر يضر المعتفين وطعمه زعاق، كبحر يمنع الضر ينفع ؟

ومنع الضر أبلغ فى المدح من عدم الإضرار بنفسه، لأن من يمنع غيره أن يضر أحداً لا
يضره بنفسه البته» (١)

وما غاب عن آزاد هو أن المتنبي كان كوفى المذهب ومن ثم عاداه البصريون وخطأوه
فى حين أن ما اعتبروها أخطاء لها توجيهات فى النحو الكوفى. وبعض إصلاحات آزاد
قد تقبل وبعضها أفسدت الجزالة التى يلمسها ويحسها أهل الذوق فى كلام المتنبي كما
فعل بالبيت الرابع والثامن والثانى عشر.

ومن حق آزاد أن يتعالى على المتنبي إذ لا يستطيع أن يمنعه أحد وهو حر أيضاً فى
أن يرى فى شعره ما يرى فالأمر راجع فى النهاية إلى الذوق، إنما ما يهمنا فى هذا المقام
إثبات حقيقة تنصف آزاد وهى أن محاولته الإصلاح دون الاكتفاء بالنقد محاولة جريئة
مهما كانت نتائجها، خاصة ركوبه الصعب بإصلاح - أو الجرأة على إصلاح - كلام
المتنبي. ومن هنا تأتى قيمة هذا الكتاب وقيمة جهد آزاد الأعجمى.

وأمامنا أديب آخر سلك مسلكاً آخر مع شعر وشخصية شاعر عربى آخر تنازع أمره
نقاد العرب وهو أبو العلاء المعرى. وأديبنا هو الأستاذ عبد العزيز الميمنى المتوفى

١- ثقافة الهند، المجلد ٣٥، العدد ٢، ص ٦١ - ٧٤.

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، صاحب أعظم كتاب عن المعري واسمه (أبو العلاء وما اليه) إذ دافع الميمنى عن اتهامات النقاد لأبى العلاء، مستشهداً فى دفاعه بأشعاره، راداً للأقاويل بأسلوب مقنع لا يردد ما يقال وإنما يفحص ويفند. يقول الميمنى بعد عرض أقوال الجارحين للمعري والمعدلين له ومن وقفوا فى أمره فى منزلة بين المنزلتين :

« هؤلاء الأئمة تناقضت أقوالهم وتباينت مناهجهم فى دين الرجل ولعل هذا الداء سرى إليهم من شعره ففيه كل شئ وضده كما يقول هو بنفسه :

ولكل ما أصبحت تدرك حسه ضد وكبرة من ترى كصغار
ويعتري النفس إنكار ومعرفة وكل معنى له نفى وإيجاب

وانظر النظرة حتى تشاهد مقالنا برأى العين. ولست أعنى تخطئتهم بأجمعهم فإنهم لم ينفشوا إلا بما رأوه فى شعره، فكلهم إذا مصيب فى مزعمه. إلا أننى أريد أن أرعى كل ما رأيت له فى وقت واحد رعاية رجل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حتى لا أبخسه حقه فى نعمة أسداها كما أننى لا أريد أن أنفى عنه شنائع أتاها وجرائم جناها.

لا غرو أن له كثيراً من الشعر فى اللزوم واستغفر مما يرمى إلى المروق كالاقتراض على حكمة البارئ سبحانه وإرادته الخير وإنكاره النبوات والاستخفاف بأنبياء الله وبالشرائع وإنكار البعث والمعاد والقول بقدوم العالم والذهاب إلى آراء الفلاسفة فى أن العالم كالنبت يزهر ثم يذبل وجناية الوالد على الأولاد وتحريمه أكل كل ما لا ينبت به الأرض كاللحم والشحم واللبن والجبن والعسل واختياره إحراق الميت على دفنه وغيره مما يطول بنا سرده.

ولكن لا يوجد له شئ فى غير .ل. من هذا النحو لا فى س ولا فى ملقى السبيل ولا إن شاء الله فى سائر كتبه مما لم يصلنا. اللهم إلا نزر يسير لا يصرح إلى الغرض فلا حاجة لنا إذاً به.

وليكن منك على ذكر أن له فى اللزوم وأيضاً مما يضاد عامة الأمور المذكورة شيئاً ليس بالهين له لعله يفضل على السابقة فى الكمية والكيفية فانظر النظرة.

ولكن الطبيعة البشرية مفضورة على الانجذاب إلى ما فيه استطراف أو جدة. فنراهم حكموا عليه بتاتاً بعدة كلمات له سردوها فى الزندقة وأضربوا عما يضادها صفحاً بالمرّة. كما أن الذين أرادوا تبرئته وإنقاء جبينه اقتنعوا على ما يضادها فقط. فأى الفريقين أحق بالأمن.

والذى يتخلص من كل ما له أن الرجل لما رحل إلى بغداد كان يرتجى من دنياه أن تواتيه ومن حياته أن تساعفه. ولكن لما رأى بها أعراض الحياة وزهراتها منقاداً للطعام معرضة بوجوهها عن الكرام علم أن الدنيا ليست إلا حظاً وبختاً وأن فوائدها لا تحصل بالكد والعمل أو السعى والاجتهاد. ولم يكن يرغب فى الدنيا حتى يكتفى بها عن المعيشة الفاضلة فنقب عن العلماء والنساک لعله يجد دواءه عندهم فرآهم حريصين على المطامع والمطاعم. مولعين بالاستهتار بالمعاصى غير آخذين أنفسهم بالواجب والملازم. وكأنه كلما أنكر عليهم منكراً وندد بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه وأثار منهم دخلة فاسدة فرموه بالعظائم. وأحالوا على الشريعة والدين حتى يتخلصوا عن لومة كل لائم. فرماهم رشقاً واحداً. ووقع فيهم وفى أديانهم جاهداً. فأخذوا بعض كلامه وطاروا به ورموه به بكل قبيحة. قال أمين الحلوانى المدنى : لعل أبا العلاء كان فى زمان مثل زماننا هذا يعنى كل أمرى، أنكر المنكر برمونه بسوء الاعتقاد ليغفروا به الملوك كما قال الامام ابن حزم : أنا طريد الملوك لأننى اقول الحق ولا أبالى.

فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضاً من الأشعار وضمنوه ما يرمى إلى المروق. نقلوا عن ابن العديم فى العدل والتحري قال قرأت بخط أبى اليسر المعرى فى ذكره وكان رضى الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاتلاف نفسه (ثم أورد ثلاثة أبيات له اهوان. وانظرها فى الفائق) وترى فى الفائق بعض كلمات ركيكة لا تشبه سائر شعره ولعلها من هذا الجنس. ومر خبر تحريف رجلين بيتاً من اللزوم وتأليف أبى العلاء رسالة الضبعين وإرساله إياها إلى معز الدولة على بن صالح تنصلاً.

ولدينا شواهد على أنهم لم يعملوا بالتحفظ والاحتياط في عزو بعض أمور إليه مما هو براء منه كما مر قول الزمخشري في بيتين من س أنه عارض بهما قوله تعالى إنها ترمي بشرر الآية. وقد دفعناه في صدره ورددناه عليه. وهذا ابن السبكي روى بيتين لابن الراوندي وعزاها إلى المعري ثم قال فقبحه الله ما أجرأه على الله عز وجل (ثم ذكر لهما نقيضة) فهل من متأدب لا يجزم بأنهما لابن الراوندي وروى ابن سعيد في المغرب من قصيدة للجمال أبي الحسين الجزار قوله :

وفى علم العروض دخلت جهلاً وعمت بخفتى فى كل بحر
فأذكرنى به التفعيل جهلاً تضمن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن «حديث خرافة يا أم عمرو»

والمصراع عجز بيت لبعض مشركى مكة كما هو معروف، وصدره :
أموت ثم بعث ثم حشر.

ولكن هذا الاستدلال لا يغنى عنه إلا فى المنحول وأما الثابت الذى دونه بنفسه فى ل فهو أيضاً كثير فكيف يسلم من معرفته؟ وهاك أموراً تجلو من الحقيقة شيئاً :

إن حُب الظرف والاستطراف هو الذى حدا به على أن أنشأ كل صنف من الشعر وولج فى كل باب منه لما اشتهر به الزنادقة من الأدب والتظرف قال ابن القارح ولكنى اغتاط على الزنادقة والملحدین الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون القدح فى نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ويتطرفون ويبتذنون إعجاباً بذلك المذهب تيه مغن وظرف زنديق اهـ . ولو كانت هذه آرا له منقحة وأفكاراً محققة لم نجد لها من الأضداد هذا القدر الجم. وقد ورد فى مقدمة بعض النسخ من اللزوم مقدمة بسيطة تبرأ فيها من قصد الإلحاد بأوضح بيان وقال إن غرضه التفتن بالشعراء ويشهد له ما جاء فى ثبت كتبه من أن بعض الجبال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم يريد بها التشرر والأذية فالزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا (يريد كتاب زجر النابح) فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره اهـ . فهذا صريح فى أن أصدقاؤه لم يكونوا

يعرفون اللزوم كتاب إلحاد كما عرفه الأبعاد وأن مذهب الإلحاد لو كان فيه غرضاً مقصوداً لم يحتج إلى الرد على ذلك الجاهل فنفت الرجل بكل ما تخالج في قلبه من الشكوك التي لا بد للإنسان منها وهذا إبراهيم عليه السلام قال ولكن ليطمئن قلبي وهذا معنى قوله من. ل :

يسمى غوى من يخالف بكافراً له الويل أى الناس خال من الكفر

فلم يأت أمراً بدعاً بل هو على مذهب غيره من الشعراء كالمتنبي وابن هاني وأبي نواس بل هو أصدق منهم لهجة وأتم منهم نسكاً ورزهداً وقناعة وإيثاراً وتعبداً واستقلالاً بالأراء. وغاية الأمر أن لم يكن وضح له بعض العقائد فكان منها في شك وحيرة على ما ينم به شعره وكان يود أن لو لقي رجلاً يزيل عنه الشكوك ولكنه أخفق فيما هو الظاهر فلم يزل يذكرها ذكر من لا يسيغها ولا يلفظها. والدليل على ذلك أنه لم يزل قائماً بما لم يشك فيه كالمواظبة على الصلوات وإحياء الليل والذكر والتسبيح واجتهاد أن يتوفى على هذه الحالة كما قال في ثبت كتبه، وكما شهد به الذين لقوه، وعلى صوم الدهر والمروة والفتوة والعفاف والطهارة ونقاء الجيب عن سفساف الأمور. وقد قالوا إن صاحب كل فن يحتاج إليه فقط وأما المتأدب فإنه يحتاج إلى كل العلوم والفنون وينبغي له أن يطرق كل باب ويلج في كل ساحة.

وهؤلاء ملاحدة العالم من جميع الأديان لا يشبه مذهبهم في الحياة مذهبهم على ما أورد كثيراً من أخبارهم في الغفران. فهم يأنفون عن التكاليف الشرعية ويستنكفون من العبادات ويستخفون بها ويستتهزئون ويسخرون ويولعون بالهزل ولا يأخذون بذوات نفوسهم بله المسترشدين. على أن جلهم كانوا داعين إلى مقالتهم التي أنشأوها حتى يتمكنوا من زهرة الحياة ويقدرُوا على لذائذ الدنيا فإنها غرضهم الوحيد. ولم ينقل أحد ولا من أعدائه عنه أنه كان يرغب في شيء من رغائب الدنيا أو يدعو أحداً إلى مقالة في الدين يكون انتحلها هؤلاء تلامذته ملأوا أقطار البسيط ليس فيهم أحد على مذهب شيخه ولا نقل أنه دعاه إلى دين غير الإسلام ولو كان داعية لم يعدم منهم مؤمناً به ولا أعوز عليه تابع منهم.. كما لم يعوز على أغمار الملاحدة وطغام الزنادقة قبله وبعده. وقد

كتب إليه ابن القارح مدام الملاحدة وآفاتهم فهل نراه سخر منه؟ ولكن ذكاء صاحبنا لا يخلينا أن نظن به الجهل عما يراد به، ولا نظن ابن القارح عرض به وبمروقه مع اعتقاده فيه كل جميل.

ولم أر فى معارفه وهم خلق لا يحصون أحدا قرفه بما قرفه به الأجانب وهذا لعمري عجب عايب. وهذا التبريزى وغيره من التلامذة وغيرهم من زواره بالمعرة ومنهم شيخ الإسلام الصابونى والقاضى عبد الوهاب المالكى ومن البغاددة أبو الطيب الطبرى وأبو حامد الاسفرائنى المجدد قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا فى اصطافته ووده. والأندلسيون معروفون بالصلابة فى أمر الدين ولم أر لهم كلمة فى القذف وما ذاك إلا ضناً منهم بدينهم أن يتهموا بريئاً فظهر مصداق قول ابن العديم إن الذين لقوه وصفوه بكل جميل والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح»^(١).

إلى آخر دفاع الميمنى وقد مر بك شئ منه، وبعض نظمه. والكتاب معروف مشهور فى المكتبة العربية منذ سنين، تلقاه الباحثون بالقبول مما يغنينا عن مزيد من التعليق عليه.

ومن أدباء شبه القارة من عرفنا بأديب أو أكثر من أدبائها. من هؤلاء الدكتور ظهور أحمد الذى قدم لنا أبا العلاء اللاهورى وشعره فى كتابه عنه. ومع وجازة الكتاب إلا أنه أول كتاب يعرف بهذا الشاعر وانتاجه شعراً ونشراً وصلته بأدباء عصره. يقول الدكتور ظهور أثناء الحديث عن صلة أباى العلاء اللاهورى برفيقه مسعود سعد سلمان :

«ومن أمثال العرب السائرة قولهم : جليس المرء مثله وأيضاً يقولون : من عرف بشئ نسب إليه ! وهذا مما يطبق على أصدقاء الرجل وأصحابه وأخلائه وزملائه الذين نشأ بينهم وترعرع وعاش فيهم واكتسب منهم، تأثر بهم وأثر فيهم فعرف بهم وعرفوا به وهو مما لا شك فيه ولا ريب لأن التجارب البشرية قد حققت والتاريخ الإنسانى قد أثبتته عبر العصور!

١- أبو العلاء وما إليه، عبد العزيز الميمنى، ص ٢٨٩ - ٢٩٥، مصر ١٣٤٤هـ.

فإذا كان كذلك فإن أصدقاء أبى العلاء عطاء ابن يعقوب اللاهورى وأخلاءه وزملاءه
يجديرون باهتمامنا حتى نعرفهم وبالتالي نعرف شخصية أبى العلاء ومكانته فى المجتمع
الإسلامى فى العصر الغزنوى. إن الرجال الأصدقاء لأبى العلاء قد كانوا غرراً فى
جبين الدهر وقدوة فى المكارم والمحاسن وكانوا كراماً وأئمة وأعلاماً وعن هؤلاء يقول أبو
العلاء اللاهورى :

قد كان دهرى جنة فى ظلهم ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم

قد خانهم صرف الزمان لأنهم كانوا كراماً والزمان لئيم

ومن هذه النخبة المختارة لأصدقاء أبى العلاء : منصور بن سعيد الغزنوى وأبو
الفرج البرونى ومسعود اللاهورى، أما الأول فقد علت به الكفاءة ورفعته الأقدار وساعده
حظه حتى أصبح وزيراً ناجحاً من وزراء السلاطين الغزنويين، وأما أبو الفرج البرونى فقد
ذاع صيته وامتازت مكانته بين الشعراء المعاصرين له حتى حاز إعجاب السلطان ابراهيم
الغزنوى فقربه وأفاض عليه من خزائنه وجعله من خاصته ونال منصب شاعر البلاط،
وأما الثالث وهو مسعود اللاهورى فقد نال مكانة فى تاريخ الآداب العربية والفارسية
لشبه القارة ما لم ينله أى شاعر غيره سواء كان فى عصره أو فى العصور التى تلتها فقد
قدر لهذا الشاعر العظيم أن يحظى بمنصب الأولية فى إنتاج الشعر من الطراز الأول فى
اللغات الثلاثة : العربية والفارسية والهندية».^(١)

بهذا تكون قد استوفينا القول عن أنواع شروح الشعر وسير شعراء العربية والباب
واسع فيه عشرات الكتب التى أنتجها أدباء شبه القارة، والمقام مقام الاختصار فاكتفينا
بهذه الأنواع وما ذكرناه منها من عينات.

١- أبو العلاء اللاهورى : ص ٣٧ - ٣٩.

الفصل الرابع

الشعر القصصى والتاريخى

قلنا فيما مضى إن الأدب العربى فى شبه القارة خلا من نظم القصص بأنواعها تاريخية كانت أو عشقية أو حكمية على لسان الحيوان. والواقع أن أدباء العربية فى شبه القارة لم يستفيدوا من تراث الأدب الفارسى الذى راج عندهم فى إدخال المثنوى أو المزدوج لنظم قصص فى هذا الموضوع أو ذاك، ولئن تخرج هؤلاء من النظم فى موضوعات العشق لاعتقادهم أن اللغة العربية مقدسة لا ينبغى استخدامها لهذه الأغراض، فلم يكن هناك ما يمنعهم أو يسبب لهم ذلك الحرج لو أنهم نظموا فى الحكمة والمواعظ وبالجملة لا يمكن إعفاء هؤلاء الأدباء من جريمة إهمال المثنوى وموضوعاته وهم ينظمون بالعربية. والمثنوى فى بلاد العرب استخدمه الشعراء فى نظم العلوم كالنحو والبلاغة وغيرها لكنهم أبقوه على أوزان الرجز التى ربما ظنوا أنها شكله البدائى أو أصله القديم، وقد حاول شوقى فى العصر الحديث أن يخرج به عن موضوعاته التقليدية فنظم به تاريخ العظماء، لكنه أيضا أبقاء فى سجن الرجز فلم ينتشر، إذ الرجز عند العرب دنىء محقر. وبالجملة لم ينجح المثنوى فى الأدب العربى على عكس الحال فى الأدب الفارسى منذ زمن الشاعر العبقرى الرودكى فى العصر السامانى حيث نظم كليلة ودمنة. ثم طور الفرس هذا الفن بما يناسب بيئتهم القصصية الشاعرة لأنه يناسب قصص العشق والملاحم والحرييات والتاريخ والحكمة وهى موضوعات راجت فى بيئتهم، ووضعوا له أوزاناً راقصة كالمقارب المثنى المحذوف الآخر الذى نظم فيه الفردوسى ملحمة الشهيرة المعروفة بالشاهنامة، ونظم فيه نظامى الكنجوى سكندرنامه كما نظم فيه سعدى الشيرازى البوستان. وكالهنج المسدس المحذوف أو المقصور آخره الذى نظم فيه الجامى

يوسف وذليخا والكنجوى خسرو وشيرين وقد خصص الفرس هذا البحر للعشقيات. وكالهزج المسدس الذى نظم عليه الكنجوى ليلى والمجنون، وكالخفيف المسدس المخبون الذى جعلوه للحكم والمواظ ومعانى التصوف وقد نظم فيه سنائى الغزنوى حديقة الحقيقة، وكالرمل المسدس واستخدموه لنفس الغرض وكالسريع المسدس الذى نظم فيه العطار منطق الطير وبندنامه كما نظم فيه جلال الدين الرومى مثنويه المشهور، وكالسريع المسدس الذى نظم فيه الكنجوى مخزن الأسرار ونظم فيه الجامى تحفة الأبرار وهو بحر يناسب كل الموضوعات إلا ما تعلق منها بقصص العشق. ومن أجل هذه الأوزان راج الفن وتغنى به الشعراء فأبدعوا فى الأدب الفارسى على اختلاف مشاربهم منظومات تغنى وتمثل.

وكان أخرى بشعراء العربية فى شبه القارة أن يستفيدوا من تطور هذا الفن بعد أن وصلهم مكتمل الملامح راسخ البنيات لكنهم لم يفعلوا، ولم ينظموا أصلاً إلا فى العلوم وفى بحور الرجز، فقلدوا العرب ولم يجددوا أو يأتوا بشئ كان من الممكن أن يعلى ذكرهم فى الأدب العربى جملة. فليلى والمجنون قصة عربية اهتم بها الفرس فنظموها أكثر من مرة من جوانب شتى وبوجهات نظر تتفق والمشارب المختلفة، ولم يعتن بها العرب أو الهنود المستعربون.

وأثناء البحث عثرنا على محاولة طريفة هى ملحة تحكى قصة دخول الإسلام ثم الاحتلال البرتغالى لجنوب الهند وإسقاطهم لحكومة المسلمين فى المليبار وما جرى بين الطرفين فى أوائل القرن العاشر الهجرى وهى منظومة فتح المبين لمحمد بن عبد العزيز الكليكوتهى وكان معاصراً لهذه الأحداث فسجل لنا جانباً من بطولات السامرى الذى هزم البرتغاليين. وقد ظلت هذه الملحة حبيسة الأوراق المخطوطة حتى نشرها مطبوعة عبد القادر المليبارى فى كتابه جواهر الأشعار قبل أكثر من نصف قرن، وأهمية هذه الملحة تكمن فى :

أولاً: أنها جمعت بين القصة والتاريخ فهى وثيقة حية لأحداث قد لا نجد عنها مواد كثيرة فى المراجع العربية خاصة وأنها أحداث جرت على تراب اسلامى وضد شعب مسلم، فهى تصور مأساة من المأسى التى وقعت وتقع بعيداً عن عيون المؤرخين.

ثانياً: أنها من حيث الموضوع قد تكون المحاولة الأولى من نوعها فى الأدب العربى ،
ولا يحق لأدباء العرب فى ديار العرب أن لا يطلعوا عليها .

ثالثاً: أنها لا توجد فى المراجع العربية الرائجة فى دول العرب ، فهى قطعة نادرة قد لا
تتوفر لطلابها هناك .

ولهذه الأسباب رأينا أن ننقل هنا جزءاً كبيراً منها لنعطى الفرصة لمن شاء الاطلاع
عليها وتقييمها سلباً كان تقييمه لها أو إيجاباً . وقد تركنا ما بحواشيها وهوامشها من
توضيحات بسيطة لتعين الدارسين على فهم أحداث القصة التى حدثت فى ديار مجهولة
لدى أغلب العرب والمسلمين . يقول محمد بن عبد العزيز الكلبيكونى :

الحمد لله القسوى القادر	المالك المبنى العلى القاهر
القاصم الملوك والجبابرة	وكاسر القيول والأكاسرة
وهو الذى ما شاءه يكون	وكل ما لا فهو لا يكون
ثم صلاة الله مع سلام	على النبى المصطفى التهامى
محمد وأله الأبرار	وصحبة والتابع الأخيسار
وبعد حمد الله والصلاة	على النبى وأله الهـداة
فإن هذى قصة عجيبة	فى شرح حرب شأنها غريبة
واقعة فى خطة المليبار	ومثلها لم يجر فى الديار
بين محب المسلمين السامرى	وبين خصمة الفرنج الكافر
ثمت لما كان نظم النثر	يعبر الفضة مثل النضر
كذلك نظم المرء للإفـادة	يكون عند الله كالعبادة
نظمت بعضها ومالك الملوك	ليسمع القصة سائر الملوك
لعلهم إذا سمعوا يفتكرون	فى الحرب أو لعلهم يعتبرون
وعليها تسيرو فى الأفـاق	لاسيما فى الشام والعراق

ويعلموا لهممة السلطان
صاحب كاليكوت المشهورة
وهو محب ديننا الإسلام
ناصر ديننا ومجرى شرعنا
والمسلمون كلهم رعيته
ولا يقوم فى يمينه أحد
وانما يقوم رأس المسلمين
مولى ملوك الأرض فى ملبار
وارث سلطان الملببار الذى
حين أتاه بعد قسمه البلاد
فصار من ذا السيف يأخذ البلاد
يخرج هذا السيف عند الحرب
ورأته أربعة لكلهم
لا ينقصون أبداً عن أربعة
وكلمها يموت شخص يرتقى
مرتباً كدرجات المنبر
بيدقه يقاوم الفرسانا
غريانه تجرى على البحار
عادتهم لو أمروا بالموت
لا يأخذ المال بغير جرم
لا يأخذ البلدان ممن دونه
وليس يعفو لو عصى ملك كبير

السامرى المشهور فى البلدان
لازال من فضل الغنى المعمورة
والمسلمين بين ذا الأمام
حتى بخطبة على سلطاننا
وإن يكن فى أى أرض بلدته
فى العيد إلا مسلم إلى الأبد
الشاه بنذر مع جميع المسلمين
ومالك ملم الجبال والبحار
أعطى له السيف وقال خذ بذى
جميعها لمن يليه والعباد
ثمت لا يرد ها إلى التسناد
فيحصل النصر له بالرعب
مملكة وعسكر خص بهم
متى نقص تكمل هذى الأربعة
مكانه من بعده ممن بقى
أصغرهم يكون تحت الأكبر
أكثرهم يبارز السرحانا
مثل خيول الفرس فى البرارى
على امترى لا يرجعوا عن موت
وليس يؤذى أحداً بظلم
وإن عصوا يعفو بما يهدونه
إلا بأخذ بلد ولو صغير

وصيصة ممن مضى من السلف
لا يقتل الملوك غير السامري
ولا يطيع عسكر لمن قُتِل
ويخبر الأعداء بوقت حربه
فخراً لدى الملوك بالشجاعة
ثم السلاطين الصغار فى القرى
يصرف بالعشور والجريمة
ذو الرأى والتدبير والشجاعة
وكان فى زمان موسى سامرى
وهو الذى أول من تسبب
له من الألواح كالتابوت شئ
والله يهديه هداية الأبد
فواجب على جميع المسلمين
لأنه مع كفره يحارب
لأجل دينهم ودين المسلمين
فاستمعوا قصة حرب السامرى
وذاك أن أخبث الخلائق
أعدى عدو الله والرسول
وهو الفرنجى عابد الصليبان
كريهة الهيئته والأشكال
يبول كالكلب يطهر
ذو المكر والطغيان والخديعة

وما نسى ذلك من كان خلف
خشية موت جنده كالشائتر
سلطانه لكن عليه يقتتل
ليستعد خصمه بحزبه
إذ حرب غير السامرى بالخديعة
يخدمه فى الحرب مثل الأمراء
على وجوه الخير والأطعمة
والصبر والعفو لدى الشفاعة
كان هذا جنس ذاك السامرى
عبادة العجل فصار مذهبا
فيه من النصرة عند الحرب شئ
ويجرين أموره على السدد
أن يدعوا بمثل ذا يا مسلمين
والملك المسلم لا يحارب
لكنهم قد صالحوا للمافرين
يا أيها الناس بقلب حاضر
المقتدى لأنجس الطرائق
ودينه وأمة الرسول
وساجد الصورة والأوثان
أزارق العيينين كالأغوال
فخارج عن دينه فيزجر
أبعد خلق الله عن طهارة

لما أتى فى الهند كالجراد
ليجعل الفلفل والزنا جيل
عام ثلاث بعد تسعمائة
وجاء عند السامرى بالتحفة
وقال إني أعمر البلاد
فحصه من جملة البرايا
وحين قالوا إنه يخرب
فقام كالعبيد حتى يجتمع
وقمع البلدان حتى الصين
ثم أتى فى كمران وعبدن
وثانياً راح كذا فى جدة
كذلك فى سيلان والسواحل
وعمر القلعة فى بعض البلاد
كذلك أجرى ما جرى من أمره
من حرق بلدان وهدم منسجد
وقتلهم من غير ذنب صادر
ثم غدا مخالفاً للسامرى
ولم يزل يفعل ما يضره
ككلب من رياه لانتفاعه
حتى ببیت السامرى غدراً دخل

متسجراً بنينة الفسساد
لنفسه وللورى كالنار جيل
من هجرة المختار بين النسمة
ورام أن يكون كالرعية
وأدفع الأعداء والفسساد
ورد قول سائر الرعايا
بلادنا وقولنا مجرب
قوته كساملة ثم ارتفع
والهند والسند بغير مين
فأخذ الأروام أنفسا والسفن
فأخرج السلطان كل العدة
ولم يدع أرضاً قريب الساحل
ومد كفه إلى ظلم العباد
ولا نطبق حصره بذكره
وجعله للخلق مثل الأغبيد^(١)
وظلم كل وارد وصاد
من بعد ما كان كعبد صاغر
ويسعى إلى الذى يضره
وهو يعرض دائماً لرجله
فصار مقتولاً جميع من نزل

١- قوله من حرق بلدان الخ من جملة ذلك إحراق مسجد مثقال وكان ذلك ودخوله فى بيت السامرى سنة خمس عشرة وتسعمائة هجرية كما وجد بخط الناظم - (مؤلف جواهر الأشعار).

وظن أن ملكه له حـصل
فحصل الغيرة للعساكر
فـحاربوا ثلاثة من السنين
ثم أتى معتذراً فيما فعل
وقال إن قنبطان الفرتكال (١)
وهو يقول من يخالف أمركا
لا بد أن تسكنهم فى بلدتك
فالسامرى أعطى له بالقلعة
وثيقة منهم على الرعية
فكلما يعلو بناء القلعة
حتى إذا بلغ التماما
وطلب العششور للأنبيال
ومنع المراكب المكيـة
وقال أعطيك من العششور
ثم دعا للسامرى بالحيلة
وقال إن عندنا للسامرى
فينبغى للسامرى أن يقبلا
فالسامرى راح بوسط قلعتـه
فوقع الخلاف بين السامرى

فجاء على الأفرنج جيش ودخل
فوقع الخلاف بين السامرى
جميع كل كافر والمسلمين
وطلب الصلح وأخلص العمل
ما كان أمراً بهذه الفعـال
أدب وقد جعلت أمرى أمركا
لأن يكون كلهم فى قبضتك
فى أرض كاليكوت وسط البلدة (٢)
لما رأى فيهم من الخديعة
يبسدى خلافاً وقبيح النية
قصد رام أن يؤذى بها الأناما
كذا أموراً لا يجى بحال
وكان ذا من اعظم البلية
أضعاف ما يأتى بلا كسور
إلى مكانه لقصد الخدعة
هدية لائقـة للسامرى
بنفسه مكرماً مـبجلاً
فخلص الله له بمنته
 واجتمع الوزراء بالعساكر

١- يقصد قنبطان البرتغال - المؤلف.

٢- وكان بناء الإفرنج قلعتهم فى كاليكوت سنة عشرين وتسعمائة كما فى خط الناظم - (مؤلف جواهر الأشعار).

وقال كل ^(١) لو يكن قرارا
ثم دعنا لواخذ من وزرا
وهو وزير صاحب الزنار ^(٢)
وصرف الأموال والخزائن
وجمع المسلم والنيابارا
فحاصروا القلعة نحو سنتين
وأهل كل جهة في جهته
ثم رمسوا بالمنجنيق والطفق
فاجتهدوا في الحرب مثل النمر
حتى سمعنا أنه في ليلة
فترك القلعة ليلا وهرب
وكان فتحها بمحض المنة
ثم أتى إلى عدو السامري
وذاك سلطان كثير العسكر
وكان دائماً يخاف السامري
عادته إذا تولى سامري
لما أتى إليه هذا الفر تكال
وقال إن السامري يضرنى
فعمس القلعة في بلدته

لصار أكثر الورى نصارى
وأمر الحرب له فشمرا
ذو الرأى والتدبير والأفكار
ووضع الغربان والسفائنا
وأحضر المدافع الكبار
ونبشوا الخندق بين الجهتين
مرابط في يومه وليلتته
حتى أبادوا بهما كل طبق
ولم يملوا من هلاك العسكر
قد مات ألف عسكر في ساعة
بنفسه لما رأى من العطب
عام ثلاثين وتسعمائة
فراهم منه أن يضرب السامري
صاحب كشى من كبار البندر
وحربه بقوة العساكر
يدخل في كشى مع العساكر
أكرمه مشمراً على القتال
أعطيك ما تريد لو تنصرنى
فازداد قوة على قوته

١- أى الافرنج - (مؤلف جواهر الأشعار).

٢- وهو مغاد تشن (مؤلف جواهر الأشعار).

فازداد غيظ السامري فحاربا
 فساعد الإفرنج حتى قتلا
 لما اجتمع كلاهما والسامري
 قوى لمن بعدهم على القتال
 فصار هذا مفسداً في البر
 فعوق الركوب فوق البحر
 وأحرق البلدان مع مساجد
 ثم بنى القلعة في كد نكلور
 وخصص الفلفل والزنا جيل
 ومن أراد حبة للمرق
 وكل من سافر دون خطه
 يكتب في الخط جميع ما فيه
 عبيارة الخطوط ان المسلمين
 وقصده الأعظم جعل المسلمين
 فالسامري ارسل هذا الخبرا
 شكاية لطلب العمارة
 وميرتين جاء من كنباية
 ومن ملوك مصر جاء أولاً
 ومن ملوك الروم سلمان باشا
 والمصطفى والقنبطان الفيرى
 إلى الفرنجي نحو كشي مفضبا
 ثلاثة من الملوك مقبلا
 عاد إلى مكانة كالشائر
 بالمال والسلاح أيضاً والرجال
 وهكذا الإفرنج في ذا البحر
 لاسيما للحاج والمعتمر
 وصير الخلق له كالأعبد
 لأن يكون حاجزاً له كسور
 لنفسه وللورى كالنار جيل
 يربطها مدقوقة في الخرق
 في مركب عذبهم بسخطه
 حتى سلاحهم ورأس من فيه
 عبيده الملوك يا للمسلمين
 في دينه أو قتلهم يا مسلمين
 إلى السلاطين مراراً تترى
 ليستريح الخلق في الحماية
 عمارة كانت بها كفاية
 أميره الحسين مع جيش ملا^(١)
 آتى وبعده سليمان باشا
 وكم رئيس جا وكم أمير

١ - مجئ الأمير الحسين كان في سنة أربعين وتسعمائة كما في نقل عن خط الناظم - (مؤلف جواهر
 الأشعار).

وكلمنا العمارة المنصورة
فالسامري يرسل للأغرية
أيضاً لئلا يتفرقوا بسلا
قصار كلما تجئ الأغريات
يلحقها ما قد جرى فى الأزل
وكلهم تفرقوا من الطريق
بحيلة الإفرنج والبر طيل
فأولاً كان جميع المسلمين
فصالح الإفرنج أهل كننور
وأخذوا لخطه فى السففر
فوقع الخلاف بين المسلمين
فاحرقوا مركب من قد سافروا
ثمت لما لم يفز بالفتح
فالسامري أعطى له فى الشاليات
كيلا يراها السامري كالأول
وصاحب الثانور كان ساعياً
وأن يكون بين بلديهما
فتلك حصن مالهانظير
ولا بنى الإفرنج فى ملببار
لأنها محكمة مشيدة
موضعها جزيرة وحولها
بروجها أربعة مربعة

تأتى مع الإمارة المعمورة
إليهم تلقياً بالحرمة
وليهم فى الكالكوت وجلا
من السلاطين بقرب جزرات
لأن حكم الله لم يبدل
ولم يروا لكالكوت من طريق
ثم غدا يسد للسبيل
على الفرنجى كسيد محارين
لأجل دنياهم وأهل ثانور
وقد جروا فى البحر دون الضرر
أى بعضهم بعضاً كمثل الكافرين
بخطه مصالحا وكفروا
ولم يكن بد بغدير صلح
بقلعة ثم بناها عاليات
كأنه يحفظ حكم الأزل
لأن يكون من آذاه ناجياً
قلعته مصالحاً بينهما
فيما حكى الراى ومن يسير
فيما سمعنا مثل هذه الحصار
ذات مدافع كبار جيدة
نهر قصار النهر كالسور لها
متصل ما بينها مرتفعة

وبنتهى الأيمن جنب النهر
ذات طباق مع سلالم لها
كذا بخشب باب تلك الجدران
وفوق ذاك الباب صنعة كثير
ويبرها فى وسط المعمور
وحول تلك الدار سور شمله
والجانب الآخر قرب البحر
وقوة القلعة والخلق معا
واضطاد للمسلم بالتصدي
وأظهروا الطفيان والفسادا
كذا محروا شعائر الأحكام
تسلط المالك فى المملوك
وملأوا من خيفة اكبادهم
وأخرجوا دموعهم ودمهم
وعطلوا معاش العباد
وأى محنة بها يعذبون
كم أرموا الإمام والنسوانا
كم من سفائن ببحر أغرقوا
حتى من السادات كالأسارى
برأ ويحسراً لم يزلوا فرقوا
لكن يملكون بهما بالوجل
ثم بنوا لهم بهما المعابدا

والجانب الغربى قرب البحر
أسفلها مخازن علوها
ويابها محوط بالجدران
لكل مصراع له باب صغير
منفذها كمحفص الزنبور
ثم الديار حولها منفصله
أينها أصاب ماء النهر
والافرنج إذ رأى المدافع
حام حوالى الظلم والتعدي
فأكثروا الصولة والعنادا
وهدموا مباني الإسلام
ثم تسلطوا على الملوك
وملكوا بسطوة بلادهم
حتى أزالوا سمهم واسمهم
وخربوا أجلة البلاد
كم مسلم فى حبسهم مقيدون
كم أيتموا بقتلهم ولدانا
كم من مراكب بنار أحرقوا
كم صيروا من مسلم نصارى
ومنعوا للمسلمين الطرقا
فصار يمشى الناس فوق الجبل
وأحرقوا المصحف والمساجدا

ويضرب المسلم بالنعال
ونبشوا بظلمهم قبورا
وهتكوا الحرمات النسوان
يقنود فى الأسواق كالأسارى
يأمرهم قهراً بحمل النجس
ويقتل المسلم بالمنشار
وتارة بالجص والدخسان
ونزلة يطعمه بلحمه
وكرة يخنقه بالحبل
وهكذا يفرقه فى البحر
وبعضهم يذبحه بالمديّة
ويربط المسلم فوق الدقل
يفعل هذا فى حضور المسلمين
ثم يبيع ميّتهم للمسلمين
وشوش المراكب المكيّة
وكل هذا نبذة مما جرى
فالسامرى غالياً يحارب
ولم يزل يحصد جند زرعه
ودائماً يخرج للأغربة
ما بين سيلان وبين سند
فالسامرى ما بين صلح وسفر
وربما صالحهم للمصلحة

وينجس المسلم بـجـد بالأبوال
وعـمـروا بها لهم قصورا
بين محارم وزوج عاتى
معذباً مقيداً حيارى
وهكذا يحبسهم فى النجس
وبعضهم بكلب ونار
ومرة بالخيل والصبيان
ودفعة يهدفه لسهمه
وحالة يقطع كل وصل
مرتبطاً فى الكيس مثل الأنجر
من بعد ما يربطه كالهديّة
حيّاً منكساً بإحدى الرجل
ولم يطيقوا منعهم يا مسلمين
ليدفنوه فى قبور المؤمنين
وكان ذا من أعظم البليّة
من ظلمه وكله فقـس ترى
لظلمهم وماله مصـا حب
فى كل عام بجـهاد ربه
فى البحر تجرى فى جميع الجهة
ويأخذ الإفرنج مثل العبد
وبين حرب وقتال وضرر
من فقد من يعينه والأسلحة

ثم إلى سلطان أشى قد كتب
 لكن على هذا مضت سنيها
 وكلمها الشكوى أتت لديه
 وكل من يأتى إلى السلطان
 واحتج أن طردهم لا يمكن
 وكان من جملتهم نصرانى
 ومعه جماعه قد ظلموا
 فنال منهم ضرر عظيم
 وقتلوا الحجاج والمسافرين
 حتى أشادوا رسم خصم السامرى
 فازدادت الشكوى إلى اعتابه
 وكان عند ذاك عاد لشاه
 ليجربها إلى حصار كوة
 فاتفقا وعاهد الله على
 فأرسل للسامرى خطهما
 فقلب الله لقلب السامرى
 فأرسل للعسكر مع وزيرين
 فبالأول الأصيل للوزارة
 إلى حصار الشاليات عازما
 وصاحب التانور حقا كانا
 وذلك الملعمون لما علم
 وكان حول قلعة سوق كثير

شكاية فلم يجد سوى التعب
 أزمنة تبلغ أربعمينا
 فالسامرى لم يلتفت إليه
 يوصيهم بالصبر والتوانى
 ما بقيت لهم بهند مسكن
 كلباً عقوراً اسمه ألدونى
 يرعون مرعى الظلم حيث حلوا
 وتعب لمسلم جسيم
 كذاك كل مسلم والكافرين
 وقطعوا زناى بعض الكافر
 وقد سعى جميع من فى بابه
 شاوور حشقا مع نظام شاه
 وحسن شيوول الذى ذو قوة
 حرب الملاعين وأن يستأصلا
 لأخذ حصن الشاليات جازما
 فاختار حرب الإفرنج الكافر
 وسلم الأمر إلى الوزيرين
 والثانى وهو ناظر الخزانة
 مع جنود كافراً ومسلما
 من جملة الوزرا له معوانا
 وصلهم للإفرنج أعلما
 كذا ديار حولهم سور كبير

فأدخلوا فى قلعة من حولها مع مال هم من نعمة حفظا لها
وادخروا من الأرز ما وجد قهراً ومثل ذاك حيثما وجد
ثم أتوا لحبس كل المسلمين أغنى المطيعين لهم كالميتين
فأرسلوا الأخبار للعساكر ولم يكن وزيرهم بحاضر
فدخلوا البلدة بانسينا وحاصروا القلعة مصبحينا
فأحرقوا فى ساعة ما حولها فأصبحت مثل الصريم يا لها
فبقى القلعة فرداً وحدها كشجرة قد قطعت أغصانها
وبينما ذا الحرب قام بهما اذ وقعت خصومة بينهما
وصاحب التانور ذا اللعين آتاهما كأنه يعين
فسكن الحرب بغير ما سبب وبعضهم يقول فى هذا سبب
لأن ذاك الشخص ذا الوجهين قد مد كفه إلى الجهتين
وأنه ببذل ما فى يده يجعل كل من رأى فى يده (١)

وطبىعى أن المنظومات التاريخية والقصصية يقل فيها الاعتناء بالمحسنات لأن الناظم يضع نصب عينيه الأحداث اتساقها وتسلسلها قبل كل شئ، يهتم بها ويعطيها خياله دون عناية كبرى بالبديع والصناعات ومن ثم جاءت بهذه المنظومة سقطات يعرفها أهل الفن.

وما يؤخذ على هذه المنظومة أن صاحبها وضعها فى قالب الرجز أيضاً، ولم يخرج بها إلى ساحة بجور المثنوى الطلقة. فكأنه جدد فى المثنوى العربى من حيث الموضع لكنه التزم قالب القديم ونظن ظناً أن هذا من الأسباب التى تعوق انتشار أمثال هذه المنظومات. على أننى أعترف بصعوبة فهم بعض المواضع دون الرجوع إلى التاريخ النثرى الذى كتبه زين الدين بن على المليبارى عن نفس الوقائع وأوردنا لك جزءاً منه فى باب النشر عند حديثنا عن التاريخ.

١- جواهر الأشعار : ص ٢٣١ وما بعدها.

وأيا كان الأمر فإن المنظومة - التى تقع فيما يزيد عن خمسمائة وخمسين بيتاً - محاولة جديدة فى النظم العربى حاولها صاحبها قبل خمسة قرون وأردنا فى هذا الفصل تعريف أبناء العربية بها تاركين تفاصيل نقدها لمن أراد ذلك.

ومن أطراف المنظومات أيضاً قصيدة نظمها الأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومى عام ١٩٨٥ وهو من أدباء العربية فى مدينة كلكتة فى شمال شرق الهند، وموضوع القصيدة حياة وأعمال الأديب عبد العزيز الميمنى. هى باختصار ترجمة لحياة الميمنى بما فى ذلك تلاميذه وشيوخه وأسفاره وتنقلاته وعلاقاته وأعماله الأدبية وغير ذلك فى قالب شعرى. والمنظومة تقع فى حوالى مائة وستين بيتاً يقول فيها :

تحدث عن الحبر المشاطر للبحر	وعن لجج البحر المسائر للحبر
حديثك عن حبر تصدر لافظاً	بدر ومرجان حديث عن البحر
سواء إذا لقبته البحر، طامياً	أو الحبر غواصاً على ناصع الدر
فلقبه إما عبقرياً، حلالاً	وإما سرياً قسطنطيناً يد الدهر
سمى (ابن مروان) الأمير على (مصر)	على أنه حقاً سسمى أبى (البكرى)
إخال (أبا الحجناء) وافاه منشداً	(لعبد العزيز) المطلع الغض بالجهر
فهبنى (نصيباً) عن سعى أميره	تحدث ما استطاعت مطاوعة الفكر
إذا كان حياً، لم أزره مشافها	فجاء قريضى اليوم منجبر الكسر
عبأرتنا عنها سنا البدر فى غنى	فهل نحن عشنا فى غنى عن سنا البدر
يفوق الفتى أقرانه، فكأنه	حكى القمر السارى لدى الأنجم الزهر
تجلى عباراتى عن البدر زاهياً	فهبه رديف (الميمنى) على ظهر
له من فى جيد فصيح لغاتنا	قلاندها ازدانت بملتصع الشذر
تباهى به (الهند) الكريمة مرطناً	فقد أنجبتته (الراجكوت) من (الجزر)
أقسام (بدلهى) فى ذرا أدبائها	وفى (رامفور) عند أعيانها العز

شيخ الميمنى :

و(طيبهم) بل أصمعيهم العصرى
رجال بلاغات السحابنة الخضر

فسمنهم (نذير) ألمعى أوانه
إلى شيخه (المكى) هذا تتابع

علاقة الشاعر بالشيخ المكى :

أهيم به دون التبجح بالنزر

إليه انتمى نزرى بواسطة فلا

تلاميذه الشيخ المكى قبل الميمنى:

سمى (حسين) من جهابذه العصر
و(أحمد حسين) الفرد الكوكب الدرى
ولم أستفد من علمه الجم للصغر
طريقان ضمانى إلى (طيب) النشر
لها نفحات من لطيمتها تسرى

فتلميذه، شيخى كبير (ولاية)
ورافق شيخى (السورتى) أخو النهى
أخى، شيخه، هذا الأخير رأيت
فثقف منادى شقيقى، وهكذا
وهل كان إلا (طيباً) فى صلاته

مجيئ الميمنى إلى شيخه المكى:

ألى (طيب) أو منتهى الزصل والنجر
بلا تعب دون المرام ولا قسـسـر
تأثلها من جملة الفضل بالكبر

نحارير، جاء (الميمنى) بعقبهم
فشاركهم فيما احتووه من السنا
وعاد بأوفى حفظه وبأثلة

شيخ ثالث للميمنى :

إذا ما حوى شطراً أكب على شطر

روى عن (حسين) ما روى عن علومه

اختصاصه باللغة العربية :

ضليعاً يبارى (العرب) فى حلبة الفخر
ولا يحتذى إلا بفصحى (بنى فهر)
ويتلو نصوص (ابن العلاء، أبى عمرو)
لدى بابہ العالى، فيساعه الصدر

لقد اتقن الفصحى الكريمة فاستوى
أديباً كلام (الضاد) طوع بنانه
حوى من تراث الأقدمين عيونه
له مكرمات الصدر، ألقت بعاعها

رحلته إلى استنبول ومصر :

حزائن (استنبول) و (الدار) حاسه
وكم غرراً مطمورة في عيساهب
أطاف بها تطواف (صعصعة) التقى
أبى الله إلا أن يعشن عرائسا
أتاهن طبيا بالمداواة شافيا
كان رواة الشعر والنثر واللغى
حواليه من آثارهم نيراتها
فلو أنه لاقى (الفرزدق) طمه
أنامله انضمت على مزير جرى
فقاد بطامى علمه جن (عبقري)

عراماً باعلاق السواد والزير
من النقع والديدان والعت والخسدر
فخلص مؤذات علم من القبر
مجررة الأذيال في الخزل الطمر
فمن علل شتى وقاصمة الظهر
حفافيه قاموا في صفوف بلا عذر
دواليه من أسفارهم منتقى الذخر
لأفحمه مرآه، فضلا عن القعر
مغدا فهل تنضم إلا على السحر
وساد بساميه، عباقره العصر

أمكنة أقام بها مدرسا:

قضى مدة من عمره في (بشاور)
(لهاور) جلاها (الصفاني) ناشئا

وفي بلد (اللاهور) أخرى من العمر
تجلى بها (ثانيه) في آخر الدهر

مسيره إلى عليكر :

سنا (آفتاب) اقتاد شمس معارف
فبواه خير البلاد، (على كر)
فأضفى على أضوائها من ذكائه

أم استنزل العنقاء من ردة الوكر
ليسحب أذيال الفخار على (النسر)
وزاد على آلائها رونق الظهر

أبر العلا وما إليه :

تحدث عن (شيخ المعمره) باحثاً
وحاك من اللفظ الأنيق منمنماً

فنقب عن مغزى الحقائق والسر
على حوك نهر مر بالسهل والوعر

سمط اللالى :

وحاول تنضيد (اللالى) وسردها

فأقبل (بالسمط) المضى على النحر

انتصاره للقالي فى السمط :

وأما فتى (قالقلا) فلو انه
وعن حوضه أضحى يدافع شاعراً
لحياء تسليم البشاشة لائماً
وقد همت (الزهراء) ينشر أهلها
رأى البطل الهندى قواه بالنصر
مهنده فى وجه جيش أخى (بكر)
يديه وقد هزته عاطفة الشكر
سروراً بهذا قبل آونه النشر

مأخذه على البكرى :

ولو شاهد (البكرى) مهوى انقضاضه
فكم حملة (للميمنى) يشنها
عليه لهالته مغافصة الصقر
على جحفل (البكرى) بالكر والفر

إعجاب علماء العرب بالميمنى :

أقرت رجاب (القبلتين) بفضله
على ثلة المستعربين أولى الأمر

رد الميمنى على غواة الاستشراق :

وكم عوج (للمستشرقين) أقامها
لهم بالتحرى فى معالجة الصر

ثلة من أخلائه :

أجل فحول الدهر علماً أولى الخير
بهم أكتفى خوف استطالة منجرى^(١)
أخلائه منهم (سليمان) عصره
ومنهم (خليل) (سالم) و(معظم)

إلى آخر ما قال. وموضوع القصيدة بلا شك طريف جديد والمشكل فى هذا النوع من
النظم أنه يحتاج إلى حواشى كثيرة كما ترى لتوضيح ما ذكر، وتفصيل ما أجمل. ومع
هذا فالقصيدة دليل على طول نفس المؤلف فى النظم العربى. وتمثل نموذجاً من الأدب
العربى فى الشمال الشرقى لشبه القارة (بنغلاديش) حالياً.

١- مجلة المجمع العلمى الهندى، المجلد العاشر، العدد الخاص بالميمنى، ص ٢١٤ - ٢١٧.

الفصل الخامس

نظم العلوم

قلنا قبل ذلك إن أدباء العربية فى شبه القارة لم يخرجوا عن إطار العلوم فى منظوماتهم، ومن هذه المنظومات مثلاً منظومة فى العوامل النحوية للشيخ عبد القادر بن خير الدين الجونبوري ومنظومة فى التصريف لبدر الدين اسحاق الدهلوى المتوفى ٦٩٠هـ، والمتشعب المنظوم فى الصرف لحميد الدين بن غازى الكاكورى المتوفى سنة ١٢١٥هـ، ومنظومة فى البلاغة لعبد الكريم الحنفى الطوكى.^(١)

وقد نظم آزاد قصيدة على وزن وقافية البردة سماها القصيدة البديعية كل بيت منها فى نوع من أنواع البديع وفنونه. يتحدث آزاد عن هذه القصيدة - وعن نفسه أيضاً - فيقول :

قد عرضت على جناب الأدباء وساحة الكملاء ما أردت إيراد من المحسنات الكلامية والبدايع الأقليمية ثم مشيت على آثار أصحاب البديعيات ونظمت قصيدة فائقة على الأزهار الربيعيات وأخرجت من عمق البحر غرر الدرر وجددت البديع فى المائة الثانية عشر وأبيات قصيدتى مائة وواحد سالمة من تكرار اتفاقية حافلة للمطالب الوافية وما التزمت فيها تسمية النوع فإنها قاطعة لطريق الوصول إلى المعانى وسد ذى القرنين بين العشاق والغواني وقد طالعت أربع قصائد بديعيات مشروحات وهن حاضرة حالة التحرير. الأولى للشيخ صفى الدين الحلى والثانية لابن حجة الحموى والثالثة للعلوى والرابعة للسيد على معصوم المكى وهو سماها أنوار الربيع فى أنواع البديع

١- الثقافة الإسلامية، ص ٢٢، ٢٦، ٤٠.

أورد فيها تسع قصائد بديعيات واحدة لنفسه والبواقي للشيخ صفى الدين الحلى وابن جابر الأندلسى والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ تقى الدين ابن حجة الحموى والشيخ اسماعيل ابن المقرئ والشيخ عبد القادر الطبرى وهؤلاء الجماعة كلهم عرب عرباء وأئمة أجلاء وأنا سلكت منهج تقليدهم وسللت المهند بتأييدهم وربما يفعل الضعيف فعل الأقوياء والنسيم العليل يفرح أمزجة الأصحاء والأدباء الكملاء إن التفتوا فهو غاية الإحسان وإن أعرضوا فهو تنبيه على النقصان، وقلت :

نظمت قصيدة غراء فيها صنائع كاملات فى البهاء
تعالوا واسمعوا ملح الأغانى عن السورقاء ثم الكوكلاء
التفاؤل بالفعل

الحمد لله لاح البرق فى الظلم سأرتنى مبسم الحساء من إضم
أرتنى افتعال من الرؤية ومما لا بد من معرفته فى هذا المقام براعة المطلع وهى عبارة عن أن يكون المطلع عامراً بأعذب الألفاظ وأنجبها وأعلاها معنى وأحسنها سبكاً وشرطوا أن لا يكون له تعلق بما بعده وأن يكون بين المصراعين تناسب تام بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنبياً عن الآخر والمطلع أول شئ يقرع الأذان ويصافح الأذهان فإن كان على شروطه تهتز به الطبائع وتلتذ به المسامع وتشتاق إلى الكلام المستقبل وإلا تمجه وتثنى عنان التوجه عنه لما يصادف خلاف التوقع وإن كان ما بعده فى نهاية الحسن وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفى هذه التسمية تنبه على تحسين المطلع وأورد فى هذا الباب قول النابغة الديباني :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطى الكواكب
وأنا قلت فى هذا الروى:
أحن إلى بدر النقا فى الغياهب وأسفح أشباه النجوم الشواقب
وفى هذه القصيدة أقول :

أروم من الزوراء تقبيل أرضها سقى الله إياها سجوم السحاب
تربيتها الريا إليها تعطشى وصورتها فى القلب ضربة لازب

التربية تصغير تربة. ويقال طين لازب أى لازق وصار ضربة لازب أى لازماً ثابتاً
وقد وقعت ضربة لازب فى البيت بحيث لم يسبق إليها يعرفها صاحب النظر العالى.

التفاؤل بالقول

نادى منادى ليلى فاستبان لنا قال لعود لياينا بسدى سلم

الغبطة

أحب ضم مهاة قد فتننت بها هب لى إله البرايا دولة العصم

العصم جمع عصمة بالكسر وهى القلادة وتضم تشبيه الاحتراز عن الوصف الحسن.

شميسة فى صباح الوعد ما رجعت هى التى تبتغض الإيفاء بالذمم

الشميسة تصغير الشمس ورجوع الشمس على وقت الوعد حتم لا تتخلف عنه
والمحبوبة تحرز عن إيفاء الوعد مع كونها شمساً.

تشبيه الاحتراز عن الوصف السيئ

بدر تحير فيه الناس قاطبة لما تعالى عن النقصان بالسحم

السحم بالسين والحاء المهملتين محركة السواد والمراد به كلف البدر واللام فى قولى
لما تعالى جارة تعليلية وما مصدرية.

الانتزاع

تكون البرق من إشراق مبسمها لولا تبسمت الحسناء لم يشم

إلحاق التاء بالمصادر المزيد فيها للمرة جاء فى كلامهم. روى البخارى فى كتاب
النكاح فى باب «موعظة الرجل ابنته لحال زوجها» حديثاً طويلاً فيه فتبسم النبى (ﷺ)
تبسمة أخرى وفى رواية الكشميهنى تبسمة أخرى من باب التفعيل. شام البرق نظر
إليه أين يقصد وأين يطر.

عكس الانتزاع

غزالة من ضياء الشمس قد خلقت بها فشمّل الدرارى غير منتظم

الضرب الأول من تشبيه الاجتهاد وهو أن يبلغ المشبه به شأواً المشبه.

سعى الكمان طراً فى تفتحها حتى حكى من سليمى حسن مبتسم

الضرب الثانى منه وهو أن لا يبلغ :

غرس الرياض سعى كى أن يشابهها ومثل قامتها الميساء لم يقم

تشبيه الاستدلال

والشمع فى جها كالبرق مكتتب ألا ترى يسفحان الدمع من سدم

السدوم بالسين والبدال المهملتين محرقة الهم.

تشبيه السلب :

فعل اليواقيت إطفاء الصدى غلط الفاء فى شفة اللمياء ذوق فى

الصدى بالقصر العطش. اللمى سمرة فى الشفة تستحسن وهو المى وهى لمياء ومن
خواص الياقوت والعقيق تمكين العطش حين يجعلها العطشان فى الفم. قال أبو بكر
الاسفرارى من شعراء دمية القصر :

وعطشى ياقوت فيه فلم أقل بتدوية الياقوت من غلة الصدى

الصدى فى هذا البيت كفرح العطشان.

تشبيه الاستفادة :

الضرب الأول من تشبيه الاستفادة وهو استفادة المشبه به من المشبه

تسرى الأهله طراً تستفيد سناً عما يلوح بساقيها من الخدم

الخدم جمع خدمة محرقة وهى الخلخال. الضرب الثانى منه وهو استفادة المشبه من
المشبه به.

خريصة أيقن الراؤون أن كسبت من التصاوير وصف الصمت والصمم

الخريدة الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة كذا فى القاموس.

ابو قلمون فى استخدام المظهر

الا حبيبتا هند ومسكننا هل تسليان أسير الهجر بالأمم

الهند اسم امرأة بالعربية وإقليم هو لسان أهله الأمم محرقة القرب.

ابو قلمون فى استخدام المضم

لقد طغى ماء عينى عند رؤيته نعم زيادة مد البحر بالجلسم

طغى السيل عظم وجاوز الحد وطغى البحر هاجت أمواجه من فعل يفعل بالفتح
فيهما كذا فى لوامح النجوم وذكر صاحب القاموس طغى الماء ارتفع من باب رضى لا
من ذلك الباب مع أنه وقع فى القرآن العظيم قال عز من قائل «وأنا لما طغى الماء
حملناكم فى الجارية»، الماء الماء وبالفارسية القمر وضمير رؤيته راجع إليه بالمعنى
الثانى^(١) والمراد به المحبوبة وتذكير الضمير باعتبار لفظ الماء الجلم محرقة القمر.^(٢)

ويستمر آزاد على هذا النهج الى آخر قصيدته فى بيان ألوان البديع التى لا يعرفها
العرب، وفى إصلاح ما يراه هو عند العرب خطأ ومخالفاً. وقد مر بك رأينا فى كلامه
فلا نكره.

ومن أطرف المنظومات أجناس الجناس للمفتى محمد عباس التستري وقد مر ذكره
فهذه المنظومة تناول الشاعر فيها موضوعات مختلفة من موضوعات الحياة كالزهد
والإسراف والشعر وموت الأولاد والأحبة والصبر والمرض والصحة وتقلب الزمان وخداع
أهل الغدر والبخل والغيبة والنميمة، والصلاة والصوم وما إلى ذلك من موضوعات
اجتماعية وعبادية.

١- هذا نموذج آخر من تهنيذ آزاد وتفرسه للعربية إذ لا تذوق ما فى هذا البيت من صنعة إلا من كان من
العرب يعرف الفارسية وقليل ما هم - المؤلف.

٢- سبعة المرجان : ٢ / ٢٨٤ وما بعدها.

لكن الشاعر لم يهدف الى تناول هذه الموضوعات من حيث هى كذلك ، بل تناولها عرضاً وكان قصده أن ينظم منظومته فى صنعة الجناس حيث جاء فى كل بيت من أبياتها بلون من ألوان الجناس ، ولذلك سماها أجناس الجناس .

ولهذا السبب أدخلناها فى نظم العلوم باعتبار هدف المؤلف وقصده ، وقد أجاد الشاعر فى التفنن فى منظومته ، والتلاعب بالألفاظ على نحو يدل قطعاً على تمكنه من اللغة ، وقد مر بك شئ من نشره وشعره وقلنا آنذاك إنه مفتون بهذا اللون من الكتابة المرصعة والأسلوب المزوق المزخرف . يقول الشاعر فى منظومته عن الزهد مثلاً :

خليلى هل إلى الزهاد هاد	قـعـبـود فى الزوايا والوهاد
وكم من جـاتـع لما بلونا	وجدناه يحاكي العشب لونا
وما إن ذاق من دنيا لماقا	فعز ولو شرى عرضاً لماقا
دع الدنيا وما فيها زهيدا	وكن للصبر والتقوى عهيدا
فإن تظفر ليرومك بالطعام	فكل لا تدخر أقساط عام
ولا تجزع إذا ما حل بوس	فحرب الدهر ما فيها لبوس
لقد سلكت بهذا النحو سادة	وما ثنيت لهم أبداً وسادة
وليس الزهد إلا فى المشياعر	چه خوش حرفى كه زد از خامه شاعر ^(١)
إخال الشيب لى فقراً فمالى	وللدنيا لى ولو أغنت بمال
وما نفع الفنى غير الويال	بجسم صار شناً وهو بال
وما حب الشراب ولا الكباب	بأفحش من هوى مال كبابى
ولكن هالنسى إبلاس آلى	فأحوجنى الظنون الى سزال
وذاك مـذلة من فوق ذل	وليس من التذل منقذ لى ^(٢)

١- معنى الشطر الثانى وهو بالفارسية : ما أجمل ما قال الشاعر ، لكن الشاعر حرص على أن يكون ثمة جناس بين آخر الشطرين العربى والفارسى ، وقد تكرر هذا فى منظومته . المؤلف .

٢- أجناس الجناس : ص ٢٦ .

ويقول عن الشعر والشعراء :

وكم من شاعر ما طال باعه
كثيراً يتبع الجهال غيه
وقد ملك امرء القيس الفصاحة
وكم من شاعر فى الفن عال
ويطرد فهو فى بيت كميت
وكيف الفوز بالفكر الدقيق
فلا تقرض لجلب المال شعرا
وكم من مفلق طلق مدل
تراه سالماً قولاً وديناً
وببقى دون مطوى الحصول
يطير إذا شدا طرباً قصيداً
هموم الرزق للغرثى قروح
وليس لنا يد حتى نواسى
فإن ترفع له خيم الفواضل
وهندى تجشمها فهانا
وقد ذقنا كلام البلجرامى
ترى أنفاسه مسكاً ذكية
كلام غير حر وهو حر^(١)

غوى لا يجوز لنا اتباعه
وما فى شعره إلا لغيه
فصاحت فى النسيب به الفصاحة
يحل بفقره صف النعال
وإن يك مادحاً مثل الكميت
لمن لم ينج من فكر الدقيق
فتمنعه ولو بلغت شعري
خفيف الوزن بالفقر المذل
تهدم ركنه فغدا مدينا
بلا سبب كمحذوف الأصول
فإن عرضوا عليه الرزق صيداً
وكيف بقاؤهم والرزق روح
وإن يك مخجلاً لأبى نواس
بأسباب وأوتاد فواصل
وإن بلغ العراق وأصفهانا
فما ثمراته غير الجرام
وفيهما بعد نثن الهندكية
فتغير اسمه الأصلي ضر

١ - آزاد معناها حر بالفارسية والأردية ولعلك ترى أن الشاعر هنا يهجو آزاد البلجرامى أو البلكرامى بينما يبكى حال نفسه وإن كان أجود منه شعراً - المؤلف.

بلى أثر اسمه بالقطع باق وما التفتير إلا للإباق
بجرم النصب أهجر البلجرامى وهذا أصل إجرام جرام
عجب دارم كه توبا اين تباهى ^(١) بما لفقت من شعير تباهى
أتقتل سلك نظم كالجبال ولم تعمدا الى تفريح بال
كشفت معميات والأحاجى ولم تقصد بذاك قضاء حاج
وإن قضاءها كشف الكروب لقاضيهما وصاحبها الكريب
ألا كل يحملنى قريضاً ومن يعرف بشعر راق ريضاً ^(٢)

وهذا النص يظهر لك مخالفته لآزاد البلكرامى واستخفافه بشعره «الملفق» حسب
تعبير التستري، وبطالعك أيضاً على خلاقات القوم المذهبية كعادة أهل شبه القارة من
قديم وحديث.

هذه النصوص من منظومة التستري تريك عدة أمور :

أولها : أن الشاعر اختار لمنظومته وزناً راقصاً، لكنه لم يختار لها موضوعاً، فكأنه
جدد فى شكل المثنوى العربى وخرج به من بحور الرجز الى البحور التى
استخدمها الفرس فى منظوماتهم .ومن هنا بقيت منظومته ناقصة بينما
بقيت منظومة الكليكوته غير تامة لجودة الموضوع وتقليدية القالب.

وثانيها : أن الشاعر لم يدر بخلده قطعاً وهو ينظم منظومته أن العرب سيقرونها،
ولذلك ضمنها أبياتاً فارسية فتراه يجانس بين نهايات مصاريع فارسية
ونهايات مصاريع عربية فيأتيك بنصف البيت فارسياً ونصفه الآخر عربياً.
دون إخلال بالمعنى. أو يأتيك ببيت فارسى وقد جانس بين شطريه.

١- معنى الشطر الأول وهو بالفارسية إنى لأتعجب أنك مع هذه الكارثة، لاحظ الجناس فى آخر الشطرين.
المؤلف.

٢- أجناس الجناس : ص ٤١ - ٤٣.

وثالثها: أن المنظومة من هذه الناحية قد يصعب على العرب الاستفادة من أجزائها التي وردت بها المجانسات الفارسية فهي تحتاج الى من يعرف اللغتين. وقد كانت الفارسية رائجة في شبه القارة أكثر من العربية وكان يعرفها ويعرف شعرها كل أحد ولهذا وافقت المنظومة مزاج الثقافة في شبه القارة لكنها بعدت عن المزاج العربي.

ورابعها : أن المعانى تاهت وسط ازدحام الصنعة اللفظية بحيث لا يخرج القارئ لها إلا بتدريب عقلى إن استلذه المحبون لمفارقات الألفاظ استمجه الباحثون عن شئ مفيد.

وخامسها : أن المنظومة بلا شك لا تثبت إلا قدرة ناظمها على تطويع الألفاظ كيف يشاء يمناً وشمالاً وشرقاً وغرباً كي يصل إلى مراده، فهو أستاذ في الصنعة اللفظية بلا منافس.

هذه المنظومات التي عرضنا لك أجزاء منها تؤكد أن أدباء العربية في شبه القارة اقتفوا أثر العرب فلم ينظموا إلا في البلاغة والنحو والصرف، وجاءت محاولاتهم ناقصة من جانب أو آخر حتى ليخيل إليك أنهم لم تكن لديهم رؤية أدبية واضحة لما أرادوا أن ينظموه، وأى قالب ينبغي لهم أن يختاروه.

الفصل السادس

المعارضات الشعرية

المعارضات الشعرية باب معروف في الأدب العربي، والمعارضة المقابلة. وأدبنا العربي في شبه القارة ملئ بهذا النوع لأن أدباءنا كما ذكرنا لك كانوا يضعون أمامهم أنماطاً عربية ثم ينظمون على غرارها محاولين الوصول إلى شئ يشبه الأصل. ولو تتبعنا هذا لوجدنا عشرات القصائد التي قرضها أدباء العربية في شبه القارة مضاهين بها معلقة هنا أو هناك أو قصيدة لهذا أو ذاك على نفس الوزن والقافية. لكننا اقتصرنا في هذا الفصل على نموذجين اثنين هما لاميتا العرب والعجم للشنفرى والطفرائي وما نظمه أدباؤنا في معارضتهما. والنموذج الثاني عينية الشيخ الرئيس ابن سينا وأدخلنا لامية الشنفرى على رأى من لم يشترط اتحاد الوزن والقافية للمعارضة. وسنتبع ذلك بتعليق عام على المؤلف والمختلف في هذه القصائد.

يقول الشنفرى الأزدى فى لاميته المعروفة بلامية العرب :

أقسيموا بنى أمتى صدور مطيكم	فسانى إلى قوم سواكم لأميل
فقد جمعت الحاجات والليل مقمر	وشدت لطيات مطايا وأرجل
وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى	وفيهما لمن خفاف القلى مستعزل
لعمرك ما فى الأرض ضيق على امرئ	سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل
ولى دونكم أهلون سيّد عملس	وأرقط زهلول وعرفاء جبال

هم الأهل لا مستودع السر ذائع
وكل أبى باسل غيـر أننى
وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل
وإنى كفانى فقد من ليس جازيا
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع
هتوف من الملس المتون يزينها
إذا زل عنها السهم حنت كأنها
ولست بمهياف يعشى سوامه
ولاجباً اكهى مرب بعرسه
ولا خرق هيق كأن فؤاده
ولا خالف دارية متغزل
ولست بعل شره دون خيريه
ولست بمخيار الظلام إذا انتحت
إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمى
أديم مطال الجوع حتى أميته
وأستف ترب الأرض كيلا يرى له
ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب

لديهم ولا الجانى بما جر يخذل
إذا عرضت أولى الطرائد أبسل
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
عليهم وكان الأفضل المتفضل
بحسنى ولا فى قربه متعلل
وأبيض اصليت وصفراء غيطل
رصائع قد نيطت إليها ومحمل
مرزاة عـجلى ترن وتعمل
مجدعة سقبانها وهى بهل
يطالعها فى شأنه كيف يفعل
يظل به المكاء يغلو ويسفل
يروح ويغـدو داهناً يتكحل
الف إذا ما رغبته احتاج أعزل
هدى الهوجل العسيف يهـمـاء هوجل
تطايـر منه قـسـادح ومـفـلل
واضرب عنه الذكر صحفاً فأذهل
على من الطول امرؤ متطول
يعاش به إلا لدى ومأكل^(١)

إلى آخر القصيدة، وقال عارض الطغرائى المتوفى ٥١٣ هـ لامية العرب بلامية عرفت
فى الأدب باسم لامية المعجم قال فيها :

١- أعجب العجب فى شرح لامية العرب للزمخشري، ص ٤ - ٧، القسطنطينية ١٣٠٠ هـ.

أصالة الرأي صانتني عن الخطل
مسجدي أخيراً ومسجدي أولاً شرع
فسيم الإقامة بالزوار لا سكني
ناء عن الأهل صفر الكف منفرد
فلا صديق إليه مشتكى حزني
طال اغترابي حتى حن راحلتي
وضع من لغب نضوى وعج لما
أريد بسطة كف أستعين بها
والدهر يعكس آمالي ويقنعني
وذى شطاظ كصدر الرمح معتقل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته
والتركيب ميل على الأكوار من طرب
فقلت أدعوك للجلي لتنصرني
تنام عني وعين النجم ساهرة
فهل تعين على غي هممت به
إنى أريد طروق الحى من إضم
يحمون بالببيض والسمر اللذان به
فسر بناء فى ذمام الليل معتسفاً
فالحب حيث العدا والأسد رابضة
نوم ناشئة بالجزع قد سقيت
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها
تبیت نار الهوى منهن فى كبـد

وحليمة الفضل زانتني لدى العطل
والشمس رآد الضحى كالشمس فى الطفل
بها ولا ناقتى ولا جملى
كالسيف عرى متناه عن الخلل
ولا أنيس إليه منتهى جذلى
ورحلها وقر العسالة الذيل
ألقي ركابى ولج الركب فى عذلى
على قضاء حقوق للعلی قبلی
من الغنيمة بعد الكد بالقفل
بمثله غير هيباب ولا وكل
بشدة البأس منه رقة الغزل
والليل أغرى سوام النوم بالمقل
صاح وآخر من خمسر الكرى ثمل
وأنت تخذلنى فى الحوادث الجلل
وتستحيل وصبغ الليل لم يحل
والغى ينجر أحياناً عن الفشل
وقد حماه رماة من بنى ثعل
سود الغدائر حمر الحلى والخلل
فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل
حول الكناس لها غاب من الأسل
نصالحها بمياه الغنج والكحل
مما بالكرائم من جبن ومن بخل
حرى ونار القرى منهم على القلل^(١)

١- جواهر الأدب، أحمد الهاشمى : ص ٩٨٦ - ٩٩٦ ، بيروت ١٩٨٣ م.

إلى نهاية القصيدة، وقد عارض القاصى عبد المقتدر الشريحى المتوفى ٧٩١هـ
بلامية عرفت بلامية الهند وتناقلتها كتب الأدب فى شبه القاره قال فيها

يا سائق الظعن فى الأسمار والأصل	سلم على دار سلمى وابك ثم سل
عن الأطباء التى من دأبها أبداً	صيد الأسود بحسن الدل والنجل
وعن ملوك كرام قد مضوا قدداً	حتى يجيبك عنهم شاهد الظل
أضحت إذا بعدت عنها كواعبها	أطالها مثل أجفان بلا مقل
فدى فؤادى أعرابيسة سكنت	بيتاً من القلب معموراً بلا حول
من نور وجنتها من حسن غرتها	من طيب طرتها من طرفها الثمل
الشمس فى أسف والبدر فى كف	والمسك فى شغف والريم فى خجل
بخيلة بوصال المتسهم بها	والجود فى الجود مثل البخل فى الرجل
كأنها ظبية لكن بينهما	فرقاً جلياً بعظم الساق والكفل
خيالها عند من يهوى زيارتها	أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
كيف السبيل إليها بعد أن حفظت	بالبيض والسمر فى أعلى ذرى الجبل
طرقتها فجأة والليل فى جدل	والذئب فى كسل والقوم فى شغل
قالت : لك الويل هلا خفت من أسد	له برائن كالعسالة الذبل
فقلت : إنى ملك صيده أسد	وصيد غيرى من ظبى ومن وعل
قالت : فما تبتغى لا منع، قلت لها :	كلا فإنى عفيف القول والعمل
وإنى رجل من معشر سحبرا	ذيل التبتل والتقوى على زحل
لا يطمعون ولكن كان ديدنهم	إعطاء ما ملكوا كالعارض الهطل
أسد إذا سخطوا أفنوا عدوهم	قوم إذا فرحوا أعطوا بلا ملل
ما قال قائلهم يوماً لواحدهم	« لو كنت من مازن لم تستبح إيلى »

يا طالب الجاه فى الدنيا تكون غداً
يا طالب العز فى العقبى بلا عمل
يا أيها الطفل أنت الطفل فى أمل
يا من تطاول فى البنيان معتمداً
لأنت فى غفلة والموت فى أثر
واقنع من العيش بالأدنى تكن ملكاً
ثم اغتنم فرصة من قبل أن ضعفت
ولا تكن لمزيد الرزق مضطرباً
لا تغترر أنت بالدنيا فإن بها
أكالة أكلت كالهـر ما ولدت
ولامناص من الله العزيز، وإن
يا أيها الناس إن العمر فى سفر
إن المنايا بلا شك لآتية
لله در فقير ممالك أدياً
ولم تكن فخـره إلا بعزة من
محمد خير خلق الله قاطبة
له المزايا بلا نقص ولا شـبه
له المكام أبهى من نجوم دجى
له الفضائل أجدى من عصا كسرت
له جمال، إذا ما الشمس قد نظرت
النصر قادمه والفتح خادمه
يا أعظم الناس من حاج ومعتمر

على شفا حفرة النيران والشعل
هل تنفعـك فيها كثرة الأمل
وشمس عمرك قد مالت إلى الطفل
على القصور وخفض العيش والطول
يعدو، وفى يده مستحكم الطيل
إن القناعة كنز عنك لم يزل
قواك من سطوة الأمراض والعلل
واقنع بما قسم الققسام فى الأزل
من عز بز فكن منها على وهل
حيالة قتلت من جاء بالحـيل
فررت منه إلى الداماء والقلل
وإن أوقاتكم والله كالظلل
وأنتم فى المنى والمين والكسل
وذى خصاص بفضل الله مكـتفل
أغنى الأعـاجم والأعـراب بالدول
هو الذى جل عن مثل وعن مثل
له العطايا بلا من ولا بدل
له العزائم أمضى من قنا البطل
له الشمائل أحلى من جنا العسل
إليه، قالت : ألا ياليت ذلك لى
كلاهما عن حمـاه غير مر تحل
وأكرم الخلق من حاف ومنتـعل

أتيتنا بكتاب جل منفعة
بعثت بالملة البيضاء راسخة
أفحمت كل يليغ بالكتاب كما
أضحى طلوعك يا شمس الضحى أبدأ
أم التسمى إذا جاءتك سائلة
نداك أكثره لا ينتهى أبدأ
وعرف طيبك للفكار ضائرة
بصحبك الغر باق فضلمهم أبدأ
وأهل بيتك فينا رحمة نزلت
يا سيد المرسلين المكرمين، آدم
وجئتنا بسبيل ناسخ السبل
عفا بها سائر الأديان والملل
جادلت بالسيف أهل الجدل والجدل
وقد غنيت عن الميزان والحمل
أرجعتها وهى فى عقر مع الحمل
لكن أدناه أدنى من ندى السبل
مسيرة الشهر مثل الورد للجعل
وفضل أمستك الزهراء لم يزل
أهل الطهارة عن رجس وعن دخل
شفاعة لعبيد ضارع وجل (١)

ثم جاء آزاد بلامية قال بعثتنى عليها لامية العجم - أى قصيدة الطغرأى - وزعم
أنها تعرف بلامية الهند، وليست كذلك إنما المشهورة لامية الشريحي قبل آزاد بأربعة
قرون على الأقل - يقول آزاد :

سبحان من أرق العشاق فى الأزل
هو الذى جعل الأكباد راضية
أصابنى بالعوالى سهم رامية
من لى بفاتنة صينت كمقلتها
مضى زمان لقينا فيه جيرتنا
نعد شوقاً وإخلاصاً مناقبهم
تثن إثر حداة العيس أفئدة
أيا حمام أطلت السجع فى فنن
وزان ناظرة الغزلان بالكحل
بأسهم من ذوات الأعين النحل
شهيرة بمهارة من بنى ثعل
بمرهفات معرة عن الخلل
عفا المهيمن عن أيامنا الأول
بسبحة من لآلى أبحر المقل
يا ليستهما تجعل الأجراس للإبل
تعال نبك و لو أنا على الطلل

١- سبحة المرجان : ٢ / ٧٦ - ٨٠، نزهة الخواطر : ٢ / ٧٠ - ٧١، الهند ١٣٥٠هـ.

لعل ساكنة الوعساء ترحمنا
عود الكواكب حتم إثر ما أفلت
ألم بى طيف من أهوى ليشفينى
إلى م يا أيها اللوام تعذلنى
رأى الأساة مريض فى معالجتى
طال السقام إلى أن صرت محتضراً
وقبل أن تدخل بي بيتاً سكنت به
إن المجرى لى وايم الله قنطرة
فانظر إلى من تجلى فى مظاهره
غرس لله تسبيحاً وأرقب أن
بجاء من أثمرت أشجاره عجلاً
هو الذى دلنا لطفاً على شجر
محمد زينة الأفلاك عنصره
فوق العباد وبعد الرب مرتبة
سناء مبدأ أشياء مكونة
أئمة الناس طراً مقستدون به
تبارك الله بدر لا محاق له
لقد رأى الفقر إقبالاً بنصرته
أراد خير الورى زدت مناصبه
فالله من صهوة الأفلاك مكنه
لا غرو إن آخر الخلاق بعثته
فمبدل منه فى الإنشاء توطية

نرجو المحال وهذا منهج الشمل
فما لعزة لا تبدو من الكلل
أترتوى كبد الظمآن بالبلل
يضر كلم فؤادى مرهم العذل
إلا التى تركتني فى يد العلل
يا رحمة للمنى عمودى على عجل
لا شك يبرأنى صوت من الحجل
طوبى لمن جاز محفوظاً عن الزلل
سبحانه وتعالى منتهى الأمل
أنال أثماره فى أقصر المهل
عوناً لعبد عتيق حار فى العمل
يفيد فى كل حين يانع الأكل
ووشى أردية الأسحار والأصل
وجوهر نزه عن وصمة المثل
والابتداء مدار الحكم فى الجمل
هذا الجنب المعلى قبلة القبل
وخاتم فصه نور بلا حول
حتى غدا غرة فى جبهة الدول
إلقاء حضرته العليا من القلل
جزاء ما رامه فى ذروة الجبل
هو المقدم فى المعنى على الرسل
إنما نظر المنشئ إلى البذل

فازت بفصل ربيع شاة معبرة
وأطفأ النار نار الفرس وهو غداً
أظله الغم فى آناء هاجرة
الحمد لله رب الطول شرفنا
جلا عروساً من الدين الجميل على
جاءت فعطلت الأديان ملته
ما أخصر الدين والآفاق موطنه
خص الإله بأوفى الأجر أمته
حالت إلى أرغب البيتين قبلته
لو قدم الله فى يونان حكمته
لقد تشمر فى صف الجهاد على
بحبله فثقوا يا قوم واحترزوا
ما أدركت فئة عمياء رتبته
بئس المريض الذى صفراؤه غلبت
يا أيها المبدأ الفياض مرحمة
أروم فوزى بالزوارء ثانيه
المرتضى هو نفس المصطفى فلذا
علاً ثناؤك عن إحصاء مقولنا
إلى جنابك أهدي ورد معذرة
مولاي آزاد بالتقصير معترف
عليك منا تحيات مباركة

كأنما الشمس حلت دائرة الحمل
ينجى عصاة البرايا من يد الشعل
سقاها فى الترب صوب العارض الهطل
بأشرف الخلق هادى أشرف السبل
منصة الدهر فى حلى وفى حلل
طلاوة البحر تمحو رونق الوشل
والسهم غايته قصوى من الأسل
وإنما عـمـلوا لله فى الطفل
ودينه أثبت الأديان لم يحل
لما تكلم أفسـلاطون بالمثل
إقامة الدين بالعسالة الذبل
عن حبل هالكة فى حلقة الوثل
ياليتهـا تشنى عن مسلك الجدل
فبات يدرك طعم الصاب فى العنسل
أنت الحـيـا وأنا المكوى بالعلل
إياى يحصل لى عل على النهل
غلام خدمتك العليا غلام على
أجعل البحر فى الإبريق بالحيل
ما أصعب الأمر لولا حمرة الخجل
فاغفر له إن بدى شئ من الخطل
ما شنت أذن العشاق بالغزل^(١)

١- سبعة المرجان : ٢ / ٨٠ - ٩٠.

وقد عارض لامية الطغرثى الشيخ عبد العزيز الدهلوى أيضاً ومن أسف أننا لم نعثر على قصيدته كاملة ونسوق لك هنا ما وجدناه منها، يقول فيه :

يا سائراً نحو بان الحى والأسل	سلم على سادة الأوطان ثم قل
مازلت فى بعدكم كالنار فى شعل	والأرض فى كسل والماء فى ملل
أريد لمحة وصل استضى بها	فى ظلمة الهجر ضاقت دونها حيل
إنى صليت على أنس وتذكرة	لأهل ودى وخلق المرء لم يحل
فلسا أزال بأبكارى أسائركم	وإن خدمت كرام الخسيل والإبل
ما العيش إلا خيالات أوجهها	إلى ذراكم لدى الأسحار والأصل
أعلل النفس بالآمال أرقبها	ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
لعل إمامكم بالدار ثانية	يدب منه نسيم البر فى العلل
أرجو اللقاء بميعاد وعدت به	والخلف فى الوعد منكم غير محتمل
فإن عزمتم على إنجاز وعدكم	سعيت فى طلب الأسباب والوصل
أردت تفصيل آمالى فعارضنى	خوف السامة فى الإكثار والملل
لازال مجدكم فى الدهر منبسطاً	وظلكم فيه عنا غير منتقل ^(١)

وتأمل هذه القصائد يريك نقاطاً أهمها :

أولاً: أن قصيدتى الشنفرى والطغرثى وإن اختلفتا فى الوزن والقافية إلا أنهما اتحدتا فى الموضوع وهو قضية شخصية وأزمة ذاتية عكست ظلالها على شخصية الشاعر الذى عزت على نفسه الإهانة فراح يثن بأبياته شاكياً ارتفاع الوضع وانخفاض العزيز الكريم، واصفاً نفسه ومبيناً ميزات مرتفعاً بها عن الانحطاط ونائياً بها عن سلوك السفلة. أما لاميتى الشريحي والبلكرامى فلم تخرجا عن

١- نزهة الحواطر : ٧ / ٢٨١ - ٢٨٢.

المديح النبوى. وربما عنيا بالمعارضة - بل اليقين أنهما عنيا بها - اتحاد الوزن والقافية، أما الموضوع فلا.

ثانياً: أن موضوع لاميتى الشنفرى والطغرائى موضوع إنسانى فيه من الخلدات والمشاعر ما لا يبلى ومن هنا تجددت عندهما الصور والتراكيب فى جزالة. انظر إلى عظمة التعبير عند الشنفرى وهو يقول :

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل

إلى قوله :

والف هموم ما تزال تعود عيادا كحمى الربع أو هى أثقل
إذا وردت أصدرتها ثم إنها تشوب فتأتى من تحيت ومن عل

والى الطغرائى وهو يصف موضع حبه فيقول:

فالحب حيث العدا والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل
وإليه مرة أخرى وهو يقول :

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت برشقة من نبال الأعين النجل

إلى غير ذلك من الصور الجميلة المرأى العذبة المشرب الجزلة المبني. أما قصيدتا الشريحى وآزاد فإن تقليدية الموضوع الذى نظم فيه كل شاعر فى شبه القارة جعلت القرائح لا تأتى بجديد.

والشنفرى يفتتح القصيدة افتتاحاً مباشراً داخلأ فى الموضوع رأساً، وكذلك فعل العميد الطغرائى. ومطلع لامية الطغرائى قوى كمطلع لامية الشنفرى. أما الشريحى وآزاد البلكرامى فبدأ بالتغزل ثم انتقلا إلى المديح النبوى. ولعل ارتباط الأدب العربى فى شبه القارة بالمدارس الدينية هو ما جعل شعراءه لا يحددون عن هذا الموضوع طبعاً جاء من قرائحهم أم تطبعاً.

ثالثاً: أن قصيدة الشريحى أجزل وأمتن بنياناً من قصيدة آزاد وفيها صور حلوة كذلك كقوله مثلاً:

أضحت إذا بعدت عنها كواعبها أطلالها مثل أجفان بلا مقل

أما قصيدة آزاد ففيها مخالفات تحتاج إلى إصلاح منها مثلاً قوله :

إلى م أيها اللوام تعذلنى يضر كلم فؤادى مرهم العذل

فلو تغاضينا عما فى الشطر الأول من ركائكة وجدنا بين شطرى البيت تناقضاً واضحاً، فالعذل اللوم، وأصله الإحراق، والعاذل لا يقدم مرهماً يداوى جراح العاشق أو يبردها فلا يصح أن يكون المرهم مقدماً من قبل اللائم للملوم. فالصورة بشكل عام فى هذا البيت لا طعم لها بل هى فى غير محلها شائثة فاسدة.

ومنها كذلك قوله :

المرتضى هو نفس المصطفى فلذا غلام خدمتك العليا غلام على

فالشطر الأول فيه إشارة إلى حديث المباهلة الذى اعتبر فيه الرسول (ﷺ) علياً مثل نفسه تفسيراً للآية « وأنفسنا وأنفسكم » فقال وهذا نفسى يشير إلى على عليه السلام. لكن الشطر الثانى فيه إشكال إذ تعبير خدمتك العليا تعبير هندى خالص. وما أرادته آزاد فى هذا البيت أننى وإن كنت غلام على (اسمه غلام على آزاد) إلا أننى غلامك وخادمك لأن علياً هو نفسك. وكان آزاد سنياً حنفياً. وقد عبر عن نفس الفكرة شاعر آخر هو غالب أبو الشعر الأردى الرومانسى والمتوفى ١٢٣٨ هـ فقال : رائحة الحبيب تفوح من صديقه فأنا مشغول بالحق فى طاعتى لأبى تراب (أى على عليه السلام) فأين صورة آزاد من هذه؟ ولعل آزاد أخذها عن غالب فقد تعاصرا، لكنه أخرجها فى عربية مهنددة جرياً على عادته المعروفة. وهناك إشكال آخر فى هذا البيت وهو استخدام كلمة غلام بمعناها فى اللغة الأردية فهى تعنى عبداً. يريد أنا وإن كان اسمى غلام على أى عبد على فأنا أيضاً عبدك لأن علياً هو نفسك. وغلام فى العربية لا تستخدم فى هذا المعنى. أما قوله :

غرسى لله تسبيحاً وأرقب أن أنال أثماره فى أقصر المهل

فإنه استعمل التورية فى هذا البيت وأراد أننى غرست لله حبات السبحة وأرجو أن تورق هذه الحبات فأنال ثمارها وأجنيها فى أقرب وقت. لكن كلمة تسبيح تعنى فى الأردية السبحة التى يسبح المصلى بها عقب صلاته، ولا تعنى فى العربية نفس المعنى. ولذلك فسدت التورية لاختلاف معنى اللفظ فى اللغتين العربية والأردية. فالعرب لا يشعرون بما فى البيت من تورية بل يفهمها فقط الهنود الذين يعرفون العربية. والإنصاف يقتضى أن نشير إلى صياغة آزاد لمثل هندی صياغة حلوة حين قال : أيجعل البحر فى الإبريق بالحيل. فهذا مثال جيد لنقل الأفكار الهندية إلى العربية. هذا قليل من كثير يمكن أن يقال عن قصيدة آزاد.

رابعاً: أن الطغرائى عارض الشنفرى فى الموضوع، أما آزاد والشريحي فقد عارضا الطغرائى وزناً وقافية.

وفرق كبير بين سبك وسبك، وشعر وشعر، وبيان وبيان، وطبع وطبع :

وعادة السيف أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا فى يدى بطل

أما لامية عبد العزيز الدهلوى فقد منعنا نقصها عن تقييمها ووزنها، وإن احتوت تضميناً جميلاً لبيت من قصيدة الطغرائى.

والقصيدة الثانية التى اخترناها نموذجاً للمعارضات هى قصيدة الروح لأبى على بن سينا وقد رد عليه الشيخ رفيع الدين الدهلوى بقصيدة تتحد معها فى الوزن والقافية والموضوع وترد على سؤال ابن سينا فى قصيدته المشهورة التى يقول فيها :

هبطت اليك من المحل الأرفع	ورقـاء ذات تعـزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهى التى سفـرت ولم تتبرقع
وصلت على كـرهه إليك وربما	كرهت فراقك وهى ذات تفجع (١)

١- جلاء العينين، خير الدين آلوسى زاده، ص ٩١، مصر ١٢٩٨هـ.

وقد رد عليه الشيخ رفيع الدين بقصيدة من مائة وخمسة عشر بيتاً قال فيها :

عجباً لشيخ فيلسوف المعنى	خفيت لعينيه منارة مشرع
هلا تفتن أن بعث النفس فى الـ	أبدان ينشأ من مواطن شفع
منها مواطن عامات الحكم أو	مختصة مترتبات الموقع
ولكلها حكم وغايات بها	تستوجب التخصيص فى المتفرع
وجميعها للنفس غايات على	أن التسفوات ثابت لم أمتع ^(١)

وابن سينا والدهلوى لم يهدفا إلى التبارى فى الصور والأخيلة، إنما استخدمتا القالب الشعرى لشرح مفاهيم فلسفية وعقدية وهو موضوع تصلح له المناظرات ولا ينفع له الشعر فذلك يفسده. ولعلك ترى معنا أن لذة الشعر غائبة عن القصيدتين، وروح الجدل والمناظرات الفلسفية غالبة عليهما. وليس من شأننا التعرض لآراء كل منهما. وكل ما نريد قوله إن الشعر شعر له موضوعاته وليس له صلة بالهوى والصورة والعرض والجوهر وغير ذلك من اصطلاحات الإلهيين أو الفلاسفة. ومناقشة هذه الموضوعات أو طرحها عبر قوالب الشعر تفسدها وتفسد الشعر معاً إذ الشعر خيال وإبداع والمناظرة نقاش عقلى ودفاع وشتان ما بين الاثنين.

وإن بقى شئ نقوله فهو إن القصيدة تثبت طول باع الدهلوى فى النظم والقصيد واللغة.

١- نفس المصدر : ص ٦١ - ٩٦.

الفصل السابع

الرسائل الشعرية

تبادل أدباء العربية في شبه القارة الرسائل الشعرية فيما بينهم كما تبادلوا الرسائل الثورية. لكن الرسائل الشعرية لم تنتشر كثيراً في الشمال بين الأدباء كما انتشرت بينهم في الجنوب حيث كانت على ما يبدو شائعة بين أدبائه.

وقد استخدم الأدباء لرسائلهم قوالب المثنوى في بحور الرجز كما استخدموا القصائد في أوزان مختلفة. وقد جمع عبد القادر الملباري في كتابه جواهر الأشعار طرفاً من هذه الرسائل الشعرية المتداولة بينه وبين رفاقه وتلامذته تناولوا فيها موضوعات مختلفة علمية واجتماعية. ومن هذه الرسائل اخترنا أمثلة منها ما كتبه إليه أحمد المولوي الشعراني على وزن ألفية ابن مالك مضمناً رسالته بعض أبياتها، وقال فيها :

قال الفقير الشعراني إلهامك	أحمد ربي الله خير مالك
ثم الصلاة والسلام صباً على	محمد خير نبي أرسلنا
وصحبه المجاهدين العرفا	واله المستكملين الشرفا
هذا كتاب موجز قد أخبرا	عن الذي خبره قد اضمرا
لعبد القادر شيخى قيلا	مستوجب ثنائى الجميلا
بعد فراكم أنا فى العطة	كلى بكاء ذات غبطة
فى كل وقت هائم فى خلل	مروع القلب قليل الحيل
أخبارنا فى الحال فى الإحسان	فذكر ذا وحذفه سيان

اقراً من كضفرم تفسيرنا
ووصفكم دوماً بوصف فاخر
لعدم المجئ كنت معذرا
لكن قريباً يحصل الوصال
وحبكم فى البال دوماً هطلاً
جرت دموعى فى الحدود وائر
والباقى بعد بالجواب اسرعن
مرجونا منكم دعاء وعمل
عليكم السلام دوماً وأتم
لسيدى وعبد الرحمن
ولبكير أحمد السلام قل
خطى مع العجز كتبت قد كمل
مصلياً على النبى والعتره
فرد عليه عبد القادر المليبارى :

يقول عبد القادر ابن الفضفرى
مصلياً مسلماً بالأدب
محمد الهادى من الضلال
وبعد خطك الشريف المتصل
فدونك الجواب منى الجانى
فخطك العزيز كل حال
بعد ذهابكم أنا فى الحزن
فى كل حين حائر مع الوجمل

ورجل من الكرام عندنا
كطاهر القلب حميل الظاهر
وجوز والتقديم إذ لا ضررا
مالم يكن فى لامة اعتلال
للمح ما قد كان عنه نقلا
كذاك نحو تتجلى واستتر
من دون ليت ولعل وكسان
بر يزين وليقس مالم يقل
تبسينى الحق منوط بالحكم
كابنين وابنتين يجريان
ومسند للاسم تميز حصل
نظماً على جل المهمات اشتمل
وصحبه المنتخبين الخيرة

لله حمدي دائماً وشكرى
على الرسول الهاشمى العربى
وجمع صحب ثم كل آل
وقت الضحى فى يوم جمعة وصل
لخطكم يا أيها الشعرانى
يكون ذا عز وذا كمال
لفقد خل نافع للبدن
وروع قلب مع قلة الحنيل

أنيساؤنا معاشير الملائر	في العز والكمال والمفاخر
وعبد رحمن بعيد صبح	شرحاً لتهديب قرا بصفح
فبعده التفسير للجلال	مقروء شركاء لكم في الخالي
فتح المعين بعده قد قرأ	قراء اشموني لنا قد جراً
فبعد ظهر سيد صغير	أفية يقرأ معه الغير
من بعدها أيضاً هي المقروءة	من أول طلبها القليلة
مرشدكم يقرأ بعد عصر	بنحو ورقتين دون قصر
فهو إذن لباب صوم اتصل	وفيه تحقيق أنيق قد حصل
تذكر الوصال قلبي اغرقا	في بحر عشق ما لنا فيه بقا
لكن بقولكم يسلى البسال	«لكن قريباً يحصل الوصال»
يوم التلاقى الباقي إن كان القدر	بجمع يوم قبل نوم قد كثر
سلامنا لأحمد الحاج قل	جزاك رب العرش يوم الزلل
أبياتنا مصفوفة من الخشب	أبياتكم مصوغة من الذهب
مرتجلاً خطى ختمت حامداً	مصلياً مسلماً مجداً
عليكم السلام بالغفران	مدة دوم شعر الشعرائي

وكتب إليه صديقه محي الدين بن أنيد الفضفري يقول :

وبعد فهذا الخط من عند جاهل	يسمى بمحي الدين خدن التغافل
إلى حبه محبوبه وفؤاده	يسمى بعبد القادر العاقل الجلى
لعينى سراد قطعة متعاون	شريك برى فاضل ذو التعادل
جميل نبيل في الشجاعة كامل	وبين الملائر متيقن وفحول
عزال له جلد وفي الجلد نقطة	يزيد بهاء حسنهما وجمال

وكيف هو ابن العالم الزاهد الورع
ولما تفارقستم وإن كان خبركم
لذكر اللقاء أى بعده بيد أننى
فأقرأ منه ذاك فضل فلاتكن
وخبرى وحالى طيب كله كذا
ولكن كتاباً أقرأ الآن اسمه
فأرجى رجائى أن يكون دعاؤى كا
ولاسيما بالسقى كأس منية
ويا خط قل منى سلاماً على الذى
فأجابه عبد القادر المليبارى :

وبعد فهذا الخط من عند قاصر
جواباً لخط الخل قرة عيننا
لقلبى سر نازل فيه دائماً
جليم حكيم فى المهارة فاضل
ولما توادعنا بقرب حبيبنا
ومقلة عينى تكثر الماء سائلاً
وعيشى هنئى منذ أتيت إلى هنا
وأسماء كتب أقرأ الآن أكتب
فدردمختار قممختصر لنا
حزنت لعدم الخط منكم إلى هنا
وأما توانى الخط منى إليكم
ومسرجونا منكم تديمون دأبكم

بيوسف يسمى لم تجده محائل
بأوقات يعلم غص عيشى وهازل
أسلى بذكر الوصل وهو فحول
حزيناً ببعد الجمع قط وصال
قصدتك حقاً يا شريف الخلائل
سفاهة العظمى بباب السبيل
بجمع وشغل بالعلوم الفضائل
وفيه من الإيمان ماء الهنى والحلى
هو الكبد لى حقاً فلا تك ماطل

يسمى بعبد القادر الغر فضفرى
يسمى بمحى الدين محى المأثر
شريك شريف شامل للمفاخر
لدى كل طلاب شبيه الغضنقر
أتانا اضطرار بالبكاء المكثـر
وأحزان قلب الحب تبدو لزائر
كذاك بكم ظنى كريم المعاصر
لتدعوا لى فى كل وقت بخير
فمشكاتنا نفحتنا للتذاكر
ولكننى فى الحال فى أحسن الخير
فعدم لعرفان المكان المقرر
بل الزائد الموفور أرجو من الفقـر

وأن تتركوا نسياننا بدعائكم بوصل ونيل للعلوم المحرر
وموت بإيمان وأمن من العنا ومكث بجنات جوار الميسر
وأن ترسلوا فى كل شهر خطوطكم تبين أحوالاً مفصلة الخبر
سلام وتفسير السلام سلامة تحية مشتاق وتحفة زائر
وأزكى تحيات وأعلى هدية على من غدا قلبى وسمعى وناظرى^(١)

وهذا قليل من كثير أورده عبد القادر الملبارى من مراسلاته الشعرية مع رفاقه
وأصدقائه وهو لون طريف من ألوان الأدب العربى فى شبه القارة وربما فى غيرها.

١- جواهر الأشعار : ص ٧ - ١٣.

الفصل الثامن

العروض والقوافي

أردنا أن نختم بهذا الفصل حديثنا عن الشعر وإن كان الموضوع قد كتب نثراً، وما ذلك إلا لارتباط العروض والقوافي بفن الشعر ومن ثم أردناه ها هنا.

ولأدباء العربية في شبه القارة مؤلفات كثيرة في العروض والقوافي منها شرح القصيدة الخزرجية في العروض لغلام نقشبند اللكنوي المتوفى ١١٢٦هـ والرسالة المختصرة لرفيع الدين الدهلوي الذي مر بك شعره في باب المعارضات، وميزان الأفكار وهو شرح لكتاب الطوسي المسمى معيار الأشعار كتبه المفتي سعد الله بن نظام الدين المراد آبادي. والتوجيه الوافي في مصطلحات العروض والقوافي ليعوسف علي اللكنوي، والدراسة الوافية في علم العروض والقافية للشيخ محمد بن أحمد الطوكي الذي اطلعت على شيء من شعره. والمورد الصافي في علمي العروض والقوافي لمحمد بن الحسين المالوي، والميزان الوافي في علمي العروض والقوافي لمحمد سليم بن محمد عطا الجونبوري ومختصر العروض والقافية لعبد القادر بن محمد أكرم الرامبوري ومختصر آخر لغياث الدين الرامبوري وثالث للسيد كرامت علي الكجكانوي ورابع للسيد نعمت حسين، والوافية في العروض والقافية لشمس الدين الفقير العباسي الدهلوي ومراة العروض لنوازش علي الحيدر آبادي ومجمع البحرين لتاج الدين بن غياث الدين المدراسي ومنظومة في العروض لعبد القادر بن خير الدين الجونبوري ومفتاح العروض لعباس عليخان وزبدة العروض للسيد محمد مؤمن بن عبد الغفار الرضوي الموهاني وغير ذلك كثير. (١).

١- الثقافة الإسلامية : ص ٤١ - ٤٢ بتصرف.

ولم أعثر على شئ من هذا نشرأ أو نظماً، ووجدت حاشية على محيط الدائرة سماها المؤلف بالرياض الناضرة وكتب لها مقدمة فى فنون الشعر سماها العيون الناضرة، والمؤلف هو مولانا محمد موسى الروحاني البازي المدرس بالجامعة الأشرفية بمدينة لاهور فى باكستان، وقد طبع الكتاب فى لاهور سنة ١٣٨٠هـ غير أنى لم أتمكن من معرفة شئ عن حياة المؤلف سوى أنه توفى منذ بضعة أعوام رحمه الله.

يقول الروحاني فى مقدمته :

« من أنواع الشعر الغزل وهو نوع مهم يسبر به حسن تخيل قائله وتفوق مناله وأقواله ويعرف به رقة طبعه وغور وأماء فكره وقوة اقتناص نظره. والغزل بفتح الزاء المعجمة لغة اللهو مع النساء والمحادثه، واصطلاحاً نوع من الأشعار يذكرون فيه المحبوب وحبه والخمر والكأس وقامة المعشوق والخال وسواد الأشعار والخلخال وجفاء الأحبة وجمالهم وبينهم ووصالهم وطول ليالى الفراق وشدائده وقصر ليالى الوصل وعوائده وإسالة العبرات وشكوى الصبايات. ولهذا قالوا لا يستحسن فى الغزل ذكر ما سوى العشقيات كالنصائح والمعارف والمذائح والترغيب والترهيب ويجعل غالباً فى الأغزال العربية الرجل عاشقاً والمرأة معشوقة وفى الفارسية الرجل الكبير محباً والأمرد محبوباً. ^(١)

وفى باشا سنسكرت لسان الهندكيين ^(٢) المرأة عاشقة والرجل معشوقاً وذلك لقلة رجالهم بالنسبة إلى نساين ^(٣)، وكل قليل محبوب وكل تافه مطلوب وفى الأردية الرجل طالباً والمرأة مطلوبة وبالعكس وربما يجعل فيها المعشوق المطلوب أمرد وذلك أن تلك الألسنة المتقدمة مأخذ اللسان الأردى وعناصره فاجتمعت فيه خصائصهن وانصبغت بصبغة جميعهن وأصبحت مجمع البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج بينهما برزخ لا يبغيان.

١- هذا قول فيه نظر وإن وجدت له أمثلة فى الشعر الفارسى غير أنه ليس قاعدة على الإطلاق كما يروحى بذلك النص هنا - المؤلف.

٢- يقصد بلغة البرج بهاشا السنسكرتية لغة الهندوس - المؤلف.

٣- هذا أيضاً فيه نظر ويصعب أن يكون ما ذكره من سبب أساساً لهذه الظاهرة إن صحت - المؤلف.

ثم إن مهرة الغزل يؤثرون القلة فى عدد أبياته إذ المعنى الشريف والخيال الدقيق يقل وجوده ويضيق دائرته والإصار الكلام مخذولاً ركيكاً سوقياً يباع بالخذف والحصاة. قالوا الأولى فى الغزل أن يكون عدد أبياته وتراً وأن يكون أقل من خمسة أبيات عند المحققين وقيل من ثلاث أبيات ولا أكثر من أحد عشر بيتاً وقيل من خمس وعشرين بيتاً لكننا رأينا فى الفارسية وغيرها أبياته. ثم لا مندوحة للغالز من معرفة بعض اصطلاحات الغزل.

فمنها أنه يجب كون البيت الأول مصرعاً ومنها يسمى البيت الأول منه المطلع ومطلع الغزل والبيت الثانى حسن المطلع وزيب مطلع. وزيب لفظ فارسى. وربما يتعدد المطلع فى غزل واحد ويسمى البيت الأخير فيه المقطع ومتمم الغزل. ومنها يعتاد ذكر التخلص فى المقطع. والتخلص لقب يختاره الشاعر لنفسه فى الأشعار ويسوغ أن يدرج التخلص فى المطلع والمقطع كليهما. ومنها أن أبيات غزل واحد لا يجب فيها اتحاد الموضوع واتفاق المطلب فيسوغ أن تتفرق معنى وموضوعاً بأن يذكر فى بعضها الوصال وبأن يشكو فى البعض جفاء المحبوب وقسوة قلبه ويشكره فى البعض على الوصل وحسن التوجه ورقة الفؤاد بل تنوع الخيال. وتلون المعنى ربما يصير أجلب للقلوب وأعلق بالعقول. ومنها أن قافية الغزل برديفه يسمى أرض الغزل وزمين غزل وزمين لفظ فارسى بمعنى الأرض يقال أرض هذا الغزل كذا وكذا ويراد به قافيته ورديفه.

هذا ونظير الغزل عند قدماء العرب التشبيب فى مبدأ القصائد الطويلة ولم يكن الغزل عندهم فناً مستقلاً منفرداً وأما عند المتأخرين من شعراء العرب والعجم فلا تسأل عنه قد ذاع وشاع وغور وأنجد وشرق وغرب هذا والله أعلم»^(١).

بهذا نصل إلى نهاية عرضنا لفنون الأدب العربى فى شبه القارة، ونكون قد ألمنا به إماماً شاملاً إلى حد يمكننا من تفهم مزاجه وإدراك طبيعته وتخيل ملامحه وهذا هو قصدنا من تأليف هذا الكتاب. ولقد أوجزنا القول فى كثير من المواضع التى اقتضت التفصيل تاركين ذلك إلى أبحاث أخرى أدق، وربما تتاح لنا فرصة الاطلاع على ما فى مكتبات أخرى، أو استخراج بعض المخطوطات التى قد تتناول أموراً أدبية محددة تفرد لها أبحاث متخصصة.

١ - حاشية محيط الدائرة مع مقدمة العيون الناضرة، محمد موسى الروحاني، ص ٢٣ - ٢٤ من المقدمة، باكستان ١٣٠٨ هـ.

الباب الثالث

سير أعلام الأدباء
فى شبه القارة

هذا باب خصصناه لسير من ذكرناهم فى كتابنا من أدباء العربية فى شبه القارة دون غيرهم. وقد رتبناه على حروف المعجم، وغرضنا منه التعريف المختصر بهؤلاء الأدباء. ولم نذكر فى هذا الباب كل أحد ورد اسمه، وإنما اقتصرنا على من استشهدنا بشئ من أعمالهم الأدبية فى فصول الكتاب.

١- أبو بكر باعبود :

السيد أبو بكر بن محسن باعبود العلوى قدم الهند من اليمن، ونزل بمدينة سورت فنسب إليها، وعرف بها. ولم يعرف تاريخ هجرته إلى الهند، ولكن أسلوبه فى مقامات الهندى يدل على أنه وصل إليها فى سن مبكرة وعاش بها حتى فسدت عربيته، وغلب عليه لسان الهند، كان من أهل الحديث كما مريك اعترافه بذلك، ولقبه صاحب النزہ بالشيخ العالم الكبير العلامة، ولم نجد له غير المقامات. كما لم تذكره كتب الطبقات إلا فى قليل. ولا يعرف أيضاً تاريخ وفاته إلا أن عبد الحى اللكنوى قال إنه ألف مقاماته فى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف^(١) وذكره فى رجال القرن الثانى عشر الهجرى مما يدل على أنه كان حياً إلى هذا التاريخ ومات بعده. ويرجع نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب ولكنه ليس من أولاده من فاطمة عليها سلام الله بل من غيرها. ولم تذكر المراجع عنه أكثر من هذا.

١- نزہة الخواطر : ٦ / ٥.

٢- أبو الحسن الندوى :

نجم آخر غنى عن التعريف هو الأستاذ الجليل أبو الحسن على بن عبد الحى بن فخر الدين الحسنى اللكنوى يرجع نسبه إلى الإمام الحسن بن على عليه السلام. وأجداده من العرب هاجروا إلى الهند فى منتصف القرن السابع الهجرى. ولد فى سنة ١٣٣٣هـ فى راي بريلي من أعمال لكنو فى أسرة متواضعة لكنها غنية بالعلم والفضل وكان والده صاحب نزهة الخواطر يعمل بالعلم والطب. لما توفى أبوه وساءت حالهم حنا عليه وعلى أسرته أبناء صديق حسن القنوجى. تعلم العربية من الشيخ خليل عرب واستفاد من أساتذة بلده مثل الخواجه عبد الحى الفاروقى والسيد طلحة. التحق بجامعة لكنو عام ١٩٢٧ وحصل على ليسانس الأدب العربى عام ١٩٢٩. اشتغل بالتدريس فى دار العلوم بندوق العلماء عشر سنوات حتى عام ١٩٤٤. ساه فى كثير من الدول العربية وانتخب عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق. كتبه تملأ المكتبات العربية والأردية منها، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ورجال الفكر والدعوة والمدخل إلى الدراسات القرآنية ومذكرات سائح فى الشرق العربى وسيرة النبى الخاتم والقاديانى والقاديانية وغيرها كثير. ^(١) وللمزيد ارجع إلى كتابه كاروان زندكى.

٣- أبو عطاء السندى :

هو أفلح بن سيار، وقيل مرزكان مولى سندياً لأسد بن خزيمه ثم عمرو بن سماك ابن حصبن. وكان لا يفصح وإذا تكلم لا يفهم كلامه إلا أنه كان من أحسن الناس بديهة، وأشدهم عارضة. له شعر عربى رصين جعل اسمه فى عداد شعراء العرب، مدح الدولتين بنى أمية وبنى العباس. وحارب مع بنى أمية كثيراً من معاركهم، وقتل غلامه عطاء الذى أعطاه له سليمان بن سليم الكلبي فى حرب ابن هبيرة ضد العباسيين ، وانهزم أبو عطاء.

١- كاروان زندكى : ١٥ / ١ - ١٦٦ طبع مجلس نشریات اسلام، كراتشى بدون تاريخ وفيه تفاصيل حياته كما كتبها بنفسه.

كان أبوه مولى سندياً، لكن أبا عطاء ولد ونشأ بالكوفة وعاش بين العرب وكانت به لئكة ولشغة لا يفصح معها كما كان دأكن اللون، لما مدح ابن سليم أعطاه عطاء غلاماً يروى عنه شعره، فكان إذا أراد أن يتكلم بالشعر وقف عطاء - الذى تكنى به - حذاء فتكلم أفلح وأبلغ عطاء عنه. لم يأبه بنو العباس به ولم يقربوه منهم حين مدحهم. كان شاعراً فحلاً، عدوه من المكثرين إلا أنه لم يحفظ شعره، ولم يروه عنه أحد فضاع ولم يبق منه غير نتف، تفرقت فى كتب الأدب والطبقات والتراجم كان حياً حتى ١٨٠هـ. (١)

٤- أبو العلاء اللاهورى :

أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوى ثم اللاهورى كان من أصل عربى وهاجر آباؤه فى عهد مبكر واستوطنوا مدينة الرى بإيران ثم رحلوا منها إلى غزنة عاصمة الملوك الغزنويين. كانت عائلته من بيوتات العلم والفضل، خدمت الغزنويين وارتقت فى مناصبهم. لم تصرح المصادر بشئ عن مولد أبى العلاء وحياته الأولى والأرجح أنه ولد بالرى ونشأ بها لأن كتاب التذاكر الإيرانيين يلقبونه بالرازى ثم الغزنوى. عمل أبو العلاء فى بلاط ملوك غزنة وتنقل فى المناصب والأماكن إلى أن عزله السلطان إبراهيم الغزنوى بتهمة التمرد والعصيان وحبسه فى حصن من حصون مدينة لاهور سنة ٤٦٣هـ. بقى عطاء بن يعقوب ثمانية أعوام فى السجن بلاهور إلى أن زارها السلطان إبراهيم فى ٤٧٢هـ وقيل له إنه برئ وما زال فى سجنه فعفا عنه وأطلق سراحه فاستقر فى لاهور حتى نهاية حياته عشرين عاماً أخرى لا يعرف عنها الكثير. كان أبو العلاء صديقاً حميماً لمسعود سعد سلمان وكان شاعراً فى الفارسية والعربية. وشعره نموذج لما حواه الشعر الفارسى فى العصر الغزنوى من خصائص. كما أن نشره العربى يمثل مدرسة الهمدانى. قيل إن له ديواناً عربياً وآخر فارسياً لم يصلنا من أيهما إلا القليل مما تفرق

١- فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبى : ١ / ١٣٤ - ١٣٧، مصر ١٩٥١. تاريخ الأدب العربى کارل بروکلمان ١ / ٢٤٥ من الترجمة العربية، مصر ١٩٦٨. نزهة الخواطر : ١ / ٢٢ - ٢٣. نتف من شعر أبى عطاء، المقدمة ص ١-٣. رجال السند والهند حتى القرن السابع لأبى المعالى أظهر المباركورى : ص ٢٧١ مصر، دار الأنصار، بدون تاريخ.

فى كتب الطبقات. أثنى عليه العوفى فى لباب الألباب، ورضا قليخان هدايت فى مجمع الفصحاء والقاضى محمد بن محمد الغزنوى فى سر السرور وياقوت الحموى فى معجم الأدباء وأبو الحسن الباخريزى فى دمية القصر. وذكر بعضهم أن ديوانه العربى انتشر فى العراق ومصر وكان يباع بمائتين من الحمر الراقصات على الظفر كما كان ديوانه الفارسى يباع فى خراسان بأوفر الأثمان. توفى فى ٤٩١هـ. (١)

٥- أبو الفيض بن المبارك الناكورى :

أبو الفيض بن المبارك الناكورى ويعرف أيضاً بأبى الفيض الفيضى لم يكن له نظير فى عصره فى الشعر والعروض والقافية واللغة والتاريخ والإنشاء والطب. ولد بمدينة أكره سنة أربع وخمسين وتسعمائة وقرأ العلوم على والده ثم تفرغ للشعر واللغة العربية والطب. له ديوانان بالعربية الأول بعنوان طباشير الصبح فيه تسعة آلاف بيت، والثانى فيه قصائده. وكما برع فى الشعر العربى نبغ فى الشعر الفارسى ومن مؤلفاته فيه (مركز ادوار) و (نلدمن) وهما مثنويان قلدا فيهما اثنين من منظومات نظامى الكنجوى الخمس. ومن مصنفاته كذلك (لطيفة فيض) وهى مجموعة رسائله، وموارد الكلم رسالة فى الأخلاق بالعربية غير منقوطة و (سواطع الإلهام) الذى مر بك شئ منه وهو أشهر مؤلفاته.

كان أبو الفيض حريصاً على جمع الكتب النفيسة وشرائها بالأموال الطائلة وقيل إنه جمع ثلاثمائة وأربعة آلاف من الكتب المصححة النفيسة أكثرها كانت مكتوبة بأيدى مصنفيها أو قريبة العهد بمصنفها. قالوا إنه كان ممن تفرد فى عصره بالفصاحة والبلاغة والمتانة والرصانة. رماه أعداؤه فى المذهب بالزندقة وذلك لم يثبت من مؤلفاته وتهم التكفير عادة تروج بين أهل شبه القارة وتمتلى بها كتبهم، توفى سنة ١٠٠٤هـ، ودفن بمدينة لاهور على الأرجح وقيل بمدينة آكرة. (٢)

١- ملخص مما جاء فى كتاب (أبو العلاء اللاهورى) للدكتور ظهور أحمد نقلاً عن الكتب المذكورة.

٢- نزهة الخواطر : ٢٧ / ٥ - ٣٢. مآثر الكرام للبكراوى : ١٨٤ باكتسان ١٩٧١، تذكره علمائى هند، رحمن على : ص ٤، الهند ١٩١٤م. سبيحة المرجان لأزاد البكراوى : ١ / ١١٧ - ١١٩.

٦- أبو محفوظ الكريم معصومي :

الأديب والشاعر أبو محفوظ الكريم معصومي ولد في بتنة باقليم بهار في شمال شرقي الهند سنة ١٩٢٨م، ودرس العلوم العربية والإسلامية على يد والده، مولانا محمد أمير حسن وكان عالماً جليلاً، ثم التحق بالمدرسة العالية الحكومية بمدينة كلكتة ودرس الأدب العربي على الأستاذ عبد الرحمن الكاشغري الندوي كما استفاد أيضاً من أساتذة عصره في منطقته مثل العلامة ولايت حسين والمفتي عميم الاحسان بركتي. حقق كتاب الغريبين للهروي مع الأستاذ حمد الجاسر وآخرين ولم يطبع بعد. ونشر بعض قصائد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس كما حقق ونشر ديوان أبي سعيد الرستمى المسمى بالرستميات. وله شعر رائق وقصائد كثيرة بالعربية لم تطبع. وهو ممن يجيدون العربية والفارسية والانجليزية والأردية.

وقد نشرت له مجلة المجمع العلمى الهندى ومجلة ثقافة الهند كثيراً من المقالات والأبحاث التحقيقية الخاصة بالأدب العربى وكذلك بعض قصائده العربية. ونشر مجمع البحوث الإسلامية باسلام آباد ديوان الرستميات عام ١٩٨٤م.

عمل أبو محفوظ أستاذاً للتفسير والحديث فى المدرسة العالية بكلكتة أعواماً طويلة وهو الآن باحث كبير بالمجمع الآسيوى البنغالى بكلكتة. (١)

٧- أحمد التهانيسرى :

الشيخ الفاضل والفقيه الجليل والأديب الفذ أحمد بن محمد التهانيسرى. كان من شعراء الهند وأدبائها البارزين كما كانت له اليد الطولى فى الفقه وأصوله. ولد ونشأ بدلهى حاضرة الهند، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده. تتلمذ فى العلوم الاسلامية والأدب العربى على القاضى عبد المقتدر الشريحي الكندى ثم أخذ التصوف عن الشيخ نصير الدين الأودى وصحبه مدة من الزمان. تأثر كثيراً بأستاذه الشريحي فى الشعر العربى كما يبدو لمن قارن بين شعريهما.

١- هذه المعلومات أمدنى بأكثرها أخوه الأكبر الدكتور محمد صغير حسن معصومي، وانظر المقدمة التى كتبها الدكتور صغير حسن لديوان الرستميات : ص ب - د، اسلام آباد ١٩٨٤.

روى القنوجى أن تيمورلنك حين استولى على دهلى رغب فى لقائه واختاره للمجالسة حين توجه لفتح بلاد الروم إلا أن الشيخ تخلف عن الالتحاق بموكبه ، ثم هاجر من دهلى إلى كالبى واشتغل فيها بالدرس والإفادة إلى أن توفى بقلعتها سنة ٨٢٠هـ .

أما صاحب حقائق الحنفية فيروى هذه القصة بشكل آخر اذ يقول أن التهانيسرى حين دخل تيمور دهلى اختلف مع شيخه الخواجكى حول الخروج منها فى معية تيمور حتى اعتقل الأمير تيمور أهله وأقاربه. فلما هدأت الأحوال ذهب فى مجلسه ودارت هناك بينه وبين برهان الدين المرغينانى صاحب كتاب الهداية مناقشة حول نفس الموضوع، وكان تيمور يجلس المرغينانى كثيراً، وانتهى النقاش برحيل الشيخ التهانيسرى مع أهله إلى كالبى التى استقر بها إلى أن مات. ولم تذكر المراجع له غير ما مر بك من شعر وإن اجمعت على علمه وفضله وتمكنه. (١)

٨- أحمد حسن القنوجى :

السيد أحمد بن الحسن بن على الحسينى البخارى القنوجى كان من أبرز علماء العربية والحديث فى زمنه. ولد سنة ست وأربعين ومائتين وألف وتعلم على يد أساتيد عصره كالشيخ عبد الجليل الكونلى والشيخ المحدث عبد الغنى بن أبى سعيد العمري الدهلوى. كان ذكياً المعياً، قال صاحب النزهة كانت له اليد الطولى فى الشعر العربى والفارسى وكان ينظم فى ساعة نجومية قصيدة طويلة فصيحة المبنى بليغة المعنى قل من يقدر على إنشائها فى أسبوع. وقد فاق السيد أحمد القنوجى أقرانه فى الذكاء والفطنة وقوة الحفظ وجودة الذهن توفى عام سبعة وسبعين ومائتين وألف عن ثلاثين عاماً وسبعة أشهر وعشرين يوماً أى فى ريعان شبابه بعد عودته من الحج إلى مدينة برودة بوباء الكوليرا على ما يبدو ودفن بها فى التكية الماتريدية عند ضريح السيد يحيى الترمذى كما ذكر أخوه صديق حسن القنوجى. (٢)

١- فقهاى هند لمحمد بهتى : ٩٤ / ٢ - ١٠٣ ، لاهور ١٩٧٥م. مآثر الكرام : ١٦٩ . نزهة الخواطر : ٣ / ٨ - ٩ . تذكره علمائى هند ، رحمن على : ١٨ . أبجد العلوم : ٣ / ٢١٨ . حقائق الحنفية لفقيه محمد الجهلوى : ٣١٣ ، الهند ١٣٠٨ هـ .

٢- أبجد العلوم لصديق حسن القنوجى : ٣ / ٢٦٨ ، باكستان ١٩٨٣م. نزهة الخواطر لعبد الحى الحسنى : ٢٣ / ٢٦ - ٢٦ . تذكره علمائى هند لرحمن على : ١٤ .

٩- أحمد الرسولبوري :

الشيخ أحمد حسين ابن الشيخ باب الله الرسولبوري المباركبوري الأعظمي. ولد سنة ١٢٨٨هـ وقرأ العلوم العربية والاسلامية على أخيه عبد العليم الرسولبوري ومحمد فاروق الشريكوتى وأشرف على التهانوى وعبد الحق الخيرآبادى والشيخ محمد طيب العرب. اشتغل بالتدريس فى بنارس وغازيبور ودكا التى أقام فيها قرابة عشرين عاماً. كان عالماً زاهداً أديباً طبيباً.

له كتب باللغتين العربية والأردية منها سبيل الآخرة وحاشية على ملتقى الأبحر وحاشية على قصيدة البردة كما شرح قصيدة للفرزدق وله كتاب طريف جمع فيه ألوفاً من الألفاظ العربية ورتبها فى شكل معجم موضوعى على أساس ترادفها فكان يجمع المترادفات فى أسماء الرجال - مثلاً - التى تخصهم ثم يبدأ فى هذا الباب بالألف ثم الباء إلى آخر الحروف. وباب أسماء النسوة التى تخصهن باختلاف نعوتهن مرتباً ذلك أيضاً على حروف المعجم، وبينما كان يعد الكتاب للطبع وينسخه بيده سرقه منه سارق وبقيت منه مشات الورقات مخطوطة إلى الآن. توفى عام ١٣٥٩هـ عن بضع وسبعين سنة ومن أحفاده من ابنته حميدة القاضى أبو المعالى أظهر المباركبوري، وقد مربك له كتابان فى كتابنا هذا الأول عن الحكومات العربية فى السند والثانى رجال السند والهند حتى القرن السابع. (١)

١٠- أحمد بن عبد القادر الكوكنى :

أحمد بن عبد القادر الجيترك الشافعى الكوكنى يرجع نسبه إلى طائفة من قريش خرجت من المدينة المنورة هرباً من اضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفى، فوصلت بحراً إلى سواحل الهند وسكن بعض أفرادها فى مدراس بجنوب الهند وعرفوا بالنوائط وتوطن بعضها الآخر كوكن على ساحل الهند أيضاً وجميعهم شافعية.

١- مقدمة ديوان أحمد : ٦- ٩.

ولد عام ١٢٧٢هـ في مدينة بمباي. وكن معروفاً منذ صباه بالذكاء والفطنة. تتلمذ في العلوم العربية والإسلامية على يد علماء عصره من الشافعية كالقاضي محمد اسماعيل المهري الكوكني والشيخ عبد الحميد باعكظة ومحمد علي الكوكني ومن الحنفية كعبد الله الحنفي البديوني وعبد الحى بن عبد الحليم اللكنوي ومحمد شاه المحدث. برع في العلوم الأدبية لكنه أصيب بوجع في ظهره حتى انحنى وكان يشق عليه القيام والقعود والمشى. امضى أغلب وقته في المطالعة. أثنى عليه جماعة من الفضلاء منهم السيد علوى بن أحمد السقاف شيخ السادة بالحرم المكي وقال فيه : إنه ممن تشد إليهم الرجال ولو لم يكن لنا قصد في الخروج من مكة المشرفة والدخول في الهند سوى زيارته لكفى. توفي سنة ١٣٢٠هـ. وله شعر عربى رائق وكان بينه وبين صاحب النزهة مراسلات أدبية وصلات. (١)

١١- أحمد بن مصطفى الكوباموى :

العالم الفقيه أحمد بن مصطفى بن خير الدين العمرى الكوباموى ويعرف كذلك بالقاضى أحمد المجتبى ومصطفى على خان كان من العلماء البارزين فى المنطق والحكمة والشعر. ولد ونشأ بمدينة كوبامو، ودرس على يد الشيخ رحيم الدين الكوباموى و غلام طيب البهارى وحيدر على السنديلوى. حفظ القرآن فى ريعان شبابه ثم سافر إلى مدراس بجنوب الهند وولى التدريس بمدرسة والا جاہ بعد ذلك فى مدينته كوبامو، وظل يتنقل بينها وبين مدراس ثم ولى القضاء بمدينة ترشناپلى إلى أن توفي محمد مستعد خان المدراسى قاضى القضاة فتولى مكانه.

كان عالماً صالحاً ديناً متواضعاً حسن الأخلاق والمحاضرة، حافظاً لكثير من الشعر والأدب. له ديوان شعر بالفارسية، كماله قصائد عربية. وكان تخلصه فى الفارسية على عادة شعرائها (خوشدل) وتوفى بمدينة مدراس سنة ١٢٣٤هـ. (٢)

١- نزهة الخواطر : ٢٤ / ٨ - ٢٥.

٢- نزهة الخواطر : ٢٦ / ٧ - ٢٨.

١٢- أحمد المولوى الشعرانى :

لم نهتد إليه. كل ما نعرفه عنه أنه - كما مر بك - كان معاصراً لعبد القادر المليبارى بينه وبينه مراسلات شعرية وأدبية. ويظهر من اسمه أنه كان شافعيّاً كبقية أهل ساحل مليبار.

١٣- اسماعيل بن الوجيه المرادآبادى :

العالم الفاضل المفتى اسماعيل ابن المفتى وجيه الدين المرادآبادى، كان من فطاحل العلماء درس العلوم العربية والإسلامية على أيدي شيوخ مدينة لكنو التى قدمها فى صباه وعاش بها ثم تولى رئاسة العدل والقضاء بها حتى بعثه نصير الدين الحيدر ملك دويلة (أوده) سفيراً لدى بريطانيا فأقام بها زمناً ولقبه المخالفون باللندنى سخريّة به واستهزاء، واتهموه فى عقيدته، كما هى عادة المشايخ مع كل من اختلف معهم. شعره الذى مر بك يبين أنه ما كان راضياً عن عيشته فى لندن وأنه كان فى ذلك مجبوراً. ولم يعرف سبب ذلك ولا غير ذلك من جوانب حياته رغم كثرة مؤلفاته. ولم يذكر صاحب النزهة تاريخ وفاته ولا مولده لكنه ذكره فى رجال القرن الثالث عشر الهجرى.

كان - كما يفصح عن ذلك شعره - شاعراً مجيداً رصيناً. ومن مؤلفاته حاشية على شرح التهذيب لليزدى وشرح على مقامات الحريري بالفارسية وحاشية على شرح هداية الحكمة للمببذى وحاشية على تشريح الأفلاك للعاملى وشارك مجموعة من العلماء فى وضع معجم تاج اللغات وهو معجم ضخّم فى سبعة مجلدات. (١)

١٤- مولانا أصغر على روحى :

الأستاذ الجليل والشاعر الرقيق مولانا أصغر على روحى، كان من علماء العربية والفارسية وله فيهما مؤلفات ضخام. تتلمذ على يد مولانا غلام بهيروى وفيض الحسن السهارنبورى والمفتى محمد عبد الله تولكى. تولى أصغر على روحى ابن القاضى شمس الدين بين ميان بير بخش بن ميان ركن الدين رئاسة قسم اللغة العربية

١- نزهة الخواطر : ٧ / ٦٣ - ٦٤.

والدراسات الإسلامية بالكلية الحكومية الإسلامية في لاهور عام ١٨٩٢م وتقاعد إلى المعاش في ١٩٤١م. كان عالماً فاضلاً متواضعاً وباحثاً جاداً. له مؤلفات عديدة بالعربية والفارسية والأردية أهمها ترجمة وشرح قصيدة البردة، وديوان شعر عربي صغير فيه خمسمائة بيت، وتفسير سورة ياسين وتفسير الجزء التاسع والعشرين من القرآن وترجمة نصيحة التلميذ للغزالي إلى اللغة الأردية وترجمة الداء والدواء لابن القيم إلى الأردية أيضاً بعنوان الجفاء والوفاء وله في الفارسية «دبير عجم» كتاب مشهور في النقد والبلاغة وله العروض والقوافي كتاب باللغة الأردية وما في الإسلام كتاب في مجلدين في العقيدة وغير ذلك كثير.

كان أكثر شعره في الفارسية حتى حوى ديوانه ستة آلاف بيت وهو ديوان ضخيم مازال مخطوطاً محفوظاً في مكتبة جامعة البنجاب بـلاهور. توفي رحمه الله في عام ١٩٥٤م. (١)

١٥ - أطفاف حسين حالي :

الشاعر الأديب والشيخ الفاضل أطفاف حسين بن ايزد بخش الأنصاري من أشهر الشعراء في شبه القارة ولد في سنة ١٢٥٣هـ في مدينة بانى بت القريبة من دلهي، درس العلوم الإسلامية وحفظ القرآن على يد الشيخ ابراهيم حسين الانصاري والشيخ علي نواز الدهلوي ومولانا قلندر علي وغيرهم. ودرس الشعر على يد غالب أبي الشعر الأردى في شبه القارة وأعظم شعرائه، وصاحبه واختص بصحبته حتى تفرغ للشعر وحده، ودون منظومته المعروفة بمسدس حالي - وحالي تخلصه - والتي تلقاها الناس بالقبول وسارت مسيرة الأمثال في البلاد وأرلح الناس بها ولعاً عظيماً وطبعت مراراً لا تحصى وهي ملحمة عظيمة تصور المد والجزر في الإسلام وحال المسلمين وتنقلهم من النصر إلى الهزيمة ومن التقدم إلى الانحطاط. وقد صور فيها المجتمع الإسلامي

١- مولانا أصغر علي روهي والدكتور صوفى ضياء الحق، مقال لمعين نظامي بالفارسية بمجلة (تحقيق) وهي مجلة كلية العلوم الإسلامية والشرقية بجامعة البنجاب بـلاهور، المجلد ١٦، العدد ١-٢ لسنة ١٩٩٣، ص ٥٥ - ٧٠. وأنظر مولانا أصغر علي روهي كى احوال وآثار رسالة للدكتوراة مقدمة من ذو الفقار علي رانا.

تصريحاً دقيقاً، ومن أسف أنه نظمها باللغة الأردية فحرم العرب الاستمتاع بها. كان حالي ناقداً عظيماً وشاعراً مرهفاً رقيقاً، سريع الانفعال غزير القريحة متألماً لحال المسلمين في العصر الحاضر. اشتغل في لاهور زمناً ثم عل بالتدريس في دلهي ثم اعتزل وتفرغ للشعر. وكان من أشد أنصار حركة الإصلاح التي قادها السيد أحمد خان وقد مر بك هذا. له كتب عن حياة سعدى وذكرى غالب وترياق المسموم في الذب عن الملة الإسلامية وشكوى الهند ومناجاة أرملة، وله أرجوزات كثيرة. ولم يعرف حالي كشاعر من شعراء العربية في شبه القارة، إنما كل شهرته بسبب شعره الأردى ونقده للأدب، واكتشاف شعره العربى وما فيه من سلاسة وجمال كما رأيت لم يتيسر لمعاصريه. توفي رحمه الله في عام ١٣٣٣هـ. (١)

١٦- أنور شاه الكشميرى :

العلامة المحدث أنور شاه بن معظم شاه الحسينى الحنفى الكشميرى كان من كبار فقهاء الحنفية وعلماء الحديث في شبه القارة. ولد في سنة ١٢٩٢هـ في قرية بدوده وإن من أعمال كشمير ودرس على يد والده ثم بعد ذلك على الشيخ اسحق الأمرتسرى والعلامة محمود حسن الديوبندى والشيخ خليل الأنبهتوى ثم ولى التدريس بالمدرسة الأمينية بدلهي. انتهت إليه رئاسة تدريس الحديث بشبه القارة فبقى فيها ثلاثة عشر عاماً اشتغل فيها بتدريس الحديث في ديوبند، كان همه التوفيق بين الحديث والفقه الحنفى الذى دافع عنه وانتصر له كثيراً حتى حدثت فتنة في المدرسة لم يذكرها أصحاب التذاكر أدت إلى اعتزاله عن شياخة الحديث فيها فغادر ديوبند إلى داهيل من قرى سورت حيث أسس له بعض التجار مدرسة سماها الجامعة الإسلامية فظل يدرس بها إلى أن مرض وضعفت صحته فعاد إلى ديوبند وتوفي بها في سنة ١٣٥٢هـ ودفن قريباً من بيته.

كان الشيخ أنور الكشميرى نادرة عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع، ومن مصنفاته تعليقاته المشهورة على فتح القدير لابن الهمام وعلى صحيح مسلم وعلى

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٦٥ - ٦٧.

الأشباه والنظائر ورسائله عن عقيدة الإسلام فى حياة عيسى عليه السلام ومشكلات القرآن وغير ذلك. (١)

١٧- أوحـد الدين البـلكرامى :

الشيخ أوحـد الدين بن على أحمد البـلكرامى درس على يد مولانا حيدر على بن عنايت على ودرس الأدب العربى والإنشاء على يد الشيخ أحمد الشروانى اليمنى الذى أقام بالهند. لم يذكر أصحاب التذاكر شيئاً عن عام مولده ولا سنة وفاته رغم اشتهاـر اسمه وتعدد مؤلفاته. لكن المرجح أنه توفى فى القرن الثالث عشر الهجرى لأن صاحب النزهة ذكره فى رجال هذا القرن ولأن تاريخ بعض مؤلفاته يدل على ذلك. كان الشيخ أوحـد الدين مهتماً كل اهتمام بالأدب العربى ولغته كما تدل على ذلك كتبه إذ له نفائس اللغات وهو أول معجم تناول بيان أصول الألفاظ المستعملة فى اللغة الأردية ومقترضة من اللغات الأخرى العربية والفارسية وغيرها وقد أتمه فى عام ١٢٥٣هـ وله أيضاً روضة الأزهار ومفتاح اللسان وتذكرة شعراء العرب وشرح لقصيدة بانـت سعاد وشرح لديوان المتنـبى وشرح لمقامات الحريرى. ويعتبر كتابه مفتاح اللسان فريداً فى أسلوبه إذ صاغ فيه مسائل الأدب العربى والإنشاء فى شكل سؤال وجواب، وقد ألفه سنة ١٢٤٧هـ. (٢)

ولا نعرف سبب إهمال أصحاب التراجم والطبقات الأدبية فى شبه القارة لتفاصيل حياته رغم كثرة تصانيفه، حتى لم يذكر آزاد منها شيئاً فى كتابه مآثر الكرام وهو تذكرة لأدباء بلكرام ومنهم أوحـد الدين البـلكرامى.

١٨- باقر بن مرتضى المدراسى :

باقر بن مرتضى الشافعى المدراسى أحد العلماء المشهورين موطنه الأصلـى مدراس بجنوب الهند. قيل إنه من النوائط أى أجداده من العرب الذين فروا من الحجاج

١- نزهة الخواطر : ٨٠ / ٨ - ٨٣. المنتخب من الشعر العربى : ٢٤٩ - ٢٥٠.

٢- تذكره علماء هند، الترجمة الأردية لمحمد أبوب قادري، ص ١٣٦ - ١٣٧، كراتشى ١٩٦١م. نزهة الخواطر : ٨٨ / ٧ - ٨٩.

وسكنوا ساحل جنوب الهند. ولد فى ويلور من أعمال مدراس فى ١١٥٨هـ. تلقى العلوم الإسلامية والعربية على يد السيد أبى الحسن الويلورى وغيره من علماء الجنوب. كان نابغة حتى تأهل للإفتاء وهو دون العشرين وكان يناظر الكبار ويفحهم وولى فى العشرين من عمره ديوان الإنشاء عند الأمير نواب محمد على الكوياموى فى مدراس فلما ظهرت براعته أنعم عليه بإقطاعية كان إirاده منها فى ذلك الوقت أربعة آلاف ومائتى روبية فى السنة ثم أدخله فى ندمائه. كان المدراسى غزير الإنتاج له عشرات الكتب بالفارسية والعربية والأردية فى موضوعات فقهية وعقيدية وأدبية يهمنى منها ديوانه بالعربية وقصائده العشر التى مر بك ذكرها وهى على نهج المعلقات وقيل إن له ديواناً عربياً آخر غير الأول خصصه لمَدح الرسول عليه وآله السلام كما له مقامات على منوال مقامات الحريرى، وله رسائل حذا فيها حذو البديع الهمدانى عنوانها شمائم الشمائل فى نظام الرسائل. ومن أهم كتبه بالفارسية ديوان شعره وكتابه الذى استدرك فيه على آزاد، وانتقى له من شعره أربعمئة غلطة. توفى عام ١٢٢٠هـ ومن أسف أننا لم نعثر على شئ من إنتاجه العربى هنا. (١)

١٩- بهادر يارجنك :

النواب محمد يارجنك بهادر من الزعماء السياسيين والإسلاميين فى شبه القارة ومن قادة حركة باكستان. ولد فى سنة ١٣٢٢هـ فى حيدرآباد الدكن وصنع نفسه بنفسه عن طريق المطالعة بعد أن أتم تعليمه الأولى فى المدرسة ثم على يد الشيخ أشرف شمسى والشيخ سعدالله خان. تجول فى الدول الإسلامية كالعراق والشام وفلسطين ومصر وتركيا والحجاز وآسيا الوسطى وإيران وأفغانستان وغيرها فى أيام نشاط الحركة اليهودية وعاصر حركة السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله. لما عاد من جولته انضم إلى حركة الخدام (خاكسار) التى أسسها عنايت الله المشرقى، ثم أسس هو مجلس اتحاد المسلمين وجماعة المتطوعين وأقام مراكز تدريب عسكري للشباب فى كل قرية. ثم لما أسس محمد على جناح حزب الرابطة الإسلامية انضم إليه وصار من أبرز

١- تذكره علمای هند، رحمن على : ص ١٨٨، نزهة الخواطر : ٩٣ / ٧ - ٩٦.

قادته. كان يعرف اللغات الإنجليزية والفارسية والعربية والأردية وكان ذا فطرة شاعرة وطبيعة أدبية رقيقة لكنه لم يتجه إلى الأدب بل كان يكبح الشعر فى داخله ويقول : (أنا أكبح هذه العاطفة لأن الشاعر عموماً بعيد عن العمل وأنا أريد أن أعمل شيئاً) كان خطيباً مفوهاً شارك فى كل حركة نهضة أدبية او ثقافية. قال السيد سليمان الندوى إن أجداده كانوا من العرب. توفى فى سنة ١٩٤٢م ويعتبر فى باكستان بطلاً قومياً. (١)

٢٠- حميد الدين الفراهى :

حميد الدين أو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قريان قنبر بن تاج على الأنصارى الفراهى كان من أجلة العلماء الشائرين. اسمه الأصلى عبد الحميد لكنه اشتهر بحميد الدين. ولد فى سنة ١٢٨٠هـ فى قرية فريهة من قرى أعظم كره. تتلمذ على يد العلامة الأديب شبلى النعمانى والمولوى محمد مهدي ثم سافر إلى لكنو مركز الحضارة الإسلامية آنذاك وتلقى العلم على يد الشيخ فضل الله بن نعمة الله والعلامة عبد الحى بن عبد الحليم ثم ذهب إلى لاهور وتأدب عند فيض الحسن السهارنبورى ثم تعلم الإنجليزية ثم الفلسفة الحديثة التى حصل فيها على ليسانس من جامعة إله آباد بالهند، وحين أراد حاكم الهند اللورد كاريزون توطيد علاقاته بالعرب عمل له مترجماً تحت ضغط شديد من العلامة شبلى النعمانى. عمل أيضاً مدرساً للعربية بمدرسة الإسلام فى كراتشى وبعدها فى جامعة عليكرة ثم جامعة إله آباد وتعلم العبرية من المستشرق الالمانى هارويز مقابل تعليمه إياه اللغة العربية. ظل فى التدريس حتى صار مديراً لدار العلوم بحيدرآباد الدكن. اعتزل بعد ذلك وعكف على المطالعة وأسس قريباً من قريته مدرسة الإصلاح التى كان من أول أهدافها تحسين أسلوب تعليم اللغة العربية والتخصص فى القرآن. له مؤلفات أهمها تفسيره الحركى للقرآن بعنوان نظام الفرقان وتأويل القرآن بالقرآن ورسائل فى تفسير القرآن منها الإمعان فى أقسام القرآن

١- حيات قائد ملت ، محمد اقبال سليم ، ص ٣٢-١٦٢ ، لاهور بدون تاريخ . ياد رفتكان للسيد سليمان الندوى، ص ٢٣٤ ، كراتشى ١٩٨٣ .

والرأى الصحيح فيمن هو الذبيح وله أيضاً جمهرة البلاغة وديوان الشعر العربى الذى مر بك كما له ديوان بالفارسية ومنظومة بالأردية فى الإعراب سماها تحفة الإعراب وغير ذلك. كان عالماً ثائراً، هم المسلمين أكبر همه، بارعاً فى العلوم الإسلامية والأدب العربى والشعر الجاهلى بشكل خاص أثنى عليه معاصروه كالشيخ أبى الاعلى المودودى ورشيد رضا المصرى والسيد أحمد وشبلى النعمانى وغيرهم ، وقارنه بعض الباحثين بحسن البنا مؤسس الإخوان المسلمين بمصر وكان من الموافقين له فى الفكر. توفى فى عام ١٣٤٩هـ بمدينة متھرا ودفن بها. (١)

٢١- حيدر على الرضوى :

السيد حيدر على الرضوى كان من مجتهدى الشيعة فى شبه القارة قرأ العلوم الاسلامية على والده ثم على الشيخ تراب على السننى والشيخ أحمد على المخدمآبادى وأخذ الأدب عن المفتى محمد عباس التستري وكان من أخص تلاميذه، كان يقوم بالتدريس مجاناً فى المدرسة الإيمانية بلكنو وكان ورعاً تقياً زاهداً عالى الكعب فى المعقول والمنقول، وله اليد الطولى فى الشعر والأدب العربى. من مؤلفاته ديوان الشعر العربى والحواشى على الصدرا بالعربية وحاشية على شرح السلم بحمد الله وشرح لزبدة الأصول وحاشية أخرى على اللمعة فى الفقه الشيعى. لم نعثر على ديوانه ولا على كثير من شعره وقد نقلنا عنه ما ذكره صاحب النزهة وقال فى آخره :توفى فى سنة ١٣٠٢هـ كما فى تذكره بى بها للمولوى محمد حسين النوكانوى. (٢)

٢٢- الأمير خسرو الدهلوى :

أبو الحسن بن سيف الدين محمود المشهور بالأمير خسرو الدهلوى، من أشهر الشعراء فى شبه القارة وايران لقبوه بسلطان الشعراء وبرهان الفضلاء وكان موسيقاراً عالى الشأن أيضاً. ولد فى بتيالى بالهند عام ٦٥٢هـ وارتبط ببلاطات عديد

١- مولانا حمد الدين الفراهى، محمد عنایت الله سبحانى : ٧ - ١٩، لاهور ١٩٨٠م. نزهة الخواطر : ٨ / ٢٢٩ - ٢٣٠.

٢- نزهة الخواطر : ٨ / ١٢٩ - ١٣٠.

من أمراء عصره وكانت طبيعته شاعرة خالصة. فأقبل على الشعر والموسيقى بكل اهتمام. بايع الشيخ نظام الدين أولياء من أقطاب التصوف والعرفان بشبه القارة - وهو من أدخل الموسيقى في الذكر الصوفي - ولازمه وصار أحد خلفائه من بعده ودفن معه في دهلي ونسبه الناس إليها فعرف خسرو الدهلوي. كان من أهل التصوف والعرفان استخدم شعره وموسيقاه وسائر الفنون التي أتقنها وبرع فيها في نشر طريقة شيخه.

كان من المجتهدين في البلاغة في شبه القارة وقد أوجد نوعاً من البدائع عرف باسم بوقلمون وهي لفظة تعنى قماشاً رومياً ذا ألوان متعددة، وتعنى في الاصطلاح البلاغى التورية المتعددة في أكثر من لغة. كذلك اخترع الأمير خسرو ألواناً من النظم في الفارسية والهندية كالقوالى والترانة والنقش والخيال والتكار وغيرها وكلها من فنون الراكنى ولا يتسع المقام هنا لبيانها. له مؤلفات عديدة في البلاغة والشعر كالإعجاز الخسروى ومنظومات ودواوين كثيرة في الفارسية تصل إلى حوالى عشرين مؤلفاً، شعره العربى قليل وإن كان يدل على معرفة جيدة، توفى في سنة ٧٢٥هـ. (١)

٢٣- خورشيد رضوى :

الشاعر الرقيق خورشيد رضوى ولد في مدينة أمروهة وهي التي زارها ابن بطوطة. تاريخ ميلاده الحقيقي ١٩ مايو سنة ١٩٤٢م لكن أوراقه الرسمية تقول إنه ولد في ديسمبر سنة ١٩٤٠م ولا يعرف خورشيد من الذي فعل هذا ولماذا. هاجر إلى باكستان مع أسرته سنة ١٩٤٩م، أتم تعليمه الابتدائي والثانوي والعالى في ساهيوال ثم التحق بكلية الدراسات الشرقية في جامعة البنجاب بمدينة لاهور وحصل على ماجستير اللغة العربية ونال لتفوقه ميداليات ذهبية وفضية. أخذ اللغة العربية والأدب عن الدكتور صوفى ضياء الحق ثم عن الدكتور شيرزمان ومولانا نور الحسن والسيد أبى بكر الغزنوى وغيرهم من أساتذة الأدب العربى. ينظم الشعر باللغات الثلاث العربية

١- تذكره علمائى هند : ٥٧، نزهة الخواطر ٢ / ٣٨ - ٤١ آب كوثر، الشيخ محمد اكرام : ١٩٧ - ٢٠٨، باكستان، شركة فيروز سنز، ١٩٥٢. Encyclopedia of Islam 2 / 980، ولزید من التفصيل انظر حیات خسرو لشبلى النعمانى، لسانح حیات أمير خسرو لمحمد حبيب وحیات حضرت أمير خسرو لخان بهادر تقى محمد خان، وكلها كتب مطبوعة معروفة في شبه القارة.

والفارسية لم يطبع له دواوين إلا في الأردنية التي رأينا له فيها ثلاثة دواوين الاول بعنوان شاخ تنها طبع سنة ١٩٧٤ والثاني «سرابون كي صدف» وقد طبع عام ١٩٨١م والثالث بعنوان رائكان وقد طبع في ١٩٩٦. حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة البنجاب عام ١٩٨١م. ترجم محاضرات الدكتور فؤاد سزكين (محاضرات في تاريخ العلوم) إلى الأردية وله أيضاً عشرات المقالات باللغات الثلاث وبالانجليزية ترأس الكلية الحكومية في سركوها، وهو الآن أستاذ اللغة العربية بالكلية الحكومية بلاهور. (١)

٢٤- ذو الفقار على الديويندي :

الشيخ الجليل ذو الفقار على بن فتح على الخنفي الديويندي كان من أكابر الماهرين بالعلوم العربية وفنونها الأدبية. ولد ونشأ بديويند ثم انتقل إلى دهلي وتلقى العلم على مولانا مملوك النانوتوي، والمفتي صدر الدين الدهلوي ولازمهما ملازمة طويلة. وقد استفاد منهما كثيراً حتى برع وفاق أقرانه في علوم المعاني والبيان والنحو والشعر. قلده الحكومة تفتيش المدارس الابتدائية فبقى في منصبه هذا إلى أن أحيل إلى المعاش. قال صاحب النزهة إنه لقيه بديويند فوجده ماهراً بالفنون الأدبية.

ويبدو أن الديويندي فضل نقل الآداب العربية إلى الأردية ليستفيد منها أهلها لأن الشروح التي كتبها للأعمال الأدبية العربية كانت كلها تهتم بهذا الجانب فله شرح لديوان الحماسة وآخر لديوان المتنبي وثالث للمعلقات السبع وله كتاب في البلاغة وكل هذه الأعمال باللغة الأردية. وقد وجدنا له شرحاً لقصيدة البردة اسمه عطر الورد في شرح البردة شرح فيه الألفاظ العربية ومعانيها ونحوها وصرفها باللغة العربية ثم شرح معنى البيت بالأردية (٢) وكان له شعر متين بالعربية لم يصلنا منه إلا قصيدته التي مرت بك في الأدب السياسي. توفي في سنة ١٣٢٢هـ. (٣)

١- أكثر هذه المعلومات أمدني هو بها نفسه.

٢- عطر الورد، طبع كتيخانه اعزازية، ديويند، الهند. بدون تاريخ.

٣- نزهة الخواطر : ٨ / ١٤٠ - ١٤١.

٢٥- رضى الدين الصغانى :

رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن على بن اسماعيل القرشى العدوى العمرى الصغانى حامل لواء اللغة العربية فى زمانه. ولد بمدينة لاهور سنة ٥٧٧هـ ونشأ بغزنة ثم سافر إلى بغداد سنة ٦١٥هـ ثم إلى اليمن ثم عاد إلى بغداد ثم منها إلى الهند ثم إلى بغداد مرة أخرى. سمع من النظام المرغينانى. قال الذهبى كان إليه المنتهى فى اللغة. هذا ما ذكرته كتب الطبقات العربية أما صاحب التزهة فقد قال إنه ولد فى عام ٥٥٧هـ فى لاهور وعرض عليه السلطان قطب الدين أيبك القضاء بمدينة لاهور فرفض ورحل إلى غزنة ومنها إلى ديار العرب وقد خلع عليه الخليفة العباسى الناصر لدين الله وأرسله سفيراً بينه وبين سلطان الهند شمس الدين ايلتمش، ثم أرسله المستنصر بالله العباسى أيضاً فى سفارة إلى السلطنة رضية بنت ايلتمش.

كان صالحاً صموتاً عن فضول الكلام إماماً فى اللغة والفقه والحديث. أخذ عنه شرف الدين الدمياطى وابن الصباغ ونظام الدين بن عمر الهروى وغيرهم. بلغت مؤلفاته فى اللغة والأدب اثنين وثلاثين بين مطبوع ومخطوط ذكرها جميعاً الدكتور اوغست هفتر فى ذيل الأضداد للصغانى. توفى رحمه الله عام ٦٥٠هـ قولاً واحداً، ودفن ببغداد ثم نقل بعد ذلك إلى مكة ودفن بها وكان قد أوصى بذلك واعدأ خمسين ديناراً لمن يحمله. (١)

٢٦- رفيع الدين الدهلوى :

رفيع الدين بن ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى المحدث المتكلم من أسرة علم وفقه ولد فى دهلى سنة ١١٦٣هـ ونشأ بها وتعلم من أخيه الشيخ عبد العزيز. برع فى العلوم الإسلامية وتصدى للفتوى والتدريس وهو ابن عشرين ثم اشتهر أمره وعلا بين علماء عصره. له كتاب مشهور فى بيان بعض مسائل علم الحقائق

١- ثلاثة كتب فى الأضداد، نشر د. أوغست هفتر، ص ٢٤٩ - ٢٥٣، بيروت ١٩١٢م، نقلاً عن قوات الوفيات للكتبى وبغية الرعاة للسيوطى، وكشف الظنون لحاجى خليفة. وانظر تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ٢١٢/٦ من الترجمة العربية، ونزهة الخواطر : ١٣٧ / ١ - ١٤١. متأثر الكرام : ١٦٣. تذكره علماء هند : ٤٨.

الغامضة اسمه دمع الباطل، وله أيضاً في أسرار الحب الإلهي كتاب أسرار المحبة أثنى عليهما معاصروه من العلماء أصحاب القلوب والعرفان. وله غير ذلك رسالة في العروض وأخرى في التاريخ وثالثة في إثبات شق القمر ورابعة في الحجاب وخامسة في علامات القيامة وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة المشهورة في شبه القارة كما له تخميس على بعض قصائد والده ولي الله الدهلوي وكتبه مازالت مخطوطة في مكتبة رامبور بالهند. وله مؤلفات بالفارسية أيضاً، توفي رحمه الله في عام ١٢٣٣هـ وليس كما قال رحمن علي في تذكره علمای هند في سنة ١٢٤٩هـ حسب ما استدركه عليه صاحب الترجمة الأردنية محمد أيوب قادري. (١)

٢٧- زين الدين بن علي المليباري :

زين الدين بن علي بن أحمد المليباري الشافعي مذهباً ولد في ٨٧١ أو ٨٧٢هـ في مدينة كش من مدن ساحل مليبار بجنوب الهند. ولما عين عمه زين الدين أحمد المليباري قاضياً لمنطقة فنان بجنوب الهند أخذه معه وقام بتربيته وتعليمه على يد شيوخ منطقته كالشيخ شهاب الدين أحمد ابن أبي الحل اليمنى وفخر الدين الشالياتي المليباري وزكريا الأنصاري وغيرهم.

كان إمام عصره وعلامة دهره عاملاً محققاً عالماً ورعاً متبعاً للسنن محارباً للبدع في منطقته له كتب كثيرة منها مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب والمسعد في ذكر الموت وشمس الهدى في الموعظة وحاشية على ألفية ابن مالك وشرح على كافية ابن الحاجب وكفاية الطالب في حل كافية ابن الحاجب شرح آخر لها وكتاب في السير النبوية. وله كتاب في أحكام الجهاد ألفه حين هاجم البرتغاليون منطقته اسمه تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصليبان وله قصيدة فيما يورث البركة وينفي الفقر مأخوذ من كتاب البركة للوصالي، وله قصيدة أخرى في السلوك كما له رسائل نظماً ونثراً إلى الملوك

١- نزهة الخواطر : ٧ / ١٨٦ - ١٨٧. تذكره علمای هند : ٦٦، والترجمة الأردنية : ٩٦ - ٩٧.

والأمراء فى عصره. توفى فى سنة ٩٢٨هـ وكان عالماً فاضلاً أسلم على يده فى منطقته خلق كثير. (١)

٢٨- شاه حسين حقيقت :

السيد حسين بن السيد عرب شاه كان أجداده ممن فروا من ظلم بنى أمية واستقروا فى بلخ وتركستان. يرجع نسبه إلى سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام. ولد سنة ١١٨٦هـ ١٧٨٢م ولما مات أبوه وهو فى الخامسة من عمره علمه ورباه جده لأمه قنبر وعرف اسمه فى الأدب الأردى واشتهر باسم شاه حسين حقيقت. انتقل مع أسرته إلى كانبور حيث عمل رئيساً للكتاب لدى الدكتور هندرسون فى فتح كره.

كان شاه حسين حقيقت تلميذاً للشاعر المشهور جرأت الذى بقى معه زمناً طويلاً وتعلم منه الشعر، وعمل فى آخر عمره لحكام الإنجليز فى كلكتة ومدراس.

كان حقيقت أديباً بارعاً ذا مكان بارز فى الأديبين الأردى والفارسى. له ديوان أردى وكتب أدبية أخرى منها تحفة العجم وخزينة الأمثال الذى مر بك وصنم خانه جين وهشت كلزار وجذب عشق وتذكره أحبه وهفت نسخه وغيرها. توفى رحمه الله فى عام ١٢٤٩هـ. (٢)

٢٩- شهاب الدين الدولتآبادى :

القاضى شهاب الدين بن شمس الدين عمر الزاولى الدولتآبادى ولد فى دولتآباد وانتسب إليها وحصل علومه على يد القاضى عبد المقتدر الشريعى الدهلوى ومولانا خواجكى. حين توجه جيش الأمير تيمور إلى دهلى رحل عنها مع أستاذه الخواجكى الذى رحل إلى كالبى وسافر هو إلى جونبور حاضرة المملكة الشرقية آنذاك بالهند فأكرمه سلطانها إبراهيم الشرقى وعظمه ولقبه بملك العلماء فتصدى للدرس بجونبور وألف البحر الموج وهو تفسير للقرآن بالفارسية وحاشية الكافية وكتاب الإرشاد فى

١- فقهاى هند : ٣ / ١٨١ - ١٨٣. نزهة الخواطر : ٤ / ١١٨ - ١١٩.

٢- مقدمة خزينة الأمثال. تذكره علمائى هند : ٤٩.

النحو وبدائع البيان فى البلاغة وشرح قصيدة بانث سعاد الذى مر بك وفتاوى ابراهيم شاهى ومناقب السادات وتقسيم العلوم وغيرها من الكتب النافعة.

حكى صاحب تاريخ فرشته أن القاضى شهاب الدين كان من غزنين وتربى ونشأ فى دولاباد وكان السلطان ابراهيم الشرقى يجد فى تعظيمه وكان القاضى يجلس فى مجلسه على كرسى من فضة. ومرض القاضى ذات مرة فذهب السلطان لعبادته فلما دخل عليه ملاً كأساً بالماء وأدارها حول رأسه ثم شربها ودعا الله أن ينقل إليه ما به من مرض أياً كان ويشفيه. توفى فى عام ٨٤٩هـ ودفن بمسجد السلطان ابراهيم فى جونبور، أما صاحب حدائق الحنفية فقد قال إنه توفى فى سنة ٨٤٨هـ وإن الشهرة التى حباه الله إياها لم تحصل لأحد غيره. وكان يتكلف فى أسلوبه العربى السجع وإن كان متيناً. وخص الجهلى كتابه شرح الكافية ذكراً وقال : لم يعدله فى اللطافة والمتانة كتاب وقد نال شهرة عالمية فى حياة المؤلف. وشرحه لقصيدة بانث سعاد يدل على تمكنه من العلوم العربية شعراً وبلاغة ونحواً وصرفاً بحيث إذا قلنا إنه أفضل وأشمل شرح لها لم نخطئ، وجملة كتب الدولابادى مقبولة محبوبة لدى العلماء فى شبه القارة لا يختلف على هذا اثنان. (١)

٣- صديق حسن القنوجى :

السيد صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد على الحسينى البخارى القنوجى من أشهر مشاهير شبه القارة وأعظم عظمائها ولد سنة ١٢٤٨هـ فى مدينة بانس بريلى بالهند. توفى أبوه وهو فى السادسة من عمره فصار فى حضن أمه يتيماً فقيراً فقرأ مبادئ القراءة والكتابة فى كتاب وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم ثم تولى تعليمه أخوه أحمد حسن القنوجى. انتقل إلى دهلى فاعتنى به المفتى صدر الدين خان وكان أستاذ الأساتذة بها فانتظم فى تلقى العلم على يده إلى أن فرغ من الدرس وهو فى الحادية والعشرين فنزل بمدينة بهوبال للاسترزاق فأسند إليه الوزير جمال الدين

١- تذكره علماء هند : ٢٣٩ من الترجمة الأردية. مآثر الكرام : ١٧٠، فقهاى هند : ٢ / ١١٣ - ١٣١. حدائق الحنفية : ٣١٩. أخبار لعبد الحق الدهلوى : ١٦٩، الهند ١٢٧٨هـ.

الصديقي الدهلوى تعليم أسباطه ثم اختلفا بعد ذلك لسبب لم يذكره أصحاب التذاكر فنفاه الوزير من بهوبال فتوجه إلى طوك فتوسط له عند الوزير المذكور بعض أكابر علمائها فرده إلى بهوبال فولاه تحرير الوقائع وزوجه بابنته التى كان يعلم أولادها فى البداية. سافر إلى مكة واليمن وتلقى الحديث عن علمائها ثم عاد إلى بهوبال وتولى نظارة المعارف بها ثم تولى ديوان الإنشاء وأعطى لقب (خان). وكان بحكم عمله يتردد إلى النواب شاهجهان بيغم ملكة بهوبال ويمثل بين يديها فأحبته وقربتة من نفسها وكانت أرملة اقترحت عليها الحكومة الانجليزية الزواج ليساعدها زوجها فى الحكم فتزوجته سنة ١٢٨٨هـ وجعلته معتمد مهام الدولة ومنحته إقطاعاً فلقبته الحكومة الإنجليزية بـ (النواب والا جاء أمير الملك السيد محمد صديق خان بهادر) ومنحته حق التعظيم فى أرض الهند كلها بإطلاق المدافع سبع عشرة طلقة وهذا كله يعنى بلغة العصر أنه أعطى البروتوكول الخاص برئيس دولة فعاش فى رغد من العيش يجمع فى يديه رئاستى الدولة والعلم. ثم ما لبث أن سعى به المندوب السامى لدى الهند ودبر له المؤامرات فاتهمه بتحريض الشعب على الجهاد والزام الملكة بالحجاب الشرعى ليستبد دونها بالأمر فسحبت منه الألقاب وجرد من البروتوكول سنة ١٣٠٢هـ وبعد ذلك منع من التدخل فى شئون الدولة. شمت به الأعداء لكن زوجته بقيت على وفائها تدفع عنه التهم وتقف جنبه فى محنته حتى أعادت له الحكومة ما سلبته منه سنة ١٣٠٧هـ لكنه كان قد اشتد به مرض الاستسقاء فتوفى بعدها بقليل ليلة صدر آخر مؤلفاته وهو كتاب مقالات الإحسان الذى ترجم فيه فتوح الغيب كتاب الشيخ عبد القادر الجيللى. وأمرت الحكومة الانجليزية بتشيع جنازته وفق ما يليق بالأمراء حسب المراسم والبروتوكولات الخاصة لكنه كان قد أوصى بأن تشيع جنازته ويدفن كما تنص السنة فنفذت وصيته وشيعه خلق كثير حتى أنهم صلوا عليه ثلاث مرات.

كان حاذ الذكاء سريع الفهم كريم الخلق سمح الطباع غزير العلم وافر الإنتاج له من المؤلفات العربية أكثر من خمسة وخمسين كتاباً فى الفقه والأصول والحديث والأدب واللغة. كان وهابى المذهب يسيئ الظن بأهل الفقه والتصوف خاصة بأبى حنيفة وآرائه.

وقد أنفق هو وزوجته الملكة أموالاً طائلة على طبع الكتب العربية من تأليفه وتأليف غيره. وبلغت مؤلفاته بكل اللغات ثلاثمائة. وقد جمعها ابنه على حسن فى كتاب عن سيرة والده بعنوان مآثر صديقى. كما فصل ذكرها ابنه الآخر السيد نور الحسن فى مقدمة كتابه نيل المرام فليرجع إليهما من شاء. (١)

٣١- الدكتور صوفى ضياء الحق :

صوفى محمد ضياء الحق ابن مولانا أصغر على روحى، وقد مر بك شئ من شعر كليهما. ولد فى لاهور سنة ١٩١١م ونشأ بها. كان عالماً بالعربية والفارسية والأردية والإنجليزية نال درجة الدكتوراه فى اللغة العربية وهى آخر درجاته العلمية التى حصل عليها. عين أستاذاً للغة العربية فى الكلية الحكومية بجهنك سنة ١٩٣٧م وبقي بها حتى ١٩٤٢م. ثم بعدها فى الكلية الحكومية بساهيوال حتى ١٩٥٨م. ثم رئيساً لقسم اللغة العربية بالكلية الحكومية بـلاهور حتى تقاعد إلى المعاش فى ١٩٧٠م. وكان يدرس أيضاً فى كلية الدراسات الشرقية فى جامعة البنجاب بـلاهور. فكانت له مثات التلاميذ الذين تخرجوا على يديه فى الأدب العربى والدراسات الإسلامية. ونخص منهم الدكتور خورشيد رضى. له مؤلفات عديدة لكن أهم عمل له الفهرس العام الذى أعده فى عشرين سنة لكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان حيث رتب فيه كل موارد من أحاديث وأشعار وآيات وأعلام وأمثال وأماكن وأنساب وقبائل ومباحث علمية. ليس هذا فحسب بل كتب تحقيقاً وافياً شاملاً لحياة المؤلف ومصادر مادة الكتاب وأكمل ما نقص من مصاريع الأبيات ونقد ما أمكن نقده، وقد قال المستشرق السير وليم جونز عن وفيات الأعيان إنه أفضل وأحسن تاريخ عام وضع حتى الآن على الإطلاق. ومن أسف أن هذا العمل لم يطبع حتى الآن. وله أيضاً شرح القصائد الهمزيات العشر فى مدح سيد الجن والبشر وهو شرح جميل لهذه القصائد باللغة الأردية وهى قصائد

١- نزهة الخواطر : ٨ / ١٨٧ - ١٩٥. تذكره علماء هند : ٩٤ - ٩٥.

لحسان بن ثابت والبوصيري وشاه ولي الله وأحمد شوقي ويوسف النيهاني ومولانا
روحي والسيد عبد الحميد الخطيب وله شعر بالعربية والفارسية والأردية. توفي سنة
١٩٨٩م. (١)

٣٢- طلا محمد :

الشيخ العالم القاضي طلا محمد ابن القاضي محمد حسن بن محمد أكبر بن خان
العلوم الافغانى البشاورى أحد العلماء المشاهير فى شبه القارة. ولد ونشأ فى أسرة علم
ومعرفة فكان جده قاضى القضاة بأفغانستان وكذلك كان أخوه عبد الكريم وابن أخيه
عبد القادر. كان طلا محمد والياً على دار الإنشاء فى مدينة كلكتة زمن الانجليز كما
كان ولده محمد أسلم من كبار موظفيهم. تأدب على ذويه وأهل قرابته ثم أخذ
الحديث عن المحدث المشهور السيد نذير حسين الدهلوى كما لازم الشيخ الصالح عبد
الله بن محمد أعظم الغزنوى واستفاد منه. كان طلا محمد من أهل الحديث بارعاً فى
العربية وآدابها له شعر رقيق وقصائد جميلة طويلة جمعت فى ديوان سماه (نشأة الطرب
فى أشواق العرب). توفي سنة ١٣١٠هـ فى مكة المكرمة ودفن بالمعلاة. (٢)

٣٣- الدكتور ظهور أحمد :

الدكتور ظهور أحمد أظهر ولد فى قرية كهبيكى من قرى مقاطعة البنجاب
الباكستانية سنة ١٩٣٧م وحفظ القرآن الكريم على والده ثم واصل دراسته كطالب
غير منتظم. تخرج فى جامعة البنجاب من قسم الدراسات الإسلامية سنة ١٩٥٩م ثم
حصل على ماجستير اللغة العربية عام ١٩٦١م ثم ماجستير الدراسات الإسلامية
فى العام التالى ثم دكتوراه اللغة العربية من نفس الجامعة سنة ١٩٦٩م.

١- مجلة فكر ونظر، عدد يولية/ سبتمبر ١٩٨٩م. افتتاحية المجلة، علاوة على ما أمدنى به من معلومات

تلميذه الدكتور خورشيد رضوى. ورأى وليام جونز مذكور فى تاريخ الأدب العربى لنكلسون.

A Literary History of the Arabs, R.A. Nicholson, P. 452, Cambridge, 1956.

وانظر أيضاً مجلة تحقيق، ج ١٦، عدد ١-٢، لسنة ١٩٩٣، ص ٥٥ - ٥٦.

٢- نزهة الخواطر : ٨ / ١٩٩ - ٢٠٢.

عمل فى حقل تدريس اللغة العربية منذ عام ١٩٥٦م وهو الآن رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بنفس الجامعة وهو - كمعظم أدباء شبه القارة يجيد العربية والفارسية والأردية - له مؤلفات عديدة مريبك بعض منها تصل إلى أكثر من عشرين. (١)

٣٤- عبد الأول الجونبورى :

الشيخ الفاضل عبد الأول بن كرامة على بن امام بخش بن جار الله بن كل محمد بن محمد دائم الجونبورى من مشاهير الأدباء فى شبه القارة. ولد سنة ١٢٨٤م بجزيرة سرنديب درس العلم على والده ثم على مولانا محمد نعيم بن عبد الحكيم النظامى اللكنوى ثم قرأ العقائد على السيد شير على البلندشهرى ثم سافر إلاليالحجاز وأخذ الحديث عن الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكرانوى والشيخ عبد الله بن حسين وأخذ التفسير والعرفان عن الشيخ عبد الحق بن شاه محمد الإله آبادى.

كان واعظا فصيح اللسان ظاهر البيان حسن العبارة حلو الإشارة جيد القراءة سريع اليراع كما قال اللكنوى بلغت مؤلفاته مائة كتاب منها : الطريف للأديب الطريف، والمنطوق فى معرفة الفروق، وعرائس الأفكار فى مفاخرة الليل والنهار، والتليد للشاعر المجيد والرديف لتالى الطريف وأحسن الوسائل إلى حفظ الأوائل والطريق السهل إلى حال أبى جهل والبسطى فى بيان الصلاة الوسطى وكانت له أشعار رقيقة بالعربية. توفى سنة ١٣٣٩هـ فى مدينة كلكتة ودفن بها. (١)

٣٥- عبد الحكيم السىالكوتى :

الأديب الفاضل عبد الحكيم بن شمس الدين السىالكوتى من كبار الأدباء المشهورين فى شبه القارة. ولد ونشأ فى مدينة سيالكوت. تعلم على الشيخ كمال الدين الكشميرى ولازمه وتخرج على يديه وكان عجباً فى الدرس والإفادة وقوة الحفظ. وزنه الملك شاهجان سلطان الهند المغولى بالفضة مرتين كما مريبك ومنحه ما جاء فى الوزن وأنعم عليه بقرى متعددة ليعيش عيشاً رغيداً يؤلف ويصنف قال صاحب النزهة عن

١- منقول من تعريفه بنفسه على غلاف كتابه أبو العلاء اللاهورى.

مؤلفاته اتفق على فضله علماء الأفاق وسارت بمصنفاته الرفاق وكلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم لا سيما علماء بلاد الروم يتنافسون فيها وهي جديرة بذلك. ونقل عن محمد بن فضل الله المحبى صاحب خلاصة الأثر قوله : كان رئيس العلماء عند سلطان الهند لا يصدر إلا عن رأيه ولم يبلغ أحد من علماء الهند فى وقته ما بلغ من الشأن والرفعة. ونقل عن محمد صالح فى كتابه عمل صالح أنه كان من كبار الأساتذة لم يدرك شأوه أحد من العلماء فى غزارة العلم وكثرة الدرس والإفادة إذ درس وأفاد ستين سنة. وللسيالكوتى مصنفات عديدة منها حواشيه على تفسير البيضاوى والمقدمات الأربعة فى التلويح والمطول فى البلاغة وعلى شرح المواقف وعلى شرح العقائد للتفتازانى وعلى شرح العقائد للدوانى وعلى شرح الشمسية وشرح المطالع فى المنطق وعلى شرح الكافية للجامى فى النحو وعلى مراح الأرواح فى الصرف وله الدرر الثمينة فى إثبات علم الواجب كما له كتب ومؤلفات أخرى. كان من كبار مريدى مجدد الألف الثانية الشيخ أحمد السرهندي وكان السرهندي يلقبه بشمس البنجاب. أثنى عليه معاصروه واشتهرت مؤلفاته فى ديار العرب وإن كان من ملاحظة أدبية تلاحظ على أعماله فهي أن أغلبها حواشى إما على شروح أو على متون، ويبدو أن الشيخ فطن إلى أن الإبداع قد يضيع الاستمتاع لما يلزم له من إبداء الرأى الجديد فأثر الحواشى. توفى سنة ١٠٦٧هـ ١٦٥٦م فى مدينة سيالكوت ودفن بها. (١)

٣٦- عبد الحميد الصادق بورى :

عبد الحميد بن أحمد الله بن إلهى بخش بن هدايت على الهاشمى الصادق بورى العظيم آبادى كان من البارزين فى العلوم والمعارف الأدبية. ولد عام ١٢٤٥هـ ببلدة عظيم آباد. قرأ المختصرات على عمه الشيخ فياض على ، ثم انتقل إلى لكنو ودرس على المفتى واحد على البنارسى وأخذ عنه العلوم الحكمية، ثم درس الطب على يد الحكيم طالب على اللكنوى. نهبت أمواله وسرقت كتبه فى ثورة الهند سنة ١٢٧٣هـ

١- تذكره علمای هند : ١١٠. سبحة المرجان : ١ / ١٧٠. نزهة الخواطر ٢١٥/٥. ٢١٦. مآثر الكرام ١٩٣. فقهای هند : مجلد ٤، جزء ٢، ٩٤ - ٩٨. تواریخ سیالكوت، غلام محمد عبد الصمد : ٨٣ - ٨٩، الهند ١٣٠٤هـ.

فعاد إلى عظيم آباد. صاحب النزهة لقيته مراراً فوجدته بحراً زاخراً في العلوم الحكيمة والمعارف الأدبية منطقياً ذا محاضرة حسنة ومناشدة طيبة، ما رأيت أحدا مثله في قوة الحفظ وجودة القريحة وسعة الاطلاع على أسفار القدماء وطول الباع في التمييز بين الصواب والخطأ وكان ينظم القصيدة الفائقة في لحظة مختطفة بحيث لا يصدق بذلك إلا من له مزيد اختبار. ثم ساق له قصيدة قال إنه نظمها ارتجالاً على مسمع منه ومرأى، وقد مر بك بعضها. اشتهر بالطب والعلاج بعد عودته إلى عظيم آباد عقب ثورة الهند فبقي بها إلى أن توفي ودفن فيها عام ١٣٢٣هـ. (١)

٣٧- عبد الحى اللكنوى :

رأينا أن ندخل عبد الحى اللكنوى في أدباء شبه القارة وإن لم نستشهد بشئ من إنتاجه لما له من فضل على أهل العربية في التعريف بأدباء شبه القارة مع إirاده لكثير من أعمالهم وأشعارهم.

هو السيد عبد الحى بن فخر الدين الحسنى العلوى منأبناء الامام الحسن بن على عليهما سلام الله. ولد في سنة ١٢٨٦هـ في زاوية السيد علم الله قرب راى برلى من أعمال لكنو بالهند. قرأ العلوم العربية والإسلامية على أكابر مشايخ عصره كالشيخ محمد نعيم الفرنكى محلى والشيخ فضل الله لكنوى والقاضى عبد الحق والشيخ السيد أحمد الديوبندى وحسين بن محمد اليمانى وابنه محمد وأخذ الطب عن الطبيب الشهير عبدالحى، كل ذلك بمدينة بهوبال ثم رجع إلى لكنو واشتغل بالطب كان من أهم الشخصيات التى أسست وخدمت ندوة العلماء بمدينة لكنو حتى عين مديراً لها فى ١٣٣٣هـ. كان عالماً ورعاً متبحراً راسخ القدم فى الآداب العربية والفارسية والأردية وكان شاعراً لكنه لم يكتر، له مؤلفات عدة أهمها نزهة الخواطر كتاب عظيم فى ثمانية أجزاء عن رجال الهند حتى القرنالرابع عشر الهجرى. كما له كل رعنا وهو كتاب فى تاريخ الشعر الأردى وشعرائه وكتاب جنة المشرق ومطلع النور المشرق فى التاريخ الإسلامى وحضارة الهند وهو كتاب جليل وكتاب معارف العوارف فى أنواع العلوم

١- نزهة الخواطر: ٢٢٧/٨-٢٢٩

والمعارف بالهند وتطورها وشيوخها وكتاب الغناء وشرح للمعلقات السبع وباد أيام وهو تذكرة في رجال كجرات وحضارتها وغير ذلك كثير . توفى رحمه الله في ١٣٤١هـ ودفن بقريته. (١)

٣٨- عبد الرحمن الغازيبوري :

الأديب الفاضل مولانا عبد الرحمن بن جهجو الغازيبوري أحد الأدباء الأفاضل. ولد سنة ١٢٨١هـ في غازيبور وحفظ القرآن وتعلم العربية على يد المولوى عبد الأحد اللكنوى ثم أخذ العلوم عن خاله الشيخ عبد الله بن عبد الرحيم الغازيبوري وكان شيخاً جليلاً ثم ولى التدريس بمدرسة (جشمه رحمت) في غازيبور فعمل بها مدة ثم استقال واشتغل بالتدريس بلا أجر. له ديوان شعر بالأردية وقصائد بالعربية مريبك شئ منها توفى سنة ١٣٣٤هـ. (٢)

٣٩- عبد الرحيم الصفيبوري :

العلامة عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفيبوري أحد العلماء البارزين في النحو واللغة. م تذكر كتب الطبقات عنه شيئاً كثيراً على كثرة مؤلفاته التي منها أوضح المسالك وهو شرح ألفية ابن مالك الذى مريبك وشرح المعلقة السبع وهو مختصر لشرح الزوزنى، وغاية البيان في علم اللسان بالفارسية في الصرف العربى والمسالك البهية في القواعد النحوية، ومنتهى الأرب في لغة العرب معجم في اللغة العربية ألفه بالفارسية في أربع مجلدات، وضرورة الأديب في المؤنثات السماعية في اللغة العربية وهذه الكتب مطبوعة منذ زمن طويل كلكتة وكانبور وغيرها من بلاد الهند وقد رأيتها. اختلفوا في تاريخ وفاته فذكر الزركلى أنه توفى في ١٢٥٧هـ، وذكر عبد الحى اللكنوى أنه مات في ١٢٦٧هـ وقال رحمن على أنه لا يعرف تاريخ وفاته ثم نقل عن اللكنوى تاريخ وفاته المذكور. (٣)

١- مقدمة نزهة الخواطر، ترجمة المؤلف، ص : ض إلى ز - م.

٢- نزهة الخواطر ٨/٢٤١-٢٤٢.

٣- الأعلام للزركلى : ٣/٣٤٦. نزهة الخواطر ٧/٢٦٤-٢٦٥. تذكرة علماء هند. ١١٩.

٤٠ - عبد العزيز البرهاروى :

عبد العزيز أحمد البرهاروى ينتمى إلى أسرة أفغانية نزحت فى القديم إلى مقاطعة البنجاب وكان والده أحمد بن حامد من رجال التصوف . ولد عبد العزيز سنة ١٢٠٩ هـ فى قرية برهار من أعمال مظفركره . تلقى علومه الأولية عن والده ثم انتقل إلى ملتان ولازم الشيخ محمد جمال الجشتى الملتانى . يقال إنه كان فى صغره تليماً بليداً متخلفاً فى دراسته مما كان يحزنه كثيراً ، وطالما دعا الله أن يهبه فطنة ، وقد استجاب الله له يوماً فأظهر لشيخه الجشتى ورفاقه ذكاء نادراً وعبقرية عجيبة . وفى هذا تتعدد القصص والروايات التى منها أن عبد العزيز جلس يوماً وحده يتحسر على بلادة ذهنه ويبكى فظهر له الخضر عليه السلام ودعا له ومسح على رأسه فانقلب حاله . اشتهر بعد ذلك عبد العزيز البرهاروى بالذكاء والنفطة وتحصيل العلوم حتى تحول إليه طلاب العلم تاركين غيره . وكان على رأسهم الشيخ احمد الديروى الذى حقق على ما عند عبد العزيز من علم ومعارف فسحره ليتخلص منه وأعترف الشيخ البرهاروى بذلك حين حضرته الوفاة . وأيا كان الأمر فإن هذه الأحقاد والضغائن واستخدام السحر كوسيلة للانتقام أمر شائع رائج فى منطقتنا ولا يستبعد أن يكون قد حصل فعلاً . والثابت أن البرهاروى لم يتصل ببلاط وكثر أعداؤه مما تسبب فى ضياع جل مؤلفاته . وما صنف البرهاروى النبراس ونعم الوجيز ومرام الكلام واللوح المحفوظ والصمصام وكوثر النبى والسر المكتوموسر السماء والإكسير وجواهر العلوم وغيرها وهى مؤلفات فى البلاغة والتفسير والحديث والعقائد والنجوم والهيئة والطب . توفى رحمه الله فى عام ١٢٣٩ هـ مسجوراً كما قيل وهو فى ريعان شبابه .^(١)

٤١ - عبد العزيز الدهلوى :

الشيخ عبد العزيز بن ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى الملقب بسراج الهند وحجة الله . ولد عام ١١٥٩ هـ وأخذ العلم عن والده ولما توفى أبوه أخذ العلم عن الشيخ نور الله البرهانوى والشيخ محمد أمين الكشميرى والشيخ محمد عا

١ - مجلة المجمع العربى الباكستانى ، المجلد الأول : العدد الثانى : ٦٢ - ٧١ .

البهلنى وغيرهم من علماء عصره. تتلمذ على يديه جمهرة من العلماء بشبه القارة منهم أخوته عبد القادر ورفيع الدين وعبد الغنى. كان عالماً فحلاً وأديباً كبيراً اشتغل بالتدريس وهو ابن خمسة عشر حتى صار علماً مفرداً وقطباً يارزاً يؤمه الطلاب من كل مكان. ابتلى وهو فى الخامسة والعشرين بأربعة وعشرين مرضاً منها العمى والبرص والجذام ومع ذلك لم يكف عن الوعظ والتدريس والإرشاد وقد صرح فى بعض رسائله أن من الأمراض التى اعتريته أيضاً فقدان الشهية حتى كان لا يأكل لأيام طويلة. كان رحمه الله حسن المحاضرة رغم ما به فصيح المنطق مليح الكلام ماهراً بالفروسية والموسيقى والشعر، وكان يجمع فى ذاته خصالاً كثيرة طيبة، يتوسط به المحتاجون إلى ذوى السلطان، ويلجأ إليه الغرباء وأبناء السبيل، حتى افتخر الناس بالانتساب إليه وإلى تلامذته. من أشهر مصنفاته الكثيرة تفسير القرآن المسمى بفتح العزيز ضاع معظمه فى ثورة الهند، وتحفة الاثنا عشرية كتاب متداول مشهور فى الكلام، والفتاوى فى المسائل المشككة وستان المحدثين وميزان البلاغة وميزان الكلام والسر الجليل فى مسألة التفضيل وسر الشهادات فى شهادة الحسنين عليهما السلام بالعربية وهو من أعظم الكتب وقد أتلفه النواصب وقرأت ما تبقى منه. ورسائل فى الرؤيا والأنساب وغيرها. وله رسائل كثيرة فى المنطق والحكمة وشرح على أرجوزة الأصمعى وتخمين على قصائد والده البائية والهمزية. وفى رحمه الله فى سنة ١٢٣٩هـ. (١)

٤٢- عبد العزيز الميمنى :

خادم الأدب العربى فى شبه القارة ومعلمه وقطبه عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ولد فى راجكوت سنة ١٨٨٨م فى أسرة مزارعين. تلقى تعليمه الابتدائى فى كتاباتيب القرية ثم رحل إلى دهلى عام ١٩٠١م وتتللمذ على يد الأساتذة المعروفين آنذاك كالشيخ محمد بشير السهسوانى والشيخ نذير أحمد الذى مر بك شعره - وكان يلقب بشمس العلماء - وعلى يديه قرأ الحماسة وديوان المتنبى والمقامات وسقط الزند

١- نزهة الخواطر : ٧ / ٢٧٥ - ٢٨١. تذكره علمائى هند : ١٢٢.

وغيرها من كتب الأدب العربى وتعلم الفلسفة والمنطق على الشيخ محمد الطيب المكى فى رامبور والتحق بعد ذلك بجامعة البنجاب لدراسة العلوم الشرقية والاسلامية وحصل على شهادتها (منشى فاضل ومولوى فاضل) عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩م بتفوق. كان يحفظ من الشعر العربى - حسب قوله - مائة ألف بيت وقد حفظ فى صباه المعلقات العشر وديوان الحماسة وديوان المتنبى وقسما كبيرا من كتب الأدب العربى كجمهرة القرشى والمفضليات والكامل والبيان والتبيين وأدب الكاتب وغيره. عمل الميمنى فى حقل تدريس اللغة العربية واللغات الشرقية فى عدة مؤسسات تعليمية كالكلية التبشيرية فى بشاور وكلية الدراسات الشرقية فى لاهور ثم فى جامعة عليكرة سنة ١٩٢٥م إلى أن ترأس قسم اللغة العربية فيها وبقي بها إلى أن تقاعد إلى المعاش فانتقل إلى جامعة كراتشى وعمل رئيساً لقسم اللغة العربية فيها ثم رئيساً لقسم اللغة العربية بجامعة البنجاب فى لاهور سنة ١٩٦٤م لمدة عامين. زار الدول العربية كثيراً واستفاد من مكتباتها وأهلها واشتهر اسمه بأعماله فى الدول العربية فعين عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق ومجمع اللغة العربية فى مصر. زادت أعماله الأدبية عن ثلاثين تأليفاً وتحقيقاً فأثرى المكتبة العربية وأحسن إليها. أهم مؤلفاته أبو العلاء وما إليه، وابن رشيق القيروانى ومن أهم ما حقق خلاصة السير للطبرى وديوان حميد بن ثور وديوان سحيم عبد بنى الحسحاس وديوان الأفوه الأودى وديوان الشنفرى وديوان ابراهيم بن العباس الصولى والفاضل للمبرد وسمط اللآلى وفائت شعر المتنبى ورسالة الملائكة للمعرى، والمداخل لأبى عمر الزاهد غلام ثعلب ومقابلة كلالا بن فارس والمنقوص والممدود للفراء ونسب عدنان وقحطان للمبرد والوحشيات لأبى تمام وغير ذلك كثير. توفى رحمه الله فى عام ١٩٧٨م بعد أن سد ثغرات كبيرة فى المكتبة العربية. (١)

١- هذه المعلومات مأخوذة من مقالى الشيخ حمد الجاسر (ص ٢٣ - ٣٥) ومقال الدكتور مسعود الرحمن الندوى (ص ١٥٨ - ١٦٢) من عدد الميمنى من مجلة المجمع العلمى الهندى، يونيه ١٩٨٥م. مجلة فكر ونظر عدد يونيه ١٩٨٣م. (ص ٢٨ - ٤٣) مقال الدكتور خورشيد رضى.

٤٣- عبد الغفور الدانا بوري :

الشيخ الفاضل عبد الغفور الدانا بوري أحد علماء الحديث. قرأ العلوم على مولانا فيض الله المولى وغيره من العلماء، ثم أسند الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي المحدث. قال صاحب النزهة كان من أصدقائي له مصنفات كثيرة وشعر حسن. ولم يذكر مصنفاته. وقال لم نعثر على سنة وفاته. ^(١) ولم تذكر الكتب الأخرى شيئاً عنه. وأورد اللكنوي ترجمته في علماء القرن الرابع عشر الهجري.

٤٤- عبد القادر المليباري :

أبو محمد عبد القادر بن يوسف بن صيفي بن محي الدين البرمكي الفضفري المليباري عالم راسخ وأديب جليل كان أجداده من العرب الذين فروا إلى ساحل مليبار وتوطنوا مدنه. ولد ١٣١٣هـ في «دارمد تدسي» واشتغل بالعلوم على والده الذي أحسن تعليمه ولما توفي والده التحق بمدرسة الباقيات الصالحات في مدينة ويلور فدرس بها على يد الشيخ الشهير محمد بعد الجبار الويلوري والشيخ آدم بن عبد الرحمن والشيخ محمد بن عبد العزيز وغيرهم. له مؤلفات عديدة منها مجمع الفوائد في فنون شتى وحاشية على شرح قطر الندي. عاد إلى مليبار ودرس في المسجد الجنوبي في ثرورنكادي إلى أن ولاه الأمير خان بهادر محيي الدين رئاسة مدرسته المسماة معدن العلوم ثم ولي رئاسة التدريس بمدرسة دار العلوم الشهيرة لمدة سبع سنوات ألف فيها كتباً عديدة مثل مجموع الفتاوى وحاشية تخميس بانت سعاد وديوان الأشعار العربية والامثال العجيبة وجواهر الأشعار، وله قصائد في الرثاء والمديح والتهنئة. ولم تقع يدنا إلا على كتابه جواهر الاشعار وهو مجموع قيم بلا شك يدل على وجود اهتمام عظيم ونهضة كبيرة باللغة العربية في جنوب الهند الذي كانت لغات كثيرة من لغات تكتب بالخط العربي وأهمها لغة مليالم بتفتح الميم وسكون اللام الأولى وفتح الثانية. ولا يعرف الكثير عن عبد القادر المليباري ولم تذكره كتب الطبقات والرجال ولا يعرف تاريخ وفاته إلا أن كتابه جواهر الأشعار الذي أخذنا منه هذه المعلومات طبع في عام

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٢٧١ - ٢٧٢.

١٣٥٨هـ وكان المليبارى حياً حتى ذلك الحين مما يعنى أنه ممن عاشوا فى القرن الرابع عشر الهجرى وتوفى بعد طبع الكتاب. (١)

٤٥ - عبد المقتدر الشريحي :

القطب الولى القاضى عبد المقتدر بن محمود بن سليمان التهانيسرى الدهلوى كان من سلالة القاضى شريح الكندى المشهور. وكان جده قاضياً مشهوراً. ولد عبد المقتدر فى تهانيسر وتربى فى دهلى ولازم الشيخ شمس الدين محمد بن يحيى الأودى. اعتلى فى مدارج العرفان حتى صار خليفة للشيخ نصير الدين محمود الأودى شيخ الطريقة الجشتية. كان القاضى عبد المقتدر أستاذاً للقاضى شهاب الدين الدولتآبادى وقد مر بك شعرهما. يقال إنه كان درویشاً كاملاً فصيحاً بليغاً بحرأً من بحار العلم والمعرفة متمكناً من العلوم العربية والإسلامية. كان يشجع الطلاب على العلم والدرس ويقول مجلس علم أفضل من ألف ركعة تصلى كبرأً ورياء. منحه الله من علم الباطن حتى قيل إن تلميذه النابغ شهاب الدين الدولتآبادى وجد ذات يوم ذهباً فأمر امرأته بدفنه فى الأرض وإخفائه ثم توجه إلى مجلس القاضى عبد المقتدر فلما وقع عليه نظر الشيخ قال له أنت يا دافن الذهب متى تستطيع تحصيل العلم ؟ عاش أغلب حياته يدرس ويرشد. لم تذكر كتب الطبقات له كتباً غير قصيدته المشهورة بلامية الهند التى مرت بك. توفى فى عام ٧٩١هـ عن ثمان وثمانين سنة (٢) قال الناقد الجليل السيد سليمان الندوى عنه : لم تنجب شبه القارة فى عصورها بأسرها أشعر منه فإن كل شاعر فيها تشوب كلامه شائبة عجمة أما القاضى عبد المقتدر فرائع النظم ينظم الشعر على نهج فحول الشعراء العرب. (٣)

١- جواهر الأشعار : ٢٨٨ - ٢٩٠.

٢- مآثر الكرام : ١٦٦. نزهة الخواطر : ٧٠/٢ - ٧٦. تذكروه علمای هند : ١٣٣. حقائق الخنفيه للفقير محمد الجلهى : ٢٩٩ - ٣٠٠. أمجد العلوم لصديق حسن القنوجى. ٢/٣. أخبار الأخيار لعبد الحق المحدث الدهلوى : ١٤٢.

٣- مجلة معارف : المجلد ٣٩. العدد ٦. ص ٤٠٨.

٤٦- عبد المنعم الشاتكامى :

الشيخ الفاضل الأديب عبد المنعم الشاتكامى أحد العلماء المبرزين فى العلوم والفنون الأدبية العربية والفارسية. العلم على أساتذة المدرسة العليا بكلكتة وولى التدريس بمدرسة دكا ثم شاتكام ثم صار ناظراً للمدرسة المحسنية بدكا. كان فاضلاً بارعاً فى النحو واللغة والمعانى والبيان والعروض والشعر. له شرح لديوانه المتنبى اسمه تصويب البيان فى شرح الديوان وبعض رسائل فى الأخلاق بالفارسية وله ديوان شعر عربى. ولم نجد شيئاً من هذا مطبوعاً أو مخطوطاً فيما تيسر لنا فحصه. توفى سنة ١٣٣٣هـ. (١)

٤٧- على عباس الشرياكوتى :

على ياس بن امام على بن غلام حسين بن سعد الله الشرياكوتى كان من بيت علم واجتهاد كان فاضل عصره ومتقى زمانه تعلم على يد عمه الشيخ احمد على عباس الرشياكوتى وكان من مشاهير علماء دوره. كان أعجوبة فى الذكاء والفطنة ذا طبيعة محققة مجادلة كان يمضى أكثر وقته فى الجدل والمناظرة، ما ترك كتاباً إلا وقراه وكان يدرس للطلاب كتب المناهج الضخمة بلا عون من شروح أو حواش ولما اكتمل علمه اهتم باللغة العربية وما لها من علوم فتظم أكثر مسائل المنطق والنحو. ذات مرة أقام الدنيا وفتح باباً عظيماً بين الطلاب والأساتذة للجدل لم يقفل إلى مدة طويلة تبادل فيها المخالفون والمرافقون الكتب والرسائل فى تأييد ما ذهب إليه، وذلك حين قال فى إعراب (جئت زيدا) إن جئت فعل متعدي وزيداً مفعول وأخيراً كتب فى الرد عليهم كتاباً أسكتهم أجمعين، ذهب إلى حيدر اباد الدكن ومدح أمراءها فلم يستجيبوا له فعاد خائباً وكتب قصيدة هجاء منها :

من حيدرآباد اهرين ولا تقم فيها فؤاد أولى المكارم يصدأ

ثم اتجه بعد ذلك إلى بهوبال واتصل بملكته السيدة سكندر فوصلته وبقي عندها زمناً إلى أن خالفه بعض أركان الدولة فعاد منها إلى وطنه طبقت شهرته الأفاق وصار

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٣١٣ - ٣١٤.

آنذاك علماً فاستدعاه والى حيداباد وأكرمه وخلع عليه العطايا فبقى هناك إلى سنة ١٠٣٢ هـ ثم عاد فى نفس العام إلى وطنه وتوفى به. قال صاحب تذكروه علمائى هند إنه لقيه ووجده علماً إلا أنه لم يحظ بقبول علماء عصره بسبب طبيعته النقدية. له نبراس الفطنة فى المنطق والقيطوب فى المناظرة وخلاصة الصرف وأبحاث الصرف فى الصرف ورقية النجاة وحل الكافية فى النحو وله الإيجاد فى الإرشاد وميزان الأوزان والوسواس الخناس والهلالية والمكاتيب وغيرها من الكتب. (١)

٤٨- عمر بن على البلنكوتى الملبارى :

لم أجده فى كتب التراجم وقد ذكر له عبد القادر الملبارى فى جواهر الأشعار قصائد عربية مرت بك وهو من أدباء ساحل الهند الجنوبي.

٤٩- غلام على آزاد البلكرامى :

غلام على بن نوح الحسينى الواسطى البلكرامى المتخلص بأزاد كان من السادة الأشراف. ولد فى سنة ١١١٦ هـ فى بلكرام ونشأ بها. قرأ الكتب الدراسية على الشيخ طفيل محمد الأترولى وعلى جده لأمه السيد عبد الجليل البلكرامى وكان من أكابر العلماء وأخذ العروض والقوافى عن خاله محمد بن عبد الجليل ثم رحل إلى الحجاز وأخذ إجازة الحديث عن الشيخ محمد السندى والتقى بالشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى ولما عاد إلى الهند سكن مدينة أورنگ آباد رفض منصب الإمارة حين عرضه عليه ناصر جنك ملك الدولة الأصفية. كان من المكثرين من الأدباء ولعلك صادفته فى مواضع كثيرة من الكتاب وقد بلغ شعره العربى أحد عشر ألف بيت. من أهم مؤلفاته سبعة المرجان فى آثار هندوستان وتسليية الفؤاد فى قصائد آزادوشفاء العليل فى إصلاح كلام المتنبى وغزلان الهند فى أنواع النسوان وسبعة دواوين خفيفة ومظهر البركات مزدوجة فى البحر الخفيف على وزن مثنوى جلال الدين الرومى تحتوى على سبع عشرة قصة قال صاحب النزهة إنه رآها فى خزانة السيد نور الحسن بن صديق حسن القنوجى مخطوطة، ومراة الجمال قصيدة فى وصف أعضاء المعشوقة مر بك شئ

١- تذكروه علمائى هند : ١٤٤. نزهة الخواطر : ٨ / ٣٣٠.

عنها ومنها ومن مؤلفاته أيضاً مآثر الكرام والشجرة الطيبة وسند السعادات كلها فى الطبقات والرجال. أما مؤلفاته الفارسية فهى سروآزاد ويد بيضاء وخزانة. عامرة كلها فى أخبار شعراء الفارسية وأشعارهم وله أيضاً ديوان بالفارسية فيه تسعة آلاف بيت. وقد أورد رحمن على فى تذكرته مشنوى مظهر البركات ودواوينه السبعة فى مؤلفاته الفارسية والصواب أنها من مؤلفاته العربية. كان آزاد بلا ريب شاعراً متقناً لولا تهنيذه اللغة العربية وشعرها، ويبدو أنه فعل نفس الشئ فى أشعاره الفارسية الأمر الذى دفع كبار النقاد والأدباء إلى مخالفته والرد عليه وبيان أخطائه بل إن كتبه فى الطبقات أيضاً لم تسلم من النقد فقد ألف غلام حسين البلكرامى كتابه شرائف عثمانى ورد فيه على مآثر الكرام لأزاد وشنع عليه تشنيعاً بالغاً. وقد مر بك كتاب باقر المدراسى فى نقد شعره الفارسى. ونقد شعره العربى العلامة شبلى النعمانى. توفى سنة ١٢٠٠هـ. (١)

٥ - غلام نقشبند :

العالم الجليل غلام نقشبند بن عطاء الله بن حبيب الله بن أحمد بن ضياء الدين بن شرف الدين بن نصير الدين بن الحسين العثمانى الأصفهانى الكوسى اللكنوى، يرجع نسبه إلى أبان بن عثمان وقيل إلى عمر بن عثمان وكان جده حبيب الله قاضياً بمدينة كوسى أو جوسى. كان الشيخ غلام من كبار الأساتذة وفطاحل العالمين بالنحو واللغة والشعر وأيام العرب. ولد فى سنة ١٠٥١هـ بكوسى وقرأ العلم على مير محمد شفيح الدهلوى. لقيه السلطان شاه عالم بن أورنكزيب فعظمه وكرمه بمدينة لكنو. له مؤلفات عدة فى العلوم الإسلامية والعربية منها شرح للقصيدة الخزرجية فى العروض وتفسير غير كامل للقرآن وله فرقان الأنوار واللامعة العرشية فى وحدة الوجود. توفى رحمه الله فى عام ١١٢٦هـ. (٢)

-
- ١- تذكره. علمای هند : ١٥٤. حقائق الحنفية : ٣٥٤ - ٣٥٦. نزهة الخواطر : ٦ / ٢٠٣ - ٢٠٦. مقالات شبلى : ٥ / ١١٢ - ١٢٩. حركة التأليف : ١٣٠ - ١٤١. مآثر الكرام : المقدمة (ص ٥ - ٢٠).
 - روضة الألويا لغلام على آزاد : ٤٥ - ٤٦. الهند ١٣٠١هـ.
 - ٢- أبجد العلوم : ٩٠٢. نزهة الخواطر : ٦ / ٢١٤ - ٢١٦. مآثر الكرام : ٢٠٣. سبحة المرجان ١ / ٢٠١. تذكره. علمای هند : ١٥٨.

٥١- غورديال سنغ :

لم نهتد إليه ويبدو من اسمه أنه هندوسى.

٥٢- فضل الحق الخير آبادى :

المجاهد الثائر فضل الحق بن فضل إمام بن محمد راشد الخير آبادى. ولد فى سنة ١٢١٢هـ. تلقى العلم على والده وأخذ الحديث عن الشيخ عبد القادر الدهلوى وحفظ القرآن فى أربعة أشهر وتخرج وهو فى الثالثة عشرة. كان فريداً بين معاصريه فى المنطق والحكمة والأدب والفلسفة والشعر. قال رحمن على إن أشعاره بلغت أربعة آلاف أو تزيد. أفتى بأن موالاة الكفار حرام فوشى به أحباب الانجليز من مشايخ عصره وكان الزمن زمن الثورة الشهيرة عام ١٨٥٧م والتي يسميها الانجليز بالغدر أى الخيانة ويسميها المسلمون بحرب التحرير وقد تمكن الانجليز من احتلال شبه القارة بعد قمعها وخاضها المسلمون على أنها حرب مقدسة.

أصدرت ملكة بريطانيا عفواً عاماً عن المشاركين فى تلك الحرب عام ١٨٥٨م فلما اطمأن ألفت شرطتها القبض عليه وحكموا عليه بالسجن مدى الحياة والنفى إلى جزيرة اندومان فى ٤ مارس ١٨٥٩ فنقل من سجن لكنو إلى سجن على بور بكلكتة ومنها إلى جزيرة اندومان التي وصلها فى باخرة فى ٨ أكتوبر ١٨٥٩ وبقى فيها إلى أن توفي ودفن هناك فى ١٨٦١م ١٢٧٨ هـ . من مؤلفاته الحسن الغالى فى شرح الجواهر العالى وحاشية على شرح السلم للقاضى مبارك وتاريخ هندوستان ورسائل فى الحكمة والطب وغيرها. كان معاصراً لغالب ومؤمن وشيخته وآزرده وصهبائى وغيرهم من كبار شعراء الأردية وله بهم صلوات ود وأنس. (١)

٥٣- فيض أحمد البدايوى :

فيض أحمد بن غلام أحمد بن شمس الدين بن محمد على العثمانى الأموى البدايوى أحد الفضلاء فى عصره. ولد فى بدايوى سنة ١٢٢٣هـ. قرأ العلم على خاله

١- باغى هندوستان : ١١ - ١٧٦. العلامة فضل الحق الخير آبادى، للدكتورة قمر النساء : ١٣٣ - ١٣٦، تذكره علمائى هند : ١٦٤.

فضل رسول بن عبد المجيد البدايوني ولبس الخرقة عن جده لأمه وولى الإنشاء ببلدة إله آباد وأخذ عنه السير وليم ميور الحاكم الإنكليزي لولايات الشمال الهندية آنذاك قيل إنه كان يساعد الشيخ فيض في التأليف ويجمع له المواد العلمية. من مصنفاته حاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازي وحاشية على فصوص الفارابي وثلاثة دواوين في اللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية . قال صاحب النزهة رأيت ديوانه العربي فوجدته كله مدحاً وإطراء في السيد عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة .^(١)

٥٤- فيض الحسن السهارنبوري :

الشاعر الأديب والعلامة الفذ فيض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي السهارنبوري كن من أعاجيب الزمان في الذكاء والفتنة. ولم يكن في عصره أعلم منه بالنحو واللغة والشعر وأيام العرب قرأ المختصرات على والده ثم رحل إلى رامبور وتعلم على العلامة فضل الحق الخيرابادي وغيره من العلماء ثم أخذ الحديث في دهلي عن الشيخ أحمد سعيد العمري الدهلوي والطب عن الحكيم إمام الدين صادر كان مدرسة أدبية وفنية في ذاته تخرج على يديه كثير من أدباء شبه القارة في الشعر العربي وقد مر بك جيل منهم في هذا الباب. ولي التدريس في آخر عمره بكلية الدراسات الشرقية في لاهور وانتهت إليه رئاسة الفنون الأدبية كما قال صاحب النزهة. له مؤلفات عظيمة منها حواش على تفسير البيضاوي والجلالين ومشكاة المصابيح كما له شرح لديوان الحماسة رأيت نموذجاً منه وشرح على المعلقات السبع وشرح لديوان حسان بن ثابت وعروض المفتاح في العروض وديوان الفيض في الشعر العربي وغير ذلك من الكتب. توفي رحمه الله في سنة ١٣٠٤ هـ .^(٢)

٥٥- كرامة حسين الكنتوري :

العالم الفاضل والباحث الجليل كرامت حسين بن سراج حسين المفتي محمد قلى الحسيني الكنتوري لغوى بارع محقق. ولد في سنة ١٢٦٩ هـ في مدينة جهاني واشتغل

١- نزهة الخواطر : ٧ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

٢- نزهة الخواطر : ٨ / ٣٦٦ . وانظر لمزيد من التفصيل رسالة الدكتوراه المقدمة من سعيد اقبال عن السهارنبوري وأعماله وقد مر ذكرها .

بالعلم على والده وعلى كثير من علماء عصره كالمفتى أنور على الحسينى التهانوى والسيد محمد تقى بن حسين النقوى اللكنوى حيث أقام فى مدينة لكنو بعد وفاته من الحج، والمفتى عباس بن على التسترى وعمه السيد حامد حسين الكنتورى ثم سافر إلى شركهارى وتعلم اللغة الانجليزية على أخيه الاكبر عنايت حسين وولى التدريس بكلية راجكمار ثم ولى الإنشاء ثم النظارة فى باونى ثم النيابة فى نرسنك كره وسافر إلى لندن لدراسة الحقوق وعاد إلى إله آباد واشتغل بالمحاماة ثم ولى التدريس بمدرسة العلوم فى عليكره ثم رجع إلى إله آباد وولى القضاء بمحكمة الاستئناف العليا بها إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٣٢٩هـ فقدم إلى لكنو وأسس مدرسة لتعليم البنات وقف عليها كل ماله وعقاره. كان مفرط الذكاء جيد القريحة سليم الذهن حلو المذاكرة كثير الاشتغال بالتدريس والتصنيف شديد الانهماك فى مطالعة الكتب غير متعصب لمخالفيه. له كتاب الحقوق والفرائض وعلم القانون ومبحث الهبة ثلاثتها بالانجليزية وله فقه اللسان الذى مربك فى موضعه وكتابه فى الأمور العامة بالعربية وله كتابه فى علم الأخلاق بالفارسية والأردية وله الأفراد الكاسبة والدين والكون باللغة الأردية وغير ذلك من الكتب والرسائل. توفى رحمه الله فى مدينة لكنو سنة ١٣٣٥هـ. (١)

٥٦- محمد بن احمد الطوكى :

الشيخ الفاضل أبو الرضا محمد بن أحمد الطوكى. ولد فى طوك سنة ١٢٧٣هـ ونشأ بها وقرأ كتب الدرس على أساتذة طوك ثم سافر إلى بلاد كثيرة وتعلم فى الأدب واللغة العربية على فيض السهارنبورى ورحل إلى دهلى وأخذ الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوى. كان مفرط الذكاء قوى الحفظ عالماً متأدباً لكنه كان شديد التعصب ضد الأحناف يهجوهم ويشنع عليهم - وهو سنى مثلهم - فأدى ذلك إلى غضب النواب ابراهيم على خان أمير طوك عليه وحبسه حتى توسط له عمه عبيد الله خان فأطلق سراحه فجعل له النواب صديق حسن القنوجى أمير بهويال منحة فبقى عنده ثم

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٣٧٢ - ٣٧٣.

رج إلى طوك. من مصنفاته شرح ديوان الحماسة وشرح لديوان المتنبي وحاشية على لامية العرب للشنفرى والدراسة الوافية للعروض والقافية وقصائد عربية عديدة مر بك بعضها. توفى فى طوك سنة ١٣١٤ هـ . (١)

٥٧- محمد أفضل فقير :

من المعاصرين الذين لا يعرف عنهم الكثير سوى أنه تعلم العربية بجهوده الذاتية دون معلم وكان هدفه من ذلك أن ينظم بها شعراً. وهو شاعر فى الفارسية والأردية أصلاً. حصل على ماجستير الأدب الفارسى من جامعة البنجاب وعين مدرساً بالكلية الحكومية فى شيخوپوره ثم فى دير غازى خان ثم غلب عليه المشرب الصوفى فاستقال من وظيفته وتفرغ للذكر والرياضة عام ١٩٦٣ . مرت بك تجربته فى نظم الرباعيات العربية فى أوزان الرباعى الفارسى وقلنا لك إنها لم تنجح. والمهم فى تجربته أنه نظم فى جميع أوزان الرباعى الأربعة والعشرين. (٢) صدرت له مؤخراً مجموعة رباعيات عربية وفارسية وأردية وبنجابية باسم «آب ورنك» وتوفى فى الثامن من يناير ١٩٩٤ أثناء تصنيف هذا الكتاب.

٥٨- محمد حسين اقبال القادري :

هو محمد حسين اقبال بن جراغ دين. ولد فى ١٥ أغسطس عام ١٩٤٧م فى احدى قرى فيصل آباد ودرس العلوم العربية حتى حصل على درجة الماجستير من جامعة البنجاب فى لاهور وعمل محاضراً بقسم اللغة العربية فى الكلية الحكومية فى مدينة توبه تيك سنج بين ١٩٧٥ و ١٩٨١ ثم بالكلية الاسلامية فى فيصل آباد بين ١٩٨١ و ١٩٨٩ ثم أستاذاً مساعداً بقسم اللغة العربية فى الكلية الحكومية بسمن آباد فى مدينة فيصل آباد وما زال يدرس بها حتى تأليف هذا الكتاب. (٣)

١- نزهة الخواطر : ٣٨٤ / ٨ - ٣٨٥.

٢- شآبيب الرحمة : ص ٤ وما بعدها من المقدمة.

٣- انظر مقدمة ديوانه حديث النفس : ص ٧ - ١٤.

٥٩- محمد حسين الكالبوى :

السيد الشريف محمد بن محمد هادى بن على أحمد بن خيرات على الحسينى الترمذى الكالبوى. ولد ونشأ بكالبي واشتغل بالعلم فى بلدته ثم رحل إلى كانبور وقرأ على علمائها ثم إلى غازيبور وأخذ فيها عن محمد فاروق العباسى الشرياكوتى ثم ذهب إلى لاهور وتأدب على يد مولانا فيض الحسن السهارنبورى ثم ولى التدريس فى المدرسة العربية بسيهور فى مالوه ثم انتقل إلى اجين وعمل فيها بالتدريس مدة. قال عبد الحى اللكنوى كان فاضلاً أديباً شريف النفس حسن الأخلاق صالح العقيدة والعمل له قصائد غراء منها ما أنشدنى فى مدح الرسول عليه وآله السلام ثم ساق بعض شعره الذى مر بك. ^(١) واستدرك فى الحاشية قائلاً لم نعثر على تاريخ وفاته. وهو ممن ذكرهم فى القرن الرابع عشر الهجرى.

٦٠- محمد زمان خان :

العالم الجليل أبو الرجاء محمد زمان خان شاهجهانپورى الملقب بالشهيد ابن محمد عمر خان ولد عام ١٢٤٢هـ فى مدينة بور ثم تلقى تعليمه على مولوى بهاء الدين ثم أخذ عن الملا أحمد ولايتى فى رانبور والمفتى سعدالله فى لكنو وشاه سلامت الله الكشفى فى انبور وكرامت على الجونپورى فى جونپور. قتل سنة ١٢٩٢هـ فى الفتنة المعروفة بالمهدوية وهى من الفتن التى أشعلها الإنجليز بين المسلمين لشغلهم ولتسهيل قيادهم فى شبه القارة التى لا يعدلها مكان آخر فى كثرة فرقها، وكل حزب بما لديهم فرحون ولغيرهم مكفرون. أسس السيد عيسى المعروف ببيان عالم الفرقة المهدية وطبع كتبه فى تخطيط ابن حجر وأئمة المذاهب الأربعة السنية ووزعها فى الأمصار لإثبات صدق عقائده فلما لم يرد عليه أحد أرسل عريضة إلى القاضى دلاور على خان قاضى حيدآباد يقول فيها إننا وزعنا كتبنا المشتعلة على عقائدنا فى كل مكان ولما لم يرد

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٠٠ - ٤٠٢.

علينا أحد إلى الآن فنرجو إما تبين خطأنا أو تأييد عقائدنا فأرسل القاضى العريضة إلى محمد زمان فكتب رسالة بعنوان هديه مهدوية فى رد عقائد القوم فأعلن رئيسهم أن من قتله دخل الجنة فقتله شاب من أتباعه وهو يقرأ القرآن فى المسجد بعد صلاة المغرب فى ٦ ذى الحجة من العام المذكور. ولم يعرف قاتله رغم البحث الشديد ولاذ رئيس الفرقة بالسفارة الإنجليزية حسب رواية رحمن على فى تذكيرته. له سفينة البلاغة الذى مر بك وخير المواعظ ويستأن الجن وداستان جهان وهى قصة سياحته فى الدول العربية وغيرها. (١)

٦١- محمد عباس التستري :

المفتى محمد عباس بن على بن جعفر الموسوى الجزائرى التستري اللكنوى كان من عظام العلماء والأدباء فى عصره. ولد سنة ١٢٢٤هـ فى لكنو ونشأ بها. وقرأ على الشيخ عبد الحنفى ثم أخذ اللغة العربية عن الشيخ عبد القدوس الحنفى ثم بقية العلوم والمنطق والحكمة عن الشيخ قدرت على الحنفى وتعلم الطب على يد المرزا عوض على والمرزا غلى حسن خان ثم لازم السيد حسين بن دلدار على اللكنوى وقرأ عليه الحديث والفقه ثم تصدى للتدريس بالمدرسة السلطانية فى لكنو ثم ولى الاقتباء فى ديوان الوزارة ولقبه ملك سلطنة اوده واحد على شاه بتاج العلماء وافتخار الفضلاء. رحل محمد عباس إلى كلكتة ثم عاد بعد مدة إلى لكنو وتفرغ للتدريس والتصنيف حتى توفى فى ١٣٠٦هـ فى لكنو ودفن بها. كان رحمه الله بارعا فى الإنشاء والأدب نابغا فى الشعر يقرضه بالعربية والفارسية، حاد الذهن قوى البديهة سريع الجواب له مؤلفات أشهرها ديوانه العربى رطب العرب كما له معراج المؤمنين ورياض الشعراء والظل الممدود وغيرها وقد مر بك بعض من شعره ونثره. (٢)

١- تذكره علماء هند : ١٨٨ - ١٨٩.

٢- المنتخب من الشعر العربى : ٢٥٧ - ٢٥٨. نزهة الخواطر : ٢٠٩/٨ - ٢١٠.

٦٢- محمد بن عبد العزيز الكليكوٲى :

لم نجد الكثير عن حياة الشيخ محمد بن عبد العزيز الكليكوٲى المليبارى سوى ما ذكره عبد الحى اللكنوى رغم شهرة الرجل فى منطقته. قال اللكنوى إنه أحد العلماء المشهورين فى بلاده له الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين أرجوزة فى نحو خمسمائة بيت عن واقعة زاموى بين البرتغاليين والهنود سنة ٩٠٣ هـ توجد منها نسخة فى مكتبة مكتب الهند بلندن. ولم يذكر تاريخ وفاته ولا شيئاً عن حياته لكنه كان معاصراً للواقعة المذكورة مما يعنى أنه توفى بعدها.

٦٣- محمد عرفان الطوكى :

السيد محمد عرفان بن يوسف بن يعقوب بن ابراهيم بن عرفان الحسنى الحسينى البريلوى ثم الطوكى ولد بطوك سنة ١٢٦٥هـ ونشأ بها وتلقى العلم على يد شيوخ بلدته كالقاضى امام الدين وغيره ثم سافر إلى ديوبند وقرأ بعض الكتب الدراسية على مولانا محمود حسن الديوبندى ويعقوب بن مملوك العلى النانوتوى ثم توجه إلى بهوبال وأكمل تعليمه عند الشيخ القاضى عبد الحق الكابلى والمفتى عبد القيوم البرهانوى وأخذ الحديث فى دهلى عن السيد نذير حسين الدهلوى ثم سافر إلى سهارنبور وتأدب على يد الشيخ فيض الحسن السهارنبورى قال صاحب النزهة جمع العلم والعمل والشعر والزهد والفصاحة والورع وقيام الليل والعبادة والبسداد فى الرواية. كان حسن التلاوة جيد الصوت من أهل الحديث وكان له منزلة عظيمة عند أمير بلدته النواب ابراهيم على خان الطوكى. وكان شعره رقيقاً سهل التركيب عذب النظم. توفى فى طوك سنة ١٣٣٢هـ. ولم يذكر الحسنى له مؤلفات. (١)

٦٤- محمد نبى بن محى الدين :

لم نهتد إليه وكان معاصراً لعبد القادر المليبارى وبينهما مراسلات كما مر بك أى أنه كان ممن عاشوا فى القرن الرابع عشر الهجرى.

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٣٩ - ٤٤٠.

٦٥- محمد موسى الروحاني البازي :

لم نهتد إليه وقد ذكر في كتابه الذي مريك في العروض أنه مدرس بالجامعة
الأشرفية في لاهور. بلغنى من بعض من يعرف اسمه أنه توفي منذ بضعة أعوام.
رحمه الله.

٦٦- مرتضى الزبيدي :

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق ينتهى نسبه إلى أحمد بن
عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب عليهم سلام الله. اشتهر
بالسند مرتضى الزبيدي ويكنى بأبى الفيض وأبى الجود وأبى الوقت. وكان يلقب
بمحي الدين. ولد في مدينة بلكرام بالهند سنة ١١٤٥هـ. وذهب إلى الحجاز في سن
مبكرة فتعلم بها وأخذ عن كثير من شيوخها ونزلاتها. ثم انتقل إلى مصر وتعلم بها.
وكان الشيخ عبد الرحمن العيدروس هو الذي رغبه فيها وكان أكبر شيوخه دخل
مصر سنة ١١٦٧هـ وتنقل بها شمالاً وجنوباً وأخذ عن شيوخ كثيرين كثيراً من العلوم
وتنقل أيضاً في فلسطين. علا صيته ويزغ اسمه حتى اتصل به السلطان عبد الحميد
ومحمد باشا رئيس الوزارة. أمه الناس من كل مكان فاخترت العزلة والاعتكاف.
تزوج من مصر سنة ١١٨٢هـ على الأرجح. وكان يحب زوجته هذه واسمها زبيدة حباً
شديداً فلما ماتت سنة ١١٩٦هـ حزن عليها أشد الحزن ودفنها عند ضريح السيدة رقية.
وبنى على قبرها مقصورة ولازم قبرها أياما يجتمع عنده الناس ينشدون ويقرأون ثم
اشترى بالقرب منه قطعة أرض بنى عليها منزلاً صغيراً وأسكن به أمها وكان يبيت فيه
كثيراً وأغلب ظنى أنه عرف بالزبيدي نسبة إلى زوجته لا إلى زبيد باليمن كما قيل .
تزوج مرة ثانية لكنه بقى مع زوجته الأولى بروحه حتى مات بالطاعون في مصر سنة
١٢٠٥هـ ودفن بجوار زوجته الأولى عند قبر السيدة رقية واستولت زوجته الثانية على
كل ما كان عنده إرثاً إذ لم ينجب منها ولا من الأولى. له تاج العروس شرح القاموس
الذي مريك كما له تكملة القاموس وعقود الجواهر المنيفة في أدلة الإمام أبى حنيفة
والقول الصحيح في مراتب التعديل والتجريح وغير ذلك في الفقه والحديث واللغة

والعقيدة والتصوف والتفسير والطبقات حتى بلغت مصنفاته أكثر من خمسة وستين ذكرها رحمن على في تذكرته. (١)

٦٧- مسعود سعد سلمان :

مسعود بن سعد بن سلمان اللاهورى شاعر فذ أصله من همدان وقد هاجر آباؤه إلى غزنة حاضرة الحكم والثقافة فى أدوار مختلفة. كان من أسرة أدب وعلم، وكان أبوه من أعيان الدولة الغزنوية وأصحاب الجاه فيها حتى ظل يحتل المناصب العليا هناك إلى مدة طويلة. ولد مسعود فى مدينة لاهور سنة ٤٣٨هـ ولا يعرف الكثير عن حياته الأولى إنما الذى لا شك فيه أن والده رباه بالطريقة التى يربى بها رجال الدولة بنيتهم فأتقن منذ صغره اللغات الفارسية والعربية والهندية حتى ترك فى كل واحدة منهم ديواناً، واشتهر ديوانه الفارسى وأما العربى فلا يعرف أين هو، نشأ مسعود فى أحضان أسرته فى لاهور وعمر طويلاً حتى رأى ستة من سلاطين الغزنويين واحتل فى حكومات بعضهم مناصب كبرى. اختاره السلطان ابراهيم الغزنوى معلماً لابنه لكن الوحشة أفسدوا عليه أمره وقالوا لإبراهيم إن مسعود يدبر له مؤامرة مع خصمه السلطان ملك شاه السلجوقى، فزج به فى السجن عشرين عاماً بكى فيها فى سجنه شعراً مديباً عن آلام السجن وغدر الإخوان وفراق الأحبة. كان شاعراً رقيقاً قال عنه رشيد الدين الطوطا فى حداثق السحر إن شعره لطيف سلس جامع لم يبلغ شأنه أحد من شعراء العجم فى ذلك الوقت. توفى سنة ٥١٥هـ بمدينة لاهور ودفن بها. (١)

٦٨- محبى الدين بن أنيد القفصرى :

لم نهتد إليه وقد كان معاصراً لعبد القادر الملبارى فى القرن الرابع عشر الهجرى وبينهما مطارحات شعرية. وهو من قفصر بلد عبد القادر.

١- تذكره علماء هند : ٢٢٤ - ٢٢٦. مقدمة المحقق لتاج العروس، ص : و - ي وما بعدها. نزهة

الخواطر : ٧ / ٤٧٠ - ٤٧٩.

٢- مأخوذ من أبو العلاء اللاهورى للدكتور ظهور أحمد : ٤٢ - ٤٥.

٦٩- ناصر حسين اللكنوى :

السيد ناصر حسين بن حامد حسين بن المفتى محمد قلى الحسينى الموسوى اللكنوى كان من العلماء الأجلاء. ولد سنة ١٢٨٤هـ ونشأ فى مهد علم وفضل قرأ نهج البلاغة على والده سبع مرات وحفظ أكثره وكان يتأدب فى العلوم والفنون الأدبية على المفتى عباس بن على التستري حتى برع فيها ويز أقرانه وكان التستري يحنو عليه كثيراً وأوصاه بالصلاة عليه وأجازة الرواية عنه فى كل الفنون. له مصنفات كثيرة منها ديوان الشعر العربى وديوان الخطب وكتاب فى الإنشاء بعنوان الأثمار الشهية فى المنشآت العربية جمع فيه رسائله واسباغ النائل بتحقيق المسائل ونفحات الأزهار فى فضائل الأئمة الاطهار فى ستة عشر مجلد وكتاب آخر فيما ظهر للإمام على عليه السلام من فضائل يوم خيبر وغير ذلك. توفى رحمه الله سنة ١٣٦٠هـ فى لكنو، ودفن فى آكره. قال اللكنوى ورث عن أبيه مكتبته الحافلة بنوادير الكتب ومخطوطات المؤلفين وحافظ عليها وزاد فيها واشتهرت باسم المكتبة الناصرية وأمها العلماء والباحثون من بلاد بعيدة. (١)

٧٠- نذير أحمد :

الشيخ الفاضل نذير أحمد بن سعادى بن نجابت على الأعظمبورى البجنورى ثم الدهلوى. غنى عن التعريف فى الأدب الأردى فهو أبو النثر فيه. ولد سنة ١٢٤٧هـ فى بجنور وقرأ المختصرات على نصر الله الخويشكى ثم ذهب إلى دهلى وقرأ العلوم على يد أساتذة المدرسة الكلية بها ثم ولى التدريس بكنجاء من مدن مقاطعة البنجاب ثم نظارة المدارس بكانبور وتعلم الانجليزية وأعان الولاة فى نقل قوانين العقوبات منها إلى الأردية وأصلح ما كان بها من خلل فى المعانى ووضع المصطلحات. استقدمه النواب مختار الملك وزير الدولة الآصفية إلى الدكن وولاه على بعض الأقطاع فأقام هناك عشر سنين إلى أن أحيل إلى المعاش فعاد إلى دهلى واعتزل فى بيته. كانت له اليد الطولى فى العلوم العربية وله تفسير للقرآن جر عليه نقد

١- نزهة الخواطر : ٨ / ٤٨٨ - ٤٩٠.

الناقدین كما فی كتابه أمهات الأمة الذی أحدث ضجة لأنه كان یخالف أهل الحدیث ویجهل رواته كما قال صاحب النزہة. كان عصامیاً صنع نفسه بنفسه وكان خطیباً بارعاً وناقداً لاذعاً کثیر التهکم والسخریة من الشیوخ التقلیدیین وآرائهم. كان ایضاً من المؤیدین لحركة التجدید التی قادها السید أحمد خان. له مؤلفات کثیرة منها ما یغنیك فی الصرف، ومبادئ الحکمة فی المنطق والحقوق والفرائض کلها بالأردیة كما له روایات أخلاقیة تعلیمیة دینیة مشهورة فی الأدب الأردی کمرآة العروس وتوبة النصوح وبنات النعش وابن الوقت وغیرها. توفی فی سنة ١٣٣٠هـ. (١)

٧١- وحید الدین العالی :

وحید الدین العالی ابن المنشی محمد کلان، كان من أکابر الأدباء وحذاق الأطباء. ولد سنة ١٢٨٨هـ بحیدر آباد ونشأ بها وتعلم علی أساتذة عصره فیها ثم رحل إلى البنجاب ودرس الطب علی منصور خان المراد آبادی وصار من أشهر الأطباء. كان من أشعر شعراء العربیة فی شبه القارة له دیوان یحتوی علی قصائد مدح بعنوان الجواهر الزاهرة فی مدح النبی وآله الطاهرة طبع فی حیدر آباد ولم نعثر علیه. عین علی تنقیح وتصحیح الكتب العربیة التی تطبعها دائرة المعارف العثمانیة صاحبة النهضة بالتراث العربی فی شبه القارة فبقى عاکفاً علی هذا العمل الجلیل حتی توفی سنة ١٣٤٤هـ بحیدرآباد ودفن بها. كان بارعاً فی الشعر والنثر الفارسی والأردی. أغفل ذكره صاحب النزہة وغیره من أصحاب التذاکر رغم علو شأنه فی الأدب العربی. (١)

٧٢- ولی الله الدهلوی :

شیخ الإسلام قطب الدین أحمد ولی الله بن عبد الرحیم بن وجیه الدین العمری الدهلوی غنی عن التعریف فی دیار العرب والعجم. ولد فی بیت علم وفضل وتدین فی ١١١٤هـ أخذ العلوم عن والده الذی تعهده وتولی تربیته الفکریة والروحیة وكان

١- مجلة نقوش عدد (شخصیات) اکتوبر ١٩٥٦م. مقالة حیدر آبادکی جند شخصیتین لتمکین کاظمی، ص ١٢٦٦، وما بعدها. المنتخب من الشعر العربی : ص ٢٤٥-٢٤٦.

شيخاً من مشايخ الطريقة النقشبندية فأخذها عنه ولده . أقام بالحجاز عامين وأخذ عن شيخها كالشيخ طاهر محمد بن إبراهيم الكردي بالمدينة والشيخ وفد الله المالكي وتاج الدين القلعي بمكة . كان بحرأ في علوم كثيرة عربية وإسلامية وقطباً في زمانه تشد إليه الرجال . حباه الله من الكشف والفهم ما جعله فريداً في نهجه . وجمع بين الحديث والتصوف . والكتب في سيرته كثيرة متداولة تملأ المكتبة في شبه القارة . له مؤلفات عديدة أحصى منها اللكنوى خمسة وثلاثين في مختلف المعارف الإسلامية والعربية يهمنها منها في موضوعنا ديوانه العربي الذي جمعه ابنه الشيخ عبد العزيز ورتبه ابنه رفيع الدين وأطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم شرح فيه قصيدته البائية التي رأيناها وقرأناها معاً وأنفاس العارفين رسالة في سيرة آبائه ورجال أسرته . أما في الأدب الفارسي فله رباعيات بالفارسية وشرح لها كما له سرور المحزون ملخص أنور العيون في تلخيص سيرة الامين والمأمون لابن سيد الناس . وبالجملية فإن شاه ولي الله صاحب الحجة البالغة كما يعرفه العرب لم يشتهر في مجال الأدب العربي ، وإنما مقامه الذي لا ينازعه فيه أحد في شبه القارة جعله الله له في العلوم الإسلامية والعرفان . توفي قدس الله سره في عام ١١٧٦ هـ . (١)

هنا ينتهي هذا الباب ولعلك أدركت أن أصحاب التذاكر وكتب الطبقات والرجال لم يهتموا كثيراً إلا بمن كان له شهرة في العلوم الإسلامية ، أما من وقفوا أغلب حياتهم على خدمة اللغة والأدب العربي فقط فقليلاً ما وجدنا عنهم وقليلاً ما ذكروهم مهما كان لهم شأن عظيم في ميدانهم . ولعلك أدركت أيضاً أن أبناء الجنوب والمناطق البعيدة لم يجدوا من اهتم بهم وبأعمالهم وحياتهم إلا في أقل القليل ، كما أن أصحاب التذاكر ضخموا من والوهم في المذهب وإن قل شأنهم ، ويخسوا من خالفهم قدرهم أو لم يذكروا عنهم ما يستحق الذكر . وهذا حال كتب الرجال في منطقتنا ، وقد حاولنا جهدنا وذكرنا ما وجدنا ومع ذلك راعينا الاختصار قدر المستطاع راجين ممن أراد الزيادة أن يرجع إلى الكتب التي أحلناه إليها .

١- تذكرة علمای هند : ٢٥٠ - ٢٥١ . نزهة الخواطر : ٦ / ٣٩٨ - ٤١٠ . علمای هند كاشاندراماضی ، مولانا محمد میان : ١ / ٢ - ٤٢ ، الهند ١٩٦٣ ، ابجد العلوم ٩١٢ - ٩١٤ . حدائق الحنفية : ٤٤٧ - ٤٤٨ . ورد كوثر : ٥٢٨ - ٥٩٧ ، باكستان . ١٩٧٠ م .

الخاتمة

أنهينا كتابنا عن الأدب العربى فى شبه القارة الهندية حتى نهاية القرن العشرين
ولسنا عنه راضين إذ كان من الممكن أن يشمل أكثر مما شمل، فيقرب من أن يكتمل،
ولم نرد بهذا الكتاب سوى التعريف المجمل بالأدب العربى فى شبه القارة مجرد
تعريف، تماماً كأن نقدم لك بطاقة شخصية لنعرفك بشخص ما، والبطاقة لا يكون فيها
غير مختصرات وصورة، أما سجل صاحبها وسيرته وحياته وتفصيلها فليس موضع
بيانه تلك البطاقة.

من أجل ما ذكرنا، نعتذر عما قد يجده الباحثون المدققون من عيوب غير مستورة
فى هذا الكتاب العجالة. وإن كان من شكر ينطق به فهو الشكر الكبير لشيخنا الكبير
الأستاذ الدكتور رجاء عبد المنعم جبر الذى لولا إصراره وإلحاحه ونفخه أنفاساً مشجعة
أخرجتنا من شباك المشاغل اليومية وأجلستنا مجبورين خجلاً على مقعد التأليف لما
خرج هذا الكتاب إلى قارئيه. وإن كان لنا من أمل ففى أن يواصل الباحثون العرب ما
بدأناه لاكتشاف ما غمض وإظهار ما خفى. وليت بعض الأثرياء من أفراد أو حكومات
أو منظمات يوقف بعض المال اليسير على نخبة من الباحثين العرب من ذوى العلم
والخبرة لاستخراج ما هو محفوظ فى المكتبات العامة والخاصة فى شبه القارة، وتحقيقه
وضبطه ونشره كما تفعل الأمم المتقدمة التى تهتم بلغتها خارج حدودها لعلمها بأن
رباط اللغة من أقوى الأربطة، ووشائج الثقافة من أمتن الوشائج قديماً وحديثاً.

وبعد ذلك فالكتاب قد صنف للوفاء بمقررات مادة الأدب العربى فى شبه القارة،
التي يدرسها طلاب الجامعة الإسلامية الدولية، فراعينا أن لا يرتفع مستواه عن مستوى
الطلاب، كما أخذنا فى الاعتبار أموراً أخرى، وإلا لنحونا فى تأليفه نحواً آخر.

مصادر الكتاب

أولاً- المصادر العربية

- أبجد العلوم، صديق حسن القنوجي، باكستان، ١٩٨٣م.
- أبو العلاء اللاهوري، د. ظهور أحمد أظهر، السعودية، ١٩٨٢م.
- أبو العلاء وما إليه، عبد العزيز الميمنى، مصر، ١٣٤٤هـ.
- أجناس السبك فى شرح قفا نيك، بهادر يار جنك، الهند، ١٣٠٦هـ.
- أعجب العجب فى شرح لامية العرب، محمد بن عمر الزمخشري، القسطنطينية، ١٣٠٠هـ.
- الأعلام، خير الدين الزركلى، لبنان/ دار العلم للملايين، بدون تاريخ.
- الأمالى، أبو على القالى، لبنان، ١٩٧٨م.
- انتشار الإسلام فى العالم، د. عبد الله مبشر الطرازى، السعودية، ١٩٨٥م.
- البلغة فى أصول اللغة، صديق حسن القنوجي، القسطنطينية، ١٢٩٦هـ.
- تاج العروس، مرتضى الزبيدى، الكويت، ١٩٦٥م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جورجى زيدان، لبنان، ١٩٨٣م.
- تاريخ الأدب العربى، د. أحمد حسن الزيات، دار الكتب الإسلامية لاهور/ باكستان، بدون تاريخ.
- تاريخ الأدب العربى (الترجمة)، كارول بروكلمان، مصر، ١٩٦٨م.
- تاريخ الإسلام فى الهند، عبد المنعم النمر، مصر، ١٩٥٩م.
- تاريخ المسلمين فى شبه القارة، د. أحمد محمود الساداتى، مصر، ١٩٥٧م.
- الثقافة الإسلامية فى الهند، عبد الحى الحسنى اللكنوى، سوريا، ١٩٨٣م.

- ثلاثة كتب فى الأضداد، نشر أوغست هفتر، لبنان، ١٩١٢م.
- جلاء العينين فى محاكمة الأحمدین، خير الدين نعمان آلوسى زاده، مصر، ١٢٩٨هـ.
- جواهر الأدب، أحمد الهاشمى، لبنان، ١٩٨٣م.
- جواهر الأشعار، عبد القادر بن يوسف المليبارى، الهند، ١٣٥٨هـ.
- حاشية السيالكوتى على المطول، عبد الحكيم السيالكوتى، منشورات الرضى، قم/ إيران، بدون تاريخ.
- حاشية محيط الدائرة، محمد موسى الروحانى البارزى، باكستان، ١٣٠٨هـ.
- حدائق السحر (الترجمة العربية)، رشيد الدين الطواط، مصر، ١٩٥٤م.
- حديث النفس، محمد حسين اقبال، لاهور/ باكستان، ١٩٩٥م.
- حركة التأليف باللغة العربية فى الإقليم الشمالى الهندى، د. جميل أحمد، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشى باكستان، بدون تاريخ.
- حضارة الهند (الترجمة العربية)، غوستان لويون، مصر، ١٩٤٨م.
- الدعوة الإسلامية فى الهند، أبو الحسن الندوى، الهند، ١٤٧٨هـ.
- ديوان آزاد (مختار)، غلام على آزاد، الهند، ١٣٢٨هـ.
- ديوان أحمد، أحمد حسين الرسولبورى، الهند، ١٣٥٨هـ.
- ديوان عبد الحميد الفراهى، عبد الحميد الفراهى، باكستان، ١٩٦٧م.
- ديوان الفيض، فيض الحسن السهارنبورى، الهند، ١٣٣٤هـ.
- ديوان الوردى، زين الدين عمر بن المظفر الوردى، القسطنطينية، ١٣٠٠هـ.
- رجال السند والهند إلى القرن السابع، أبو المعالى أطهر المباركپورى، مصر، ١٣٩٨هـ.
- الرسميات، أبو سعيد الرستمى الأصفهائى، باكستان، ١٩٨٤م.
- روائع اقبال، أبو الحسن الندوى، مجلس نشریات إسلام كراتشى/ باكستان، بدون تاريخ.
- سبحة المرجان فى آثار هندوستان، غلام على آزاد، الهند، ١٩٨٠م.

- سفينة البلاغة، محمد زمان خان، الهند، ١٣١١هـ.
- سواطع الإلهام، أبو الفيض المبارك، الهند، ١٣٠٦هـ.
- شآبيب الرحمة، محمد أفضل فقير، باكستان، ١٤١٣هـ.
- شرح مقامات السيوطي، سمير محمود الدروبي، لبنان، ١٩٨٩م.
- شفاه العليل، غلام علي آزاد، الهند، ١٩٨٦م.
- ظل ممدود، محمد عباس التستري، الهند، ١٢٨٨هـ.
- العباب الزاخر، رضى الدين بن حسن الصفاني، العراق، ١٩٧٨م.
- عطر الورد في شرح الورد، ذو الفقار الديوبندي، كتبخانه اعزازية ديوبند الهند، بدون تاريخ.
- العلم الخفاق من علم الاشتقاق، صديق حسن القنوجي، الهند، ١٢٩٤هـ.
- غصن البان المورق بمحسنات البيان، صديق حسن القنوجي، القسطنطينية، ١٢٩٦هـ.
- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، مطبعة الموسوعات. مصر، بدون تاريخ.
- فضل الحق الخيري، د. قمر النساء، باكستان، ١٩٨٦م.
- فقه اللسان، كرامت حسين الكنتوري، الهند، ١٩١٥م.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، لبنان، ١٩٥٦م.
- فوات الوفيات، محمد بن شاکر الکتبي، مصر، ١٩٥١م.
- لف القماط على تصحيح ما استعملته العامة من العرب والدخيل والأغلاط، صديق حسن القنوجي، الهند، ١٢٩٦هـ.
- اللغة العربية في باكستان، د. محمود محمد عبد الله، باكستان، ١٩٨٤م.
- المسلمون في الهند، أبو الحسن البندوي، الهند، ١٩٨٧م.
- مصدق الفضل، شهاب الدين الدولت آبادي، الهند، ١٣٢٣هـ.
- مقامات الحريري، محمد بن علي بن عثمان الحريري، مصر، ١٣٠٥هـ.

- المقامات (شرح مقامات الزمخشري)، بتحقيق يوسف بقاعى، لبنان، ١٩٨١م.
- مقامات الهمداني، بديع الزمان الهمداني، مصر، ١٩٢٣م.
- مقامات الهندي، أبو بكر بن محسن باعبود، الهند، ١٢٩٢هـ.
- نتف من شعر أبي عطاء السندي، د. نبى بخش بلوش، باكستان، ١٩٦١م.
- نزهة الخواطر، عبد الحى الحسنى اللكنوى، ج ١ الهند، ١٩٤٧م - ج ٣ الهند، ١٩٥١م
- ج ٤ الهند، ١٩٥٤م - ج ٥ الهند، ١٩٧٦م - ج ٦ الهند، ١٩٧٨م - ج ٧ الهند، ١٩٧٩م - ج ٨ كراتشى / باكستان، ١٩٧٦م.
- نشوة السكران من صهباء تذكّار الغزلان، صديق حسن القنوجى، الهند، ١٢٩٤هـ.

ثانياً- المصادر الأوردية :

- آب كوثر، محمد اكرام شيخ، باكستان، ١٩٥٢م.
- باغى هندوستان، عبد الشاهد خان شروانى، باكستان، ١٩٧٤م.
- تذكرة علمای هند (الترجمة الأوردية)، ترجمة محمد أيوب القادري، باكستان، ١٩٦١م.
- تمدن هند پر اسلامى اثرات (الترجمة الأوردية)، تاراچند، باكستان، ١٩٦٤م.
- تواریخ سیالکوٹ، غلام محمد عبد الله، الهند، ١٣٠٤هـ.
- حدائق الحنفية، فقير محمد الجهلوى، الهند، ١٣٠٨هـ.
- حميد الدين الفراهى، محمد عنايت الله سبھانى، باكستان، ١٩٨٠م.
- حیات قائد ملت، محمد اقبال سيلم، لاهور / باكستان، بدون تاريخ.
- رود كوثر، محمد اكرام شيخ، باكستان، ١٩٨٠م.
- ضمیمہ اردو کلیات نظم حالى، محمد یعقوب مجددی، الهند، ١٣٣٣هـ.
- علمای هند کا شندار ماضی، محمد میان، الهند، ١٩٦٣م.

- فقہای ہند، محمد اسحق بہتی، ج ۲ پاکستان، ۱۹۷۵م- ج ۳ پاکستان، ۱۹۷۶- ج ۴ القسم الأول پاکستان، ۱۹۷۹م - ج ۵ القسم الثاني، ۱۹۸۱م.
- کاروان زندگی، ابر الحسن الندوی، مجلس نشریات اسلام کراتشی / پاکستان، بدون تاریخ.
- مآثر الکرام، غلام علی ازاد البکرامی، پاکستان، ۱۹۷۱م.
- مقالات شبلی، ترتیب السید سلیمان، الندوی، الہند، ۱۹۳۶م.
- نزہۃ الخواطر (الترجمة الأردية)، عبد الحی الحسنی، ج ۲ پاکستان، ۱۹۶۵م.
- ہندوستان کے سلاطین علما اور مشایخ کے تعلقات پر ایک نظر، السید صباح الدین أحمد، الہند، ۱۹۶۴م.
- ہندوستان میں اسلامی علوم وادبیات، عماد الحسن آزاد الفاروقی، الہند، ۱۹۸۶م.
- ہندوستان میں عربوں کے حکومتیں، ابر المعالی اطہر المبارکپوری، پاکستان، ۱۹۶۷م.
- باد رفتگان، السید سلیمان الندوی، پاکستان، ۱۹۸۳م.

ثالثاً - المصادر الفارسیة :

- أخبار الأخبار فی أسرار الابرار، عبد الحق الدہلوی، الہند، ۱۲۷۸ھ.
- تذکرہ علمای ہند، رحمن علی، الہند، ۱۹۱۴م.
- کاروان ہند، أحمد گلچین معانی، ایران، ۱۳۶۹ھ.
- مجمرة سخرانیہای سیمنار پیوستگیہای فرهنگی ایران وشبه القاره، نشر مرکز تحقیقات فارسی پاکستان، پاکستان، ۱۹۹۳م.
- مقامات حمیدی، عمرو محمود البلخی، ایران، ۱۳۶۲ھ. ش.
- مقامہ نویسی در ادبیات فارسی، فارس ابراہیمی حریری، ایران، ۱۳۴۶ھ. ش.

رابعاً - المصادر الإنجليزية :

Contribution of Indo- Pak to Arabic literature, Zubaid Ahmad, Pakistan, 1967.

Encyclopedia od Islam.

Literary History of the Arabs, R. A. Nicholson, Cambridge, 1956.

خامساً - المقالات والأبحاث :

- إسهام شبه القارة فى نشر الكتاب العربى للدكتور أحمد خان، مقال باللغة العربية قدم فى المهرجان الثقافى بالكويت فى نوفمبر ١٩٩٣م.
- مولانا أصغر على روى بحث مقدم من ذو الفقار على رانا لنيل درجة الدكتوراه فى الأدب العربى (باللغة الأردية) من جامعة البنجاب ١٩٨٨م.
- طلا محمد خان كى أحوال وآثار بحث مقدم (باللغة الأردية) من محمد أشرف لنيل درجة الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة البنجاب ١٩٨٨م.
- مولانا فيض الحسن سهارنبورى بحث مقدم (باللغة الأردية) من سعيد اقبال لنيل درجة الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة البنجاب ١٩٨٦م.

سادساً - المخطوطات :

- رسائل الصفانى (مجموعة مقالات فى اللغة العربية) لرضى الدين الصفانى برقم ٤٨٢ فى مكتبة مجمع البحوث الإسلامية باسلام آباد / باكستان.
- تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم لأبى المظفر فخر الدين يوسف ابن حموية مخطوط برقم ١١ فى مكتبة مجمع البحوث الإسلامية باسلام آباد / باكستان.

سابعاً - المجلات والدوريات والنشرات :

- أفغانستان، مجلة شهرية باللغة العربية، إسلام آباد، عدد يولية ١٩٨٧م.
- تحقيق، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والشرقية باللغتين الفارسية والأردية، مجلد ٣٦ عدد ١-٢.
- ثقافة الهند، الصادرة في نيودلهي باللغة العربية، مجلد ٣٥، عدد ٢، مجلد ٣٦، عدد ٢، مجلد ٣٨، عدد ١-٢.
- فكر ونظر، الصادرة باللغة الأردية في إسلام آباد، عدد يونية ١٩٨٣م، عدد يولية/ سبتمبر ١٩٨٩م.
- المجمع العربى الباكستانى مجلة تصدر في لاهور/ باكستان باللغة العربية، مجلد ١ عدد ٢ نوفمبر ١٩٩٣م.
- المجمع العلمى الهندى الصادرة باللغة العربية في عليكره، العدد الخاص باليمنى، يونية ١٩٨٥م.
- معارف، الصادرة باللغة الأردية اعظم كره بالهند، مجلد ٣٩، عدد ٦.
- المنتخب من الشعر العربى نشرة يصدرها قسم اللغة العربية في جامعة عليكره بالهند، عدد ١٩٩٠م.
- نقوش، الصادرة باللغة الأردية في لاهور بباكستان، العدد الخاص بالشخصيات، أكتوبر ١٩٥٦م.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
تقديم	٣

الباب الأول (النثر)

٧٥ - ٢٢٠

٧٧	سمات النثر العربي في شبه القارة
٨٧	الفصل الأول : النحر والصرف
٩٥	الفصل الثاني : علوم اللغة
١١٥	الفصل الثالث : المعاجم
١٢٧	الفصل الرابع : علوم البلاغة
١٤٧	الفصل الخامس : الإنشاء والرسائل
١٦٤	الفصل السادس : المقامات
١٨١	الفصل السابع : الطرائف
١٨٩	الفصل الثامن : الأمثال
١٩٧	الفصل التاسع : الحيل اللفظية
٢٠٣	الفصل العاشر : التاريخ
٢٠٩	الفصل الحادي عشر : الترجمات الأدبية

الباب الثاني (الشعر)

٢٢١ - ٣٧٣

٢٢٣	خصائص الشعر العربي في شبه القارة
٢٣١	الفصل الأول : شعراء من أصحاب الدواوين
٢٦٥	الفصل الثاني : شعراء بلا دواوين
٢٩٧	الفصل الثالث : شعراء الشعراء
٣٢٣	الفصل الرابع : الشعر القصصي والتاريخي
٣٤١	الفصل الخامس : نظم السيم العليم
٣٥١	الفصل السادس : المعارضات الشعرية
٣٦٥	الفصل السابع : الرسائل الشعرية
٣٧١	الفصل الثامن : العروض والقوافي

الباب الثالث سير أعلام الأدباء في شبه القارة

٣٦٥ - ٤٢٤

٤٢٥	الخاتمة
٤٢٧	مصادر الكتاب

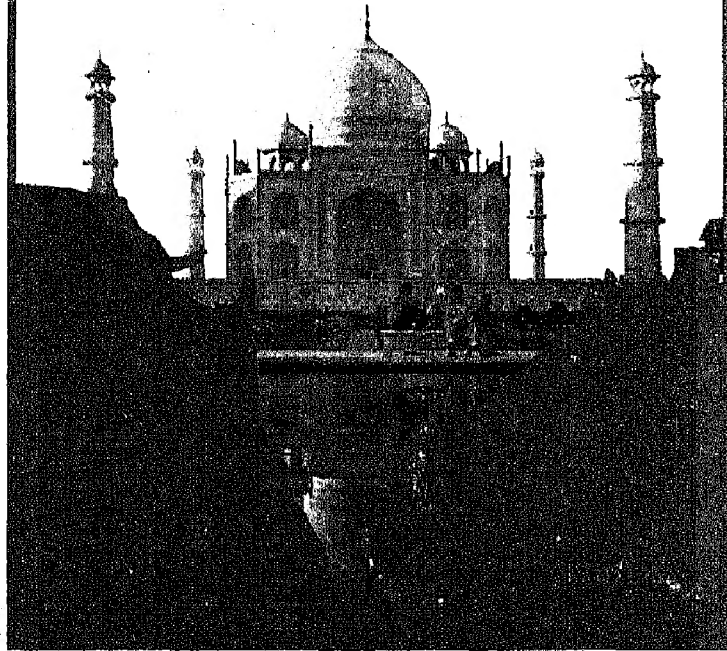
رقم الايداع : ٢٨٥١ / ٩٨
I.S.B.N 977 - 5487 - 85 - 4
طبع بمطابع الهداية - البراجيل - المجيزة



د . أحمد إدريس

الأدب العربي في شبه القارة الهندية

حتى أواخر القرن العشرين



للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES